

رَأْيُ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ

فِي

رَوَايَاتِ الْإِسْخَانِي

لِجَامِعِهَا وَمَصْحُوحِهَا وَمَعْلَقِ حَوَاشِيهَا
الْأَبِ أَنْطُونِ صَالِحِي السُّوعِي

الجزء الثاني

فِي

الرَوَايَاتِ التَّارِيخِيَّةِ

طبعة ثالثة

المطبعة الكاثوليكية للأباء اليسوعيين في بيروت

سنة ١٩٣٦

حقوق الطبع محفوظة للمطبعة

كتاب

رَنَاتِ الْمَثَلِثِ وَالْمَثَانِي

فِي

رَوَايَاتِ الْأَغَانِي

نزول اليهود ثم الأوس والخزرج بيثرب

اخبر جعفر بن سعد عن العَمَّارِي قال : كان ساكنو المدينة في أوّل الدهر قبل بني اسرائيل قوماً من الامم الماضية يقال لهم العماليق وكانوا قد تفرّقوا في البلاد وكانوا أهل عزّ وبغي شديد . فكان ساكني المدينة منهم بنو هَفّ وبنو سعد وبنو الازرق وبنو مطروق وكان ملك الحجاز منهم رجل يُقال له الأرقم ينزل ما بين تيماء الى فدك . وكانوا قد ملأوا المدينة ولهم بها نخل كثير وزرّوع . وكان موسى بن عمران عليه السلام قد بعث الجنود الى الجبارة من اهل القرى يغزونهم فبعث موسى عليه السلام الى العماليق جيشاً من بني اسرائيل وأمرهم ان يقتلوهم جميعاً اذا ظهروا عليهم^(١) ولا يستبقوا منهم احداً . فقدم الجيش الحجاز فأظهرهم الله عزّ وجل على العماليق فقتلوهم أجمعين إلا ابناً للأرقم فإنه كان وضيعاً^(٢) جميلاً فضنوا به على القتل وقالوا : نذهب به الى

موسى فيرى فيه رأيه . فرجعوا الى الشام فوجدوا موسى عليه السلام قد توفي . فقالت لهم بنو اسرائيل : ما صنعتم . فقالوا أظهرنا الله جل وعزاً عليهم فقتلناهم ولم يبق منهم احد غير غلام كان شاباً جميلاً فنفسنا به^(١) عن القتل وقلنا نأتي به موسى عليه السلام فيرى فيه رأيه . فقالوا لهم : هذه معصية . قد أمرتم ان لا تستبقوا منهم احداً . والله لا تدخلون علينا الشام ابداً

فلما صنعوا ذلك قالوا : ما كان خيراً لنا من منازل القوم الذين قتلناهم بالحجاز . نرجع اليهم فنقيم بها . فرجعوا على حاميتهم حتى قدموا المدينة فزلوها وكان ذلك الجيش اول سكنى اليهود المدينة . فانتشروا في نواحي المدينة كلها الى العالية فاتخذوا بها الآطام والأموال^(٢) والمزارع . ولبثوا بالمدينة زمناً طويلاً

ثم ظهرت الروم على بني اسرائيل جميعاً بالشام فوطأوهم وقتلوهم . فخرج بنو النضير وبنو قريظة وبنو يهدل هاربين منهم الى من بالحجاز من بني اسرائيل لما غلبتهم الروم على الشام . فلما فصلوا عنها^(٣) بأهلهم بعث ملك الروم في طلبهم ليردهم فأعجزوه . وكان ما بين الشام والحجاز مفاوز . فلما بلغ طلب الروم الشمد^(٤) انقطعت اعناقهم عطشاً فماتوا وسني الموضع تمد الروم فهو اسمه الى اليوم فلما قدم بنو النضير وقريظة ويهدل المدينة نزلوا الغابة فوجدوها

(١) نفس به صن به

(٢) آطام جمع أطم وهو قصر او حصن

(٣) فصل عنه فارق

مبني بجارة . الاموال المواشي

(٤) الشمد الماء القليل يجتمع من المطر في الحفر وينقطع عند دخول القيظ

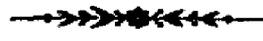
وبيئة فكرهوها وبعثوا رائداً^(١) أمروه ان يلتمس لهم منزلاً سواها .
فخرج حتى اتى العالية وهي بطحان ومهزور واديان من حرّة على تلاع
ارض عذبة^(٢) بها مياه عذبة تنبت حر^(٣) الشجر . فرجع اليهم فقال :
قد وجدت لكم بلداً طيباً ترها الى حرّة يصب منها واديان على تلاع
عذبة ومدرة^(٤) طيبة في متأخر الحرّة ومدافع الشرج^(٥) . (قال)
فتحول القوم اليها من منزلهم ذلك فنزل بنو النضير ومن معهم على
بطحان . وكانت لهم ابل نواعم^(٦) فاتخذوها أموالاً . ونزلت قريظة
وبهدل ومن معهم على مهزور فكانت لهم تلاعه وما سُقي من بُعات
وسموات . فكان يسكن يثرب جماعة من ابناء اليهود فيهم الشرف
والثروة والعز على سائر اليهود . وكان بنو مرانة في موضع بني حارثة
ولهم كان الأظم الذي يقال له الخال وكان معهم من غير بني اسرائيل
بطون من العرب منهم بنو الحرمان حي من اليمن وبنو مرثد حي من
بلي وبنو نيف من بلي ايضاً وبنو معاوية حي من بني سليم ثم من بني
الحرث بن بهثة وبنو الشظية حي من غسان وكان يقال لبني قريظة
وبني النضير خاصة من اليهود الكاهنان^(٧)

- (١) الرائد من يتقدم القوم يختار لهم منزلاً (٢) الحرّة ارض ذات حجارة سود نخرة . التلاع جمع تلة وهي ما علا من الارض . ارض عذبة ومياه عذبة اي طيبة (٣) الحر من كل شيء خياره واطيبه (٤) المدرة الطين والتربة (٥) المدافع المجاري جمع مدفع . الشرج موضع . وهو في غير هذا مسيل الماء من الحرار الى السهل (٦) نواعم اي سمينة مترفة (٧) الكاهنان نسبة الى جدّهم الذي يُقال له الكاهن كما يقال العُسران والحُسران والفسران

فلما ارسل الله سيل العرم على اهل مأرب وهم الأزد قام رائدهم فقال : من كان ذا حمل مَعَنَّ^(١) ووَطَّب ودنَّ وقربة وشنَّ^(٢) فليقلب عن بقرات النعم فهذا اليوم يوم همَّ وليلحق بالثني من شنَّ^(٣) . فكان الذين تزلوه أزد شنوءة . ثم قال لهم : ومن كان ذا فاقة وققر وصبر على أزمات^(٤) الدهر فليلحق ببطن مرَّ . فكان الذين سكنوه خُزاعة . ثم قال لهم : من كان منكم يريد الخمر والخمير والامر والتأخير والديباج والحريز فليلحق ببصرى والحفير وهي من ارض الشام فكان الذين سكنوه غسان . ثم قال لهم : ومن كان منكم ذا همَّ بعيد وجل شديد ومزاد جديد فليلحق بقعر عُمان المشيد . فكان الذين تزلوه ازد عمان . ثم قال : ومن يريد الراسخات في الوحل المطمات في المحل فليلحق بيثرب ذات النخل . فكان الذين تزلوها الاوس والخزرج . فلما توجهوا الى المدينة ووردوها تزلوا في صرار^(٥) ثم تفرقوا . وكان منهم من لجأ الى عفاء^(٦) من ارض لا ساكن فيه فتزلوا به . ومنهم من لجأ الى قرية من قراها فكانوا مع اهلها . فأقامت الاوس والخزرج في منازلهم التي تزلوها بالمدينة في جهد وضيق في المعاش ليسوا باصحاب ابل ولا شاء . لان المدينة ليست بلاد نَعَم . وليسوا باصحاب نخل ولا زرع .

- (١) مَعَنَّ مجدول جدل العنان (٢) الشنّ القرية الخلق الصغيرة
(٣) الشني منطف الوادي . شنّ ناحية بالسراة وهي الجبال المتصلة بعضها ببعض الحاجزة بين تخامة واليمن
(٤) الازمة الشدة والقحط
(٥) صرار بئر على ثلاثة اميال من المدينة
(٦) عفاء اي لا اثر فيها

وليس للرجل منهم ألا الاغداق^(١) اليسيرة والمزرعة يستخرجها من ارض مَوَات^(٢) والأموال لليهود . فلبثت الاوس والخزرج بذلك حيناً



مكر أبي جَبِيلَةَ باليهود ومقتلهم

ثم ان مالك بن العَجَلان وفد الى أبي جَبِيلَةَ النِصاني وهو يومئذ ملك غسان فسأله عن قومه وعن منزلتهم . فأخبره بجاههم وضيق معاشهم : فقال له أبو جبيلة : والله ما نزل قوم منا بلداً الا غلبوا أهله عليه فما بالكم . ثم أمره بالمضي الى قومه وقال له : اعلمهم اني سائر اليهم . فرجع مالك بن العجلان فأخبرهم بأمر أبي جبيلة ثم قال لليهود : ان الملك يريد زيارتكم فأعدوا نُزُلًا^(٣) فأعدوه . وأقبل أبو جبيلة سائراً من الشام في جمع كثيف حتى قدم المدينة فزل بندي حُرُض^(٤) ثم ارسل الى الاوس والخزرج فذكر لهم الذي قدم له وأجمع^(٥) يكر باليهود حتى يقتل رؤوسهم واشرافهم . وخشي ان لم يكر بهم ان يتحصنوا في أطامهم فيمنعوا منه حتى يطول حصاره اياهم . فأمر بنيان حائر^(٦) واسع فبني ثم أرسل الى اليهود : ان ابا جبيلة الملك قد احب أن تأتوه . فلم يبق وجه من وجود القوم الا أتاه وجعل الرجل يأتي معه بخاصته وحشمه رجاء ان يحبوهم . فلما اجتمعوا بيباه أمر رجالاً من

- (١) اغداق اراض مُخصبة
 (٢) موات لا يُنتفع بها
 (٣) النزل والنزل ما جيباً للضيف
 (٤) ذو حرص وادٍ بالمدينة
 (٥) اجمع عزم
 (٦) حائر مكان مطمئن مرتفع الاطراف

جنده أن يدخلوا الحائر الذي بنى ثم يقتلوا كل من يدخل عليهم من اليهود . ثم أمر حجاب أن يأذنوا لهم في الحائر ويدخلوهم رجلاً رجلاً . فلم يزل الحجاب يأذنون لهم كذلك ويقتلهم الجند الذين في الحائر حتى أتوا على آخرهم . فقالت سارة القريظية تراثي من قتل منهم أبو جبيلة تقول :

بنفسي أمة لم تكن شيئاً بذى حرض تُعنيها الرياحُ
كهولٌ من قريظة أتلفتهم سيوف الخزرجية والرماحُ
رُزئنا والوزية ذات ثقل يَمَرٌ لاهلها الماء القراح^١
ولو أربوا^٢ بأمرهم جالت هنالك دونهم جاوى رداح^٣

وقال الرمق وهو عبيد بن سالم بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف ابن الخزرج يدح أبا جبيلة الغساني :

لم يقض دينك في الحسا ن وقد غنيت وقد غنينا
الراشقات المرشقا ت الجازيات بما جزيينا
أمثال غزلان الصرا ثم يأترون ويرتدينا
الرَيْطَ والديباجَ والزَّم م رَدَ المضاءفَ والبُرينا^٤
وأبو جبيلة خير من يمشي وأوفاهم يمينا
وأبرهم برا وأع لهم بفضل الصالحينا
ابقت لنا الأيام والحرب م المهمة تعترينا

(١) قراح خالص لم يشبه شيء (٢) أربوا أحكموا

(٣) كتيبة جاواء سوداء من لون الحديد ورداح ثقيلة

(٤) جمع بُرة وهي كل حلقة من سوار وقُرط واخلخال

كَبِشًا لَنَا ذَكَرًا يَفْلَمُ حُسَامُهُ الذِّكْرَ السَّيْنَا
وَمَعَاقِلًا سُمًّا^(١) وَأَسَّهُ يَافَأُ يُمْنَنَ وَيُنَحْنِنَا
وَمَحَلَّةَ زُورَاءَ تَرْمُ حَفُ بِالرِّجَالِ الْمُصَلِّينَا^(٢)

فلما انشدوا أبا جبيلة ما قال الهمم ارسلك اليه فجي به . وكان رجلاً
ضئيلاً غير وضي . فلما رآه قال : عسل طيب ووعاء سوء . فذهبت
مثلاً . وقال للاوس والخزرج : ان لم تغلبوا على هذه البلاد بعد من
قتلت من اشراف اهلها فلا خير فيكم . ثم رحل الى الشام . وقال
الصامت بن أصرم القوفلي يذكر قتل أبي جبيلة اليهود :

سائل قريظة من يقتم سبيها^(٣) يوم العريض^(٤) ومن افاء المغنا
جاءتهم الملحاء^(٥) تخفق ظلها وكتيبة خشنا . تدعو سلماً
عي الذي جلب الهمام لقومه حتى احل على اليهود الصيلما^(٦)

قال أبو المنهال احد بني المعلى : انهم اقاموا زمناً بعد ما صنع ويهود
تعارض عليهم وتناوئهم . فقال مالك بن عجلان لقومه : والله ما ائحنا
يهود غلبة كما يزيد . فهل لكم ان اضع لكم طعاماً ثم أرسل في مائة
من اشراف من بقي من اليهود فاذا جاؤوني فاقتلوهم جميعاً . فقالوا : نفعل .
فلما جاءهم رسول مالك قالوا : والله لا نأتيهم ابداً وقد قتل أبو جبيلة
مننا من قتل . فقال لهم مالك : ان ذلك كان على غير هوى منا وانما اردنا
ان نحوه وتعلموا حالكم عندنا . فأجابوه . فجعل كلما دخل عليه رجل منهم

(١) ثم مرتفعة (٢) اصلت سل سيف (٣) سبيها يعني

نسوة سباهن أبو جبيلة من بني قريظة (٤) العريض واد بالمدينة

(٥) الملحاء كتيبة لاهل جفنة (٦) الصيلم الداھية

أمر به مالك فقتل . حتى قتل منهم بضعة وثمانين رجلاً . ثم ان رجلاً منهم أقبل حتى قام على باب مالك . فتسمع فلم يسمع صوتاً . فقال : أرى اسرع وريد وأبعد صدر . فرجع وحذر اصحابه الذين بقوا فلم يأت منهم احد . (قال) وصورت اليهود مالكا في بيعهم وكنائسهم فكانوا يلعنونه كلما دخلوها . (قال) فلما قتل مالك من يهود من قتل ذلوا وقل امتناعهم وخافوا خوفاً شديداً وجعلوا كلما هاجهم احد من الاوس والخزرج بشي . يكرهونه لم يمش بعضهم الى بعض كما كانوا يفعلون قبل ذلك ولكن يذهب اليهودي الى جيرانه الذين هو بين أظهرهم فيقول : انما نحن جيرانكم ومواليكم . فكان كل قوم من يهود قد لجأوا الى بطن من الاوس والخزرج يتعززون بهم^{١)}

محاربة الاوس والخزرج

قال أبو المنهال عتيبة بن المنهال : بعث رجل من غطفان من بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان الى يثرب بفرس وحلة مع رجل من غطفان وقال : ادفعهما الى اعز اهل يثرب . (قال) فجاء الرسول بهما حتى ورد سوق بني قينقاع فقال ما أمر به . فوثب اليه رجل من غطفان كان جاراً لمالك بن العجلان الخزرجي يقال له كعب الثعلبي فقال : مالك بن العجلان أعز اهل يثرب . وقام رجل آخر فقال : بل أحيحة بن الجلاح أعز اهل يثرب . وكثر الكلام . فقبل الرسول

الغطفاني قول الثعلبي الذي كان جاراً لمالك بن العجلان ودفعتها الى مالك فقال كعب الثعلبي: ألم اقول لكم ان حليفي أعزكم وافضلكم . فغضب رجل من بني عمرو بن عوف يقال له سُمَيْرُ فرصد الثعلبي حتى قتله . فأخبر مالك بذلك . فأرسل الى بني عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس : انكم قتلتم منا قتيلاً فأرسلوا الينا بقاتله . فلما جاءهم رسول مالك تراموا به . فقالت بنو زيد : انما قتله بنو جحجبا . وقالت بنو جحجبا انما قتله بنو زيد . ثم أرسلوا الى مالك : انه قد كان في السوق التي قُتل فيها صاحبكم ناس كثير ولا يدري أيهم قتله . فأمر مالك أهل تلك السوق ان يتفرقوا . فلم يبق فيها غير سمير و كعب . فأرسل مالك الى بني عمرو بن عوف بالذي بلغه من ذلك وقال : انما قتله سمير فأرسلوا به اليه . فأرسلوا اليه : انه ليس لك ان تقتل سميراً بغير بيته . وكثرت الرسل بينهم في ذلك يسألهم مالك ان يعطوه سميراً ويأبون ان يعطوه اياه . ثم ان بني عمرو بن عوف كرهوا ان ينشبوا بينهم وبين مالك حرباً فأرسلوا اليه : ان صاحبكم حليف وليس لكم فيه الا نصف الدية . فغضب مالك وأبى ان ياخذ فيه الا الدية كاملة او يقتل سميراً . فأبى بنو عمرو بن عوف ان يعطوه الا دية الحليف وهي نصف الدية . ثم دعوه ان يحكم بينهم وبينه عمرو ابن امرئ القيس احد بني الحرث بن الخزرج وهو جد عبد الله بن رواحة . ففعل . فانطلقوا حتى جاؤوه في بني الحرث بن الخزرج . فقضى على مالك بن العجلان انه ليس له في حليفه الا دية الحليف . وأبى مالك ان يرضى بذلك وأذن بني عمرو بن عوف بالحرب واستنصر قبائل الخزرج . فأبى بنو الحرث

ابن الخزرج ان تنصره غضباً حين ردّ قضاء عمرو بن امرئ القيس . فقال
مالك ابن العجلان يذكر خذلان بني الحرث بن الخزرج له وحَدَبٌ^(١)
بني عمرو بن عوف على سدير ويحرض بني النجار على نصرته

ان سيرا رأى عشيرته قد حذبوا دونه وقد أنفوا
ان يكن الظن صادقاً ببني م النجار لا يطعموا الذي عُفوا
لا يُسلمونا لمشرِ ابداً ما دام منا ببطنها شرفُ
لكن موالياً قد بدا لهم رأيٌ سوى ما لديّ أو ضعفوا
بين بني جحجبا وبين بني زيد فاني تحاذل اللّفف^(٢)
يمشون في البيض والدروع كما تمشي جمالٌ مصاعبٌ قطف^(٣)
كما تمشي الاسود في رهج م الموت اليه وكلهم لهفُ
وقال درهم بن زيد بن ضبيعة أخو سدير في ذلك :

يا قوم لا تقتلوا سيرا فان م القتل فيه البوار والاسفُ
ان تقتلوه ترن نسوتكم على كريمٍ ويفزع السلفُ
اني لعمرُ الذي يحجُّ له م الناس ومن دون بيته سرف^(٤)
يمينُ برِّ بالله مجتهدٍ يحلف ان كان ينفع الحليفُ
لا ترفعُ العبدُ فوق سنّته ما دام منا ببطنها شرفُ
انك لاقٍ غداً غواةً بني عمي فانظر ما انت مزدهف^(٥)

(١) حدب اي تعطف وحنو

(٢) اللّفف المجتمع . ويروي « السلف » م

(٣) قطف بطيئة السير . ومصاعب فحول (٤) سرف على عشرة اميال

من مكة (٥) مزدهف مُلاق من العداوة والمكروه

فَأَبْدِ سِيَاكَ^(١) يَعْرِفُوكَ كَمَا يُبَدُونَ سِيَاهَهُمْ فَتَعْتَرِفُ
وقال درهم بن زيد في ذلك :
يَا مَالٍ^(٢) لَا تَبْغَيْنِ ظِلَامَتَنَا
يَا مَالٍ وَالْحَقُّ أَنْ قَنِيتَ بِهِ
أَنَّ بَجِيرًا عَبْدٌ فَخَذَ ثَمَنًا
ثُمَّ اعْلَمَنَ أَنْ أَرَدْتَ ضِيمَ بَنِي
لَأَصْبَحَنَّ دَارُكُمْ بِذِي لَجْبِ
الْبَيْضِ حِصْنٌ لَهُمْ إِذَا فَرَعُوا
وَالْبَيْضُ^(٣) قَدْ ثَلَمْتَ مَضَارِبَهَا
كَأَنَّهَا فِي الْإَكْفِ إِذَا لَمَعَتْ
وقال قيس بن الخطيم الظفري أحد بني النبيت في ذلك (ولم يدركه
وإنما قاله بعد هذه الحرب بزمان) :
رَدَّ الْخَلِيطُ الْجَمَالَ فَانصَرَفُوا
لَوْ وَقَفُوا سَاعَةَ نَسَأْتُهُمْ
وَهِيَ طَوِيلَةٌ يَقُولُ فِيهَا :
مَآذَا عَلَيْهِمْ لَوْ أَنَّهُمْ وَقَفُوا
رَيْثَ يَضْحِي جَمَالُهُ السَّلْفِ^(٤)

(١) معنى قوله «أبد سياتك» أن مالك بن العجلان كان إذا شهر الحرب
يغير لباسه ويتنكر لئلا يعرف فيقصد (٢) مال ترخيم مالك
(٣) عزف عوض عزف حرك الثاني للقافية ومعناها الصوت . والجون
الاسود للون حديد السلاح . واللجب الصياح والجلبة ويشير الى الجيش
(٤) النطف اللاتي الصافية اللون . والسابغة الدرع الطويلة . البيض جمع
بيضه وهي الخوذة (٥) البيض السيوف (٦) ضحى جماله اطعمها في الضحوة .
والسلف هم الذين يتقدمون الطعن بنفضون الطريق

ابلع بني جحجبا واخوتهم
 انا وان قل نصرنا لهم
 لما بدت نحونا جباهم
 نفلي بجد الصفيح هامهم
 يتبع آثارها اذا اختلجت
 ان بني عمنا طغوا وبغوا
 فرد عليه حسان بن ثابت (ولم يدرك ذلك) :

ما بال عينك دمعها يكف
 بانث بها غربة توم بها
 ما كنت ادري بوشك بينهم
 دع ذا وعد القريض في نفر
 ان تدع قومي للمجد تلفهم
 ان سميراً عبد طغى سفهاً
 من ذكر خود شطت بها قذف
 أرضاً سوانا والشكل مختلف
 حتى رأيت الحدوج^(١) تنقذف
 يوجون مدحي ومدحي الشرف
 أهل فعال يبدو اذا وُصفوا
 ساعده أعبد لهم نطف^(٢)

(قال) ثم أرسل مالك بن العجلان الى بني عمرو بن عوف يؤذنيهم
 بالحرب ويعدهم يوماً يلتقون فيه . وأمر قومه فتهيأوا للحرب وتحاشد
 الحيات وجمع بعضهم لبعض . وكانت يهود قد حالفت قبائل الاوس
 والخزرج الا بني قريظة وبني النضير فانهم لم يحالفوا احداً منهم حتى كان

(١) تجف تضرب (٢) الصحف الوجوه

(٣) جنف ميل وجور عما توجهه القربى (٤) تكف تقطر (٥) خود

صية . قذف بميدة اي سفر بعيد (٦) حدوج جمع حدج مركب للنساء

(٧) النطف جمع نطفة وهي اللؤلؤ والقُرط يعلق في الأذن

هذا الجمع فأرسلت اليهم الاوس واخزرج كلُّ يدعوهم الى نفسه .
فاجابوا الاوس وحالفوهم . والتي حالفت قريظة والنضير من الاوس اوس
الله وهي خُطمة وواقف وأمّية وواثل . فهذه قبائل اوس الله . ثم زحف
مالك بمن معه من الخزرج . وزحفت الاوس بمن معها من حلفائها من قريظة
والنضير . فالتقوا بفضاء كان بين بني سالم وقُبا . وكان اول يوم التقوا فيه
فاقتلوا قتالاً شديداً . ثم انصرفوا وهم منتصفون جميعاً . ثم التقوا مرةً
أخرى عند أطم بني قينقاع فاقتلوا حتى حجز الليل بينهم وكان الظفر
يومئذٍ للاوس على الخزرج . فقال أبو قيس بن الاسلت في ذلك :

لقد رأيت بني عمرو فما وهنوا عند اللقاء وما هتوا بتكذيب
ألا فدى لهم أمي وما ولدت غداة يشون إرقال^(١) المصاعيب
بكل سلهية كالأيم ماضية وكل ابيض ماضي الحد مخشوب^(٢)

(قال) فلبث الاوس والخزرج متعارين عشرين سنة في أمر سمي
يتعاونون القتال في تلك السنين . وكانت لهم فيها أيام ومواطن لم تحفظ .
فلما رأَت الاوس طول الشر وان مالكا لا يتزع^(٣) قال لهم سويد بن
صامت الاوسي وكان يقال له الكامل في الجاهلية^(٤) : يا قوم أرضوا
هذا الرجل من حليفه ولا تقيموا على حرب اخوتكم فيقتل بعضكم
بعضاً ويطمع فيكم غيركم وان حملتم على انفسكم بعض الحمل . فأرسلت

(١) ارقل اسرع (٢) سلهية فرس طويلة . والايم الحية شبهها بالحية
في انسلاتها . والمخشوب السيف الحديث الطبع ثم صار كل مصقول مخشوباً
(٣) لا يتزع اي لا يكف (٤) كان الرجل في الجاهلية اذا كان
شاعراً شجاعاً كاتباً ساجماً رامياً سموه الكامل وكان سويد احد الكملة

الاولس الى مالك بن العجلان يدعونه الى ان يحكم بينه وبينهم ثابت
ابن المنذر بن حرام أبو حسان بن ثابت فأجابهم الى ذلك . فخرجوا حتى
اتوا ثابت بن المنذر وهو في البئر التي يُقال لها سُميحة فقالوا : انا قد
حكمتناك بيننا . فقال : لا حاجة لي في ذلك . قالوا : ولم . قال : أخاف
أن تردوا حكمي كما رددتم حكم عمرو بن امرئ القيس . قالوا : فأننا
لا نردُّ حكمك فاحكم بيننا . قال : لا احكم بينكم حتى تعطوني
موثقا وعهدا لترضون بحكمي وما قضيت به ولتسلنَّ له . فاعطوه
على ذلك عهودهم ومواثيقهم . فحكم بان يُؤدى حليف مالك دية
الصريح ثم تكون السنة فيهم بعده على ما كانت عليه في الصريح على
ديته والحليف على ديته وان تُعدَّ القتل الذي أصاب بعضهم من بعض
في حربهم ثم يُعطوا الدية لمن كان له فضل في القتل من الفريقين . فرضي
بذلك مالك وسلّمت الاولس وتفرّقوا على ان على بني النجار نصف دية
جار مالك معونة لآخوتهم وعلى بني عمرو بن عوف نصفها . فرأت بنو
عمرو بن عوف انهم لم يُخرجوا الا الذي كان عليهم . ورأى مالك انه
قد ادرك ما كان يطلب . ووُدي جاره دية الصريح

قيس بن الخطيم يأخذ بشار ابيه وجدّه

كان من حديث قيس بن الخطيم ان جدّه عدي بن عمرو قتله رجل
من بني عمرو بن عامر يقال له مالك . وقتل اياه الخطيم بن عدي رجل
من بني عبد القيس ممّن يسكن هجر . وكان قيس يوم قتل ابيه صبياً

صغيراً وقتل الخطيم قبل ان يثارَ بأبيه عدي . فخشيت ام قيس على ابنها ان يخرج فيطلب بثأر أبيه وجده فيهلك فعمدت الى كومة من تراب عند باب دارهم فوضعت عليها احجاراً وجعلت تقول لقيس : هذا قبر أبيك وجدك . فكان قيس لا يشك ان ذلك على ذلك . ونشأ شديد الساعدين . فنازع يوماً فتى من فتيان بني ظفر . فقال له ذلك الفتى : والله لو جعلت شدة ساعديك على قاتل ابيك وجدك لكان خيراً لك من ان تُخرجها علي . فقال : ومن قاتل أبي وجدتي . قال : سل أمك تخبرك . فأخذ السيف ووضع قائمه على الارض وذبابه بين ثدييه وقال لامه : اخبريني من قتل أبي وجدتي . قالت : ماتا كما يموت الناس وهذان قبراهما بالفناء . فقال : والله لتخبريني من قتلها او لأتحاملن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري . فقالت اما جدك فقتله رجل من بني عمرو بن عامر بن ربيعة يقال له مالك . واما أبوك فقتله رجل من بني عبد القيس ممن يسكن هجر . فقال : والله لا انتهي حتى أقتل قاتل أبي وجدتي . فقالت : يا بني ان مالكاً قاتل جدك من قوم خدّاش ابن زهير ولأبيك عند خدّاش نعمة هو لها شاكر فأته فاستسره في أمرك واستغنه يعنك . فخرج قيس من ساعته حتى أتى ناضحه^(١) وهو يسقي نخله فضرب الجريز بالسيف فقطعه فسقطت الدلو في البئر وأخذ برأس الجمل فحمل عليه غرارتين من تمر وقال : من يكفيني أمر هذه العجوز (يعني أمه) . فان مت أنفق عليها من هذا الحائط^(٢) حتى تموت ثم هو

(١) الناضح البعير يُمتقى عليه الماء والجريز الجبل

(٢) الحائط البستان من النخيل اذا كان عليه حائط اي جدار

له وان عشتُ فمالي عائد اليّ وله منه ما شاء ان ياكل من تمره . فقال رجل من قومه : انا له . فأعطاه الحائط . ثم خرج يسأل عن خدش بن زهير حتى دُلَّ عليه بمر الظهران^(١) . فصار الى خبائه فلم يجده فترل تحت شجرة يكون تحتها اضيافه . ثم نادى امرأة خدش : هل من طعام فاطلعت^(٢) اليه فأعجبها جماله وكان من أحسن الناس وجهاً فقالت : والله ما عندنا من نزل نرضاه لك الا تمرًا . فقال : لا أبالي فأخرجني ما كان عندك . فأرسلت اليه بقبّاع^(٣) فيه تمر . فأخذ منه ثمرة فاكل شقها وردّ شقها الباقي في القبّاع . ثم أمر بالقبّاع فأدخل على امرأة خدش بن زهير . ثم ذهب لبعض حاجاته . ورجع خدش فأخبرته امرأته خبر قيس . فقال : هذا رجل متحرم^(٤) . وأقبل قيس راجعاً وهو مع امرأته ياكل رطباً فلما رأى خدش رجله وهو على بعيره قال لامرأته : هذا ضيفك . قالت : نعم . قال : كان قدمه قدم الخطيم صديقي اليثربي . فلما دنا منه قرع طنب^(٥) البيت بسنان رحبه واستأذن . فأذن له خدش . فدخل اليه . فنسبه فانتسب اليه وأخبره بالذي جاء له وسأله أن يعينه وأن يُشيرَ عليه في أمره . فرحب به خدش وذكر نعمة أبيه عنده وقال : ان هذا الامر ما زلت اتوقّعه منك منذ حين . فأما قاتل جدك فهو ابن عمّ لي وأنا أعينك عليه . فاذا اجتمعنا في نادينا جلستُ الى جنبه وتحدّثتُ معه . فاذا ضربتُ فخذه فثب اليه فاقتله . (فقال قيس)

(١) مرّ الظهران موضع على مرحلة من مكّة وتمرّ عيون كثيرة ونخل وحمير

(٢) أطلع واطلع بمعنى طلع (٣) القبّاع مكيال كبير

(٤) متحرم محم (٥) الطنب الحبل تشد به الخيمة استماره لناحية الخيمة

فأقبلت معه نحوه حتى قمتُ على رأسه لما جالسه خدش . فعين ضرب
فخذه ضربتُ رأسه بسيفٍ يقال له ذو الخُرَصين . فثار اليّ القوم
ليقتلوني فحال خدش بينهم وبينني وقال : دعوه فإنه والله ما قتل إلا
قاتل جدّه . ثم دعا خدش بجمل من إبله فركبه وانطلق مع قيس إلى
العبدى الذي قتل أباه . حتى إذا كان قريباً من هجر أشار عليه خدش
أن ينطلق حتى يسأل عن قاتل أبيه فإذا دلّ عليه قال له : إن لصاً من
لصوص قومك عارضني فأخذ متاعاً لي فسألت من سيد قوميه فدلتُ
عليك فانطلق معي حتى تأخذ متاعي منه . فان اتبعك وحده فستنال
ما تريد منه . وإن أخرج معك غيره فاضحك . فان سألك ممّ ضحكك
فقل : إن الشريف عندنا لا يصنع كما صنعت إذا دُعي إلى اللص من
قومه إنما يخرج وحده بسوطه دون سيفه فإذا رآه اللص أعطاه كل شيء
أخذه هبةً له . فان أمر أصحابه بالرجوع فسييل ذلك وإن أتى إلا أن
يمضوا معه فأتني به فاني أرجو أن تقتله وتقتل أصحابه . وتزل خدش
تحت ظل شجرة وخرج قيس حتى أتى العبدى فقال له ما أمره خدش
فأحفظه . فأمر أصحابه فرجعوا ومضى مع قيس . فلما طلع على خدش
قال له : اختريا قيس إما أن أعينك وأما أن اكفيك . قال لا أريد
واحدة منهما ولكن إن قتلني فلا يفلتنك . ثم ثار إليه فطعنه قيس بالحربة
في خاصرته فأنفذها من الجانب الآخر فمات مكانه . فلما فرغ منه
قال له خدش : إنا إن فررنا الآن طلبنا قومك ولكن أدخل بنا مكاناً
قريباً من مقلته فإن قومك لا يظنون أنك قتلتهم وأقت قريباً منهم ولكنهم
إذا افتقدوه اقتفروا أثره فإذا وجدوه قتيلاً خرجوا في طلبنا في كل وجه

فاذا ينسوا رجعوا . (قال) فدخلا في دارات^(١) من رمال هناك . وفقد العبدى قومه فأقتنوا أثره فوجدوه قتيلاً فخرجوا يطلبونهما في كل وجه ثم رجعوا . فكان من امرهم ما قال خدش . وأقاما مكانهما أياماً ثم خرجا فلم يتكلمتا حتى أتيا منزل خدش ففارقة عنده قيس بن الخطيم ورجع الى اهله . ففي ذلك يقول قيس :

ذارتُ عدياً والخطيم فلم أضع ولاية^(٢) أشياخ جعلتُ إزاءها
ضربتُ بندي الزجين ربقة مالك فأبتُ بنفسي قد أصبتُ شفاءها
وساعدني فيما ابن عمرو بن عامر خدش فأدى نعمة وأفاءها
طغنتُ ابن عبد القيس طعنة نائر لها نقدٌ لولا الشعاع^(٣) أضاءها
ملكْتُ بها كفي فأنهرتُ فتقها^(٤) يرى قائمٌ من دونها ما وراءها
فلما هدأت حرب الأوس والخزرج تذكرتُ الخزرج قيس بن الخطيم
ونسكايته فيهم فتأمروا وتواعدوا قتله . فخرج عشية من منزله في
ملائين يريد ما لاه بالشوط حتى مر بأطم بني حارثة . فرمي من
الأطم بثلاثة أسهم فوق أحدها في صدره فصاح صيحة سمعها رهطه .
فجاؤوا فحملوه الى منزله فلم يروا له كفوء إلا أبا صعصعة يزيد بن عوف
ابن مدرك النجاري . فأندس اليه رجلٌ حتى أعتاله في منزله فضرب عنقه
واشتمل على راسه فأتي به قيساً وهو بأخر رمق فألقاه بين يديه وقال :
يا قيس قد أدركت بشارك . فقال : لا أبالي ان كان غير أبي صعصعة .

(١) دائرة الرمل ارض واسعة تحيط بها الرمال

(٢) ويروى « وصبة » (٣) الشعاع الدم يخرج من الجرح فينتشر

ويمنع ان يرى الضوء من وراء الجرح (٤) اي وسعت الجرح

فقال : هو أبو صعصعة . وأراه الرأس . فلم يلبث قيس بعد ذلك أن مات



السموأل

السموأل بن غريض بن عادياء . كان صاحب الحصن المعروف بالابلق بتيماً وهو المشهور بالوفاء . وكان هذا الحصن لجدّه عادياء واحتفر فيه بئراً رويّة^(١) عذبة . وقد ذكّره شعراء في اشعارها . قال السموأل :

فبالأبلق الفرد بيتي به وبيت النضير سوى الابلق
وقال السموأل يذكر بناء جدّه الحصن :

بني لي عادياء حصناً حصيناً وماءً كلماً شئت استقيتُ
وكانت العرب تتزل به فيضيفها وتمتار من حصنه وتقيم هناك سوقاً . وبه يضرب المثل في الوفاء لاسلامه ابنه حتى قُتل ولم يخن امانته في أذراع أودعها . وكان السبب في ذلك ان امرء القيس بن حجر لما صار الى الشام يريد قيصر نزل على السموأل بن عادياء بحصنه الابلق بعد ايقاعه ببني كينانة على انهم بنو أبيه وكراهة اصحابه لفعله وتفرقتهم عنه حتى بقي وحده واحتاج الى الهرب فطلبه المنذر بن ماء السماء ووجه في طلبه جيوشاً من اياد وبهراء وتثوخ وجيشاً من الاساورة امره بهم أنوشروان وخذلتهم حمير وتفرقتوا عنه لجأ الى السموأل ومعه اذراع كانت لأبيه خمسة الفضاضة والضافية والمُحصنة والخريق وام الذبول كانت الملوك من بني آكل المرار يتوارثونها ملك عن ملك . ومعه بنته هند وابن ٤٦

يزيد بن الحرث بن معاوية بن الحرث وسلاح وماله كان بقي معه ورجل
من بني فزارة يقال له الربيع بن ضبع شاعر . فقال له الفزاري : قل في
السموأل شعراً تمدحه به فإن الشعر يعجبه . وأنشده الربيع شعراً مدحه
به وهو قوله :

ولقد اتيت بني الأضاض مُفَاخِرًا وإلى السموأل زرتة بالابلق
فأتيت افضل من تحمل حاجة ان جئتُه في غارمٍ او مرهق^(١)
عرفت له الاقوام كل فضيلة وحوى المكارم سابقاً لم يسبق
(قال) فقال امرؤ القيس فيه قصيدته :

طرقك هندٌ بعد طول تجنّب وهنأ ولم تك قبل ذلك تطرق
(قال) وقال الفزاري : ان السموأل يمنع منها حتى يرى ذات عينك وهو
في حصن حصين ومال كثير . فقدم به على السموأل وعرفه اياه وأنشده
الشعر فعرف لهما حَقُّهما وضرب على هند قبة من آدم^(٢) وأنزل القوم في
مجلس له براح^(٣) فكانت عنده ما شاء الله . ثم ان امرؤ القيس سأله
ان يكتب له الى الحرث بن أبي شير العسائي ان يوصله الى قيصر .
ففعل واستصحب معه رجلاً يداؤه على الطريق واودع بنيه وماله وادراعه
السموأل ورحل الى الشام وخلف ابن عمه يزيد بن الحرث مع ابنته هند .
(قال) ووجه المنذر بالحرث بن ظالم في خيل وأمره باخذ مال امرئ
القيس من السموأل . فلما نزل به تحصن منه . وكان له ابن قد يفع
وخرج الى قنص له . فلما رجع أخذه الحرث بن ظالم ثم قال للسموأل :

(١) الغارم الذي عليه دين والمرهق الذي أدرك ليفتل

(٢) آدم جمع ادم اي الجلد (٣) براح واسع

أُتْعِرِفْ هَذَا . قَالَ : نَعَمْ هَذَا ابْنِي . قَالَ : أَتَسَلَّمَ مَا قَبْلَكَ أَمْ أَقْتَلَهُ .
 قَالَ : شَأْنُكَ بِهِ فَلَسْتُ أَخْفِرُ ذِمَّتِي " وَلَا اسْلَمَ مَالٌ جَارِي . فَضْرَبَ
 الْحَرْثُ وَسَطَ الْغَلَامِ فَقَطَعَهُ قِطْعَتَيْنِ وَانصَرَفَ عَنْهُ . فَقَالَ السَّمْوَالُ فِي
 ذَلِكَ :

وَفِيَتْ بِأَدْرَعِ الْكَنْدِيِّ أَيْ	إِذَا مَا ذَمَّ أَقْوَامٌ وَفِيَتْ
وَإِوْحَى عَادِيَا يَوْمًا بِأَنْ لَا	تُهْدَمَ يَا سَمْوَالُ مَا بَنَيْتَ
بَنِي لِي عَادِيَا حَصِينًا حَصِينًا	وَمَاءَ كَلِمَا شَتَّتْ اسْتَقَيْتَ
رَفِيعًا تَرْتَقُ الْعِثْبَانُ عَنْهُ	إِذَا مَا تَابَنِي ضِمَّ أُبَيْتَ

الأعشى وشريح بن السموأل

قال الأعشى يمدح السموأل ويستجير بابنه شريح بن السموأل من
 رجل كلبى كان الأعشى هجاء ثم ظفر به فأسرته وهو لا يعرفه فتزل
 بشريح بن السموأل واحسن ضيافته ومر بالأسرى فناداه الأعشى :

شريح لا تسلمني بعد ما علقت	جبالك اليوم بعد القيد اظفاري
قد سرت ما بين بلقاء الى عدن	وطال في العجم تكراري وتسياري
فكان أكرمهم عهداً واولئقهم	عقداً ابوك بعرف غير إنكاد
كالفيث ما استمطروه جاد وابله	وفي الشدائد كالمستأسد الضاري
كن كالسموأل اذ طاف الهمام به	في جحفل كسواد الليل جوار

اذ سامه خطي خسف فقال له
فقال غدرٌ وتكلٌ انت بينهما
فشكَّ غيرَ طويلٍ ثم قال له
انا له خلفٌ ان كنت قاتله
وسوف يُعقبنيه ان ظفرت به
فاختار ادراعه كي لا يُسبَّ بها
ولم يكن وعده فيها بختار^(٢)
فجاء شريح الى الكلبي فقال : هذا الاسير المنصور . فقال : هو لك .
فاطلقه وقال له : اقم عندي حتى اكرمك واحبوك^(٤) . فقال له الاعشى :
ان تمام احسانك اليّ ان تعطيني ناقة ناجية^(٥) وتخليني الساعة . فاعطاه
ناقة ناجية . فركبها ومضى من ساعته . وبلغ الكلبي ان الذي وهب
لشريح الاعشى فارس الى شريح : ابعث اليّ الاسير الذي وهبت لك
حتى احبوه واعطيه . فقال : قد مضى . فارس الكلبي في اثره فلم
يلحقه

معاوية وشعبة بن غريص

حدثني احمد بن معاوية عن الهيثم بن عدي قال : حجَّ معاوية حجتين
في خلافته وكانت له ثلاثون بغلة يحج عليها نساؤه وجواريه . (قال)
فحج في احدهما فرأى شخصاً يصلي في المسجد الحرام عليه ثوبان ابيضان

(١) حارٍ ترخيم حارث (٢) خوآر ضعيف (٣) ختار
وغدآر بمعنى (٤) حياه اعطاه (٥) ناجية مريفة تنجي رآكبها

فقال : من هذا . قالوا : شعبة بن غريص وكان من اليهود . فرسل اليه يدعوهُ فاتاهُ رسولهُ فقال : اجبُ امير المؤمنين . قال : او ليس قد مات امير المؤمنين . قيل : فأجب معاوية . فاتاه فلم يسلم عليه باخلافة . فقال له معاوية : ما فعلت ارضك التي بتيما . قال : يكسى منها العاري ويرد فضلها على الجار . قال : أفتبيعها . قال : نعم . قال : بكم . قال : بستين الف دينار ولولا خلة اصابت الحي لم ابعها . قال : لقد أغليت . قال : اما لو كانت لبعض اصحابك لاخذتها بستائة الف دينار ثم لم تُبال . قال : اجل واذا بخلت بأرضك فأنشدني شعر ابيك يرثي نفسه . قال : فقال ابي :

يا ليت شعري حين أندبها لكا ماذا توربني به أنواحي
أيقظن لا تبعد فرب كريمة فرجتها بيسارة^(١) وسماحي
ولقد ضربت بفضل مالي حقه عند الشتاء وهبة الأرواح
ولقد اخذت الحق غير مخاصم ولقد رددت الحق غير ملاح^(٢)
واذا دُعيت لصعبة سهلتها أدعى بأفليح مرة ونجاح

فقال : انا كنت بهذا الشعر اولى من ابيك . قال : كذبت ولو مت قال : أما كذبت فنعم واما لو مت فلم . قال : لانك كنت ميت الحق في الجاهلية وميته في الاسلام . وما أنت والخلافة وأنت طليق ابن طليق^(٣) . فقال معاوية : قد خرف الشيخ فأقسموه . فأخذ بيده فأقيم وشعبة هذا هو الذي يقول :

يا دار سعدي بأقصى تلة النعم حيت دارا على الإقواء والتقدم

(١) اليسار الفنى (٢) غير ملاح مدافع ولا ممانع

(٣) الطليق من أعتق من الأسر

وما يجزعك إلا الوحش ساكنة وهامدٌ من رماد القدر والخم^(١)
عجنا فما كلمتنا الدار إذ سُئلت وما بها عن جوابٍ خلت من صم



أحيحة بن الجلاح وعاصم بن عمرو

كان أحيحة سيد قومه من الأوس وكان رجلاً صنيفاً للمال شحيحاً عليه يتبع بيع الربا بالمدينة حتى كاد يحيط بأموالهم . وكان له تسعة وتسعون بعيراً كلها ينضح^(٢) عليها . وكان له بالجرف أصوار^(٣) من نخل قل يوم يمر به إلا يطلع فيه . وكان له أطمان^(٤) أظم في قومه يُقال له المستظل وهو الذي تحصن فيه حين قاتل ثبباً اسعد أبا كرب الحميري . وأطمه الضحيان بالعُصبة^(٥) في أرضه التي يُقال لها الغابة بناه بججارة سود وبني عليه نبرة^(٥) بيضاء مثل الفضة ثم جعل عليها مثلها يراها الراكب من مسيرة يوم أو نحوه . وكانت الآطام هي عزهم ومنعتهم وحصونهم التي يتحرزون فيها من عدوهم . ويؤمنون أنه لما بناه اشرف هو و غلام له ثم قال : لقد بنيت حصناً حصيناً ما بني مثله رجل من العرب أمنع ولا أكرم ولقد عرفت موضع حجر منه لو نُزِع لوقع جميعاً . فقال

- (١) الحمم الرماد والفحم . والهامد اللاصق بالأرض (٢) ينضح يسقي
- (٣) أصوار جمع صور وهو المجتمع من النخل
- (٤) العصبة دار بني جحجبا بالمدينة وضبطه بعضهم بفتح العين والصاد .
- (٥) والضحيان في الأصل هو البارز من كل شيء للشمس
- (٥) النبرة المرتفع ومنه المنبر لارتفاعه وعلوه

غلامه : أنا أعرفه . فقال : فأرنيه يا بني . قال : هو هذا . وصرف إليه رأسه . فلما رأى أحيحة انه قد عرفه دفعه من رأس الاطم فوق علي رأسه فمات . وانما قتله ارادة ان لا يعرف ذلك الحجر احد . ولما بناه قال :

بنت بعد مستظل ضاحياً بنيتُه بعُضبةٍ من ماليا
للمستر مما يتبع القواضيا اخشى ركيباً او رجلاً عاديا

وكان أحيحة اذا أمسى جلس بجذاه حصنه الضحيان ثم ارسل كلاباً له تنبح دونه على من يأتيه ممن لا يعرف حذراً من ان يأتيه عدو يصيب منه غرّة^١

ثم ان رجلاً من بني مازن بن النجار يقال له كعب بن عمرو تزوج امرأة من بني سالم بن عون وكان يختلف اليها . فقعده له رهط من بني جحجبا برصد فضربوه حتى قتلوه او كادوا . فادركه القوافل فاستنقذوه . فلما بلغ ذلك اخاء عاصم بن عمرو خرج معه بنو النجار . وخرج أحيحة بن الجلاح ببني عمرو بن عوف . فالتقوا بالرحابة فاقتتلوا قتالاً شديداً . فقتل اخا عاصم يومئذ أحيحة بن الجلاح فأصابه في اصحابه حين انهزموا . وطلب أحيحة حتى انتهى الى البيوت فأدركه عاصم عند باب داره فرجّه بالرمح . وقفل أحيحة الباب ووقع الرمح في الباب . ورجع عاصم واصحابه . فكث اياماً . ثم ان عاصماً طلب أحيحة ليلاً ليقتله في داره . فبلغ ذلك أحيحة وقيل له : ان عاصماً قد زوى عن الضحيان والغابة . فأقبل يُريده في مجلسه ذلك ليقتله بأخيه وقد أخذ معه قمرًا .

(١) يُصِيبُ مِنْهُ غِرَّةٌ يَأْتِيهِ عَلَى غَفْلَةٍ

فلما نبحت الكلاب حين دنا منه ألقى لها التمر . فوقفت . فلما رآها
أحيحة قد سكنت حذر فقام فدخل حصنه . ورماء عاصم بسهم فأحرزه
منه الباب فوق السهم بالباب . فلما سمع أحيحة وقع السهم صرخ في
قومه . فخرج عاصم بن عمرو فاعجزهم حتى أتى قومهم . ثم ان أحيحة جمع
لبنى النجار فأراد ان يغترهم . فواعده قومهم لذلك . وكانت عند أحيحة
سُلمى بنت عمرو احدى نساء بني عدي بن النجار . فلما أجمع أحيحة
بالقارة على قومها ومعها ابنها عمرو بن أحيحة وهو يومئذ فطيم او دون
الفطيم وهو مع أحيحة في حصنه عمدت الى ابنها فربطته بخيط حتى اذا
أوجعت الصبي تركته . فبات يبكي وهي تحمله . وبات معها أحيحة
سَاهراً يقول : ويحك ما لابني . فتقول : والله ما ادري ما له . حتى اذا
ذهب الليل اطلقت الخيط عن الصبي فنام . فلما هدا الصبي قالت :
وا رأساه . فقال أحيحة : هذا والله ما لقيت من سهر هذه الليلة . فبات
يعضب لها رأسها ويقول : ليس بك بأس . حتى اذا لم يبق من الليل الا
اقله قالت له : قم فتم فاني اجد في صالحه . قد ذهب عني ما كنت
اجده . وانما فعلت به ذلك لثقل رأسه وليشد نومه على طول السهر .
فلما نام قامت وأخذت حبلاً شديداً واثقته برأس الحصن ثم تدلت منه
وانطلقت الى قومها فانذرتهم وأخبرتهم بالذي أجمع هو وقومه من
ذلك . فحذر القوم وأعدوا واجتمعوا . فأقبل أحيحة في قومهم فوجد
القوم على حذر قد استعدوا . فلم يكن بينهم كبير قتال . ثم رجع
أحيحة فرجعوا عنه وقد فقدوا أحيحة حين اصبح . فلما رأى القوم على
حذر قال : عمل سلمى خدعتني حتى بلغت ما ارادت . وسماها قومها

المتدلية لتدليها من رأس الحصن . فقال في ذلك أحبيحة وذكر ما صنعت به سلمى :

تفهم أيها الرجل الجهول ولا يذهب بك الرأي الوبيل
فإن الجهل حملة خفيف وإن الحلم حملة ثقيل
إذا باتت اعصها فنامت علي مكانها الحمى الشمول
لعل عصاها يبغيك حرباً ويأتيهم بعورتك الدليل
وقد أعددت للحدثان اصلاً^(١) لو أن المرء ينفعه العقول

وقال فيها وفيما صنعت به :

اخلق الربع من سعاد فأمسى ربعة مخلقا كدرس الملاة^(٢)
بالياً بعد حاضر ذي انيس من سلمى اذ تغتدي كاهاة^(٣)

الحرب بين مضاض بن عمرو والسמידع

حدثنا محمد بن عبد الله الأزرق قال : حدثني جدي ان ثابت بن اسمعيل ولي البيت بعد أبيه . ثم توفي . فولي مكانه جده لأمه مضاض بن عمرو الجرهمي فضم ولد ثابت بن اسمعيل اليه وتولت جرهم مع ملكهم مضاض بن عمرو بأعلى مكة وتولت قطوراء مع ملكهم السמידع أجياداً أسفل مكة . وكان هذان البطان خرجا سياراً^(٤) من اليمن . وكذلك كانوا لا يخرجون إلا مع ملك يماكونه عليهم . فلما رأوا

(١) اصلاً اي رأياً اصيلاً يريد جودة الرأي (٢) الملاة مسهل

الملاة وهي الازار (٣) المهامة البقرة الوحشية (٤) سياراً اي قافلة

مكة رأوا بلدًا طيباً وماءً وشجراً . فزلوا ورضي كل واحد منهما
بصاحبه ولم ينازعه . فكان مضاى يعيثر من جاء مكة من أعلاها .
وكان السبيدع يعيثر من جاءها من أسفلها ومن كُدَى لا يدخل
أحدهما على صاحبه في امره . ثم ان جُرهما وقطورا . بغى كل واحد
منهما على صاحبه . فتنافسوا في الملك حتى نشبت الحرب بينهم . وكانت
ولاية البيت الى مضاى دون السبيدع . فخرج مضاى من بطن قُعيقان
مع كتيبه في سلاح شاك^(١) يتتقع^(٢) . وخرج السبيدع من شعب^(٣)
أجياد في الخيل الجياد^(٤) والرجال حتى التقوا بفاضح فاقتلوا قتالاً
شديداً قُتل السبيدع وفُضحت^(٥) قطورا . ثم تداعى القوم الى
الصلح فصاروا حتى نزلوا المطابخ شعباً بأعلى مكة^(٦) فاصطلحوا هناك
وسلموا الامر الى مضاى . فلما اجتمع له امر مكة وصار ملكها
دون السبيدع نحر للناس فطبخوا هناك الجزر فاكلوا وسني ذلك
الموضع المطابخ . فقال مضاى بن عمرو في تلك الحرب :

نحن قتلنا سيد الحي عنوةً فأصبح منها وهو حيران موجع^(٧)
وما كان ينبغي أن يكون سواؤنا بها ملكاً حتى أتانا السبيدع
فذاق وبالأحين حاول ملكنا وحاول منا غصّة تتجرعُ

- (١) اي بالسلاح التام
(٢) يقال ما سني قعيقان الآ
بذلك . ومن قعيقان الى مكة اثنا عشر ميلاً
(٣) الشعب منفرج بين
جبلين
(٤) يقال ما سميت اجياداً الآ بذلك
(٥) يقال ما سني فاضحاً الآ بذلك
(٦) وهو الذي يقال له الآن
شعب ابن عامر
(٧) يعني ان الحي اصبح حيران موجعاً

ونحن عمرنا البيت كنا ولائته نضارب عنه من أتنا وندفع
وما كان ينبغي ذاك في الناس غيرنا ولم يك حي قبلنا ثم يمنع
وكنا ملوكاً في الدهور التي مضت ورتنا ملوكاً لا ترام فتوضع

بغى جرهم وطردهم من مكة

قال عثمان بن ساج : حدثني بعض اهل العلم ان سيلاً جاء فدخل
البيت فانهدم فاعادته جرهم على بناء ابراهيم بناه لهم رجل منهم يقال
له ابو الجدره واسمه عمر الجارود^(١) (قال) ثم استخفت جرهم بحق
البيت وارتكبوا فيه اموراً عظاماً وحدثوا فيه أحداثاً قبيحة . وكانت
للبيت خزانة وهي بئر في بطنه يُلقى فيها الحلي والمتاع الذي يُهدى له
وهو يومئذ لأسقف عليه . فتواعد عليه خمسة من جرهم ان يسرقوا كل ما
فيه . فقام على كل زاوية من البيت رجل منهم . واقتحم الخامس فجعل
الله عز وجل أعلاه أسفله وسقط منكساً فهلك . وفر الأربعة الآخرون
(قالوا) فلما كثر بغى جرهم بمكة قام فيهم مضاض بن عمرو بن
الحرث بن مضاض فقال : يا قوم احذروا البغي فانه لا بقاء لاهله وقد
رأيت من كان قبلكم من العماليق استخفوا بالحرم ولم يُعظموه وتنازعوا
بينهم واختلفوا حتى سلطكم الله عليهم فاجتحموهم^(٢) فتفرقوا في
البلاد . فلا تستخفوا بحق الحرم وحرمة بيت الله ولا تظلموا من دخله

(١) كذا في الاصل « الجارود » والاصح الجادر او الجادور سمي بنوه

(٢) اجتاحه استأصله واهلكه

وجاءه مُعظماً لحرماته او خائفاً او رغب في جواره . فانكم ان فعلتم ذلكم تخوفت ان تخرجوا منه خروج ذل وصغار حتى لا يقدر احد منكم ان يصل الى الحرم ولا الى زيارة البيت الذي هو لكم حرزاً وأمن والطير تأمن فيه . فقال قائل منهم يقال له مجدع : ومن الذي يخرجنا منه ألسنا أعز العرب واكثرهم مالاً وسلاحاً . فقال مضاض : اذا جاء الامر بطل ما تذكرون . فقد رأيتم ما صنع الله بالعماليق . (قالوا) وقد كانت العماليق بغت في الحرم فسلط الله عز وجل الذر^(١) فاخرجهم منه . ثم رموا بالجدب من خلفهم حتى ردهم الله الى مساقط رؤوسهم . فلما رأى مضاض بن عمرو بنغيهم ومقامهم عليه عمد الى كنوز الكعبة وهي غزلان من ذهب واسياف قلعية^(٢) فحفر لها ليلاً في موضع زمزم ودفنها . فبينما هم على ذلك اذ سارت القبائل من اهل مارب وعليهم مزبياء وهو عمرو بن عامر . فلما انتهوا الى مكة واهلها أرسل اليهم عمرو ابنه ثعلبة فقال لهم : يا قوم انا قد خرجنا من بلادنا فلم ننزل بلدة الا افسح اهلها لنا فترحزحوا عنا . فنقيم معهم حتى نرسل رواداً فيرتادوا لنا بلداً يحملنا . فأفسحوا لنا في بلادكم حتى نقيم قدر ما نستريح ونرسل رواداً الى الشام والى الشرق فحيثما بلغنا انه أمثل لحقنا به . وارجو ان يكون مقامنا معكم يسيراً . فأبت ذلك جرهم اباءً شديداً واستكبروا في انفسهم وقالوا : لا والله ما نحب ان ينزلوا فيضيقوا علينا مرابعنا ومواردنا فارحلوا عنا حيث احببتهم فلا حاجة لنا بجواركم . فأرسل اليهم : انه لا بد من المقام بهذا البلد حولاً حتى ترجع الي رسلي التي أرسلت . فان

(٢) نسبة الى موضع يسمى قلعة

(١) الذر صغار النمل

انزلتموني طوعاً نزلتُ وحمدتكم وآسيتكم^(١) في الرعي والماء . وان
 آيتم أمتُ على كرهكم ثم لم ترتعوا معي إلا فضلاً ولا تشربوا إلا
 رنقاً . وان قاتلتموني قاتلتكم . ثم ان ظهرتُ عليكم سيئتُ النساء
 وقتلت الرجال ولم أترك منكم احداً ينزل الحرم ابداً . فأبى جرحهم ان
 تنزلهُ طوعاً ونعبت^(٢) لقتاله . فاقتتلوا ثلاثة ايام أفرغ عليهم فيها الصبر
 ومنعوا النصر . ثم انهزمت جرحهم فلم يفلت منهم إلا الشريد . وكان
 مضاض بن عمرو قد اعتزل حريمهم ولم يعضهم في ذلك وقال : قد كنت
 أحذرهم هذا . ثم رحل هو وولده واهل بيته حتى نزلوا قنونا وما حوله .
 فبقايا جرحهم به الى اليوم . وفي الباقون أفناهم السيف في تلك الحروب .
 (قالوا) فلما حازت خزاعة امر مكة وصاروا اهلها جاءهم بنو اسمعيل
 وقد كانوا اعتزلوا حرب جرحهم وخزاعة فلم يدخلوا في ذلك . فسألوهم
 السكنى معهم وحولهم . فأذنوا لهم . فلما رأى ذلك مضاض بن عمرو
 ابن الحرث وقد كان اصابه من الصابة الى مكة امرٌ عظيم ارسل الى
 خزاعة يستأذنها ومَتَّ اليهم برأيه وتوريعه^(٣) قومه عن القتال وسوء
 العشرة في الحرم واعتزاله الحرب . فأبى خزاعة ان يقروهم ونفوهم
 عن الحرم وقالوا : من دخله منهم فدمه هدر^(٤) . فذعت ابل لمضاض بن
 عمرو من قنونا تريد مكة . فخرج في طلبها حتى وجدها قد دخلت مكة .
 فمضى الى الجبال نحو اجياد حتى ظهر على ابي قبيس يتبصر الابل في بطن
 وادي مكة فأبصر الابل تنحر وتوكل لاسليل له اليها . فخاف ان

(١) آسيتكم شاركنكم (٢) نعبت نادى

(٣) متَّ توسَّل والتوريع الكف عن الشيء (٤) اي باطل ليس فيه قوود

هبط الوادي ان يُقتل فولى منصوراً الى اهله وانشأ يقول :

كأن لم يكن بين الحُجُون الى الصفا
ولم يتربّع واسطاً فجنوبه
بلى نحن كنا اهلها فأبادنا
وأبدلنا ربي بها دارَ غربة
اقول اذا نام الحليُّ ولم اتم
وبدلت منهم أوجهاً لا اريدها
فان تمل الدنيا علينا بكل كل
فنحن ولاة البيت من بعد نابت
وانكح جدتي خيرَ شخص علمته
وأخرجنا منها المليك بقدره
فصرنا احاديثاً وكنا بنبطة
وسحت دموع العين تبكي لبلدة
ويا ليت شمري من بأجباد بعدنا
فبطن منى امسى كأن لم يكن به
فهل فرج آتٍ بشيء تحبه

أنيسٌ ولم يسر بركة سامرُ
الى المنحى من ذي الأراكة حاضرُ
صروف الليالي والجدود^(١) العواثرُ
بها الذئب يعوي والعدو المخامرُ
أذا العرش^(٢) لا يبعد سهيلٌ وعامرُ
وحير قد بدلتها واليحابرُ^(٣)
ويصلح شر بيننا وتشاجرُ
نمتي به والخير اذ ذاك حاضرُ
فابناؤه مناً^(٤) ونحن الاصاهرُ
كذلك يا للناس تجري المقادرُ
كذلك عضتنا السنون العوايرُ
بها حرم آمن وفيها المشاعرُ^(٥)
أقام بمفضى^(٦) سيله والظواهرُ
مضاض ومن حي^(٧) عدي عماثرُ
وهل جزع منجيك مما تحاذرُ

(١) الجدود الحظوظ (٢) إذا العرش اي يا ذا العرش

(٣) يجابر قبيلة. ويروى البحائر ويروى البحائر (محاضرة الابرار ٢ :

(٢٠) وهم بطن من طيء. (٤) ويروى : فابناؤنا منه

(٥) المشاعر مناسك الحج (٦) مفضى متسع

(٧) ويروى حبي وهي ابنة حليل بن الحبشية

(قالوا) وقال ايضاً :

يا ايها الحيُّ سيروا ان قصركم^(١) ان تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا
 انا كما انتم كنا فغيرنا دهرٌ فسوف كما صرنا تصيرونا
 ازجوا المطيَّ وأرخوا من أزمتهَا قبل الممات وقضوا ما تقضونَا
 قد مال دهرٌ علينا ثم اهلكنا بالبغي فيه فقد صرنا افانينا^(٢)
 كنا زماناً ملوك الناس قبلكم نأوي بلاداً حراماً كان مسكونا

مصنوعه

يوم بُعث

قال هاشم بن الكلبي كانت الاوس قد اسندوا امرهم في يوم بعث الى ابي قيس بن الأُسَلت الوائلي فقام في حريمهم وآثرها على كل امر حتى شحب وتغير . ثم انه جاء ليلة فدى على امراته ففتحت له فاهوى اليها بيده فدفعتُه وانكرته . فقال : انا ابو قيس . فقالت : والله ما عرفتك حتى تكلمت . فقال في ذلك ابو قيس هذه القصيدة واولها :

قالت ولم تقصد لقيل الخنا مهلاً فقد ابلفت أساعي
 استنكرت لونا له شاحباً والحرب غول ذات اوجاع
 من يذق الحرب يجد طعمها مرّاً وتتركه بجمع^(٣)
 قد حصت البيضة رأسي^(٤) فما أطمع نوماً غير تهجاع

- (١) قصرك وقصارك وقصارك وقصارك ان تفعل كذا اي
 جهدك وآخر امرك (٢) افانين مثلاً واحدوية لغيرنا
 (٣) مكان جمع ضيق غليظ . اي تتركه في مضيق
 (٤) اي لبس الخوذة ذهب بشعر رأسي

أسمى على جبل^(١) بني مالك كل امرئ في شأنه ساع
لأننا لم نألم القتل ونجزي به م الأعداء كيلاً الصاع بالصاع

فاما السبب في هذا اليوم وهو يوم بعث : ان الاوس كانت استعانت
بيني قريظة والنضير في حروبهم التي كانت بينهم وبلغ ذلك الخزرج .
فبعث اليهم ان الاوس فيما بلغنا قد استعانت بكم علينا ولن يُعجزنا
ان نستعين بأعدادكم واكثر منكم من العرب فان ظفرونا بكم فذاك ما
تكرهون . وان ظفرتم لم نم عن الطلب^(٢) ابداً فتصيروا الى ما تكرهون
ويشغلكم من شأننا ما اتم الآن منه خالون . وأسلم لكم من ذلك
ان تدعونا وتخلوا بيننا وبين اخواننا . فلما سمعوا ذلك علموا انه الحق
فأرسلوا الى الخزرج : انه قد كان الذي بلغكم والتمست الاوس
نصرنا^(٣) وما كنا لننصرهم عليكم ابداً . فقالت لهم الخزرج : فان
كان ذلك كذلك فابعثوا الينا برهائن تكون في ايدينا . فبعثوا اليهم
اربعين غلاماً منهم . ففرقهم الخزرج في دورهم . فمكثوا بذلك مدة
ثم ان عمرو بن النعمان البياضي قال لقومه بياضة : ان عامراً أتوكم
مئزلاً سوء بين سبحة^(٤) ومفازة . وانه والله لا يس رأسي غسل حتى
أتوكم منازل بني قريظة والنضير على عذب الماء وكريم النخل . ثم
زاسلهم : إما ان تخلوا بيننا وبين دياركم نسكنها . واما ان نقتل
رهنكم . فهشوا ان يخرجوا من ديارهم . فقال لهم الكعب بن أسد
القرظي : يا قوم امنعوا دياركم وخلوه يقتل الرهن . والله ما هي الآلية

(٢) اي الطلب بثأرنا

(١) الجبل الامر الجليل

(٤) سبخة ارض تعلوها ملوحة

(٣) نصرنا معوتتنا

حتى يولد للرجل غلام مثل احد الرُّهْن . فاجتمع رأيهم على ذلك . فأرسلوا الى عمرو بنان : لا نسلم لكم دورنا وانظروا الذي عاهدتونا عليه في رهننا فقوموا لنا به . فعدا عمرو بن النعمان على رهنهم هو ومن اطاءه من الخُزْرج فقتلوههم . وابي عبد الله بن أُبي وكان سيداً حليماً وقال : هذا عُقوق ومأثم وبغي فليست مُعيناً عليه ولا احد من قومي اطائي . وكان عنده في الرهن سليمان بن اسد القرظي وهو جد محمد بن كعب القرظي فدخله عنده واطلق ناساً من الخُزْرج نفراً فلاحقوا باهليهم . فناوشت الاوس الخُزْرج يوم قُتل الرهن شيئاً من قتال غير كبير واجتمعت قريظة والنضير الى كعب بن اسد اخي بني عمرو بن قريظة . ثم تأمروا ان يُعينوا الاوس على الخُزْرج . فبعث الى الاوس بذلك . ثم اجتمعوا عليه على ان ينزل كل اهل بيت من النبيت^(١) على بيت من قريظة والنضير . فنزلوا معهم في دورهم وارسلوا الى النبيت يأمرورهم باتيانهم وتعاهدوا الا يسلموهم ابداً وان يقاتلوا معهم حتى لا يبقى منهم احد . فجاءتهم النبيت فنزلوا مع قريظة والنضير في بيوتهم ثم ارسلوا الى سائر الاوس في الحرب والقيام معهم على الخُزْرج . فاجابوهم الى ذلك . فاجتمع الملا منهم واستحکم امرهم وجدوا في حريمهم . ودخلت معهم قبائل من اهل المدينة منهم بنو ثعلبة وهم من غسان وبنو زعورا . وهم من غسان فلما سمعت بذلك الخُزْرج اجتمعوا . ثم خرجوا وفيهم عمرو بن النعمان البياضي وعمرو بن الجُموح السلمي^(٢) حتى جاؤوا عبد الله بن

أبي وقالوا له : قد كان الذي بلغك من أمر الاوس وامر قريظة والنضير واجتماعهم على حربنا . وانا نرى ان نقاتلهم . فان هزمناهم لم يُجز احدًا منهم مَعْقِلُهُ ولا ملجأه حتى لا يبقى منهم احد . فلما فرغوا من مقاتلتهم قام عبدالله بن ابي خطيباً وقال : ان هذا بغى منكم على قولكم وعقوق ووالله ما أحب ان رجلاً من جراد^(١) لقيناهم . وقد بلغني انهم يقولون : هؤلاء قومنا ممنعون الحياة أفيمنعوننا الموت . والله اني ارى قوماً لا ينتهون او يهلكوا عامتكم . واني لأخاف ان قاتلوكم ان يُنصروا عليكم لبغيتكم عليهم . فقاتلوا قومكم كما كنتم تقاتلونهم فاذا ولوا فخلوا عنهم . فاذا هزموكم فدخلتم ادنى البيوت خلوا عنكم . فقال له عمرو ابن النعمان : انتفخ والله سحر^(٢) يا ابا الحرث حين بلغك حلف الاوس قريظة والنضير . فقال عبدالله : والله لا حضرتكم ابداً ولا احد اطاعني ابداً . ولكاني انظر اليك قتيلاً تحملك اربعة في عبا . وتابع عبد الله بن ابي رجال من الخزرج منهم عمرو بن الجموح الحرامي . واجتمع كلام الخزرج على ان رأسوا عليهم عمرو ابن النعمان البياضي وولوه امر حريمهم

ولبت الاوس والخزرج أربعين ليلة يتصنعون للحرب ويجمع بعضهم لبعض ويوساؤون الى حلفائهم من قبائل العرب . فارسلت الخزرج الى جهينة وأشجع . فكان الذي ذهب الى اشجع ثابت بن قيس بن شماس . فاجابوه واقبلوا اليهم . واقبلت جهينة اليهم ايضاً . وارسلت الاوس

(١) رجل جراد قطعة عظيمة من جراد

(٢) انتفخ سحر جبث والسحر الرثة كأنها تنتفخ عند الخوف

الى مُزَيْنَةَ وذهب حُضَيْرُ الكَتَّابِ الأَشْهَلِيُّ الى ابي قيس بن الاسلت فأمره ان يجمع له أوس الله . فجمعهم له أبو قيس . فقام حضير فاعتمد على قوسه وعليه نَمِرَةٌ^(١) فحرضهم وأمرهم بالجِدِّ في حربهم وذكر ما صنعت بهم الخُزْرج من إخراج النبيت وإذلال من تحلف من سائر الاوس في كلام كثير . فجعل كلما ذكر ما صنعت بهم الخُزْرج وما ركبوه منهم يستشيط ويحمى . فاجابته اوس الله بالذي يجب من النَّصرة والموازرة والجِدِّ في الحرب . (قال هشام) فحدثني عبد المجيد بن ابي عيسى عن اشياخ من قومه ان الاوس اجتمعت يومئذ الى حضير بموضع يقال له الحياة . فاجالوا الرأي . فقالت الاوس : ان ظفرنا بالخُزْرج لم نبق منهم احداً ولم نقاتلهم كما كنا نقاتلهم . فقال حُضَيْرُ : يا معشر الاوس ما سُمِّيتُم الاوس الا لانكم تؤسسون^(٢) الامور الواسعة . ثم قال :

يا قوم قد اصبحتُم دوارا لمعشر قد قتلوا الحيارا

يوشك ان يستأصلوا الديارا

(قال) ولما اجتمعوا بالحياة طرحوا بين ايديهم تمرا وجعلوا يأكلون وحُضَيْرُ الكَتَّابِ جالس وعليه بُرْدَةٌ له قد اشتمل بها الصماء^(٣) وما يأكل معهم ولا يدنو الى التمر غضباً وحنقاً . فقال : يا قوم أعفدوا لابي قيس بن الاسلت . فقال لهم ابو قيس : لا اقبل ذلك فاني لم أُرأس على قوم في حرب قط الا هزموا وتشاءوا برئاستي . وجعلوا ينظرون

(١) النمرة شملة مخططة من مآزر العرب

(٢) تؤسسون تداوون وتصلحون (٣) الصماء نوع من الشملة

تغطي الجسد كله تشبيهاً بالصخرة الصماء التي لا صدع فيها

الى حضير واعرانه أكلهم واشتغاله بما هم فيه من امر الحرب فاذا رأى منهم ما يكره من الفتور والتخاذل استشاط غيظاً و غضباً . واذا رأى منهم ما يحب من الجد والتشير في الحرب سكن . واجابت الى ذلك أوس مناة وجدوا في المؤازرة والمظاهرة . وقدمت مزينة على الاوس فانطلق حضير وابو عامر الراهب ابن صيفي الى ابي قيس بن الاسلت فقالوا : قد جاءتنا مزينة واجتمع اليها من اهل يثرب ما لا قبل للخزرج به . فما الرأي ان نحن ظهرنا عليهم الانجاز ام البقية . فقال ابو قيس : بل البقية . فقال ابو عامر : والله لو ددت لو أن مكانهم ثعلباً ضباحاً . فقال ابو قيس : اقتلوهم حتى يقولوا : بزبزا (كلمة كانوا يقولونها اذا غلبوا) . فتشاجروا في ذلك . واقسم حضير ألا يشرب الخمر او يظهر ويهدم مزاحماً أطمع عبدالله بن ابي فلبثوا شهرين يعدون ويستعدون . ثم التقوا ببعاث . (وبعاث من اموال بني قريظة فيها مزرعة يقال لها قورى . فلذلك تدعى بعاث الحرب) . وتخلف عن الاوس بنو حارثة بن الحرث فبعثوا الى الخزرج : انا والله ما نزيد قتالكم . فبعثوا اليهم ان : ابشوا الينا برهن منكم يكونون في ايدينا . فبعثوا اليهم اثني عشر رجلاً منهم خديج ابو رافع ابن خديج . وحشد الحيان . فلم يتخلف عنهم الا من لا ذكر له . ولم يكونوا حشدوا قبل ذلك في يوم التقوا فيه . فلما رأت الاوس الخزرج اعظموهم وقالوا لحضير : يا ابا أسيد لو حاجزت القوم وبعثت الى من

تخلف من خلفائك من مزينة . فطرح قوساً كانت في يده ثم قال :
 أنتظرُ مزينة وقد نظر اليّ القوم ونظرت اليهم . الموت قبل ذلك . ثم
 حمل وحملوا فاقتلوا قتالاً شديداً . فانهزمت الاوس حين وجدوا مس
 السلاح فولوا مُصعدين في حرة قورى نحو العريض وذلك وجه طريق
 نجد . فزال حضير وصاحت بهم الخزرج : ابن الفرار ألا ان نجداً سنة
 (اي مجذب) يعيرونهم . فلما سمع حضير طعن بسنان رحمة فحذه ونزل
 وصاح : واءثراه^(١) . والله لا أريمُ حتى أقتل . فان شتم يا معشر الاوس
 ان تسلموني فافعلوا . فتعظفت عليه الاوس وقام على رأسه غلامان من
 بني عبد الأشهل يقال لهما محمود وليد ابنا خليفة بن ثعلبة وهما يومئذ
 معرسان^(٢) ذوا بطش فجعلوا يرتجزان ويقولان :

اي غلامي ملك ترانا في الحرب اذ دارت بنا رحانا
 وعدد الناس لنا مكانا

فقاتلا حتى قتلا . واقتل سهم حتى اصاب عمرو بن النعمان رأس الخزرج
 فقتله . لا يُدرى من رمى به إلا ان بني قريظة تزعم انه سهم رجل يقال
 له ابو لبابة فقتله . فبينما عبدالله بن ابي يتردد على بغلة له قريباً من
 بُعات يتجسس اخبار القوم اذ طلع عليه بعمر بن النعمان ميتاً في عباءة
 يحمله اربعة الى داره . فلما رآه عبدالله بن ابي قال : من هذا . قالوا :
 عمرو بن النعمان . قال : ذق وبال العقوق . وانهزمت الخزرج ووضعت

(١) العفر قطع قوائم البعير بالسيف لينحر

(٢) معرسان ملمان بنسائهما

الايوس فيهم السلاح وصاح صائح : يا معشر الاوس اسججوا^(١) ولا
تهلكوا اخوتكم فجوارهم خير من جوار الثعالب . فتناهت الاوس
وكفت عن سلبهم بعد ائتمان فيهم . وسلبتهم قريظة والنضير . وحملت
الايوس حضيراً من الجراح التي به وهم يرتجزون حوله ويقولون :

كتيبة زينها مولاها لا كهلها هُدَّ ولا فتاها

وجعلت الاوس تحرق على الخزرج ثخلها ودورها . فخرج سعد بن معاذ
الاشهلي حتى وقف على باب بني سلمة وأجارهم واموالهم جزاء لهم
بيوم الرعل^(٢) . وأقسم كعب بن اسد القرظي أيذنان عبد الله بن ابي
وأيحلقتن راسه تحت مزاحم . فناداه كعب : انزل يا عدو الله . فقال له
عبد الله : انشدك الله وما خذلت^(٣) عنكم . فسأل عما قال فوجده
حقاً فرجع عنه . واجمعت الاوس على ان تهدم مزاحماً أطم عبد الله بن
أبي . وحلف حضير ليهدمته . فكلّم فيه فأمرهم ان يريثوا فيه فحفروا
فيه كوة . وافلت يومئذ الزبير بن اياس بن باطا ثابت بن قيس بن
شماس اخا بني الحرث بن الخزرج . وهي النعمة التي كافأه بها ثابت في
الاسلام يوم بني قريظة . وخرج حضير الكتائب وأبو عامر الراهب حتى
اتيا ابا قيس ابن الاسلت بعد الهزيمة . فقال له حضير : يا ابا قيس ان

(١) اسججوا تساهلوا وأحسنوا العفو (٢) الرعل موضع قبيل
واقم وفيه قتلت بنو حارثة ساءكاً ابا حضير وأجلّوا حضيراً وقومه عن
ديارهم (البكري ٤١٨) ويوم رعل يوم للخزرج على الاوس وكان سعد بن
معاذ حمل يومئذ جريحاً الى عمرو بن الجموح الحرامي فنّ عليه واجاره واخاه
من القطع والحرق فكافأه سعد بمثل ذلك في يوم بعث
(٣) اي ما تركت نصرتكم

رأيت ان نأتي الخزرج قصرًا قصرًا ودارًا دارًا نقتل ونهدم حتى لا يبقى منهم احد . فقال ابو قيس : والله لا نفعل ذلك . فغضب حضير وقال . ما سميت الاوس . الا لانكم تؤسسون الامر اوساً ولو ظفرت منّا الخزرج بثملها ما اقالوناها . ثم انصرف الى الاوس فأمرهم بالرجوع الى ديارهم . وكان حضير جرح يومئذ جراحةً شديدة . فذهب به كليب ابن صيفي بن عبد الاشهل الى منزله في بني أمية بن يزيد . فلبث عنده اياماً . ثم مات من الجراحة التي كانت به . فقبره اليوم في بني أمية بن يزيد

(قال) وكان يهودي أعمى من بني قريظة يومئذ في اطم من اطامهم . فقال لابنة له : أشرفي على الاطم فانظري ما فعل القوم . فاشرفت فقالت : اسمع الصوت قد ارتفع في اعلى قورى واسمع قائلاً يقول : اضربوا يا آل الخزرج . فقال : الدولة اذا على الاوس لا خير في البقاء . ثم قال : ماذا تسمعين . قالت : اسمع رجالاً يقولون يا آل الاوس ورجالاً يقولون يا آل الخزرج . قال : الآن حمي القتال . ثم لبث ساعة . ثم قال : اشرفي فاسمعي . فاشرفت فقالت : اسمع قوماً يقولون : « نحن بنو صخرة اصحاب الوعل » قال تلك بنو عبد الاشهل^(١) . ظفرت والله الاوس . ثم وثب فرحاً نحو باب الاطم . فضرب رأسه بجاق^(٢) بابه وكان من حجارة فسقط فمات

وكان ابو عامر قد حلف ليركزن رحمة في اصل مزاحم اطم عبد الله

(١) امّ بني عبد الاشهل هي صخرة بنت مرة بن ظفر

(٢) حاق (الباب ما احاط به

ابن ابي . فخرجت جماعة من الاوس حتى احاطوا به وكانت امرأة ابي عامر جميلة بنت عبد الله بن ابي (وهي ام حنظلة الغسيل^١) بن ابي عامر) . فاشرف عليهم عبد الله فقال : اني والله ما رضيت هذا الامر ولا كان عن رأيي وقد عرفتم كراهتي له فانصرفوا عني . فقال ابو عامر : لا والله لا انصرف حتى اركز لوائي في اصل اطمك . فلما رأى حنظلة انه لا ينصرف قال لهم : ان ابي شديد الوجد بي فاشرفوا بي عليه ثم قولوا : والله لئن لم تنصرف عنا لرمين برأسه اليك . فقالوا ذلك له . فركز رمحاً في اصل الاطم ليمينه ثم انصرف عنهم . فذلك قول قيس بن الخطيم :

صبحنا به الآطام حول مزاحم قوائس^٢ اولى بيضنا كالكواكب
وأسر ابو قيس بن الاسلت يومئذٍ مغلد بن الصامت الساعدي ابا مسلمة
ابن مغلد . واجتمع اليه ناس من قومه من مزينة ومن يهود فقالوا :
اقتله . فأبى وخلق سبيلاً وأنشأ يقول :

أسرت مغلداً فعفوت عنه وعند الله صالح ما أتيتُ

مزينة عنده ويهود قورى وقومي كل ذلكم كفيتُ

وقال خفاف بن نذبة يرثي حضير الكتاب وكان نديمه وصديقه :

لو أن المنايا حدن عن ذي مهابة أهبن حضيراً يوم أغلق واقما^٣

أطاف به حتى اذا الليل جنه تبواً منه منزلاً متناعماً

(١) ويسمى غسيل الملائكة

(٢) القوائس مقدم البيضة من السلاح وقيل اعلاها

(٣) واقم اطم من اطام المدينة تُنسب اليه حرّة واقم

وقال ايضاً يرثيه :

اتاني حديثٌ فكذبتُهُ وقيل خليلك في المرسِ
 فيا عين بكِّي حضير الندى حضير الكتائب والمجلسِ
 ويوم شديدٍ أوار^(١) الحديدِ تُقطع منه عُرى الانفسِ
 صليتَ بهِ وعليك الحديدُ ما بين سلع^(٢) الى الاعرسِ
 فأردى بنفسك يومَ الوغى ونقى ثيابك لم تدنسِ



حسان بن تبع*)

حدث ابن الكلبي وغيره قال : كان حسان بن تبع أحول اعسر بعيد الهمة شديد البطش . فدخل اليه يوماً وجوه قومه وهم الأقيال من حمير . فلما اخذوا مواضعهم ابتدأهم فأنشدهم :

ايها الناس ان رأيي يريني وهو الرأي طوفة في البلادِ
 بالعوالي وبالقنابل تردى بالبطاريق مشية العوادِ
 وبجيشٍ عرمرمٍ عربيّ جفيلٍ يستجيب صوت المنادي
 من تميمٍ وخنذفٍ وإياد والبهليل حميرٍ ومُرادِ
 فاذا سرتُ سارتِ الناس خلفي ومعى كالجبال في كل وادِ

(١) اوار حرّ (٢) سلع موضع بقرب المدينة
 * وتبع ابو حسان هو تبع الاوسط واسمه اسعد ابو كريب او اسعد
 تبيان بن كليل كريب بن تبع الاكبر . وهو من اشهر (التبابعة) وملك في عهد
 اردشير بن بابك ملك الفرس . امّا حسان فانه ملك في عهد سابور بن اردشير

سقتني ثم سقر حمير قومي كأس خمر أولي النهي والعباد
ثم قال لهم : استعدوا لذلك . فلم يراجعهُ احد لهيبته . فلما كان
بعد ثلثة خرج وتبعهُ الناس حتى وطئ ارض العجم . وقال : لأبلغن من
البلاد حيث لم يبلغ احد من التبابعة . فجال بهم في ارض خراسان . ثم
مضى الى المغرب حتى بلغ رومية وخلف عليها ابن عم له . واقبل الى
ارض العراق حتى اذا صار على شاطئ الفرات قالت وجوه حمير : ما لنا
نضي اعمارنا مع هذا نطوف في الارض كلها ونفرق بيننا وبين بلدنا
واولادنا وعيالنا واموالنا فلا ندري من نخلف عليهم بعدنا . فكلموا
اخاه عمراً وقالوا له : كَلِمَ اخاك في الرجوع الى بلده وملكه . قال : هو
اعسر من ذلك وانكر . فقالوا : فاقتله ونملكك علينا فانت احق
بالملك من اخيك وانت اعقل واحسن نظراً لقومك . فقال : اخاف ان
لا تفعلوا واكون قد قتلت اخي وخرج الملك عن يدي . فواثقوه حتى
تُلج^١ الى قولهم واجمع الرؤساء على قتل اخيه كلهم الا ذارعين فانه
خالقهم وقال : ليس هذا برأي يذهب الملك من حمير . فشجّه الباقون
على قتل اخيه . فقال ذورعين : ان قتلتُه باد ملكك . فلما رأى
ذورعين ما اجمع عليه القوم اتاه بصحيفة مختومة فقال : يا عمرو اني
مستودعك هذا الكتاب فضعه عندك في مكان حريز وكتب فيه :
ألا من يشتري سهراً بنوم سعيد من بيت قرير عين
فان تك حمير غدرت وخانت فعذرة الاله لذي رعين
ثم ان عمراً اتى حسان اخاه وهو نائم على فراشه فقتله واستولى على

ملكه^(١) . فلم يُبارك فيه وسلط عليه السهر وامتنع منه النوم^(٢) .
فسأل الاطباء والكهّان والعِياف^(٣) . فقال له كاهن منهم : انه ما قتل
اخاه رجل قط الا مُنع نومه . فقال عمرو : رؤساء حمير حملوني على قتله
ليرجعوا الى بلادهم ولم ينظروا اليّ ولا لآخي . فجعل يقتل من اشار
عليه منهم بقتله . فقتلهم رجلاً رجلاً حتى خلس الى ذي رعين وايقن
بالشر . فقال له ذو رعين : ألم تعلم اني اعلمتك ما في قتله ونهيتك وبينت
هذا . قال : وفيم هو . قال : في الكتاب الذي استودعتك . فدعا
بالكتاب فلم يجده . فقال ذو رعين : ذهب دمي على اخذي بالحزم
فصرت كمن اشار بالخطأ . ثم سأل الملك ان يُنعم في طلبه^(٤) . ففعل
فأتي به فقرأه فاذا فيه البيتان . فلما قرأهما قال : لقد أخذت بالحزم .
قال : اني خشيت ما رأيتك صنعت باصحابي

(قال) وتشتت امر حمير حين قتل اشرافها واختلفت عليه حتى وثب
على عمرو الخنيفة تنوف^(٥) ولم يكن من اهل بيت الملكة فقتله

(١) وقيل لعمرو الموثبان اشارة الى تقاعده عن الغزو لان « وثب » في
لغة حمير تتضمن معنى القعود على الوسادة وهي من السريانية مبدى اي قعد .
وقيل بل لُقّب الموثبان لانه وثب على اخيه فقتله

(٢) وتواترت بعمرو المذكور الاسقام حتى كان لا يخرج الا محمولاً على
نمش فسمي ذا الاعواد لذلك . وقال صاحب الاغاني في ترجمة ذي الاصبع
العدواني ان ذا الاعواد هو ربيعة بن مخاشن وانه لُقّب بذي الاعواد لانه
اول من جلس على منبر او سرير وتكلّم وفيه يقول الاسود بن يعقّب :
ولقد علمت لو أنّ علمي نافعي ان السبيل سبيل ذي الاعواد

(٣) الميافة التفاؤل بالطير

(٤) انعم في طلبه بالغ واجتهد (٥) في النقوش الحميرية يروي « ينوف »

واستولى على ملكه . وكان يقال له ذو شناتر^١ الحميري وكان فاسقاً . فكث بذلك حتى نشأ زُرعة ذو نواس وكانت له ذؤابة وبه سُمي ذو نواس . فلما نشأ ذو نواس اخذ سكيناً لطيفاً خفيفاً وسمَّه وجعل له غلافاً . فلما دعا به لخنيسة جعله بين احمصه ونعله واتاه على ناقة له يقال لها سراب فاناخها وصعد اليه . فلما قام اليه انحنى زرعة فأخذ السكين فوجأ بها بطنه فقتله واحترَّ رأسه فجعل السواك في فيه واطلعه من الكوة . فرفع الحرس رؤوسهم فرأوه . ونزل زرعة وجاء الى ناقته فركبها . فلما رأى الحراس اطلاع الرأس صعدوا اليه فاذا هو قد قتل . فاتوا زرعة فقالوا : ما ينبغي ان يملكنا غيرك بعد ان ارحتنا من هذا الفاسق . واجتمعت حمير اليه . وهو الذي تهود وتسمى يوسف وهو صاحب الاخدود بنجران وكانوا نصارى . فخوفهم وحق الانجيل وهدم الكنائس . ومن اجله غزت الحبشة اليمن لانهم نصارى . فلما غلبوا على اليمن اعترض البحر واقتحمه على فرس ففرق

خبر طسم وجديس

اخبر ابن الاعرابي عن المفضل ان عمليقاً ملك طسم وجديس (وكانت منازلهم في موضع اليامة) كان في اول مملكته قد تمادى في الظلم والغشم والسيرة بغير الحق . وان امرأة من جديس كان يُقال لها هزيلة وكان لها زوج يقال له ماشق فطلقها واراد اخذ ولدها منها فخاصمته الى عمليق

(١) اي الاقراط . قيل له ذلك لأقراط كان يتحلَّى بها

فقلت : يا ايها الملك اني حملته تسعاً . ووضعتُه دفعا . وارضعته شُفعا . حتى اذا
 تمت اوصاله^(١) . ودنا فصاله^(٢) . اراد ان يأخذه مني كرهاً . ويتركني من
 بعده ولهاً . فقال لزوجها : ما حجتك . قال : حجتي ايها الملك اني قد
 اعطيتها المهر كاملاً . ولم اصب منها طائلاً . الا وليداً حاملاً . فافعل ما
 كنت فاعلاً . فأمر بالغلام ان يتزع منهما جميعاً ويجعل في غلمانه . وقال
 هزيلة : ابغيه ولداً . ولا تنكحي احداً . واجزيه صَفداً^(٣) . فقلت
 هزيلة : أما النكاح فائما يكون بالمهر . واما السفاح فائما يكون بالقهر .
 وما لي فيهما من أمر . فلما سمع ذلك عمليق امر بان تباع هي وزوجها
 فيعطى زوجها خمس ثمنها وتعطى هزيلة عشر ثمن زوجها . فأنشأت تقول :

انينا اخا طم ليحكم بيننا فانفذ حكماً في هزيلة ظالماً
 اميري لقد حكمت لا متورعاً ولا كنت فيما يُدرمُ الحكم عالماً
 ندمتُ ولم أندم واني بعثرتي وأصبح بعلي في الحكومة نادماً

فلما سمع عمليق قولها اغتاظ وزاد في الظلم . فلقوا من ذلك بلاءً وجهداً
 وذلاً . حتى زوّجت الشمس وهي عَفيرة بنت غفار اخت الاسود .
 فأساء اليها عمليق ووجأها بمجيدة فأدماها . فقلت تحرض قومها فيما
 أتى اليها :

أيجمل ما يوتى الى فتياتكم وانتم رجال فيكم عدد الرمل
 أيجمل تمشي في الدماء عفيرة صبيحة زُفت في النساء الى بعل
 ولو اننا كنا رجالاً وكنتم نساء لكانا لا نقرُ بهذا الفعل
 فموتوا كراماً او أميتوا عدوكم ودبوا لنار الحرب بالخطب الجزل

والأ فخلوا بطنها وتحملوا الى بلد قفر وموتوا من الهزل
فللين خير من تاد على اذى وللصوت خير من مقام على الذل
وان اقم لم تغضبوا بعد هذه فكونوا نساء لا تُعاب من الكحل
ودونكم طيب العروس فانما خلقت لاثواب العروس وللغسل
فبعدا وسحقا للسذي ليس دافعا ويحتال عشي بيننا مشية الفحل
فلما سمع الاسود اخوها ذلك وكان سيدا مطاعا قال لقومه : يا معشر
جديس ان هولاء القوم ليسوا باعز منكم في داركم الا بما كان من ملك
صاحبهم علينا وعليهم . ولولا عجزنا وإدهاننا^(١) ما كان له فضل علينا
وعليكم . ولو امتنعنا لكان لنا منه النصف^(٢) . فاطيعوني فيما امركم به
فانه عز الدهر وذهاب ذل العمر واقبلوا رأبي . (قال) وقد أحمى
جديسا ما سمعوا من قولها فقالوا : نطيعك ولكن القوم اكثر واحمى
واقوى . قال : فاني اصنع للملك طعاما ثم ادعوهم له جميعا فاذا جاؤوا
يرفلون في الحلل ترنا الى سيوفنا وهم غارون فاهمدناهم بها . قالوا :
نفعل . وصنع طعاما كثيرا وخرج به الى ظهر بلدهم ودعا عمليقا وسأله
ان يتغدى عنده هو واهل بيته . فاجابهم الى ذلك وخرج اليه مع اهله
يرفلون في الحلي والحلل حتى اذا اخذوا مجالسهم ومدوا أيديهم الى
الطعام اخذوا سيوفهم من تحت اقدامهم فشد الاسود على عمليق فبتله
وكل رجل منهم على جليسه حتى اماتوهم . فلما فرغوا من الاشراف
شدوا على السفلة فلم يدعوا منهم احدا . فقال الاسود في ذلك :
ذوقني ببنيك يا طسم محلة فقد اتيت لعبري أعجب العجب

إِنَّا آتَيْنَا فَلَآ نَنفَكَ نَقْتَلَهُمْ وَٱلْبَغِي هَيَّجَ مِنَّا سَوْرَةَ ٱلْغَضَبِ
 وَلَنْ يَعودَ عَلَيْنَا بِغِيهِمْ أَبَدًا وَلَنْ يَكُونُوا كَذِي ٱنفٍ وَلَا ذَنْبِ
 وَإِنْ رَعَيْتُمْ لَنَا قُرْبَى مُؤَكَّدَةً كُنَّا ٱلْأَقْرَابَ فِي ٱلْأَرْحَامِ وَٱلنَّسَبِ
 ثُمَّ إِنْ بَقِيَتْ طُسمٌ^١ جَآؤَا إِلَى حَسَانِ بْنِ تَبَعٍ . فَغَزَا جَدِيدًا وَقَتَلَهَا وَأَخْرَبَ
 بِلَادَهَا فَهَرَبَ ٱلسُّودَ قَاتِلَ عَمَلِيْقَ فَأَقَامَ بِجَبَلِ طِيٍّ قَبْلَ تَرْوَلِ طِيٍّ آيَاهُ

خبر زرقاء اليمامة

إن الزرقاء كانت ترى الجيش من مسيرة ثلاثين ميلاً . فغزا قوم
 من العرب اليمامة فلما قربوا من مسافة نظرها قالوا : كيف لكم
 بالوصول مع الزرقاء . فاجتمع رأيهم على أن يقتلعوا شجراً تستر كل
 شجرة منها الفارس إذا حملها . فقطع كل واحد منهم بمقدار طاقته وساروا
 بها . فأشرفت كما كانت تفعل فقال قومها : ما ترين يا زرقاء . وذلك
 في آخر النهار . قالت : أرى شجراً يسير . فقالوا : كذبت أو كذبتك
 عينك واستهانوا بقولها . فلما أصبحوا صبحهم القوم فاكتمسحوا أموالهم
 وقتلوا منهم مقتلة عظيمة واخذوا الزرقاء . فقلعوا أعينها فوجدوا فيها
 عروقا سودا فسئلت عنها فقالت اني كنت أديم الاكتحال بالإثمد فلعل
 هذا منه . وماتت بعد ذلك بايام^٢

(١) وكان ممن لجأ إلى حسّان بن تبع رباح بن مرة وهو أخو زرقاء
 اليمامة . وكانت زرقاء اليمامة تزوجت برجل جديسي فلذا نراها مع جديس .
 ويقال لرباح القاشر وفيه يضرب المثل في الشوم فيقال : أشام من قاشر . وقيل
 غير ذلك في قاشر (٢) قال صاحب الأغاني بعد ذكر زرقاء اليمامة : « وبلغ هنداً

مقتل الأسود بن غفار

كانت طي تسكن الجرف من ارض اليمن وهو اليوم محلة مراد وهدان وكان سيدهم يومئذ أسامة بن لؤي بن العوث بن طي . وكان الوادي مسبعة . وهم قليل عددهم . وقد كان ينتابهم بعير في ازمان الخريف ولم يُدرَ اين يذهب ولم يروه الى قابل^(١) . وكانت الازد قد خرجت من اليمن ايام العرم^(٢) فاستوحشت طي لذلك وقالت : قد ضعن اخواننا فصاروا الى الأرياف^(٣) . فلما هموا بالظن قالوا لاسامة : ان هذا البعير يأتينا من بلد ريف وخصب وأنا لذي في بعره النوى . فلو اننا نعهده عند انصرافه فشخصنا معه لكننا نصيب مكاناً خيراً من مكاننا هذا . فاجمعوا امرهم على ذلك . فلما كان الخريف جاء البعير فاختلط في ابلهم . فلما انصرف احتملوا واتبعوه يسرون بسيره ويبيتون حيث يبيت حتى هبط على الجبلين^(٤) . فهجمت طي على

(بنت النعمان) خبرها فدهمت ولبست المسوح وبنّت ديراً يُعرف بدير هند الى الآن . فاقامت فيه حتى ماتت« ونظن ان هذا سهو . لان زرقاء اليمامة التي سمل عينها حسّان بن تبع هي غير زرقاء اليمامة صاحبة هند بنت النعمان المعروفة بجرقة . فهذه عاشت في القرن السادس للمسيح . اما الاولى واسمها اليمامة فكانت في اواسط القرن الثالث بعد المسيح . ولُقبَت بالزرقاء لزرقة عينها . وفيها يُضرب المثل فيقال : ابصر من زرقاء اليمامة . وقيل انها هي المساة بجذام واليها يشير الشاعر بقوله : اذا قالت حذام فصدقوها فان القول ما قالت حذام

(١) قابل اي عام قابل (٢) العرم اي سيل العرم

(٣) الارياض جمع الريف وهو ما قارب المياه من الارض فتكون مخصصة

(٤) الجبلان هما اجأ وسلّمى

النخل في الشعاب وعلى مواش كثيرة واذا هم برجل في شعب من تلك الشعاب وهو الاسود بن يغار فهاهم ما رأوا من عظم خلقه وتخوفوه وقد تولوا ناحية من الارض واستبرؤوها^(١) هل يرون فيها احداً غيره فلم يروا . فقال اسامة بن لوئي لابن له يقال له الغوث : أي بني ان قومك قد عرفوا فضلك عليهم في الجلد والبأس والرمي . فان كفيتنا هذا الرجل سدت قومك آخر الدهر وكنت الذي اتزلنا هذا البلد . فانطلق الغوث حتى أتى الرجل فكلمه وسأله . فعجب الاسود من صغر خلق الغوث فقال له : من اين اقبلتم . قال : من اليمن . واخبره خبر البعير ومجيئهم معه وانهم رهبوا ما رأوا من عظم خلقه وصغرهم عنه . وشغلوه بالكلام . فرماه الغوث بسهم فقتله . واقامت طي بالجليلين بعده . فبهم هنالك الى اليوم

مقتل نصارى نجران وقدم الحبشة الى اليمن

كان السبب في قدم الحبشة اليمن وغلبتهم عليها وخروج سيف ابن ذي يزن الى كسرى يستنجده عليهم ان ملكاً من ملوك اليمن يقال له ذو نواس غزا اهل نجران وكانوا نصارى فحصرهم . ثم اذنه ظفر بهم فخذد لهم الاخايد وأعرضهم على اليهودية^(٢) . فامتنعوا من ذلك . فحرقهم بالنار وحرق الانجيل وهدم بيعتهم . ثم انصرف الى اليمن .

(١) استبرؤوها اي نفضوها ونظروا الى جميع ما فيها حتى يبرفوها
(٢) اعرضهم على اليهودية اي عرض اليهودية عليهم كما تقول عرض (البعير

وأفلت منه رجل يقال له دوس ثعلبان على فرس فر كضه حتى اعجزهم في الرمل . ومضى دوس الى قيصر^(١) ملك الروم يستغيثه ويخبره بما صنع ذو نواس بنجران ومن قتل من النصارى وانه خرب كنائسهم وبقر النساء وهدم الكنائس فما فيها ناقوس يُضرب به . فقال له قيصر : بعدت بلادى عن بلادكم ولكن أبعث الى قوم من اهل ديني اهل مملكتي قريب منكم فلينبصرونكم . قال دوس ثعلبان : فذاك اذا . قال قيصر : ان هذا الذي اصنعه بكم اذل للعرب أن يطأها سودان ليس ألوانهم على ألوانهم ولا ألسنتهم على ألسنتهم . فقال : الملك أنظر لاهل دينه انما هم أخوآه . فكتب الى ملك الحبشة ان : أنصر هذا الرجل الذي جاء يستنصرني وأغضب للنصرانية فأوطى بلادهم الحبشة . فخرج دوس ثعلبان بكتاب قيصر الى ملك الحبشة . فلما قرأ كتابه امر ارباط وكان عظيماً من عظمائهم ان يخرج معه فينصره . فخرج ارباط في سبعين الفا من الحبشة وقود على جنده قواداً من رؤسائهم وأقبل بفيله . وكان معه أبرهة بن الصباح . وكان في عهد ملك الحبشة الى ارباط : اذا دخلت اليمن فأقتل ثلث رجالها وخرب ثلث بلادها وابعث الى بثلث نساها

فخرج ارباط في الجنود فحملهم في السفن في البحر وعبر بهم حتى ورد اليمن وقد قدم مقدمات الحبشة فرأى اهل اليمن جنداً كثيراً . فلما تلاحقوا اقام ارباط في جنده خطيباً فقال : يا معشر الحبشة قد علمتم

(١) وقيصر هذا هو يوستينوس الاول . وفي دوس يضرب المثل في الشوم فيقال : لا كدوس ولا كاعلاق رحله

انكم لن ترجعوا الى بلادكم ابداً . هذا البحر بين ايديكم ان
دخلتموه غرقتم وان سلكتم البر هلكتم واتخذتكم العرب عبيداً .
وليس لكم الا الصبر حتى تموتوا أو تقتلوا عدوكم . فجمع ذو نواس
جماً ثم سار اليهم . فاقتلوا قتالاً شديداً . فكانت الدولة للحبشة .
فظفر ارياط وقتل اصحاب ذي نواس وانهزموا في كل وجه . فلما تحوَّف
ذو نواس أن سيؤسر رگض فرسه واستعرض به البحر^(١) وقال . الموت
بالبحر احسن من إيسار أسود . ثم أقحم فرسه لجة البحر فمضى به فرسه
وكان آخر العهد به . ثم خرج اليهم ذو جَدَن^(٢) الهمداني في قومه
فناوشهم وتفرقت عنه همدان . فلما تحوَّف على نفسه قال : ما الامر
الا ما صنع ذو نواس فأقحم فرسه فكان آخر العهد به
ودخل ارياط اليمن قتل ثلثاً وبعث ثلث السبي الى ملك الحبشة
وخرّب ثلثاً وملك اليمن وقتل اهلها وهدم حصونها . وكان مما خرب من
حصونهم سلحين وبينون وُعُمدان^(٣) حصوناً لم يُرَ مثلها . فقال

(١) استعرض به البحر اي اتى به ناحية البحر

(٢) واسمه علس ولُقّب ذا جدن لحسن صوته . والجدن الصوت بلغة

حمير . ويقال انه أوّل من تغنى باليمن (٣) بينون اسم حصن عظيم كان

باليمن قرب صنعاء وهو من بناء بعض التباينة وله ذكر في اخبار حمير

واشعارهم . قال ذو جدن الحميري :

يا بنت قبيلٍ مَافِرٍ لا تسخري

أولاً ترينَ وكل شيء هالكٌ

أولاً ترينَ وكل شيء هالكٌ

أولاً ترينَ ملوك ناعطَ اصبحوا

أوما سمعتِ بحميرٍ ويوتهم

ثم اعذريني بعد ذلك او ذري

بينون هالكة كأن لم تُعمّر

سلحين مُدبرة كظهر الادبر

نُسفي عليهم كل ريج صرصر

أمت مَطلّة مساكن حمير

الحميري وهو يذكر ما دخل حمير من الذل

هَوْنِكَ اِنْ تَرَدَّ الْعَيْنُ مَا فَاتَا لَا تَهْلِكُنْ اِسْفَا فِي اِثْرٍ مِّنْ مَّاتَا

اَبَعَدَ بَيْنُونًا لَا عَيْنٌ وَلَا اِثْرٌ وَبَعْدَ سَلْحِينَ بَيْنِي النَّاسِ اَيَّاتَا

(قال) فلما ظفر ارباط اخذ الاموال واظهر العطاء . في اهل الشرف .

فغضبت الحبشة حين اعطى اشرافهم وترك اهل الفقر منهم واستذلهم

واجاعهم واعراهم واتعبهم في العمل وكلفهم ما لا يطيقون . فجزع

من ذلك الفقراء وشكا ذلك بعضهم الى بعض وقالوا : ما نرانا الا

اذلة اشقياء اينما كنا . ان كان قتال قُدمنا في نحور العدو . وان كان

فابكيهم او ما بكيت لعشر لله درك حميرا من معشر

اما غمدان فانه حصن بين صنعاء وطبوة بناه لبيسرح بن مجصب على اربعة اوجه

وجه ابيض ووجه احمر ووجه اصفر ووجه اخضر وبني في داخله قصرا على

سبعة سقوف بين كل سقفين منها اربعون ذراعاً . وكان ظله اذا طلعت الشمس

يرى على عينان وبينهما ثلاثة اميال . وجعل في اعلاه مجلساً بناه بالرخام الملون .

وجعل سقفه رخامة واحدة . وصير على كل ركن من اركانه تمثال اسد من شبه

كاعظم ما يكون من الاسد . فكانت الريح اذا هبت الى ناحية تمثال من تلك

التماثيل دخلت من مؤخره وخرجت من فيه فيسمع له زئير كزئير السباع .

وكان يأمر بالمصاييح فتُسرج في ذلك البيت ليلا فكان سائر القصر يلعب من

ظاهره كما يلعب البرق فاذا اشرف على الانسان من بعض الطرق ظنه برقاً او

مطراً ولا يعلم ان ذلك ضوء المصاييح . وفيه يقول ذو جَدَنَ الهمداني :

وهذا المال ينفد كل يوم لتزل الضيف او صلة الحقوق

وغمدان الذي حدثت عنه بناه مشيداً في رأس نيق

بجرمة واعلاه رخام تحام لا يغيب بالشقوق

مصاييح السليط يلحن فيه اذا يمي كتوماض البروق

فاضحى بعد جدته رمادا وغير حسنه لب الحريق

قَتْلُ قَتْلَانَا . وَإِنْ كَانَ عَمَلٌ فَعَلِينَا . وَالْبَلَايَا عَلَيْنَا . وَالْعَطَايَا لغيرِنَا مَعَ مَا يُقْصِينَا وَيُجْضُونَا . فَقَالَ لَهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ رَجُلٌ مِنَ الْحَبْشَةِ يَقَالُ لَهُ ابرهه من قواد ارياط : لو ان رجلاً غضب لغضبكم اذا لأسلمتموه حتى يُذبح كما تذبح الشاة . قالوا : لا والمسيح ما كنا نُسلمه ابداً . فواتقوه بالانجيل لا يُسلموه حتى يموتوا عن آخرهم . فنادى مناديه فيهم فاجتمعوا اليه . فبلغ ذلك ارياط ابا اصحهم ان ابرهه جمع لك الجموع ودعا الناس الى قتالك قال : أوقد فعل ذلك ابرهه وهو ممن لا بيت له في الحبشة . وغضب ارياط غضباً شديداً وقال . هو ادنى من ذلك نفساً وبيتاً هذا باطل . قالوا : فأرسل اليه فان اتاك فهو باطل وان لم يأتك فاعلم انه كما يقال . فأرسل اليه : اجب الملك ارياط . فجثا ابرهه على ركبتيه وخر لوجهه واخذ عوداً من الارض فجعله في فيه وقال للرسول : اذهب الى الملك فأخبره بما رأيت مني . انا أخلعه انا اشد تعظيماً له من ذلك . وانا آتية على اربع قوائم بحساب البهيمة . فرجع الرسول الى الملك فأخبره بالخبر . فقال : ألم أقل لكم . قالوا : الملك اعقل واعلم منا

فلما ولى الرسول من عند ابرهه وتوارى عنه صاح ابرهه في الفقراء من الحبشة فاجتمعوا اليه معهم السلاح والآلة التي كانوا يعملون بها ويهدمون بها مدن اليمن المعاول والكرازين والمساحي . ثم صفوا صفوا وصدقوا خلفه آخر بازائه . فلما ابطأ ابرهه على الملك وهو يرى انه يأتية على اربع قوائم كما قال وأتى ارياط فأخبره بما صنع ابرهه فركب في الملوك ومن تبعه من اتباعهم فلبسوا السلاح وجاءوا بالفيلة وكان معه

سبعة فيلة . حتى اذا دنا بعضهم من بعض برز ابرهة بين الصفين فنادى بأعلى صوته : يا معشر الحبشة الله ربنا والانجيل كتابنا والنجاشي ملكنا . علامَ يَقْتُلُ بعضنا بعضاً في مذهب النصرانية . هذا رجل وانا رجل فخلوا بيني وبينه فان قتلني عاد الملك الى ما كان عليه من أثره^(١) الاغنياء . وهلاك الفقراء . وان قتله سلمت وعملت فيكم بالانصاف بينكم ما بقيت . فقال الملوك لارياط : قد اخبرناك انه صنع ما قد ترى وقد أبنت أحسن الرأي فيه وقد أنصفك . وكان ارياط قد عُرف بالشجاعة والنجدة وكان جميلاً . وكان ابرهة قصيراً ذمياً قبيحاً منكر الجُمّة . فاستحيا ارياط من الملوك ان يجين فبرز بين الصفين ومشى احدهما الى صاحبه . وحمل عليه ارياط فضرب ابرهة ضربةً وقع منها حاجباه وعامة انفه ووقع بين رجلي ارياط . فعمد ابرهة الى عمامته فشدّها بها وجهه فسكن الدم والتأم الجرح واخذ عوداً وجعله في فيه وقال : ايها الملك انما انا شاة فاصنع ما اردت فقد ابصرت امري . ففرح ارياط بما صنع . وكان ابرهة قد سمّ خنجراً وجعله في بطن فخذه كانه خافية نسر^(٢) . فلما رأى ابرهة ان ارياط قد افلت عنه وهو ينظر عيناً وشمالاً لثلاثاً تراه ملوك الحبشة استلّ خنجره فطعنه طعنة في فرج درعه اثبته وخرّ ارياط على قفاه وقعد ابرهة على صدره فأجهز عليه . فسُمي ابرهة الاشرم بتلك الضربة التي شرمت وجهه وانفه

فلك ابرهة عشرين سنة . ثم ملك بعد ابرهة ابنه يكسوم . ثم

(١) اثره الاغنياء تفضيلهم (٢) خافية واحدة الخوافي وهي الريش

الصغار التي في جناح الطائر بعد القوادم والمعنى خنجر صغير

اخوه مسروق بن ابرهة وامه ریحانة امرأة ذي یزن ام سيف بن ذي یزن الحميري . فكلّموه في الخروج وقالوا : انا نجد في هاروت عن خبر لسطيح انه يوشك ان هذا البلاء يُفرج بيد رجل من اهل بيتك ابن ذي یزن وقد رجونا أن نُدرِكَ بثأرنا . فَأَنعمَ لهم . فخرج الى قيصر^(١) ملك الروم فكلّمه ان ينصره على الحبشة . فأبى وقال : الحبشة على ديني ودين اهل مملكتي وانتم على دين يهود . فخرج من عنده يائساً . فخرج عامداً الى كسرى^(٢) فانتهى الى النعمان بن المنذر بالحيرة فدخل عليه فأخبره بما لقي قومه من الحبشة . فقال : أمّ فان لي على الملك كسرى إذناً في كل سنة وقد حان ذلك . فلما خرج أخرج معه سيف الدين ذي یزن فادخله على كسرى فقال : غلبنا على بلادنا وغلب الاحابيش علينا وانا اقرب اليك منهم لاني ابيض وانت ابيض وهم سُودان . فقال بلادك بلاد بعيدة ولا ابعث معك جيشاً في غير منفعة ولا أمر اخافه على مُلكي . فلما أياسه من النصر أمره بعشرة آلاف درهم واف . وكساه كسرى . فلما خرج بها من باب كسرى نثرها بين الصبيان والعبيد . فرأى ذلك اصحاب كسرى فقالوا ذلك له . فارسل اليه : لم صنعت بمجازة الملك تَنثُرُها للصبيان والناس . فقال سيف : وما اعطاني الملك . جبال ارضي ذهب وفضة . جئت الى الملك ليمنعني من الظلم ولم آتِه ليعطيني الدراهم . ولو اردت الدراهم كان ذلك في بلدي كثيراً . فقال كسرى : أنظرُ في امرك . فخرج سيف على طمع واقام عنده فجعل سيف كلما ركب كسرى عرض له . فجمع له كسرى

(١) قيصر هذا هو يستينانوس او يستينوس (الثاني ٢) كسرى انوشروان

مرزبته^(١) وقال : ما ترون في هذا العربي وقد رأيتُهُ رجلاً جلدًا^(٢) .
فقال قائل منهم . انَّ في السجون قوماً قد سجنهم الملك في مَوجِدَة
عليهم^(٣) فلو بعثهم الملك معه فان قُتلوا استراح منهم وان ظفروا بما
يريد هذا العربي فهو زيادة في ملك الملك . فقال كسرى : هذا الرأي .
وأمر بهم كسرى فأحضروا . فوجد ثمانمائة رجل . فوَلَّى امرهم رجلاً
معهم يقال له وَهْرَز وكان رامياً شجاعاً مع مكانه في الفرس . وجهزهم
واعطاهم سلاحاً وحملهم في البحر في ثمانى سفن . ففرقت سفينتان وبقي
من بقي وهم ستائة رجل . فأرسوا الى ساحل عدن . فلما ارسوا قال
وهرز لسيف : ما عندك فقد جئنا بلادك . فقال : ما شئت من رجل
عربي وقوس عربي ثم اجعل رجلي مع رجلك حتى نموت جميعاً او نظفر
جميعاً . قال وهرز : أنصفت . فاستجلب سيف من استطاع من اليمن
ثم رجعوا الى مسروق بن ابرهة وقد سمع بهم مسروق وبتبعيتهم . فجمع
اليه جنده من الحبشة وسار اليهم والتقى العسكران وجعلت امداد
اليمن تشوب^(٤) الى سيف . وبعث وهرز ابناً له كان معه على جريدة
خيل^(٥) فقال : ناوشوهم القتال حتى ننظر قتالهم . فناوشهم ابنه
وناوشوه شيئاً من قتال . ثم تورط ابنه في هلكة لم يستطع التخلص منها .
فاشتملوا عليه فقتلوه . فازداد وهرز عليهم حنقاً وسي^(٦) العرب
وفرحت الحبشة فاظهروا الصليب . فوتر وهرز قوسه وكان لا يقدر ان

(١) مرزبة جمع مرزبان وهو الرئيس عند الفرس (٢) جلد قوي

(٣) وجد عليه غضب (٤) تشوب ترجع وتجتمع

(٥) اي جماعة خيل (٦) سيء العرب اي حزنوا وساءهم ذلك

يوترها غيره . وقال وهرز والناس في صفوفهم : انظروا اين ترون ملكهم . قال سيف : اري رجلاً قاعداً على فيل تاجه على راسه . بين عينيه ياقوتة حمراء . قال : ذلك ملكهم . قال وهرز : قد تحوّل على فرس . قال : هذا منه اختلاط^(١) . ثم وقف طويلاً وقال : انظروا هل تحوّل . قالوا : قد تحوّل على بغلة . فقال : ابنة الحمار . ذلّ الاسود وذلّ ملكه . ثم قال لاصحابه : قتلته في هذه الرمية تأملوا النشابة . واخذ النشابة وجعل فوقها^(٢) في الوتر ثم ترع فيها حتى مלאها وكان ايّداً ثم ارسلها . فصكّت الياقوتة التي بين عيني ملكهم مسروق فتغلطت النشابة في راسه حتى خرجت من قفاه . وحملت عليهم الفرس فانهزمت الحبشة في كل وجه . وجعلت حمير تقتل من ادركوا منهم وتجهز على جريهم^(٣) . واقبل وهرز يريد ان يدخل صنعاء وكان موضعهم الذي التقوا فيه خارج صنعاء . وكانت صنعاء مدينة لها باب صغير يُدخّل منه . فلما دنا وهرز من باب المدينة رآه صغيراً فقال : لا تدخل رايتي منكسة اهدموا الباب . فهدم باب صنعاء ودخل ناصباً رايتهُ وسيراً بها بين يديه . فقال سيف بن ذي يزن : ذهب ملك حمير آخر الدهر لا يرجع اليهم ابداً . فملك وهرز اليمن وقهر الحبشة وكتب الى كسرى يخبره : اني قد ملكت للملك اليمن وهي ارض العرب القديمة التي تكون فيها ماوئعهم . وبعث بجوهر وعنبر ومال وعود وزباد وهو جاود لها رائحة طيبة . فكتب كسرى يأمره ان يملك سيفاً ويقدم وهرز الى كسرى .

(١) اختلاط حمق وجنون (٢) الفوق مشقّ راس السهم حيث يقع

الوتر (٣) اجهز على الجريح اتمّ قتله

فخَلَّفَ على اليمين سيفاً . فلما خلا سيف باليمن وملكها عدا على الحبشة فجعل يقتل رجالها ويقر نساءها عمماً في بطونها حتى افناها الأبقايا منها اهل ذلّة وقلّة فاتخذهم خولاً واتخذ منهم جّازين^(١) مجرايم بين يديه . فكث كذلك غير كثير . وركب يوماً وتلك الحبشة معه ومعهم حرايم يسعون بها بين يديه حتى اذا كان وسطاً منهم مالوا عليه مجرايم قطعوه بها حتى قتلوه

وكان سيف قد آلى ألا يشرب الخمر حتى يُدرك ثاره من الحبشة . فجعلت له حُلَّتَانِ واسعتانِ فأترز بواحدة وارتدى الاخرى وجلس على رأس عُمدان يشرب ويرت يمينه . وخرج بعد ذلك يتصيد فقتلته الحبشة . وكان ملك ارياط عشرين سنة . وقال أمية بن ابي الصلت الثقفي يدح ابن ذي يزن :

لا يطلب الثار إلا كآبن ذي يزن	في البحر خيم للاعداء أحوالا
أتى هرقل وقد شالت نعمته	فلم يجد عنده النصر الذي سالا
ثم انتهى نحو كسرى بعد عاشرة	من السنين يهين النفس والمال
حتى أتى ببني الاحرار ^(٢) يُقدمهم	تحالمهم فوق متن الارض أجيالا
لله دَرُّهم من فتية صبروا	ما ان رأيت لهم في الناس أمثالا

(١) الجمّاز الذي يعدو عدواً شديداً (٢) بنو الاحرار الذين عناهم أمية في شعره هم الفرس الذين قدموا مع سيف بن ذي يزن وهم الى الآن يسمون بني الاحرار بصنعاء ويسمون باليمن الانباء وبالكوفة الاحامرة وبالبحرة الاسورة وبالجزيرة الحضارمة وبالشام الجراجمة (للاصبهاني)

بيضٌ مَرَازِبَةٌ غُلِبُ اساورَةٌ^(١) أُسْدٌ تُرْبِبُ فِي الْغِيضَاتِ أَشْبَالًا
فَالْقَطُّ مِنَ الْمَسْكَ إِذْ شَالَتْ نِعَامَتَهُمْ وَأَسْبَلُ الْيَوْمَ فِي بُرْدِكَ إِسْبَالًا
وَأَشْرَبُ هَنِئًا عَلَيْكَ التَّاجُ مَرْتَفَعًا^(٢) فِي رَأْسِ عُمْدَانِ دَارِ أَمْنِكَ مَجَلَلًا
تَلِكُ الْمَكَارِمُ لَا قَعْبَانَ^(٣) مِنْ لَبْنٍ شَيْبًا بَاءَ فَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالًا

خبر جذيمة الأبرش (٤)

ذكر ابن الكلبي عن أبيه والشرقي وغيره من الرواة أن جذيمة الأبرش (واصله من الأزدي وكان أول من ملك قضاة بالحيرة وأول من حدا النعال وادليج^(٥) من الملوكة وصنع له الشع) قال يوماً جلسائه: قد ذكر لي عن غلام من لحم مقيم في أخواله من إياد له ظرف ولب فاو بعثت إليه يكون في ندمائي ووليتته كأسبي والقيام بمجلسي كان الرأي. فقالوا: الرأي ما رأى الملك فليبعث إليه. ففعل. فلما قدم فعل به ما أراد له. فمكث كذلك مدة طويلة. ثم اشرفت عليه يوماً رقاش اخت جذيمة

(١) غُلِبُ غلاظ الرقاب. اساوره جمع اسوار وهو القائد عند الفرس

(٢) وَيُرْوَى مَرْتَفَعًا وَهُوَ الْمَتَكِيُّ عَلَى مَرْتَفَعَةٍ

(٣) الْقَعْبُ الْقَدْحُ الضَّخْمُ (٤) وَأَمَّا قِيلَ لَهُ الْأَبْرَشُ وَالْوَضَاحُ لِبَرَصٍ

كَانَ بِهِ. وَكَانَ يُعْظَمُ أَنْ يُسَمَّى بِذَلِكَ فَجَعَلَ مَكَانَهُ الْأَبْرَشَ وَالْوَضَاحَ. وَكَانَ
جَذِيمَةَ الْمَلِكِ شَاعِرًا وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ:

وَالْمَلِكُ كَانَ لَذِي بَرَا ش حَوْلَهُ يَزْرِي بِجَابِرٍ

بِالسَّابِغَاتِ وَبِالْقِنَا وَالْبَيْضُ تَبْرُقُ وَالْمَغَافِرُ

أَزْمَانًا لَا مَلِكَ يَجِيرُ وَلَا ذِمَامَ لِمَنْ يَجَاوِرُ

أَوْدَى جَمَّ غَيْرَ الزَّمَانِ نَفْسُجْدٌ مِنْهُمْ وَغَائِرُ

(٥) ادليج وادليج سار الليل

الملك فقالت له : يا عدي اذا سقيت القوم فامزج لهم واسق الملك صرفاً .
 فاذا اخذت منه الخمر فاخطبني اليه فانه يزوجك وأشهد القوم عليه ان
 هو فعل . ففعل الغلام ذلك فخطبها فزوجه . وانصرف الغلام باخبر اليها .
 فقالت : عرس باهلك . ففعل . فلما اصبح غدا مضرّجاً باخلاق . فقال له
 جذية : ما هذه الآثار يا عدي . قال : آثار العرس . قال : اي عرس .
 قال : عرس رقاش . (قال) فنخر واكب على الارض . ورفع عدي
 جواميزه ^(١) . فأسرع جذية في طلبه فلم يجده وقيل انه قتله . فنقل جذية
 اخته اليه وحصنها في قصره فولدت غلاماً وسمته عمراً وربته فلما
 ترعرع حلته وعطرته والبسته كسوة مثله ثم أرتته خاله . فأعجب به وألقت
 عليه منه محبة ومودة . حتى اذا وصف ^(٢) خرج الغلمان يجتنون الكمأة في
 سنة قد اكثت وخرج معهم وقد خرج جذية فبسط له في روضة . فكان
 الغلمان اذا اصابوا الكمأة الطيبة اكلوها . واذا اصابها عمرو خبأها . ثم
 اقبلوا يتعادون وهو معهم يقدمهم ويقول :

هذا جنائي وخياره فيه اذ كلُّ جانٍ يده الى فيه

فالتزمه جذية وحباه وقرب من قلبه وحل منه بكل مكان . ثم ان الجن
 استطارتة . فلم يزل جذية يرسل في الآفاق في طلبه فام يسمع له بنجر
 فكف عنه . ثم اقبل رجلان يقال لاحدهما عقيل والآخر مالك ابنا فالج
 وهما يريدان الملك بهدية . فتزلا على ماء . ومعهما قينة يقال لها ام عمرو
 فنصبت قدراً واصلحت طعاماً . فبينما هما يأكلان اذا اقبل رجل اشعث ^(٣)

(١) الجواميز القوائم اي اسرع في الهرب (٢) وصف اي تمّ قده .

وفي الاصل « وصب » (٣) اشعث متلبّد الشعر

أغبر قد طالت اظفاره وساءت حاله حتى جلس مزجر الكلب^(١) . فمدَّ يده فناولته شيئاً فأكله . ثم مدَّ يده . فقالت : ان يُعطَ العبدُ كُرَاعاً يَبْسَعُ ذِرَاعاً^(٢) فارسلتها مثلاً . ثم ناولت صاحبها من شراها وأوكأت دنتها . فقال عمرو بن عدي :

صددتِ الكأسَ عنَّا أمَّ عمرو وكان الكأسُ مجراها اليمينَا

وما شرَّ الثلاثة أمَّ عمرو بصاحبك الذي لا تصحينا

فقال الرجلان : ومن انتَ . فقال :

ان تنكراني لن تنكرا نسي اني انا عمرو وعدي ابي

فقاما اليه فلثاه وغسلا رأسه وقلما اظفاره وقصرا من لثته والبساء من طرائف ثيابهما وقالوا : ما كنا نُهْدِي الى الملك هديةً انفس عنده ولا هو عليها أحسن صنعا من ابن اخته فقد رده الله عز وجل اليه . فخرجنا حتى اذا رُفعا الى باب الملك بشراه به . فصرفه الى امه فالبسته ثياباً من ثياب الملوكة وجعلت في عنقه طوقاً كانت تُلبسه اياه وهو صغير وامرته بالدخول على خاله . فلما رآه قال : شبَّ عمرو عن الطوق . فارسلها مثلاً . وقال للرجلين اللذين قدما به : احكما فلكما حكمكما قالوا : منادمتك ما بقيت وبقينا . قال : ذلك لكما . فهما ندما جذية اللذان ذكرهما مُتَّسِم ابن نُويَرة وضربت بهما الشعراء المثل . قال ابو خراش الهذلي :

ألم تعلمي ان قد تفرَّق قبلنا خليلاً صفاء مالِكٌ وعقيلُ

(قال ابن حبيب في خبره) وكان جذية من افضل الملوكة رأياً وابعدهم مغاراً واشدهم نكايه وهو اول من استجمع له الملك بارض العراق .

(٢) اي يُعطى القليل فيقطع في الكثير

(١) اي جلس متنحياً

وكانت منازل ما بين الأنبار وبقعة وهيت وعين التمر واطراف البر
والقططانية والحيرة . فقص في جموعه عمرو بن الظرب بن حيآن بن
اذينة بن السيدع بن هويز العاملي من عاملة العمالين . فجمع عمرو
جموعه ولقى . فقتله جذيمة وفض جموعه وانفلوا وملكوا عليهم ابنته الزباء .
وكانت من احزم الناس . فخافت ان تغزوها ملوك العرب فاتخذت
لنفسها نفقا في حصن كان لها على شاطئ الفرات وسكنت الفرات في
وقت قلة الماء . وبنت أزجا " من الأجر والكلس متصلا بذلك النفق
وجعلت نفقا آخر في البرية متصلا بمدينة لاختها ثم اجرت الماء عليه .
فكانت اذا خافت عدوا دخلت النفق . فلما اجتمع لها امرها واستحکم
ملكها أجمعت على غزو جذيمة نائرة بابيها . فقالت لها اختها وكانت ذات
رأي وحزم : انك ان غزوت جذيمة فانه امرؤ له ما يصدده فان ظفرت
اصبت ثأرك وان ظفرت بك فلا بقية لك . والحرب سجال^(١) ولا تدرين
كيف تكونين ألك ام عليك . ولكن ابعتي اليه فأعلميه انك قد
رغبت في ان تزوجه وتجمعي ملكك الى ملكه وسليه ان يجيبك لذلك
فانه ان اغتر ففعل ظفرت به بلا مخاطرة . فكتبت الزباء في ذلك الى
جذيمة تقول له انها قد رغبت في صلة بلدها ببلده وانها في ضعف من
سلطانها وقلة ضبط لملكها وانها لم تجد كفوا غيره وتسأله الاقبال
عليها وجمع ملكها الى ملكه . فلما وصل ذلك اليه استخفه وطمع فيه .
فشاور أصحابه . فكل صوب رأيه في قصدها وإجابتها الأ قصير بن
سعد بن عمرو بن جذيمة بن قيس بن هلال بن غارة بن لحم فقال : هذا

رأي فاتر . وغدر حاضر . فان كانت صادقة فلتقبل اليك والآ فلا
 تمكثها من نفسك فتقع في جبالها وقد وترتها في أبيها . فلم يوافق جذيمة
 ما قال وقال له : أنت امرؤ ورأيك في الكين لا في الضح^(١) . ورحل .
 فقال له قصير في طريقه : انصرف ودمك في وجهك . فقال جذيمة :
 ببقة^(٢) قضي الامر . فأرسلها مثلاً . ومضى حتى اذا شارف مدينتها قال
 لقصير : ما الرأي . قال : ببقة تركت الرأي . قال : فما ظنك بالزباء .
 قال : القول رداف . والحزم عثراته تخاف

واستقبله رسلها بالهدايا والالطاف فقال : يا قصير كيف ترى . قال :
 خطر يسير . في خطب كبير . وستلقاك الخيول فان سارت امامك فالمرأة
 صادقة . وان أخذت في جنبيك وأحاطت بك فالقوم غادرون . فلقيته
 الخيول فأحاطت به . فقال له قصير : اركب العصا فانها لا تُدرك ولا
 تسبق (يعني فرساً له كانت تُجنَّب) قبل ان يحولوا بينك وبين جنودك .
 فلم يفعل . فجال قصير في ظهرها فمرت به تعدو في أول أصحاب جذيمة .
 ولما أحيط بجذيمة التفت فرأى قصيراً على فرسه العصا في اول القوم فقال :
 الحازم ما يُجري العصا في اول القوم . فذكر ابو عبيدة والاصمعي انها لم
 تكن تقف حتى جرت ثلاثين ميلاً ثم وقف هناك فبني على ذلك الموضع
 برج يسمى العصا . وأخذ جذيمة فأدخل على الزباء . فاستقبلته . ثم قالت
 لجواربها : خذني بعضد سيدكن . ففعلن . ثم دعت بنطع^(٣) فاجلسته عليه

(١) الضح ما وقعت عليه الشمس اي البارز من الارض (٢) بقعة موضع

قريب من الحيرة وقيل حصن كان يتزله جذيمة الابرش ملك الحيرة

(٣) النطع بساط من جلد يُفرش تحت من يُحكّم عليه بقطع الراس

وأمرت برواهشه^(١) فقطعت في طست من ذهب يسيل دمه فيه وقالت له : يا جذيم لا يضيعن من دمك شي . فاني أريده للحبل^(٢) . فقال لها : وما يجزئك من دم اضاعه اهله . وانما كان بعض الكهّان قال لها : ان نَقَط من دمه شيء في غير الطست أدرك بثأره . فلم يزل دمه يجري في الطست حتى ضعف . فتحرّك فنقطت من دمه نقطة على أسطوانة رخام فات . (قال) وجمعت دمه في برنية وجعلته في خزانتهما . ومضى قصير الى عمرو بن عبد الجنّ التنوخي فقال له : اطلب بدم ابن عمك والآسبتك به العرب . فلم يحفل بذلك . فخرج قصير الى عمرو بن عدي ابن اخذ جذية فقال : هل لك في ان أصرف الجنود اليك على ان تطلب بثأر خالك . فجعل ذلك له . فأتى القادة والاعلام فقال لهم : انتم القادة والرؤساء وعندنا الاموال والكنوز . فانصرف اليه منهم بشر كثير . فالتقى بعمرو التنوخي فلما صافوا^(٣) القتال تابعه التنوخي ومالك ابن عمرو بن عدي . فقال له قصير : انظر ما وعدتني في الزباء . فقال : وكيف وهي امنع من عقاب الجوّ . فقال : اما اذ أبيت فاني جادع انفي وأذني ومحتال لقتلها فأعني وخلاك دم . فقال له عمرو : وانت أبصر .

(١) الراهشان عرقان في باطن الذراعين . وعليه قول عمرو بن عدي اللخميّ حين قتلت الزباء الفسانية ملكة الجزيرة خاله جذية الابرش :
وحكمت الحديد براهشيه فالفى قولها كذباً ومينا
والرواهش ايضاً عروق ظواهر الكف (٢) الحبل الجنون . والعرب تتحدث ان في دماء الملوك شفاء من الحبل . قال المتلمس :
من الدارميين الذين دماؤهم شفاء من الداء المَجْنَنَة والحبل
(٣) وبيروى خافوا

فجدع قصير انفه . ثم انطلق حتى دخل على الزباء . فقالت . من انت .
قال : انا قصير . لا ورب البشر ما كان على ظهر الارض احد انصح
لخدمته مني ولا اغش لك حتى جدع عمرو بن عدي انفي واذني فعرفت
اني لن اكون مع احد اتقل عليه منك . فقالت : أي قصير تقبل ذلك
منك ونصرفك في بضاعتنا . واعطته مالا للتجارة . فأتى بيت مال الحيرة
فأخذ منه بأمر عدي ما ظن انه يرضيها وانصرف اليها به . فلما رأت ما
جاء به فرحت وزادته . ولم يزل حتى أنست به . فقال لها : انه ليس من
ملك ولا ملكة الا وقد ينبغي له ان يتخذ نفقا يهرب اليه عند حدوث
حادثة يخافها . فقالت : أما اني قد فعلت واتخذت نفقا تحت سريري
هذا يخرج الى نفق تحت سرير اختي . وأرتة اياء . فاطهر لها سرورا
بذلك . وخرج في تجارته كما كان يفعل . وعرف عمرو بن عدي ما فعله
فركب عمرو في ألفي دارع على الف بعير في الجوالق^(١) حتى اذا صاروا
اليها تقدم قصير يسبق الابل ودخل على الزباء فقال لها : إصعدي في
حائط مدينتك فانظري الى مالك وتقدمي الى بوابك فلا يعرض لشيء
من اعكامنا^(٢) فاني قد جئت ببال صامت^(٣) . وقد كانت أمنته فلم
تكن تتهمه ولا تخافه . فصعدت كما أمرها . فلما نظرت الى ثقل مشي
الجمال قالت (وقيل انه مصنوع منسوب اليها) :

ما للجمال مشيها وثيدا أجندلا^(٤) يحملن أم حديدا

(١) الجوالق العدل من شعر (٢) جمع عكم وهو العدل

(٣) الصامت من المال الذهب والفضة (٤) الجندل الحجارة؛ ومشي وثيد

اي على تودة اي بتبت وتأن وذلك لشدة الوطء على الارض من ثقل الحمل

ام صَرَفَانًا^(١) باردًا شديدًا أم الرجال جُثْمًا قُعودا
 فلما دخل آخر الجمال نحس البواب عكماً من الاعكام بمنخسة معه .
 فاصابت خاصرة رجل فصرخ . فقال البواب : شرّ والله عكمتم به في
 الجواليق . فثاروا باهل المدينة ضرباً بالسيف . فانصرفت راجعة فاستقبلها
 عمرو بن عدي فضربها فقتلها . وقيل : بل مضت خاتمها وقالت : بيدي
 لا بيد عمرو . وخربت المدينة وسُبيت الذراري وغنم عمرو كل شي . كان
 لها ولأبيها واختها . وقال الشعراء . في ذلك تذكر ما كان من قصير في
 مشورته على جذية وفي جدعه انّه فأكثرُوا . قال عدي بن زيد :
 ألا يا ايها المثيري المرجي ألم تسمع بنحط الاولينا
 دعا بالبقة الامراء يوماً جذية ينتحي عصباً تُبيننا^(٢)
 فطاوع امرهم وعصى قصيراً وكان يقول لو سُمع اليقيننا^(٣)
 وهي طويلة . وقال المتلمس يذكر جدع قصير انفه :
 ومن حذر الايام ما جزّ انفه قصير وخاض الموت بالسيف بييس^(٤)



غزو كسرى اياداً

حدث الشريقي بن القطامي قال : كان سبب غزو كسرى اياداً ان

(١) الصرفان النحاس والرصاص (٢) عَصَب جمع عُصْبَة اي
 الجماعة . وثُبُون وثُبُون جمع ثُبَة وهي العُصْبَة من الفرسان
 (٣) المعنى : كان يقول اليقين لو سُمع له . ويروى لو نفع
 (٤) ومنه المثل « لمكّر ما جدع قصير انفه »

بلادهم اجذبت فارتحلوا حتى نزلوا بسنداد ونواحيها . فاقاموا بها دهرًا حتى اخصبوا وكثروا . وكانوا يعبدون صنماً يقال له ذو الكعبين وعبدته بكر بن وائل من بعدهم . فانتشروا ما بين سنداد الى كاظمة والى بارق والخورنق واستطالوا على الفرات حتى خالطوا أرض الجزيرة . ولم يزالوا يُغيرون على اهلهم من ارض السواد ويفزون ملوك آل نصر حتى أصابوا امرأة من اشراف العجم كانت عروساً قد هُديت الى زوجها . فولي ذلك منها سفهاؤهم واحداً منهم . فسار اليهم من كان يليهم من الاعاجم . فانحازت اياها الى العراق وجعلوا يعبرون اباهم في القراقرز^(١) ويقطعون بها الفرات . وجعل راجزهم يقول :

بئس مناخ الحلقات^(٢) الدهم في ساحة القرقور وسط اليم
وعبروا الفرات وتبعهم الاعاجم . فقالت كاهنة من اياها تسجع لهم : ان يقتلوا منكم غلاماً سليماً . او يأخذوا منكم شيخاً هماً^(٣) . تحضبوا نحورهم دماً . وترووا منها سيراً ظمأً . فخرج غلام منهم يقال له ثواب ابن محجن . فلقيته الاعاجم . فقتلوه واخذوا الابل . ولقيتهم اياها في آخر النهار فهزمت الاعاجم . (قال) وحدثني اهل بعض العلم ان اياها بيئت^(٤) ذلك الجمع حين عبروا شط الفرات الغربي . فلم يفلت منهم الا القليل . وجمعوا به جماجم واجسادهم فكانت كاتل العظم وكان الى جانبهم دير فسمي دير الجاجم^(٥) . وبلغ كسرى الخبر فبعث

- (١) القرقور السفينة الطويلة (٢) الحلقات الضروع يريد بها الابل
(٣) الهم الشيخ الفاني (٤) بيئت المدوّ هجم عليه ليلاً
(٥) دير الجاجم بظاهر الكوفة على سبعة فراسخ منها على طرف البر

مالك بن حارثة احد بني كعب بن زهير بن جشم في آثارهم . ووجه
معه اربعة آلاف من الاساورة . فكتب اليهم لقيط^(١) :
يا دار عمرة من يجتأها الجزعا هاجت لي الهم والاحزان والوجعا
وفيها يقول :

يا قوم لا تأمنوا ان كنتم غيرا
هو الخلاء الذي تبقى مذلة
هو الفناء الذي يجتث اصلهم
فقلدوا امركم لله دركم
لا مترفاً ان رخاء العيش ساعده
لا يطعم النوم الا حيث يبعثه
مُسهر النوم تعنيه اموركم
ما انفك يجلب هذا الدهر أسطره
فليس يشغله مال يشتره
حتى استمر على شزر مريوته
كما لك بن سنان او كصاحبه
اذ عابه عائب يوماً فقال له

على نسائك كسرى وما جمعا
ان طار طائرهم يوماً وان وقعنا
فمن رأى مثل ذا يوماً ومن سيعنا
رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا
ولا اذا حل مكروه به خشنا
هم يكاد حشاه يقطع الضلعا
يروم منها على الاعداء مطلقا
يكون مشعباً طورا ومشعبا
عنكم ولا ولد يبغى له الرفعا
مستحکم السن لاقحماً ولا ضرعا^(٢)
زين القنا حين لاقى الحارثين معا
دمت^(٣) جنبك قبل الليل مضطجعا

للسالك الى البصرة (١) هو لقيط بن بكر شاعر جاهلي قديم مقل ليس
يعرف له شعر غير هذه القصيدة وقطع من الشعر متفرقة

(٢) الشزر قتل الخبل والمريرة الغزيرة . والمعنى استحکم امره على كذا
وقويت شكيبته فيه وألفه واعتاده . وروى : استمرت على شزر مريوته .
القحم الكبير السن والضرع الصغير السن (٣) دمت سهل ولين

فشاوروه فالفوه^(١) انا علل^(٢)
 عبل الذراع اياً ذا مزابنة^(٣)
 مستنجداً يتحدى^(٤) الناس كلهم
 هذا كتابي اليكم والنذير لكم
 وقد بذلت لكم نصحي بلاد دخل
 وجعل عنوان الكتاب :

كتاب في الصحيفة من لقيط
 بان الليث كسرى قد اتاكم
 الى من بالجزيرة من اباد
 فلا يجبسكم سوق النقاد

(قال) وسار مالك بن حارثة التغلبي بالاعاجم حتى لقي اباداً وهم
 غارون لم يلتفتوا الى قول لقيط وتحذيره اياهم ثقة بان كسرى لا يقدم
 عليهم . فلقبهم بالجزيرة في موضع يقال له مرج الاعم . فاقتلوا قتالاً
 شديداً . فظفروهم وهزمهم وأنقذ ما كانوا اصابوا من الاعاجم يوم
 الفرات . ولحقت اباد باطراف الشام ولم تتوسطها خوفاً من غسان يوم
 الحارثين ولا اجتماع قضاة وغسان في بلد خوفاً من ان يصيروا اباداً واحدة
 عليهم . فأقاموا حتى أمّنوا . ثم انهم تطرفوهم^(٥) الى ان لحقوا بقومهم
 ببلد الروم بناحية انقره . ففي ذلك يقول الشاعر :

حلوا بأنقرة يسيل عليهم
 ماء الفرات يجي من اطواد



- (١) ثاوروه ساوروه وهيجهوه . النكس الضيف والورع الجبان
 (٢) المزابنة المدافعة
 (٣) يتحدى يباري وينازع الغلبة
 (٤) نصع وضع وبان
 (٥) تطرفوهم اي لحقوا باطرافهم

مقتل كليب وحرب البسوس

كان السبب في قتل كليب بن ربيعة فيما ذكره ابو عبيدة عن مقاتل الاحول بن سنان . ونسختُ بعضهُ من رواية الكلبي . واخبرنا به محمد ابن العباس اليزيدي عن عمه عبيد الله عن ابن حبيب عن ابن الاعرابي عن المفضل . جمعت من روايتهم ما احتيج الى ذكره مختصراً اللفظ كامل المعنى

انَّ كليباً كان قد عزَّ وساد في ربيعة فبغى بغياً شديداً . وكان هو الذي يُتزلهم منازلهم ويُرحلهم ولا ينزلون ولا يرحلون الا بأمره . فبلغ من عزه وبغيه انه اتَّخذ جرو كلب فكان اذا نزل منزلاً به كلاً قذف ذلك الجرو فيه فيعوي فلا يرعى احد ذلك الكلاً الا باذنه . وكان يفعل هذا بمجياض الماء فلا يردها احد الا باذنه او من آذنَ بحرب^(١) . فضرب به المثل في العزة فقليل : أغرُّ من كليب وائل . وكان يحمي الصيد ويقول : صيد ناحية كذا وكذا في جوارى . فلا يصيد احد منه شيئاً . وكان لا يمر بين يديه احد اذا جلس ولا يجتبي^(٢) احد في مجلسه غيره . وكان لمرّة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة عشرة بنين جساس اصغرهم . وكانت اختهم امرأة كليب^(٣) . وخالة جساس البسوس وهي التي يقال لها اشأم من البسوس . فجاءت فقتلت على ابن اختها جساس

(١) آذن بحرب اعلمه به وتحدّده به

(٣) واسمها جائلة

(٢) يجتبي اي يجمع ظهره وساقه بيديه

فكانت جارة لبني مرة ومعها ابن لها ومعها ناقة خواراة^(١) من نعم بني سعد ومعها فصيل . فبينما اخت جساس تغسل رأس كليب زوجها وتسرحه ذات يوم اذ قال : مَنْ اعزّ وائل . فصمت . فاعاد عليها . فلما اكثر عليها قالت : اخوأي جساس وهمّام . فترع رأسه من يدها وأخذ القوس فرمى فصيل ناقة البسوس خالة جساس وجارة بني مرة فقتله . فأغضوا على ما فيه وسكتوا على ذلك . ثم لقي ابن البسوس فقال : ما فعل فصيل ناقتكم . قال : قتلته واخليت لنا ابن امه . فأغضوا على هذه ايضا . ثم انّ كليباً أعاد على امرأته فقال : مَنْ اعزّ وائل . فقالت : اخوأي . فأضرها وأسرّها في نفسه وسكت حتى مرّت به ابل جساس فرأى الناقة فأنكرها فقال : ما هذه الناقة . قالوا : لخالة جساس . فقال : او قد بلغ من امر ابن السعدية ان يُجير عليّ بغير اذني . ارم ضرعها يا غلام . (قال فراس) فاخذ القوس فرمى ضرع الناقة فاختلط دمها بلبنها . وراحت الرعاة على جساس فاخبروه بالامر . فقال احلبوا لها مكياكي لبن بحلبها ولا تذكروا لها من هذا شيئاً . ثم اغضوا عليها ايضا . (قال مقاتل) حتى اصابتهم سماء فعدا في عبا يتمطر^(٢) . وركب جساس بن مرة وابن عته عمرو بن الحرث بن ذهل . فمّرت بكر بن وائل على نهبي^(٣) يقال له سُديث . فنفاهم كليب عنه وقال : لا يذوقون منه قطرة . ثم مروا على نهبي آخر يقال له الأحص . فنفاهم عنه وقال : لا

(١) خواراة غزيرة اللبن . اسم الناقة سراب . وفيها يضرب المثل فيقال

(٢) يتمطر يُسرع

اشام من سراب

(٣) النهي كل موضع يجتمع فيه الماء

يذوقون منه قطرة . ثم مروا طلي بطن الجريب . فمنهم اياه . فمضوا حتى
 نزلوا الذنائب . واتبهم كليب وحيه حتى نزلوا عليه . ثم مرّ عليه جساس
 وهو واقف على غدير الذنائب فقال : طردت اهلنا عن المياه حتى كدت
 تقتلهم عطشاً . فقال كليب : ما منعناهم من ماء الا ونحن له شاغلون .
 فمضى جساس ومعه ابن عمه المزدلف (وقال بعضهم) بل جساس ناداه
 فقال : هذا كفعلك بناقة خالتي . فقال له : أوقد ذكرتيها . اما اني لو
 وجدتني في غير ابل مرة لاستجملت تلك الابل بها . فعطف عليه جساس
 فرسه فطعنه برمح فأنفذ حنثيه^(١) . فلما تداومه^(٢) الموت قال :
 يا جساس اسقني من الماء . قال : ما عقلت استسقاءك الماء منذ ولدتك
 أمك الا ساعتك هذه^(٣) . (قال ابو بزة) فعطف عليه المزدلف بن

(١) حنثاه جنباه (٢) تداومه غشيه (٣) ويروي ان
 جاساً قال لكليب : تجاوزت شبيثاً والاحص . وفي ذلك يقول عمرو بن الاعم :
 وان كليباً كان يظلم قومه فادركه مثل الذي تريان
 فلما حشاه الرمح كف ابن عمه تذكر ظلم الامل اي اوان
 وقال لجساس اغثني بشربة والا فخير من رأيت مكاني
 فقال تجاوزت الاحص وماءه وبطن شبيث وهو غير دقان
 وقال النابغة الجعدي يخاطب عقاب بن خويلد وقد اجار بني وائل بن معن
 وكانوا قتلوا رجلاً من بني جعدة فحذّرهم مثل حرب البسوس وحرب داحس
 والقبراء :

فابلع عقاباً ان غاية داحس
 تجير علينا وائلاً بدمائنا
 كليب لعمرى كان اكثر ناصراً
 رمى ضرع ناب فاستمر بطعنه
 بكفيك فاستأخر لها او تقدّم
 كأنك عما ناب اشياعنا عم
 وأيسر جرماً منك ضرج بالدم
 كحاشية البرد السباني المسهم

عمرو بن ابي ربيعة فاحترأ رأسه^١ (قال ابو برة) فلما قتله أمال يده
 بالفرس حتى انتهى الى اهله (قال) . وتقول اخته حين رآته لأبيها :
 ان ذا الجساس أتى خارجاً ركبته . قال : والله ما خرجت ركبته الا
 لامر عظيم (قال) . فلما جاء قال : ما وراءك يا بني . قال : ورأيت اني
 قد طعنت طعنة أئشغلن بها شيوخ وائل زمناً . قال : أقتلت كليياً .
 قال : نعم . قال : وددت أنك واخوتك كنتم مشم قبل هذا ما لي الا
 ان تتشاءم بي ابناء وائل . (وزعم مقاتل) ان جساساً قال لاخته نضلة
 ابن مرة وكان يقال له عضد الحمار :

واني قد جنيت عليك حرباً تُفصُّ الشيخَ بالماء القراح
 مذكرة متى ما يصح عنها فتى نُسبت بأخر غير صاح
 تُنكَلُ عن ذناب الغي قوماً وتدعو آخري الى الصلاح

فاجابه نضلة :

فان تك قد جنيت علي حرباً فلا وان ولا رث السلاح

وقال لجساس اغتني بشربة تفضل بها طولاً علي وأنعم
 فقال تجاوزت الاحص ومائة ووطن شبيث وهو ذو مترسم
 (١) واما مقاتل فزعم أن عمرو بن الحرث بن ذهل الذي طعنه فقصم صلبه

وفيه يقول المهلهل :

قتيل ما قتيل المرء عمرو وجساس بن مرة ذو ضرير
 (قال) ومقتل كليب بالذنائب عن يسار فلنجة مُصعداً الى مكة وقبره

بالذنائب وفيه يقول المهلهل :

ولو نبش المقابر عن كليب فتخبر بالذنائب اي زير

(وزعم مقاتل) ان همأماً كان آخى مهلهلاً^(١) وكان عاقده ان لا يكتبه شيئاً . فكانا جالسين فرجاس يركض به فرسه مخرجاً فخذيه . فقال همام . ان له لأمرًا والله ما رأيتك كاشفاً فخذيه قط في ركض . فلم يلبث إلا قليلاً حتى جاءت الخادم فسارته ان جساساً قتل كلياً . فقال له مهلهل : ما اخبرتك . فقال : اخبرتني ان اخي قتل اخاك . قال : هو اقصر يداً من ذلك . وتحمل القوم وغدا مهلهل بالخيـل

حرب البسوس

قال المفضل في خبره : فلما قُتل كليب قالت بنو تغلب بعضهم لبعض لا تعجلوا على اخوتكم حتى تعذروا بينكم وبينهم . فانطلق رهط من اشرافهم وذوي اسنانهم حتى أتوا مرة بن ذهل فعظموها ما بينهم وبينه وقالوا له : اختر منا خصالاً إما أن تدفع اليها جساساً ونقتله بصاحبنا فلم يظلم من قتل قاتله . واما أن تدفع اليها همأماً . واما ان تُقيدنا من نفسك . فسكت وقد حضرتة وجوه بني بكر بن وائل فقالوا : تكلم غير مخذول . فقال : اما جساس فغلام حديث السن ركب رأسه^(٢) فهرب حين خاف فلا علم لي به . واما همام فأبو عشرة واخو عشرة ولو دفعته اليكم لصيح بنوه في وجهي وقالوا : دفعت ابانا للقتل بجريرة غيره . واما انا فلا اتعجل الموت وهل تريد الخيل

(١) اسم المهلهل عدي بن ربيعة . وانما قيل له المهلهل لانه أول من هلهل

الشعر اي ارقه (٢) ركب رأسه اي مضى على وجهه هائماً

على ان تجول جولة فأكون اول قتيل . ولكن هل نكرم في غير ذلك .
هولاء . بني فدونكم احدهم فأقتلوه به . وان شتم فلکم الف ناقة
تضمنها لكم بكر بن وائل . فغضبوا وقالوا : إنا لم نأتك لتؤدي لنا
بنيك ولا لتسومنا اللبن . فتفرقوا ووقعت الحرب . وتكلم في ذلك عند
الحرث بن عباد . فقال : لا ناقة لي في هذا ولا جمل . وهو أول من قالها
وأرسلها مثلاً

(قالوا جميعاً) كانت حربهم اربعين سنة فيهن خمس وقعات مزاحفات .
وكانت تكون بينهم مغاورات . وكان الرجل يلقي الرجل والرجلان
الرجلين ونحو هذا وكان أول تلك الايام يوم عُنَيْزَة وهي عند فلجة .
فتكافأوا فيه لا لبكر ولا لتغلب . وتصديق ذلك قول مهلهل :
كأنا غدوةً وبني أبينا مجنب عُنَيْزَة رَحِيًا مُدِيرِ
ولولا الريحُ أسمع من بحجر صليل البيض تُقرعُ بالذكور^(١)
فتفرقوا . ثم غبروا زماناً . ثم التقوا يوم واردات . وكان لتغلب على
بكر وقتلوا بكرًا أشدَّ القتل وقتلوا مجيرًا وذلك قول مهلهل :
فاني قد تركت بوارداتٍ مجيرًا في دم مثل العبير^(٢)
هتكت به بيوت بني عباد وبعض العشم^(٣) أشفى للصدور
(قال مقاتل) انه اذا التقط توأ^(٤) وسيجي حديته اسفل من هذا .
(قال أبو برزة) ثم انصرفوا بعد يوم واردات غير بني ثعلبة بن عكابة
ورأسوا على انفسهم الحرث بن عباد . فاتبعهم بنو ثعلبة بن عكابة حتى

(١) الذكور السيوف (٢) المير الزعفران وقيل ضرب من الطيب

(٣) العشم الظلم (٤) التو الفرد يقال وجدته توأ اي وحده

التقوا بالخنو فظهرت بنو ثعلبة على تغلب . (قال مقاتل) ثم التقوا يوم بطن السرو وهو يوم القصبات^(١) لبني تغلب على بني بكر حتى ظننت بكر أن سيقتلوا معاً . (قال مقاتل) وقتلوا يومئذ همام بن مرة . ثم التقوا يوم قضة وهو يوم التحالق . ويوم الثنية ويوم قضة ويوم الفصيل لبكر على تغلب

وكان من حديث مقتل همام انه وجد غلاماً مطروحاً فالتقطه ورباه وسماه ناشرة . فكان عنده لقيطاً . فلما شب تبين انه من بني تغلب . فلما التقوا يوم القصبات جعل همام يقاتل فاذا عطش رجع الى قرية فشرب منها ثم وضع سلاحه . فوجد ناشرة من همام غفلة فشد عليه بالعزة^(٢) فأقصده فقتله ولحق بقومه تغلب . فقال باكي همام :

لقد عيل الاقوام طعنة ناشره
أنشراً لا زالت عيئك آسره^(٣)

ثم قتل ناشرة رجل من بني يشكر

(وقال فراس) كان رئيس بكر بعد همام الحرث بن عباد . (قال مقاتل) وكان الحرث بن عباد قد اعتزل يوم قتل كليب وخذل بكرًا عن تغلب واستعظم قتل كليب لسودده في ناقة . فقال سعد بن مالك يحضض الحرث بن عباد :

يا بؤس للحرب التي وضعت اراھطاً فاستراحوا
والحرب لا يبقى لصا جها التخيل والمراح^(٤)

(١) وربما قيل يوم القصية وهي القصبات (٢) العنزة عصا في قدر

نصف الرمح فيها سنان مثل سنان الرمح (٣) آشرة اي مأسورة ومعناها

منشورة كما يقال راضية اي مرضية (٤) من بلي بالحرب وكان ذا خيلاء

ألا الفتى الصبار في الذِّ جدات والفرس الوقاح^(١)
 فلما أخذ بجير بن الحرث بن عباد توأ بواردات وانما سل ولم يؤخذ
 في مزاحفة . قال له مهلهل : من خالك يا غلام وبوأ نحوه الرمح^(٢) .
 فقال له امرؤ القيس بن ابان التغلبي وكان على مقدمتهم في حروبهم :
 مهلاً يا مهلهل فان اهل بيته قد اعتزلوا حربنا ولم يدخلوا في شي . مما
 نكروه . والله لئن قتله أيقتلن به رجل لا يسأل عن نسبه . فلم يلتفت
 مهلهل الى قوله وشد عليه فقتله وقال : بوأ بشسع نعل كليب^(٣) .
 فقال الغلام : ان رضيت بهذا بنو ثعلبة فقد رضيت . فلما بلغ الحرث
 قتل بجير ابنه قال : نعم الغلام غلام أصلح بين ابني وائل وباء بكليب .
 فلما سمعوا قول الحرث قالوا له : ان مهلهلاً لما قتله قال له : بوأ بشسع
 كليب . فغضب الحرث عند ذلك فنادى بالرحيل . (قال مقاتل) وقال
 الحرث بن عباد :

قرباً صرابط النعام^(٤) مني أقيمت حرب وائل عن حيال

لا بجير أغنى قتيلاً ولا رهط م كليب تراجروا عن ضلال

لم اكن من جناتها علم الله م واني بجرها اليوم صال

(قال مقاتل) فكان حكم بكر بن وائل يوم قضة الحرث بن عباد
 وكان الرئيس القند وكان فارسهم جعدر وكان شاعرهم سعد بن مالك
 ابن ضبيعة وكان الذي سد الثنية عوف بن مالك بن ضبيعة وكان عوف

ورح شغلته الحرب عن خيلاته ومرح (١) الوقاح الذي حافره صلب

(٢) بوأ الرمح سدده (٣) اي سفك دمك كفو لشسع نعله فقط

(٤) فرس الحرث بن عباد

أُنبه من أخيه سعد

(قال ابو برزة) اتبعت تغلب بكراً فقطعوا رملات خزازى والرغام
ثم مالوا لبطن الحماره . فوردت بكر قضة فسقت واسقت ثم صدرت
وحلأوا تغلب ونهضوا في نجمة يقال لها مويبة لا يجوز فيها الأبعير
بعير . فلحق رجل من الاوس بن تغلب بغليم من بني تيم اللات بن ثعلبة
يطرد ذوداً له فطعن في بطنه بالرمح ثم رفعه فقال : تحديني ام البوعلى
بوك . فراه عوف بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة فقال : أنفذوا
جمل اسما . ابنته فانه أمضى جمالكم وأجودها منفذاً فاذا نفذتبعته
النعم . فوثب الجمل في المويبة حتى اذا نهض على يديه وارتفعت
رجلاه ضرب عرقوبيه وقطع بطن الطعينة فوق فسد الثنية . ثم قال
عوف : أنا البرك أبرك حيث ادرك . فسُمي البرك^(١) . ووقع الناس
الى الارض لا يرون مجازاً وتحالقوا لتعرفهم النساء . فقال جحدر بن
ضبيعة بن قيس ابو المسامعة واسمه ربيعة : لا تحلقوا رأسي فاني رجل
قصير لا تشينوني ولكني اشتريه منكم بأول فارس يطلع عليكم من
القوم . فطلع ابن عناق فشد عليه فقتله . فقال رجل من بكر بن وائل
يدح مسع بن مالك بذلك :

يا ابن الذي لما حلقنا اللما ابتاع منا رأسه تكرماً
بفارس أول من تقدما

وقال البكري :

ومناً الذي قادى من القوم رأسه بمستلم من جمعهم غير اعزلاً^(٢)

فَأَدَّى الْبِنَا بِرَّهَ^(١) وَسِلَاحَهُ وَمَنْفَصَلًا مِنْ عُنُقِهِ قَدْ تَرَيَلَا
(قال) وكان جحدر يرتجز يومئذٍ ويقول:

رُدُّوا عَلَيَّ الْخَيْلَ إِنْ أَلَّتِ^(٢) إِنْ لَمْ أَقَاتِلْهُمْ فَيُجْزُوا لِمَتِّي

(وقال البكري):

وَمِنَّا الَّذِي سَدَّ الثَّنِيَّةَ غَدْوَةً عَلَى حَلْفَةٍ لَمْ يُبْقِ فِيهَا تَحَلُّلًا

بِجَهْدِ عَيْنِ اللَّهِ لَا يَطْلَعُونَهَا وَلَمَّا نُقَاتِلْ جَمْعَهُمْ حِينَ أَسْهَلَا

فاسر الحرث بن عباد عدياً وهو مهلهل بعد انهزام الناس وهو لا يعرفه

فقال له : دأني على المهلهل . قال : ولي دمي . قال : ولك دمك . قال :

ولي ذمتك وذمة ابيك . قال : نعم ذلك لك . قال : فانا مهلهل .

قال : دأني على كفؤ لبجير . قال : لا اعلمه الا امرء القيس بن أبان

هذاك علمه . فجز ناصيته وقصد قصد امرئ القيس فشد عليه فقتله .

فقال الحرث في ذلك :

لَهْفَ نَفْسِي عَلَى عَدِيٍّ وَلَمْ أَعْرِفْ مِ عَدِيًّا إِذِ امْكَنْتَنِي الْيَدَانِ

طَلَّ مِنْ طَلٍّ فِي الْحُرُوبِ وَلَمْ أُوتِرْ مِ بِمَجِيدٍ أَبَاثُهُ ابْنُ أَبَانَ

فارس يضرب الكتبية بالسيف م وتسمو أمامه العينان

(قال مقاتل) وشد عليهم جحدر فاعتوره عمرو وعامر التغليان . فطعن

عمراً بعالية الرمح وطعن عامراً بسافلته فقتلها عداء^(٣) وجاء بيزهما .

(قال) وقتل جحدر أيضاً أبا مكثف . (قال مقاتل) فلما رجع مهلهل

بعد الوقعة والاسر الى اهله جعل النساء والولدان يستخبرونه تسأل

الكاملة . والاعزل الذي لا سلاح معه (١) البزة والبزة السلاح التام

(٢) اي اصرفوا وجوهها الي (٣) قتلها عداء اي موالة الواحد اثر الآخر

المرأة عن زوجها وابيها واخيها والغلام عن أبيه واخيه . فقال :

ليس مثلي من يخبر الناس عن آ
لم أرم عرصة الكتبية حتى
عرفته رماح بكر فمياً
غلبونا ولا محالة يوماً

بأهم قتلوا وينسى القتالا
انثعل الورذ من دماء نعالا
خذن الا لبآتِه والقذالا
يقلب الدهر ذاك حالاً فحالاً

ثم خرج حتى لحق بأرض اليمن فكان في جنب . فخطب اليه أحدهم

بنته . فأبى ان يفعل . فاكرهوه فانكحها اياه . فقال في ذلك مهلهل :

أنكحها فقدّها الارام في
لو بأبانين جاء . ينخطبها
أصبحت لا منفساً اصبت ولا
هان على تغلب بما لقيت
ليسوا باكفائنا الكرام ولا
جنب وكان الجباء من آدم
ضرج ما انف خاطب بدم
أبت كرمياً حراً من الندم
اخت بني المالكين من جشم
يفنون من عيلة ولا عدم

ثم ان مهلهلاً انحدر فاخذه عمرو بن مالك بن ضبيعة . فطلب اليه

اخواله بنو يشكر (وام مهلهل المرادة بنت ثعلبة بن جشم بن عبد

اليشكرية واختها امية بنت ثعلبة حي من وائل وكان المجمل بن ثعلبة

خالهما) فطلب الى عمرو ان يدفعه اليه فيكون عنده . ففعل . فسقاه

خمرًا فلما طابت نفسه تغنى : « طفلة ما ابنة المجمل بيضاء » حتى فرغ

من القصيدة . فأدى ذلك من سمعه من المهلهل الى عمرو . فحوّله اليه

واقسم ان لا يذوق عنده خمرًا ولا ماء ولا لبناً حتى يرد ربيب الهضاب

(جل له كان اقل وروده في الصيف الخمس) . فقالوا له يا خير الفتيان

أرسل الى ربيب فلتوت به قبل وروده . ففعل فأوجره ذنوباً من ماء .

فلما تحلل من يمينه سقاه من ماء الحاضرة وهو اوبأ ماء رأيتُه فات .
 (قال مقاتل) ولم يقاتل معنا من بني يشكر ولا من بني لجم ولا ذهل
 ابن ثعلبة غير ناس من بني يشكر وذهل قاتلت بأخرة . ثم جاء ناس من
 لجم يوم قضة مع الفند . وفي ذلك يقول سعد بن مالك :

ان لجياً قد ابت كلها ان يرفدونا رجلاً واحدا
 ويشكر اضحت على نأيا لم تسمع الآن لها حامدا
 ولا بنو ذهل فقد اصبحوا بها حلولا خلقاً ماجدا
 القائدي الحيل لأرض العدا والضاربين الكوكب الوافدا
 وقال البكري :

وصدَّت لجم للبراءة اذ رأت أهاضيب موت تطر الموت . عضلا
 ويشكر قد مالت قديماً وارتعت ومنت بقرباها اليهم لتوصلا
 قال مهلهل يصف هذه الايام :
 أليتنا بذي حُم أنيري اذا أنت انقضيت فلا تحوري
 فان يك بالذئاب طال ليلى فقد ابكي من الليل القصير
 فلو نبش المقابر عن كليب فيعلم بالذئاب اي زير^(١)
 بيوم الشمسين^(٢) اقر عيناً وكيف لقاء من تحت القبور
 واني قد تركت بواردات^(٣) أُجيراً في دم مثل العبير

(١) الزير الذي يجب محادثة النساء قيل له ذلك لكثرة زيارته لهن
 (٢) الشعثان شعث وعبد شمس ابنا معاوية بن عامر بن ذهل بن ثعلبة قُتلا
 يوم واردات . واردة عن يسار طريق مكة وانت قاصدها . ويوم واردات
 بين بكر وتغلب قتل فيه بجير بن الحرث بن عباد

هتكت به بيوت بني عباد
 على ان ليس يوفى من كليب
 وهمام بن مرة قد تركنا
 ينوء بصدرة والرمح فيه
 فلولا الريح أسمع من مجبر
 فدى لبني شقيقة يوم جاؤوا
 كأن رماحهم أشطان بئر
 غداة كأننا وبني أينا
 تظل الخيل عاكفة عليهم
 وبعض الغنم اشفى للصدور
 اذا برزت مخبأة الخدور
 عليه القشمان^(١) من النسور
 ويخلجه خدب^(٢) كالبعير
 صليل البيض تُقرع بالذكور^(٣)
 كأسد الغاب لجت في الزبير
 بعيد بين جاليها جرور^(٤)
 مجنب عنيزة رحيا مدير
 كأن الخيل تُرحض في غدير

القتلى في حرب البسوس

قال عامر بن عبد الملك : لم يكن بينهم من قتلى تُعدُّ ولا تُذكر
 الا ثمانية نفر من تغلب واربعة من بكر عددهم مهلهل في شعره .
 والدليل على ان القتلى كانوا قليلا ان آباء القبائل هم الذين شهدوا تلك
 الحروب . فعُدُّوهم وُعدُّوا بنهم وبني بنهم فان كانوا خمسمائة فقد
 صدقوا . فكم عسى ان يبلغ عدد القتلى والقبائل . فقال مسمع : ان
 أخي مجنون وكيف يحتج بشعر المهلهل وقد قتل جحدر أبا مكثف يوم

(١) القشمان والقشمان المُسن (٢) خدب ضخم (٣) الذكور السيوف

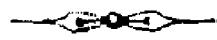
(٤) الاشطان الحبال والجال جدار البئر والجرور البعيدة القعر لان دلوها

يجر على شفيرها لبعدها قعرها

قِصَّة فلم يذكره في شعره . وقتل اليشكري ناشرة فلم يذكره في الشعر .
 وقتل حبيب يوم واردات . وقتل سعد بن مالك يوم قصة ابن القبيصة
 فلم يذكر . فهولا . اربعة . وقال البكري :
 تركنا حبياً يوم أرجف جمعه صريعاً بأعلى واردات مجدلاً
 وقال مهلهل ايضاً :

لست ارجو لذة العيش ما أزمتم أجلاذ قِداً^(١) بساقي
 جملوني جلدَ حرفٍ^(٢) فقد جعلوا نفسي عند التراقي
 وقال آخر يوم واردات :

ومهرق الدماء بواردات تبيد المغزيات وما تبيد
 فقلت لعامر : ما بال مسمع وما احتج به من هولاء . الاربعة . فقال عامر :
 وما اربعة ان كنت لأعقلهم فيما يقولون انهم قتلوا يوم كذا وكذا ثلاثة
 آلاف ويوم كذا وكذا اربعة آلاف . والله ما اظن جميع القوم كانوا
 يومئذ الفأ . فهاتوا فعدوا اسماء القبائل وابنائهم وأنزلوا أبناء ابنائهم
 فكم عسى ان يكونوا



مقتل جسّاس

حدّث ابو عبيدة أن آخر من قُتل في حرب بكر وتغلب جسّاس
 ابن مرّة بن ذهل بن شيان وهو قاتل كليب بن ربيعة وكانت اخته

(١) اي عضّ القدّ بساقي ويريد باجلاد القدّ القدّ عينه

(٢) الحرف الضامرة الصلبة من الابل

امرأة كليب . فقتله جساس وهي حامل فرجعت الى اهلها ووقعت
الحرب فكان من الفريقين ما كان . ثم صاروا الى المواعدة بعد ما كادت
القبيلتان تتفانيان . فولدت اخت جساس غلاماً سمته الهجرس رباه
جساس فكان لا يعرف أباً غيره . فزوجه ابنته فوقع بين الهجرس وبين
رجل من بني بكر بن وائل كلام . فقال له البكري : ما انت بنته
حتى نلحقك بأبيك . فأمسك عنه ودخل الى امه كئيباً . فسألته عما
به . فأخبرها الخبر . فلما اوى الى فراشه ونام تنفس تنفسه أحست منها
امرأته لهيب نار فقامت فزعة قد اقلتها رعدة^(١) حتى دخلت على ابوها
فقصت عليه قصة الهجرس . فقال جساس : نأثر ورب الكعبة . وبات
جساس على مثل الرضف^(٢) حتى أصبح فأرسل الى الهجرس فأثاه .
فقال له : انما انت ولدي ومني بالمكان الذي قد علمت وقد زوجتك
ابنتي وانت معي وقد كانت الحرب في أبيك زماناً طويلاً حتى كدنا
نتفاني وقد اصطلحنا وتحاجزنا وقد رأيت ان تدخل فيما دخل فيه الناس
من الصلح وان تنطلق حتى نأخذ عليك مثل ما أخذ علينا وعلى قومنا .
فقال الهجرس : انا فاعل ولكن مثلي لا يأتي قومه الا بلائمه وفرسه .
فحمله جساس على فرس وأعطاه لأمة ودرعاً . فخرجا حتى أتيا جماعة
من قومها فقص عليهم جساس ما كانوا فيه من البلاء . وما صاروا اليه
من العافية ثم قال : وهذا الفتى ابن اختي قد جاء ليدخل فيما دخلتم فيه
ويعقد فيما عقدتم . فلما قربوا الدم وقاموا الى العمد اخذ الهجرس بوسط

(١) اقلتها رعدة اخذها رعدة

(٢) الرضف الحجارة المحماة بالنار

رحمه ثم قال : وفرسي واذنيه ورحمي ونصليه وسيفي وغراريه^(١) لا
يترك الرجل قاتل ابيه وهو ينظر اليه . ثم طعن جساساً قتلته ثم لحق
بقومه . فكان آخر قتيل في بكر بن وائل

يوم أواراة *

كان من حديث يوم اواراة ان عمرو بن المنذر بن ماء السماء^(٢) كان
عاقداً لهذا الحي من طي على ان لا يثازعوا ولا يفاخروا ولا يفزوا . وان
عمرو بن هند غزا اليمامة فرجع مُنفِضاً فمر بطي . فقال له زُرارة بن
عُدُس بن زيد بن عبد الله بن دارم الحنظلي : أبيت اللعن أصب من
هذا الحي شيئاً . قال له : ويحك ان لهم عقداً . قال : وان كان . فلم
يزل به حتى أصاب نسوة واذواداً . فقال في ذلك الطائي وهو قيس بن
جروة أحد الاجنبيين . قال :

الأحي قبل البين من أنت عاشقه ومن أنت مشتاق إليه وشائقه
ومن لا تواتي داره غير فينة^(٣) ومن أنت تبكي كل يوم تفارقه
وتعدو بصحراء الثوية ناقتي كعدو النحوص قد امحّت نواهقه^(٤)

(١) غرار السيف حدّه

(* اواراة اسم ماء او جبل لبني قيم بناحية البحرين (٢) ويقال له
مُضْرَط الحجارة وامنّه هند ابنة الحرث الملك ابن عمرو المقصور بن حجر آكل
المُرار (٣) اي لا تأتي داره الا ساعة (٤) النحوص الاتان الوحشية .
امخّ العظم صار فيه مخ . والنواهي عظام في الساق . وفي غير هذا المكان
ما يكتنف الخياشيم من الدابة . والمعنى اخا سبينة .

الى الملك الخير ابن هند تزوره
 وأن نساء غير ما قال قائل
 ولو زيل في عهد لنا لحم ارنب
 فبك ابن هند لم تعك امانة
 وكنا اناسا خافضين بنعمة
 فأقسمت لا احتل إلا بصهوة
 وأقسم جهداً بالمنازل من منى
 لأن لم تغير بعض ما قد فعلتم
 فسمي عارقاً بهذا البيت . فبلغ هذا الشعر عمرو بن هند . فقال له زيارة
 ابن عدس : أبيت اللعن انه يستوعدك . فقال عمرو بن هند لثرملة بن
 شعاع الطائي وهو ابن عم عارق : أيهجوني ابن عمك ويتوعدني . قال :
 والله ما هجالك ولكنه قد قال :

والله لو كان ابن جفنة جاركم
 وسلاسلاً يبرقن في أعناقكم
 ما ان كسام غضة وهو انا
 واذا لقطع بلكم الاقرانا^٨

- (١) اي ليس هذا عند ابن هند مما يفوت عارقاً ويسبقه (٢) المارق
 الصحائف جمع مَهْرَق وهو حرير ابيض يُسقى صمغاً ويُصقل ثم يكتب فيه
 (٣) اي متعلق بدمتك (٤) تلح جمع تلعة وهو ما انخفض من الارض
 وما ارتفع وهو من الاضداد . ابارق جمع ابرق وهي ارض مختلطة بججارة ورمل
 (٥) صهوة كل شيء اعلاه . الشقائق قطع غلاظ بين حبال الرمل واحدها
 شقيقة . (٦) منى موضع بمكة . الدرادق صغار الابل
 (٧) ذو بمعنى الذي عرق العظم انتزع اللحم منه . يقول : لأقصدن كسر
 العظم الذي صرت اعرقه (٨) الاقران الحبال

ولكان غارته على جيرانه ذهباً وريطاً رادعاً^(١) وجفانا
وانما اراد ثرملة أن يُذهب سخيمته . فقال . والله لاقتلته . فبلغ ذلك
عارقاً فأنشأ يقول :

مَنْ مُبْلَغٌ عمرو بن هند رسالة

إذا استحقبتها العيسُ تُنضَى على البعد^(٢)

أبوعدني والرمالُ بيني وبينه تبينَ رويداً ما أمانةٌ من هندِ
ومن أجابِ دُوني رِعانٌ كأنها قنابلٌ^(٣) خيلٌ من كَيْتٍ ومن وردِ
غدرتَ بأمرٍ أنتَ كنتَ احتديتنا إليه^(٤) وشرُّ الشيمةِ الغدرُ بالعهدِ
فقد يتركُ الغدرُ الفتى ودأمانه إذا هو أمسى حلبةً من دمِ القُصدِ
فبلغ عمرو بن هند شعره هذا فغزا طيئاً فأسر اسرى من طيئ بن أخزم
وهم رهط حاتم بن عبدالله فيهم رجل من الاجنيين يقال له قيس بن
جحدر وهو جد الطرمّاح بن حكيم وهو ابن خالة حاتم . فوفد حاتم
فيهم الى عمرو بن هند وكذلك كان يصنع فسأله اياهم فوهبهم له الا
قيس بن جحدر لانه كان من الاجنيين من رهط عارق . فقال حاتم :

فكُنتَ عدياً كلّها من إسارها فأنعمِ وشفّني بقيسِ بن جحدرِ
أبوه أبي والأمهات أمهاتنا فأنعمِ فدثك اليوم نفسي ومشري
فأطلقة . (قال) وبلغنا ان المنذر بن ماء السماء وضع ابناً له صغيراً ويقال
بل كان اخاً له صغيراً يُقال له مالك عند زرارة . وانه خرج ذات يوم

(١) الرادع المصبوغ بالزعفران (٢) اي اذا حملتها الابل هزلت لبعده المسافة

(٣) رعان جمع رَعْن وهو انف يتقدّم الجبل . (القنابل الجماعات من الخيل

(٤) احتدى من الحدو السوق

يتصيد فأخفق ولم يُصب شيئاً . فرجع فمرّ بإبل لرجل من بني عبد الله ابن دارم يُقال له سُويد بن ربيعة بن زيد بن عبد الله بن دارم . وكانت عند سويد ابنةُ زرارة بن عدس فولدت له سبعة غلّمة . فأمر مالك بن المنذر بناقاة سمينة منها فنحرها ثم اشتوى وسويدٌ نائم . فلما انتبه شدّ على مالك بعضاً فضربه بها فأتمه ومات الغلام . وخرج سويد هارباً حتى لحق بمكة . وعلم انه لا يأمن فحالف بني نوفل بن عبد مناف واختط بمكة^(١) . وكانت طي تطلب عثرات زرارة وبني أبيه حتى بلغهم ما صنعوا باخي الملك فأنشأ عمرو بن ثعلبة بن مَلَقَط الطائي يقول :

من مبلغٌ عمراً بأن المرء لم يُخلَقْ صِبَاةً^(٢)
 وحوادثُ الأيامِ لا تبقى لها إلا الحجارة
 انَّ ابنَ عَجْزَةَ^(٣) أمه بالسفحِ أسفلَ من أواره
 تسفي الرياحُ خلاله سحياً وقد سلبوا إزاره
 فاقتل زرارة لا أرى في القوم أفضلَ من زراره

فلما بلغ هذا الشعر عمرو بن هند بكى حتى فاضت عيناه . وبلغ الخبر زرارة فهرب . وركب عمرو بن هند في طلبه فلم يقدر عليه . فأخذ امرأته وهي حبلى فقال : أذكرُ في بطنك ام انثى . قالت : لا علم لي بذلك . قال : ما فعل زرارة الفاجر . قالت : ان كان ما عَلِمْتَ الطيب العرق . السمين المرق . وياكل ما وجد . ولا يسال عما فقد . لا ينام ليلة يخاف . ولا يشبع ليلة يُضاف . فبقر بطنها . فقال قوم زرارة لزرارة :

(١) اختط بمكة استملك فيها (٢) الصبارة الحجارة الملس

(٣) اول ولد المرأة يقال له زكوة والآخر عجزة

والله ما قتلت أخاه فائت الملك فأصدقه الخبر . فاتاه زرارة فأخبره الخبر .
 فقال : جئني بسويد . فقال : قد لحق بمكة . قال فلي بينيه السبعة
 وأمهم بنت زرارة غلمة بعضهم فوق بعض . فأمر بقتلهم . فتناولوا
 أحدهم فضربوا عنقه . وتعلق بزرارة الآخرون فتناولوهم . فقال زرارة :
 يا بعضي دَعُ بعضاً فذهبت مثلاً . وقتلوا . وآلى عمرو بن هند بألثة
 ليحرقن من بني حنظلة مائة رجل . فخرج يريدهم وبعث على مقدمته
 الطائي عمرو بن ثعلبة بن عتاب بن مَلَقَط . فوجدوا القوم قد نذروا .
 فأخذوا منهم ثمانية وتسعين رجلاً بأسفل أواره من ناحية البحرين
 فحبسهم . ولحقه عمرو بن هند حتى انتهى الى اواره فضربت قلبه .
 فأمر لهم بأخدود فحفر لهم ثم أضرمه ناراً . فلما احتدمت وتلظت قذف
 بهم فيها فاحترقوا^(١) . واقبل راكب من البراجم^(٢) وهم بطن من
 بني حنظلة عند المساء . ولا يدري بشيء مما كان يُوضع له بعيده^(٣) .
 فاناخ : فقال له عمرو بن هند : ما جاء بك . قال : حب الطعام قد
 أقوى^(٤) ثلاثاً لم اذق طعاماً . فلما سطع الدخان ظننته دخان طعام .
 فقال له عمرو بن هند : ممن انت . قال : من البراجم . قال عمرو : ان
 الشقي وافد البراجم فذهبت مثلاً . ورمى به في النار فهجت العرب تيمناً

(١) ولذا سمّت العرب عمرو بن هند محرّقاً

(٢) البراجم خمسة رجال من بني تميم قيس وعمرو وغالب وكلفة وظلم
 بنو حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم اجتمعوا وقالوا : نحن كبراجم الكف
 فغلب عليهم والبراجم لغة رؤوس السلاميات من ظهر الكف اذا قبض الشخص
 كفه نشزت وارتفعت الواحدة بُرْجُمة (٣) اوضع البعيرُ اسرع في سيره .
 اوضع البعيرَ جعله يسرع في سيره (٤) أقوى الرجل تقيد طعامه

بذلك . فقال ابن الصِّعق العامري قوله :

الا أبلغ لديك بني تميم بآية ما يُحِبُّون الطعاما

وأقام عمرو بن هند لا يرى احداً . فقيل له : أبيت اللعن لو تحللت بامرأة منهم فقد أحرقت تسعة وتسعين رجلاً . فدعا بامرأة من بني حنظلة فقال لها : من أنتِ . قالت : أنا الحمراء بنت ضمرة بن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم . فقال : اني لأظنك أعجمية . فقالت : ما انا باعجمية ولا ولدتني العجم

اني لآنتُ ضمرة بن جابر ساد معداً كبيراً عن كبير
اني لأختُ ضمرة بن ضمره اذا البلاد لُفِعت بجمره^(١)

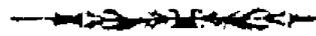
قال عمرو : أما والله لولا مخافة ان تلدي مثلك لصرفتك عن النار . قالت : أما والذي أسأله أن يضع وسادك . ويخفف عمادك . ويسلبك ملكك ما قتلت إلا نساء ذوات ميسم^(٢) ودين . قال : اذفوها في النار . فالتفت فقالت : ألا فتى يكون مكان عجوز . فلما ابطأوا عليها قالت : كان الفتيان حمى فذهبت مثلاً . فأحرقت . وكان زوجها يقال له هوزة بن جلول بن نهشل بن دارم . فقال لقيط بن زرارة يعير بني مالك بن حنظلة في أخذ من أخذ منهم الملك وقتله اياهم ونزولهم معه :

لمن دمنة^(٣) اقفرت بالجنايب الى السفح بين الملا بالهضاب
بصكيت لعرفان آياتها وهاج لك الشوق نعب الغراب

فَأَبْلَغُ لَدَيْكَ بَنِي مَالِكٍ مَتَلْفَلَةٌ وَسِرَاةَ الرَّيَابِ
فَإِنَّ أَمْرًا أَنْتُمْ حَوْلُهُ تَجُفُونَ قَبْتَهُ بِالْقَبَابِ
يُهَيِّنُ سِرَاتِكُمْ عَامِدًا وَيَقْتَلِكُمْ مِثْلَ قَتْلِ الْكِلَابِ
فَلَوْ كُنْتُمْ إِبِلًا أَمَلَحْتَ^(١) لَقَدْ كَرَعْتَ لِلْمِيَاهِ الْعَذَابِ
وَلَكِنَّكُمْ غَنَمٌ تَصْطَفِي وَيُتْرَكُ سَائِرُهَا الْمَذَابِ
لَعَمْرُ أَبِيكَ أَبِي الْخَيْرِ مَا أَرَدْتَ بِقَتْلِهِمْ مِنْ صَوَابِ
وَلَا نِعْمَةٌ أَنْ خَيْرَ الْمَلُو كَأَفْضَلِهِمْ نِعْمَةٌ فِي الرِقَابِ

وفيهما يقول الطرمّاح بن حكيم ويذكر هذا :

وَاسْأَلْ زُرَّارَةَ وَالْمَأْمُونَ مَا فَعَلْتُ قَتَلِي أَوَارَةَ مِنْ رَعْلَانَ وَاللُدْدِ
وَدارمًا قَدْ قَتَلْنَا مِنْهُمْ مِائَةً فِي جَاحِمِ النَّارِ^(٢) إِذْ يُلْقَوْنَ بِالْخُدِّ
يَنْزُونَ بِالْمَشْتَوَى مِنْهَا وَيُوقِدُهَا عَمْرُوٌ وَلَوْلَا شُحُومُ الْقَوْمِ لَمْ تَقْدِرِ
فَلَمَّا حَضَرَ زُرَّارَةَ الْمَوْتَ جَمَعَ بَنِيهِ وَأَهْلَ بَيْتِهِ ثُمَّ قَالَ : أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ لِي عِنْدَ
أَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ وَتَرٌّ إِلَّا وَقَدْ أَدْرَكْتَهُ غَيْرَ تَحْضِيضِ الطَّائِي مِلْقَطِ الْمَلِكِ
عَلَيْنَا حَتَّى صَنَعَ مَا صَنَعَ . فَأَيُّكُمْ يَضْمَنُ لِي طَلَبَ ذَلِكَ مِنْ طِي .
قَالَ عَمْرُو بْنُ عَمْرُو بْنِ عَدَسِ بْنِ زَيْدٍ : أَنَا لَكَ بِذَلِكَ يَا عَمْرُو . وَمَاتَ
زُرَّارَةُ . فَغَزَا عَمْرُو بْنُ عَمْرُوٍ جَدِيلَةَ بْنَ طِيٍّ فَفَاتَوْهُمْ . وَأَصَابَ نَاسًا مِنْ
بَنِي طَارِيفِ بْنِ مَالِكٍ وَطَارِيفِ بْنِ عَمْرُو بْنِ ثُمَامَةَ وَقَالَ فِي ذَلِكَ شِعْرًا



(١) أَمَلَحَتْ وَرَدَتْ مَاءً مِلْحًا (٢) يُقَالُ : الْمَنَارُ جَاحِمٌ أَي تَوْقِدُ

وَالنَّهَابِ . وَيُقَالُ لِلنَّارِ الشَّدِيدَةِ الْجَحِيمِ

لقيط بن زرارة

كان زرارة بن عدس بن زيد رجلاً شريفاً . فنظر ذات يوم الى ابنه لقيط رأى منه خيلاً، ونشاطاً وجعل يضرب غلمانة وهو يومئذ شاب . فقال له زرارة : لقد اصبحت تصنع صنيعاً كأننا جئتني بمائة من هيجان ابن المنذر بن ماء السماء . أو تزوجت بنت ذي الجدين بن قيس بن خالد . قال لقيط : لله علي أن لا يمس رأسي غسل ولا آكل لحماً ولا اشرب خمراً حتى اجمعهما جميعاً او اموت . فخرج لقيط ومعه ابن خال له يقال له القراد بن اهاب . وكلاهما كان شاعراً شريفاً . فسارا حتى اتيا بني شيبان فسلبا على ناديمهم . ثم قال لقيط : أفيكم قيس بن خالد ذي الجدين وكان سيد ربيعة يومئذ . قالوا : نعم . قال : فأيكم هو . قال قيس : أنا قيس فما حاجتك . قال : جئتك خاطباً ابنتك . وكانت على قيس عين ان لا يخطب اليه أحد ابنته علانية الا اصابه بشر وسَمِعَ به^(١) . فقال له قيس : ومن أنت . قال : انا لقيط بن زرارة بن عدس ابن زيد . قال قيس : عجباً منك يا ذا القصة هلاً كان هذا بيني وبينك . قال : لم ياعم فوالله انك لرغبة وما بي من نضاة^(٢) ولئن ناجيتك لا أخذعك . ولئن عالنتك لا افضحك . فاعجب قيساً كلامه وقال : كفوة كريم . اني قد زوجتك ومهرتك مائة ناقة ليس فيها مصابرة ولا ناب ولا كزوم^(٣) . ولا تبيت عندنا عزباً ولا محروماً . ثم ارسل الى ام الجارية : اني قد زوجت لقيط بن زرارة ابنتي القدور فأصنعها واضربي لها ذلك

(١) اي فضحه وشتمه (٢) اي ما بي عار (٣) الناب المسنة والكزوم الهرمة

البلق فان لقيط بن زرارة لا يبيت فينا عزباً . وجلس لقيط يتحدث معهم . فذكروا الغزو فقال لقيط : أما الغزو فأرداها للقاح وأهزها للجمال . واما المقام فأسمنها للجمال وأحبها للنساء . فاعجب ذلك قيساً . وامر لقيطاً فذهب الى البلق فجلس فيه . وبعث اليه ام الجارية بمجرة ومجنور وقالت للجارية : اذهبي بها اليه فوالله لئن ردها ما فيه خير . فلما جاءته الجارية بالمجرة بمجر شعره ولحيته ثم ردها عليها . فلما رجعت الجارية اليها خبرتها بما صنع . فقالت : انه لخليق للخير . فلما امسى لقيط أهديت الجارية اليه . فمازحها بكلام اشمازت منه فنام وطرح عليه طرف خميصة فلما استنقل انسلت فرجعت الى امها . فانته لقيط فلم يرها . فخرج حتى اتى ابن خاله قراداً وهو في أسفل الوادي . فقال : ارحل بعيرك واياك ان يُسمع رغاؤها . فتوجهها الى المنذر بن ماء السماء . واصبح قيس ففقد لقيطاً . فسكت ولم يدري ما الذي ذهب به . ومضى لقيط حتى أتى المنذر فأخبره ما كان من قول أبيه وقوله . فاعطاه مائة من هجائه . فبعث بها مع قراد الى أبيه زرارة . ثم مضى الى كسرى فكساه واعطاه جوهراً . ثم انصرف لقيط من عند كسرى فاتى اياه فأخبره وأقام يسيراً . ثم خرج هو وقراد حتى جاءا محلة بني شيبان فوجداهم قد انتجعوا . فخرجوا في طلبهم حتى وقعا في الرمل فقال لقيط :

انظر قراداً وهاتا نظرة جزعاً عرض الشقائق هل بينت اظمانا
 فين أترجة نضح العبير بها تكسى ترائبها شذراً ومرجانا

فخرجوا حتى اتيا قيس بن خالد فجهزها ابوها . فلما ارادت الرحيل قال لها : يا بنية كوني لزوجك أمة يكن لك عبداً . وليكن اكثر طيبك

الما . فانك انما يذهب بك الى الأعداء . وارك ان ولدت فستلدين لنا
غيتاً طويلاً . واعلمي ان زوجك فارس مضر وانه يوشك ان يقتل أو
يموت فلا تخشي عليه وجهاً ولا تحلقي شعراً . قالت له : اما والله لقد
ربيتني صغيرة وأقصيتني كبيرة . وزودتني عند الفراق شر زاد . وارتحل
بها لقيط فجمعت لا تمر بجي من العرب الا قالت : يا لقيط أهولاً .
قومك . فيقول : لا . حتى طلعت على محلة بني عبدالله بن دارم فرأت
القياب والحيل العراب قالت : يا لقيط أهولاً . قومك . قال : نعم . فاقام
اياماً يطعم وينحر . فاقامت عنده حتى قتل يوم جيلة . فبعث اليها أبوها
أخاً لها فحملت . فلما ركبت اقبلت حتى وقفت على نادي بني عبدالله بن
دارم فقالت : يا بني دارم أوصيكم بالغرائب خيراً . فوالله ما رايت
مثل لقيط لم تخش عليه امرأة وجهاً ولم تحلق عليه شعراً . فلولا اني
غريبة لخمشت وحلقت . فحجب الله بين نسايتكم . وعادى بين
رعائكم . فاثنوا عليها خيراً . ثم مضت حتى قدمت على أبيها فزوجها
من قومه . فجعل زوجها يسمها تذكر لقيطاً وتحزن عليه . فقال لها :
اي شيء رأيت من لقيط احسن في عينك . قالت : خرج في يوم دجن
وقد تطيب وشرب . فطرد البقر فصرع منها ثم اتاني وبه نضح دم .
فلم ار منظرًا كان احسن من لقيط . فكث عنها حتى كان يوم دجن
شرب وتطيب . ثم ركب فطرد البقر . ثم اتاها وبه نضح دم والطيب
وريح الشراب فقال لها : كيف ترين انا احسن أم لقيط . فقالت : ما
ولا كصداء ومرعى ولا كالسعدان فذهبت مثلاً^١

(١) صداء ركية لير في الارض اطيب منها . والسعدان من اطيب وانجم المرعى

تحاكم تغلب وبكر عند عمرو بن هند

ذكر ابن الكلبي عن أبيه أن الصلح كان بين بكر وتغلب عند المنذر بن ماء السماء . وكان قد شرط أي رجل وُجد قتيلاً في دار قوم فهم ضامنون لدمه . وان وجد بين محلتين قيس ما بينهما فينظر أقربهما إليه فتضمن ذلك القتيل . وكان الذي ولي ذلك واحتمى لبني تغلب قيس بن شراحيل بن مرة بن همام . ثم ان المنذر اخذ من الحيتين اشرفهم وأعلامهم فبعث بهم الى مكة . فشرط بعضهم على بعض وتوافقوا على ان لا يُبقي واحد منهم لصاحبه غائلة^(١) ولا يطلبه بشيء . مما كان من الآخر من الدماء . وبعث المنذر معهم رجلاً من بني تميم يقال له العلاق . وفي ذلك يقول الحرث بن حنظلة :

فهلأ سميت لصلح الصديق	كصلح ابن مارية الاقصر ^(٢)
وقيس تدارك بكر العراق	وتغلب من شرها الاعظم
وبيت شراحيل في وائل	مكان الثريا من الأنجم
فأصلح ما أفسدوا بينهم	كذلك فعل الفتى الأكرم

فلبثوا كذلك ما شاء الله وقد أخذ المنذر من الفريقين رهناً باحدائهم فمضى التوى احد منهم بحق صاحبه أقاد من الرهن . فسرح النعمان بن المنذر ركباً من بني تغلب الى جبل طي في أمر من امره . فزلوا بالطرفة وهي لبني شيان وتيم اللات . فذكروا انهم أجلوهم عن الماء وحملوهم

(٢) ابن مارية هو قيس بن شراحيل

(١) الغائلة الخقد الباطن

والاقصر هو الذي انقصت ثيبته من النصف

على المفازة فمات القوم عطشاً . فلما بلغ ذلك بني تغلب غضبوا وأتوا
 عمرو بن هند فاستعدوه على بكر وقالوا : غدرتم ونقضتم العهد وانتهكتم
 بالحرمة وسفكتم الدماء . وقالت بكر : أنتم الذين فعلتم ذلك قدفتموننا
 العضيبة وسمّتم الناس بها^(١) وهتكتم الحجاب والستر بادعائكم
 وباطل علينا . قد سقيناهم اذ وردوا وحملناهم على الطريق اذ خرجوا .
 هل علينا اذ حار القوم وضلوا . ويصدق ذلك قول الحرث بن حنزة :
 لم يغروكم غروراً ولكن يرفع الآل جرمهم والضحاء^(٢)
 قال ابو عمرو الشيباني : أن عمرو بن هند الملك وكان جباراً عظيم الشأن
 والملك لما جمع بكرًا وتغلب ابني وائل وأصلح بينهم أخذ من الحيين
 رهناً من كل حي مائة غلام ليكف بعضهم عن بعض . فكان اولئك
 الرهن يكونون معه في مسيره ويغزون معه . فأصابتهم سُموم في بعض
 مسيرهم فهلك عامة التغلبيين وسام البكريون . فقالت تغلب لبكر :
 أعطونا ديات أبنائنا فان ذلك لكم لازم . فأبت بكر بن وائل .
 فاجتمعت تغلب الى عمرو بن كاثوم وأخبروه بالقصة . فقال عمرو : أرى
 والله الامر سينجلي عن أحمr أصلح أصم^(٣) من بني يشكر . فجاءت
 بكر بالنعمان بن هرم أحد بني ثعلبة بن غنم بن يشكر . وجاءت تغلب
 بعمرو بن كاثوم . فلما اجتمعوا عند الملك قال عمرو بن كاثوم للنعمان

(١) العضيبة الافك والبهتان . سمّتم الناس بها اي شيعتموها بين الناس

(٢) الآل السراب . الجرم الجسم . الضحاء وقت ارتفاع النهار . يريد ان

السراب جعلهم يضلّون (٣) اصلح اصم كاصم اصلح . والاصلح

الاصم . اذا بالفوا بالاصم قالوا اصم اصلح

ابن هرم : يا أحم جاءت بك اولاد تعلبة تناضل عنهم وهم يفخرون عليك . فقال النعمان : وعلى من أظلت السماء كلها يفخرون ثم لا يُنكر ذلك . فقال عمرو بن كلثوم له : أما والله لو لطمتك لطمه ما أخذوا لك بها . فقال له النعمان : والله لو فعلت ما أفنت بها قيس ابن ابيك . فغضب عمرو بن هند وكان يُؤثر بني تغلب على بكر فقال : يا حارثة أعطه خناً بلسان أنثى اي شبيه بلسانك . فقال : ايها الملك أعط ذلك أحب اهلك اليك . فقال : يا نعمان أيسرك اني ابوك . قال : لا ولكن وددت انك أمي . فغضب عمرو بن هند غضباً شديداً حتى هم بالنعمان . وقام الحرث بن حلزة فارتجل قصيدته المشهورة ارتجالاً تركاً على قوسه وانشدها واقتطم^(١) كفه وهو لا يشعر من الغضب حتى فرغ منها . (قال ابن الكلبي) أنشد الحرث عمرو بن هند هذه القصيدة وكان به وضوح^(٢) . فقيل لعمرو بن هند : ان به وضوحاً . فأمر ان يُجعل بينه وبينه ستر . فلما تكلم أعجب بنطقه . فلم يزل عمرو يقول : أدنوه أدنوه حتى أمر بطرح الستر واقعده معه قريباً منه لاجابه به

مقتل عمرو بن هند

مقتل عمرو بن هند

قال ابن الكلبي : حدثني أبي وشرقي بن القطامي وأخبرنا ابراهيم ابن ايوب عن ابن قتيبة ان عمرو بن هند قال ذات يوم لندمائه : هل تعلمون احداً من العرب تأنف أمه من خدمة أمي . فقالوا : نعم أم

عمرو بن كلثوم . قال : ولم . قالوا : لأنَّ اباهَا مهلهل بن ربيعة وعمها
كليب بن وائل اعزَّ العرب وبعلمها كلثوم بن مالك أفرس العرب وابنها
عمرو وهو سيد قومه . فارسل عمرو بن هند الى عمرو بن كلثوم يستأيره
ويسأله ان يُزيّر أمه أمه . فأقبل عمرو من الجزيرة الى الحيرة في جماعة
بني تغلب . وأقبلت ليلى بنت مهلهل في ظعن من بني تغلب . وأمر عمرو
ابن هند بِرُواقه فضرب فيما بين الحيرة والفرات . وأرسل الى وجوه اهل
مملكته فحضروا في وجوه بني تغلب . فدخل عمرو بن كلثوم على عمرو
ابن هند في رواقه ودخلت ليلى وهند في قبة من جانب الرواق . وكانت
هند عمّة امرئ القيس بن حجر الشاعر . وكانت امّ ليلى بنت مهلهل
بنت أخي فاطمة بنت ربيعة التي هي امّ امرئ القيس وبينهما هذا
النسب . وقد كان عمرو بن هند أمر أمه ان تنحّي الخدم اذا دعا بالطرف
وتستخدم ليلى . فدعا عمرو بائدة ثم دعا بالطرف . فقالت هند : ناوليني
يا ليلى ذلك الطبق . فقالت ليلى : لتقم صاحبة الحاجة الى حاجتها .
فأعادت عليها وألحت . فصاحت ليلى : وا ذلّاه يا لتغلب . فسمعها عمرو
ابن كلثوم فثار الدم في وجهه . ونظر اليه عمرو بن هند فعرف الشرّ في
وجهه . فوثب عمرو بن كلثوم الى سيف لعمرو بن هند معلق بالرواق
ليس هناك سيف غيره فضرب به رأس عمرو بن هند . ونادى في بني
تغلب . فانتهبوا ما في الرواق وساقوا نجائبه وساروا نحو الجزيرة . ففي
ذلك يقول عمرو بن كلثوم :

ألا هَيَّ بِصَحْنِكَ فَاصْبَحِينَا وَلَا تُبْقِي خَمْرَ الْإِنْدَرِينَا^١

(١) الصحن القدح لا بالصغير ولا بالكبير والصَّبُوح شربُ الغداة كما

مشعشة كان الحصى^(١) فيها اذا ما الماء خانطها سخينا
 وكان قام بها خطيباً بسوق عكاظ وقام بها في موسم مكة وبنو تغلب
 تعظمها جداً ورويا صفارهم و كبارهم حتى هجوا بذلك . قال بعض
 شعراء بكر بن وائل :

ألهى بني تغلب عن كل مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم
 يروونها ابداً مذ كان اولهم يا للرجال لشعير غير مسووم
 وقال أفنون بن صريم التغلبي يفخر بفعل عمرو بن كلثوم في قصيدة له :
 لعمرك ما عمرو بن هند وقد دعا لتخدم أمي أمه بموفق
 فقام ابن كلثوم الى السيف مصلياً فأمسك من ندمانه^(٢) بالمخنق
 وجلسه عمرو على الرأس ضربة بذي شطب^(٣) صافي الحديد رونق
 (قال) وكان لعمر بن أخ يقال له مرة بن كلثوم فقتل المنذر بن النعمان
 وأخاه . وإياه عنى الاخطل بقوله لجرير :

أبني كليب ان عمي اللذا قتلا الملوك وفككا الاغلا
 وكان لعمر بن كلثوم ابن يقال له عباد وهو قاتل بشر بن عمرو بن
 عدس . ولعمر بن كلثوم عقب باق ومنهم كلثوم بن عمرو العتابي الشاعر
 صاحب الرسائل



الغبوق شرب العشاء . أندرين اسم قرية بينها وبين حلب مسيرة يوم للراكب

(١) الحصى الورى (٢) الندمان الندم

(٣) الشطب والشطب والشطوب الطرائق التي تكون في متن السيف

اسر عمرو بن كلثوم

أخبر ابن الأعرابي قال . اغار عمرو بن كلثوم التغلبي على بني تميم . ثم مرّ من غزوه ذلك على حي من بني قيس بن ثعلبة فلأ يديه منهم وأصاب أسارى وسبائيا . وكان فيمن أصاب أحمد بن جندل السعدي . ثم انتهى الى بني حنيفة باليمامة وفيهم أناس من عجل . فسمع يا أهل حجر . فكان أول من اتاه من بني حنيفة بنو سحيم عليهم يزيد بن عمرو بن شمر . فلما رأهم عمرو بن كلثوم ارتجز فقال :

من عال^(١) منا بعدها فلا اجتر^(٢) ولا سقى الماء ولا ارعى الشجر
بنو لجم . وجعاسيس مضر^(٣) بجانب الدو^(٤) يدهدون العكر^(٥)
فانتهى اليه يزيد بن عمرو فطعنه فصرعه عن فرسه واسره . وكان يزيد شديدا جسيما فشده في التمد وقال له : انت الذي تقول :

متى نغصد قرينتنا مجبل^(٦) نجد الحبل أو نقص^(٧) القرينا

أما اني ساقرنك الى ناقتي هذه فأطرد كما جميعا . فنادى عمرو بن كلثوم : يا لويعة أمثلة^(٨) . (قال) فاجتمعت بنو لجم فنهوه ولم يكن يريد ذلك به . فسار به حتى اتى قصر^(٩)ا مججر من قصورهم وضرب عليه قبة ونحر له وكساه وحمله على نجييه وسقاه الخمر . فلما اخذت برأسه تغنى :

(١) عال جار ومال . لا اجتر اي لا جبره الله

(٢) جمسوس لثيم الخلقة والخلق . العكر جمع عكرة وهي القطعة من

الابل . يدعون الابل لتجيء الى اولادها بقولهم ده ده (٣) القرينة التي تُقرن

الى غيرها . يقول اذا اقرنا لغيرنا غابناه . نقص ندق عنقه

أجمعَ صُحْبتي السَّحَرَ آرْتَحالا ولم اشْعُرْ بَينَ منكَ هالا
 ولم ارَ مثلَ هالةَ في معدِ اشْبهُ حُسْنها ألا الهلالا
 ألا أبلغُ بني جثمَ بنِ بكرِ وتقلبَ كلَّها نَبأُ جلالا
 يانَ الماجدِ القرمِ ابنَ عمرو غداةَ نَطاعٍ^(١) قد صدقَ القتالا
 كتيبةَ مملمةَ رَداحٍ^(٢) اذا يرمونها تُفني النبالا
 جزى الله الاغرَ يزيدَ خيراً ولقاه المسرةَ والجمالا
 بأخذه ابنَ كلثومَ بنِ عمرو يزيدُ الخيرَ نازلهُ نوالا
 بجمعٍ من بني قرآنَ صيدِ يُجِيلون الطعانَ اذا أجالا
 يزيدُ يقدّمُ الشقراءَ حتى يروي صدرها الاسلَ النهالا

مقتل شاس بن زُهَيْر

قال ابو عبيدة : حدَّثني رجلٌ "يُخَيَّلُ" اليَّ انه ابو يحيى الغنوي قال :
 ورد شاس وقد حباه الملك بجبوة فيها قطيفة حمراء ذات هُدب وطيب .
 فورد مَنعِجاً وعليه خباء ملقى لرياح بن الأَسك فيه اهله في الظهيرة .
 فألقى ثيابه بفنائه ثم قعد يُهريق عليه الماء . فناداه الغنوي : استتر . فلم
 يَحْفَلُ بما قال . فقال : استتر ويحك البيوت بين يديك . فلم يَحْفَلُ .
 فقال رياح لامراته : انطيني قوسي . فهدت اليه قوسه وسهماً وانتزعت
 المرأة نصله لئلا يقتله . فأهوى عجلان اليه فوضع السهم في مستدق
 العُلب بين ققارتين ففصلهما وخر ساقطاً . وحفر له حفراً فهدمه عليه

(١) نطاع قرية من قرى اليمامة (٢) رداح ضخمة كثيرة الجيش

ونحر جملة واكله واولج مَتاعه بيته

(قال) ونشد زهير بن جذيمة الناس فانقطع ذكره على مَنعج وسط

غني . ثم أصابت الناس جائحة^(١) وجوع . فنحر زهير ناقته فاعطى

امراة شطيما^(٢) فقال : اشترى لي الهدب والطيب . فخرجت بذلك

الشحم والسنام تبيعه حتى دفعت الى امراة رياح فقالت : ان معي شحماً

ايبعه في الهدب والطيب . فاشترت المرأة منها . فأنت المرأة زهيراً بذلك

فعرف الهدب فأتى زهير غنياً . فقالوا : نعم قتله رياح بن الاسك ونحن

براء منه وقد لحق بجاله من بني الطلاح وبني اسد بن خزيمه فكان يكون

الليل عنده ويظهر في أبان^(٣) اذا أحس الصبح يرمي الاروى

فلما استبان لزهير بن جذيمة ان رياحاً تأره قال يرثي شاساً :

بكيت لشاس حين خبرت انه بقاء غني آخر الليل يسلب

لقد كان مأتاه الرِداء^(٤) لحنه وما كان لولا غرة الليل يغلب

قتيل غني ليس شكله كشكله كذاك لعمرى الحين للمرء يجلب

سأبكي عليه ان بكيت بعبدة وحق لشاس عبدة حين تسكب

وحزن عليه ما حبيت وعولة على مثل ضوء البدر أو هو أعجب

اذا سم ضيماً كان للضم منكرًا وكان لدى الهيجاء يخشى ويهيب

وان صوت الداعي الى الخير مرة أجا ب لما يدعو له حين يكرب

ففرج عنه ثم كان وليه فقلبي عليه لو بدا القلب ملهيب

(١) جائحة شدة (٢) الشطُّ جانب السنام (٣) أبان جبل وهما ابانان

وينهما ميلان ابان الايض فيه نخل وماء وهو علم لبني فزارة وعيس وابان

الاسود جبل لبني فزارة خاصة (٤) جمع رذمة وهي النفرة يستنقع فيها الماء

وقال زهير بن جذيمة حين قُتل شاس : شاس وما شاس . والبأس وما
البأس . لولا مقتل شاس لم يكن بيننا بأس . (قال) ثم انصرف الى
قومه . فكان لا يقدر على غزوي الا قتله . (قال) ثم غزت بنو عبس
غنياً قبل ان يطلبوا قوداً او ديةً مع اخي شاس الحصين بن زهير بن
جذيمة والحصين بن أسيد بن جذيمة ابن اخي زهير . فقبل ذلك لغني .
فقاتل لرياح : انجُ لعلنا نصالح على شيء او نرضيهم بدية وفداء . فخرج
رياح رديفاً لرجل من بني كلاب . وكان معهما صحيفة فيها أداب لحم
لا يريان الا انها قد خالفا وجهة القوم . فأوجفا ايديهما في الصحيفة .
فأخذ كل واحدٍ منهما وضرة^(١) لياكلها مترادفين لا يقدران على النزول .
(قال) فمر فوق رؤوسهما صرد فصرصر . فألقيا اللحم وأمسكا بايديهما
وقالا : ما هذا . ثم عادا الى مثل ذلك فاخذ كل واحد منهما عظماً .
ومر الصرد فوق رؤوسهما فصرصر . فألقيا العظمين وأمسكا بايديهما
وقالا : ما هذا . ثم عادا الثالثة . فاخذ كل واحد منهما قطعة . فمر الصرد
فوق رؤوسهما فصرصر . فألقيا العظمين . حتى فعلا ذلك ثلاث مرات .
فاذا هما بالقوم أدنى ظلم وأدنى ظلام^(٢) . وقد كانا يظنّان انها قد
خالفا وجهة القوم . فقال صاحبه لرياح : اذهب فاني آتي القوم أشاغلهم
عنك وأحدثهم حتى تُعجزهم . ثم ماض ان تركوني . فانحدر رياح عن
عجز الجمل فأخذ ادراج^(٣) وعدا إثر الراحة حتى أتى ضفة فاحتفر تحتها
مثل مكان الارنب فواج فيه . ثم اخذ نعلين من بيوت^(٤) فصيرهما على

(١) ويروي الودرة وهي القطعة الصغيرة من اللحم (٢) اي ادنى شيء .

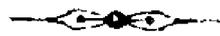
(٣) ادراج جمع درج وهو الطريق : مضى في سبيله (٤) السبت كل جلد مدبوغ

صدره حياءَ كبده ثم شد عليهما العمامة . ومضى صاحبه حتى لقي القوم . فسألوه فحدثهم وقال : هذه غني كاملة وقد دنوت منهم . فصدقوه وخلوا سربيه^١ . فلما ولى رأوا مراكب الرجل خلفه فقالوا : من الذي كان خلفك . فقال : لا مكذبة ذلك رياح في الاول من السمرات . فقال الحصينان لمن معهما : قفوا علينا حتى نعلم علمه فقد أمكننا الله من تأرنا . ولم يريد ان يشر كهما فيه احد . فمضيا ووقف القوم عنهما . (قالوا) قال رياح : فاذا هما ينقلان فرسيهما^٢ فما زالا يريغاني^٣ فابتدراني . فرميت الاول فبترت صلبه وطعني الآخر قبل ان ارميه واراد السرة فاصاب الرنبلة^٤ . ومر الفرس يهوي به فاستديرته بسهم فرشقت به صلبه فانفقر منحنى الاوصال وقد بترت صليبيها . (قال) وند^٥ فرساهما فلحقنا بالقوم . (قال رياح) فاخذت رجليهما فخرجت بهما حتى اتيت رملة فسندت^٦ ففرزت الرحين فيها ثم انحدرت . (قال) وطلبه القوم حتى اذا رفع لها الرحمان لم يقربوهما علم الله حتى وجدوا اثر رياح خارجا قد فات . وانطلق رياح خارجا حتى ورد رذهة عليها بيت افار بن بغيض وفيه امرأة ولها ابنان قريبان منها وجمل لها راتع في الجبل وقد مات رياح عطشا . فلما رآته يستدمي طمعت فيه ورجت ان ياتيها ابناها . فقالت له : استأسر . فقال لها : دعيني ويحك اشرب . فأبت . فاخذ حديدة إما سكيناً وإما مشقصاً^٧

(١) سربه اي طريقه (٢) اي يسيران سيرا سرياً (٣) اراغ طلب
(٤) انزلة اصول الافخاذ (٥) ند نفر وذهب شاردًا
(٦) سندت رقيت (٧) المشقص السهم العريض (النصل)

فجذم به رواهشها^(١) فماتت . وعب في الماء حتى نهل . ثم توجه الى
قومه . فقال رياح فيها وفي الحصينين^(٢) :

قالت لي استأسر لتكنفني حيناً ويعلو قولها قولي
ولأنت اجراً من أسامة او مني غداة وقفت للخيل
اذا الحصين لدى الحصين كما عدل الرجاجة^(٣) جانب الميل



مقتل زهير بن جذيمة العبسي

قتله خالد بن جعفر بن كلاب . قال ابو عبيدة : قال ابو حية
النميري : كان بين انصراف حديث شاس وحديث قتل خالد بن جعفر
زهير بن جذيمة ما بين العشرين سنة الى الثلاثين سنة . وهو اذن بن
منصور لا ترى زهير بن جذيمة الأرباباً . (قال) وهو اذن يومئذ لا خير
فيها وانما هم رعاء الشاء في الجبال . (قال) وكان زهير يعزهم وكان
اذا كان ايام عكاظ أتاهم زهير ويأتيها الناس من كل وجه فتأتيه هوازن
بالإتابة التي كانت له في أعناقهم فيأتونه بالسمن والأقط والغنم وذلك
بعد ما خلع ذلك من أبي الجناد أخي بني أسيد بن عمرو بن تميم . ثم اذا
تفرق الناس من عكاظ نزل زهير بالنفراوات . فأتته عجوز من هوازن
بسمن في نحبي^(٤) واعتذرت اليه وشكت السنين التي تتابعن على

(١) جذم قطع الرواهش عروق في الذراع (٢) هما حصين بن زهير بن
جذيمة وحصين بن اسيد اخو زهير (٣) الرجاجة شيء يكون مع المرأة في
هودجها فاذا مال احد الجانبين وضعت في الناحية الاخرى ليعتدل
(٤) النحي لثرق الذي يجعل فيه السمن

الناس . فذاقة قلم يرضَ طعمه . فدعها^(١) بقوس في يده عطل^(٢)
 في صدرها . فاستلقت حللوة القفا . فغضب من ذلك هوازن وأصمدت
 عليه الى ما كان في صدرها من الغيظ والدمن وأوحرها^(٣) من الحسد .
 (قال) وتذامرت^(٤) عامر بن صعصعة يومئذ قالى خالد بن جعفر فقال :
 والله لاجعلن ذراعي وراء عنقه حتى أقتل أو يُقتل . (قال) وفي ذلك
 يقول خالد بن جعفر بن كلاب :

ادبروني أداتكم فاني	وحذفة ^(٥) كالشجا تحت الوريد
مقربة أسويها بجز	والحفها ردائي في الجليد
وأوصي الراعيين ليوثراها	لها لبن الخلية والصعود ^(٦)
تراها في الغزاة وهن شعث	كثب ^(٧) العاج في الرُسخ الجديد
بيت رباطها بالليل كمني	على عود الحشيش وغير عود
اعل الله يُقدرني عليها	جهاراً من زهير او اسيد
قاماً تَمَقفوني ^(٨) فاقتلوني	فإن أثقف فليس الى خلود
وقيس في المارك غادرته	قناتي من فوارس كالاسود
ويربوع بن غيظ يوم ساق	تركناهم كجارية وبيد ^(٩)
تركت بها نساء بني عصيم	أرامل ما تحن الى وليد

(١) دع دفع (٢) عطل وعطل لا وتر فيها (٣) أوحرها وأوغرها أوقده
 (٤) تذامرت تماضت على القتال (٥) ويروي : اريغوني اراغتكم اي
 اطلبوني طلبتكم . وحذفة فرس خالد (٦) الخلية الناقة تنتج فينحر ولدها
 ليدوم لهم لبنها . والصعود الناقة يموت حوارها فترجع الى فصيلها فتدر عليه
 (٧) القلب السوار (٨) أثقف الرجل ظفر به
 (٩) ويديسنة الحال

يلذّنَ بـجَارثٍ جزعاً عليه يقلنَ لحارثَ لولا تسودُ
ومني بالتطويلم قارعاتُ تبيدُ المخزيات ولا تبيدُ
وحكّت بركها^١ بيني جحاش وقد أجروا اليها من بعيدِ
تركت بني جذيمة في مكرٍ ونصراً قد تركت لها شهودي

(قال الاصمعي) فـضرب الزمان ضرباً نه^١ . فالتقى خالد بن جعفر
ابن كلاب وزهير بن جذيمة العبسي . فقال خالد لزهير : أما آن لك ان
تشتفي وتكف (قال الاصمعي) يعني مما قتل بشاش . (قال) فاغلظ
له زهير وحقره . (قال الاصمعي) وأخبرني طلحة بن محمد بن سعيد
ابن المسيّب ان ذلك الكلام بينهما كان بمكناظ عند قريش . فلما
حقره زهير وسبه قال خالد : عسى ان كان يتهدده . ثم قال : اللهم
أمكن يدي هذه الشقراء القصيرة من عنق زهير بن جذيمة ثم أعني عليه .
فقال زهير : اللهم أمكن يدي هذه البيضاء الطويلة من عنق خالد ثم
خل بيننا . فقالت قريش : هلكت والله يا زهير . فقال : انكم والله
الذين لا علم لكم

قال ابو عبيدة : اخبرني سليمان بن المزاحم المازني عن ابيه قال :
كانت بنو عامر بالجرينة وزهير بالنفراوات وكانت تماضر بنت عمرو
السلمي امرأة زهير بن جذيمة وهي ام ولده . فمر بها اخوها الحرث بن
عمرو . فقال زهير لبنيه : ان هذا الحمار لطبيعة عليكم فاوثقوه . فقالت
اخته لبنيها : أيزورك خالكم فتوثقوه وتحرموه . فخلّوه . فقالت تماضر

(١) البرك كل كل البعير وصدرة الذي يسحق به الشيء تحته . والمبارة

في شدة الحرب (٢) اي مرّ من مروره وذهب بعضه

لأخيها الحرث : انه ليريبني ما قال زهير فانه رجل نذارة^(١) وعيدان
شناوه . (قال) ثم حلبوا له وَطْباً وأخذوا منه ميمناً ان لا يخبر عنهم ولا
ينذر بهم احداً . وزعم ابو حية انه لما اتوه بقراهم اراهم انه يشربه في
الظلمة وجعل يهوي به الى جيبه فيصبه بين سرياله وصدرة اسفاً وغيظاً .
(قال) وكان الذي حلب الوطب وقراء الحرث بن زهير وبه سمي .
(قال) فخرج يطير حتى اتى بني عامر عند ناديتهم فأتى حاذة^(٢) أو شجرة
غيرها . فالتقى الوطب تحتها والقوم ينظرون ثم قال : ايتها الشجرة الذليلة
اشربي من هذا اللبن فانظري ما طعمه . فقال اهل المجلس : هذا رجل
.أخوذ عليه وهو يخبركم خيراً . فأتوه فاذا هو الحرث بن عمرو . وذاقوا
اللبن فاذا هو حلو لم يقرص^(٣) بعد . فقالوا : انه ليخبرنا ان طلبنا قريب .
فركب معه ستة فوارس^(٤) لينظروا ما الخبر . فاقتضوا أثر السير حتى
اذا رأوا ابل بني جذيمة نزلوا عن الخيل . فقالت النساء : انا لنرى حرجة
من عيضاة او غابة رماح بركان لم نكن نرى به شيئاً . ثم راحت الرعاء
فأخبروا بمثل ما للنساء . (قال) وأخبرت راعية أسيد بن جذيمة اسيداً

(١) نذارة اي يعلم بشراً (٢) حاذة شجرة يألفها بقر الوحش

(٣) قرص حمض (٤) هم خالد بن جعفر بن كلاب على حذافة

وحندج بن البكاء . ومعوية ابن عيادة بن عقيل فارس الهزار وهو الاخيل
جد ليلي الاخيلية . والاخيل هو معاوية (قال) وهو يومئذ غلام له ذوة ابنان
وكان اصغر من ركب . وثلاثة فوارس من سائر بني عامر وليس على احدهم
درع غير خالد كانت عليه درع اعاره اياها عمرو بن يربوع الغنوي وكانت درع
ابن الاجلح المراري كان قتله فأخذها منه وكان يقال لها ذات الازمة وانما
سميت بذلك لانها كانت لها عرى تعلق فضولها بها اذا اراد ان يشمرها

بمثل ذلك . فأتى اسيد اخاه زهيراً فأخبره بما أخبرته به الراعية وقال :
 إنما رأيت خيل بني عامر ورماحها . فقال زهير : كل اذب^(١) نفور فذهبت
 مثلاً . وابن بنو عامر . أما بنو كلاب فكالحية ان تركتها تركتك وان
 وطئتها عَضَّتْكَ . واما بنو كعب فانهم يصيدون اللأى^(٢) . واما بنو
 نير فانهم يرعون ابلهم في رؤوس الجبال . واما بنو هلال فيبيعون
 العطر . (قال) فتحمل عامة بني رواحة وآلى زهير لا يبرح مكانه حتى
 يُصبح . وتحمل من كان معه غير ابيه ورقاء والحارث . (قال) وكان
 لزهير ريثة^(٣) من الجن فحدثه ببعض امرهم حتى اصبح . وكانت له
 مظلة دوح يربط فيها افراسه لا تريحه حذراً من الحوادث . (قال) فلما
 اصبح صهلت فرس منها حين أحست بالخيل وهي القعاء . فقال زهير :
 ما لها . فقال ريثته : أحست الخيل فصهلت اليهم . فلم تؤذهم بهم
 الا والخيل دواس^(٤) محاضر بالقوم غديّة . فقال زهير وظن انهم اهل
 اليمن : يا اسيد ما هؤلاء . فقال : هؤلاء الذين تعتي حديثهم منذ الليلة .
 (قال) وركب اسيد فمضى ناجياً . (قال) ووثب زهير وكان شيخاً
 نبيلاً فتدثر^(٥) القعاء فرسه وهو يومئذ شيخ قد بدُن وهو يومئذ
 عقوق متهم . واعرورى ورقاء والحارث ابناه فرسيهما . ثم خالفوا جهة
 ما لهم ليُعمتوا على بني عامر مكان ما لهم فلا يأخذوه . فهتف هاتف من

(١) الاذب الكثير شعر الاذنين والحاجبين فاذا ضربته الريح نفر وكان
 اسيد كثير الشعر (٢) اللأى الثور الوحشي (٣) الريثة الطليعة الذي
 ينظر للقوم لئلا يدهمهم عدو (٤) دواس ودوائس اي يتبع بعضها بعضاً
 (٥) نبيل جسم . تدثر فرسه وثب عليها فجال في مثلها

بنى عامر : يا ليحاصر يريد يحاصر وهو شعار لاهل اليمن لأن يُعتمى على
الجدعيين من القوم . فقال زهير : هذه اليمن قد علمت انها اهل اليمن .
وقال لابنه ورقاء : انظر يا ورقاء ما ترى . قال ورقاء : أرى فارساً على
شقراء . يجهدا ويكدها بالسوط قد ألحَّ عليها يعني خالدا . فقال زهير :
شيئاً ما يريد السوط الى الشقراء . فذهبت مثلاً . وقال في المرة الثانية :
شيئاً ما يطلب السوط الى الشقراء . وهي حذفة فرس خالد بن جعفر
والفارس خالد بن جعفر . (قال) وكانت الشقراء من خيل غني . (قال)
وتمردت القعساء . بزهير وجعل خالد يقول : لا نجوت ان نجا مجدع يعني
زهيراً . فلما تمطت^١ القعساء . بزهير ولم تتعلق بها حذفة قال خالد
لمعاوية الاخيل بن عبادة وكان على الهرار حصان عوج : أدرك معاوي .
فادرك معاوية زهيراً . وجعل ابناه ورقاء والحارث يوطشان^٢ عنه اي
عن ابيهما . (قال) فقال خالد : اطمن يا معاوية في نساها . فطعن في
احدى رجليها فأنخذلت القعساء . بعض الانخذال وهي في ذلك تمط .
فقال زهير : اطمن الاخرى . يكيده بذلك لكي تستوي رجلاها .
فتعامل . فناداه خالد : يا معاوية أفدَّ طعنك^٣ . فشعشع الرمح في
رجلها فأنخذلت . (قال) ولحقه خالد على حذفة فجعل يده وراء عنق
زهير فاستخفَّ به عن الفرس حتى قلبه . وخرَّ خالد فوقه فوقه ورفع
المغفر عن رأس زهير وقال : يا لعامر اقتلونا معاً . فعرفوا انهم بنو عامر :
فقال ورقاء : وا انقطاع ظهراه انها لبنو عامر سائر اليوم . (قال) ولحق

(٢) وطشة ووطشة دفعة

(١) التمتع نوع من حضر الفرس

(٣) اي اطمن مكاناً واحداً

حُندج بن البكاء وقد حسر خالد المغفر عن رأس زهير فقال : نحر
 راسك يا أبا جزء لم يجز يومك . (قال) فنحى خالد راسه وضرب حندج
 رأس زهير وضرب ورقاء بن زهير راس خالد بالسيف وعليه درعان
 وكان اسجر العينين اذب اقر^(١) مثل الفالج . فلم يُغن شيئاً . (قال)
 وأجهض^(٢) ابنا زهير القوم عن زهير فانتزعه مرتين . فقال خالد حين
 استنقذ زهيراً ابناه : والمقتاه قد كنت اظن ان هذا المخرج سينفعكم .
 ولام حندجاً . فقال حندج وكان لجلالته غصة اذا تكلم : السيف
 حديد والساعد شديد وقد ضربته ورجلاي متمكنتان في الركائب
 وسمعت السيف قال قب حين وقع براسه ورأيت على ظبته مثل ثمر
 المرار وذقته فكان حلواً . فقال خالد : قتلته بأبي انت . ونظر بنو
 زهير فاذا بالضربة قد بلغت الدماغ . ونهى بنو زهير ان يسقوا اباهم
 الماء . فاستسقاهم فنعوه حتى نهك عطشاً . (قال وذلك ان المأموم يخاف
 عليه الماء) . حتى بلغه العطش فجعل يهتف : أمية انا عطش وينادي :
 يا ورقاء . (قال أبو حية : فجعل ينادي : يا شاس) . فلما رأوا ذلك سقوه
 فأت ثالثة . فقال ورقاء بن زهير :

رأيت زهيراً تحت كل كل خالدٍ فأقبلتُ أسعى كالعجولٍ أبادرُ
 الى بطلين ينهضان كلاهما يُريغانِ نصل السيف والسيف نادر^(٣)

(١) اسجر اي يخالط بياض عينه حمرة . اقر اي لون بياض وجهه الى

(٢) اجهض نحى

(٣) يريغان يطلبان . وبيروى نادر وبيروى دائر . سيف دائر بعيد العهد

فشلت يميني اذ ضربتُ ابن جعفر واحرزه مني الحديدُ المظاهر^(١)
 فيا ليتني من قبل ايام خالد ويوم زهير لم تلدني قاضرُ
 لعمرى لقد بشرت بي اذ ولدتني فاذا الذي ردت عليك البشائرُ
 وقال خالد بن جعفر بن علي هوازن بقتله زهيراً ويصدق الحديث :
 بل كيف تكفروني هوازن بعد ما اعتقتهم فتوالدوا احراراً
 وقتلت ربهم زهيراً بعد ما جدع الانوف واكثر الاوزاراً
 وجعلت حزن جبالهم وبلادهم أرضاً فضاء سهلة وعشاراً
 وجعلت مهر بناتهم ودمائهم عقل الملوكة هجائناً ابكاراً
 وقال ورقاء بن زهير :

أماً كلابٌ فأننا لا نسالها حتى يسالم ذئب الثلة^(٢) الراعي
 بنو جذيمة حاموا حول سيدهم إلا أسيداً نجاً اذ ثوب^(٣) الداعي

مقتل خالد بن جعفر

قتله الحرث بن ظالم المري . قال أبو عبيدة : كان الذي هاج الامر
 بين الحرث بن ظالم وخالد بن جعفر ان خالد بن جعفر أغار على رهط
 الحرث بن ظالم من بني يربوع بن غنيط بن مرة وهم في وادٍ يقال له
 حراض فقتل الرجال حتى اسرفوا الحرث يومئذ غلام وبقيت النساء .
 وزعموا ان ظالماً هلك في تلك الواقعة من جراحة اصابته يومئذ . وكانت

(١) ظاهر الدرع لأم بعضها على بعض . ويراد بالحديد هنا الدرع
 (٢) الثلة جماعة الغنم
 (٣) ثوب لوح بثوبه يدعو الناس

نساء بني ذبيان لا يجلبن النعم . فلما بقين بغير رجال طفقن يدعون
الحرث فيشد عصاب الناقة ثم يجلبنها ويبكين رجالهن ويبكي الحرث
معهن . فنشأ على بغض . ووردف ذلك قتل خالد زهير بن جذيمة فاستحق
العداوة في غطفان

(قال ابو عبيدة) فمكث خالد بن جعفر برهة من دهره حتى اذا
كان من امره وامر زهير بن جذيمة ما كان وخالد يومئذ رأس هوازن
فلما استحق عداوة عيس وذبيان أتى النعمان بن المنذر ملك الحيرة
لينظر ما قدره عنده وأتاه بفرس فألقى عنده الحرث بن ظالم قد اهدى
له فرساً فقال : ابيت اللعن نعم صباحك واهلي فداؤك هذا فرس من
خيل بني قرّة فلن نوثي بفرس يشق غباره ان لم تنسبه انتسب كنت
ارتبطه لغزو بني عامر بن صعصعة فلما اكرمت خالداً اهديته اليك . وقام
الربيع بن زياد العبسي فقال : ابيت اللعن نعم صباحك واهلي فداؤك
هذا فرس من خيل بني عامر ارتبطت أباه عشرين سنة لم يُخفق في غزوة
ولم يعتلك في سفر وفضله على هذين الفرسين كفضل بني عامر على
غيرهم . (قال) فغضب النعمان عند ذلك وقال : يا مشرقيس
اي خيلكم اشباهنا أين اللواتي كان اذناها شقاق أعلام وكان مناخرها
وجار الضباع . رقاق المستطعم^(١) تعالك اللجم في اشدائها تدور على
مذاودها كأنها يقضن حصي . قال خالد : زعم الحرث ابيت اللعن ان
تلك الخيل خيلة وخيل آباءه . فغضب النعمان عند ذلك على الحرث
ابن ظالم . فلما أمسوا اجتمعوا يشربون فقال خالد لقينة تعني :

(١) مستطعم الفرس جحافله ويستحب من الفرس ان يرق مستطعمه

دار لهندٍ والزباب وفرّتي ولبنس قول حوادث الايام
وهنّ حالات الحرث بن ظالم . فغضب الحرث بن ظالم حتى امتلاً غيظاً
وغضباً وقال : ما تزال تتبع أولى بأخرة . (قال ابو عبيدة) ثم ان
النعمان بن المنذر دعاهم بعد ذلك وقدم لهم تمراً . فطفق خالد بن جعفر
ياكل ويلقي نوى ما ياكل من التمر بين يدي الحرث . فلما فرغ القوم
قال خالد بن جعفر : أبيت اللعن انظر الى ما بين يدي الحرث بن ظالم
من النوى فما ترك لنا تمراً الا اكله فقال الحرث : أما انا فأكلت التمر
وأقيت النوى . وأما أنت يا خالد فأكلته بنواه . فغضب خالد وكان
لا يُنازع . فقال : أتنازعني يا حارث وقد قتلت حاضرتك^(١) وتركتك
يتيماً في حُجور النساء . فقال الحرث : ذلك يوم لم أشهدهُ وانا مُغنٍ
اليوم بمكاني . فقال خالد : فهلا تشكر لي اذ قتلت زهير بن جذيمة
وجعلتك سيد غطفان . قال : بلى اشكرك على ذلك . فخرج الحرث
ابن ظالم الى بنت عَفْرَر فشرب عندها وقال لها تغني :

تعلم أبيت اللعن آتي فاتك^٢ من اليوم او من بعده يا بن جعفر
أخالد قد نبهتني غير نائم فلا تأمن فتكي مدى الدهر واحذر
أعيرتني ان نلت مناً فوارساً غداة حراض^٣ مثل جنات عبقر^(٤)
اصابهم الدهر الحثور بحثره^(٥) ومن لا يقى الله الحوادث يعثر
وهلك يوماً ان تنوء بضربة بكف فتى من قومه غير جيدر

(١) الحاضرة والحاضر الحي العظيم او القوم (٢) حراض وادٍ ليني يربوع
ابن غيظ رهط الحرث بن ظالم . وعبقر موضع كثير الجن يقال في المثل كأنهم
جن عبقر ويروى جنان (٣) حتر غدر (٤) جيدر قصير

يَعَضُّ بِهَا عَلِيَا هَوَازِنَ وَالْمُنَى لِقَاءِ أَبِي جَزْءٍ^(١) بِأَبِيضٍ مَبْتَرٍ
 (قال) فبلغ خالد بن جعفر قوله فلم يحفل به . فقال عبدالله بن جعدة وهو
 ابن اخت خالد وكان رجل قيس رأياً لابنه : يا بني أنت ابا جزء فاخبره
 ان الحرث بن ظالم سفیه مَوْتُور فَأَخْفِ مَبِيَّتَكَ اللَّيْلَةَ فَإِنَّهُ قَدْ غَلَبَهُ الشَّرَابُ .
 فإن ابيت فاجعل بينك وبينه رجلاً ليحرسك . فوضعوا رجلاً بازائه .
 ونام ابن جعدة دون الرجل وخالد من خلف الرجل . وعُرف ان عروة
 وابن جعدة يحرسان خالدًا . فأقبل الحرث فانتهى الى ابن جعدة فتعداه
 ومضى الى الرجل وهو يحسبه خالدًا فعجنه بكلكله حتى كسره وجعل
 يكلّمه لا يعقل . فخلّى عنه والرجل تحته ومضى الى خالد وهو نائم فضربه
 بالسيف حتى قتله . فقال لعروة : اخبر الناس اني قتلت خالدًا . وقال في
 ذلك :

أَلَا سَائِلَ النِّعْمَانَ إِنْ كُنْتَ سَائِلًا وَحِيَّ كِلَابٍ هَلْ قَتَكْتُ بِخَالِدٍ
 عَشَوْتُ إِلَيْهِ^(٢) وَإِبْنَ جَعْدَةَ دُونَهُ وَعَرْوَةَ يَكْلَأُ عَنْهُ غَيْرَ رَاقِدٍ
 وَقَدْ نَصَبَا رَجُلًا فَبَاشَرْتُ جُوزَهُ بِكُلِّ كَلِّ مَخْشِيِ الْعِدَاوَةِ حَارِدٍ^(٣)
 فَأَضْرِبُهُ بِالسِّيفِ يَافُوحَ رَاسِهِ وَصَمَّمَ حَتَّى نَالَ نَيْطَ الْقَلَائِدِ^(٤)
 وَأَقْلَتَ عَبْدُ اللَّهِ مَنِيَّ بَدْعَرِهِ وَعَرْوَةُ مِنْ بَعْدِ ابْنِ جَعْدَةَ شَاهِدِي
 فَلَمَّا ابْتِغَافَانِ أَنْ تَجِيرَهُ غَضِبَ لَذَلِكَ بَنُو عَبْسٍ . وَبَعَثَ إِلَيْهِ قَيْسُ بْنُ

(١) ابو جزء . كنية خالد ابن جعفر كما مرّ بك في المتن في السطر الثاني

من الصفحة ١١٢ والمعنى ان جلّ ما يتمناه ان يلقى خالدًا ليضربه بالسيف

(٢) عشوت اليه قصدته ليلاً (٣) جوزة وسطه . رجل حرد وحارد غضبان

(٤) يافوخ ملتقى عظم مقدّم الراس ومؤخره . ويقال للضارب بالسيف اذا

اصاب العظم فانفذ الضريبة قد صمّم . ونيط القلائد حيث تعلق القلائد اي الضق

زهير بن جذيمة بهذه الابيات :

جزاك الله خيراً من خليلٍ
ازحت بها جوى ودخيل حزنٍ
كسوت الجعفريّ ابا جزيه
أبأت به زهير بن بغيض
كشفت له القناع وكنت ممن
يجلي العار والامر الجليلا

فاجابة الحوث بن ظالم :

أتاني عن قيس بن زهير
فلو كنتم كما قلم لكنتم
ولكن قلم جاور سوانا
ولو كانوا هم قتلوا اخاكم
مقالة كاذب ذكر التبول
لقاتل ثاركم حرذاً أصيلا
فقد جلتنا حدثاً جليلا
لما طردوا الذي قتل القتيلا

(قال أبو عبيدة) فلما منعت غطفان لحق بحاجب بن زرارة فأجاره
ووعده أن يمنعه من بني عامر . وبلغ بني عامر مكانه في بني تميم فساروا
في علياء هوازن . فلما كانوا قريباً من القوم في أول وادي من اوديتهم
خرج رجل من بني غني ببعض البوادي فاذا هو بامرأة من بني تميم ثم من
بني حنظلة تجتني الكمأة . فأخذها فسألها عن الخبر فأخبرته بمكان
الحرث بن ظالم عند حاجب بن زرارة وما وعده من نصرته ومنعه .
فانطلق بها الغنوي الى رحله فانسلت في وسط من الليل . فأتى الغنوي
الاحوص بن جعفر فأخبره ان المرأة قد ذهبت وقال : هي منذرة
عليك . وتبع المرأة عمرو بن مالك يقص أثرها حتى انتهى الى بني
زرارة والمرأة عند حاجب وهو يقول لها : اخبريني اي قوم اخذوك .

قالت : اخذني قوم يُقبلون بوجوه الضباء، ويدبرون باعجاز النساء .
قال : اولئك بنو عامر . قال : فحدثيني ما في القوم . قالت : رايتهم
يغدون علي شيخ كبير لا ينظر بما قيه حتى يرفعوا له من حاجبيه . قال :
ذلك الاحوص بن جعفر . قالت : ورأيت شاباً شديد الخلق كان شعره
ساعديه حلق الدرع يعذب القوم بلسانه عذب الفرس العضوض . قال :
ذلك عتبة بن بشير بن خالد . قالت : ورأيت كهلاً اذا اقبل معه فتيان
يشرف القوم اليه فاذا نطق انصتوا . قال : ذلك عمرو بن خويلد والفتيان
ابناه زُرعة ويؤيد . قالت : ورأيت شاباً طويلاً حسناً اذا تكلم بكلمة
انصتوا لها ثم يوثلون اليه كما تؤول الشول الى الفحل . قال : ذلك عامر
ابن مالك . (قال ابو عبيدة) فدعا حاجب الحرث بن ظالم فأخبره برأيه
وخبى القوم وقال : يا ابن ظالم هولاء بنو عامر قد اتوك فما انت صانع .
قال الحرث : ذلك اليك فان شئت اقت فقاتلت القوم وان شئت
تنحيت . قال حاجب : تنح عني غير ملوم . فغضب الحرث من ذلك
وقال :

لعمرى لقد جاورت في حي وائل
فأصبحت في حي الارام لم يقل
وقد كان ظني اذ عدلت اليكم
غداة اتاهم تبّع في جنوده
فان تك في عليا هوازن شوكة
وان يسلم المرء الزراري جاره
ومن وائل جاورت في حي تغلب
لي القوم يا حار بن ظالم اذهب
بني عدس ظني باصحاب يثرب
فلم يسلموا المرأين من حي محصب
تخاف فيكم حد ناب ومخلب
فأعجب بها من حاجب ثم أعجب
فغضب حاجب وقال :

لأمنع جاراً من كليب بن وائلِ
 على ذلك كنا في الخطوب الاوائلِ
 لبسنا له ثوبي وفاء ونائلِ
 من الناس الا أولعت بالكواهلِ
 لعصت علينا عامرٌ بالاناملِ
 سنوطئها في دارها بالقبائلِ
 ولو هجتها لم ألف شعمة آكلِ
 لعمراً اييك الخير يا حارِ اني
 وقد علم الحي المعدي اننا
 وانا اذا ما خاف جارٌ ظلامه
 وان تيممنا لم تحارب قبيلة
 ولو حاربنا عامرٌ يا ابن ظالمِ
 ولاستيقنت عليا هوازن اننا
 ولكنتني لا ابعث الحرب ظالماً

(قال) فتنحى الحرث بن ظالم عن بني زرارة فلاحق بعروض اليامة .
 ودعا حاجب معبدًا ولقيطاً ابني زرارة فقال : سيرا في الظعن فوعد كما
 ررحان فانا مقيمون في حامية الخيل حتى تأتينا بنو عامر . وخرج عامر
 ابن مالك الى قومه بالخبر . فقالوا : ما ترى . قال : ان ندعهم بكانهم
 ونسبتهم الى الظعن . (قال) فلقوها بررحان . فاقتتلا قتالا شديداً
 فاصابوها وأسر معبد وجرح لقيط . فبعثوا بمعبد الى رجل بالطائف
 كان يعذب الاسرى . فقطعه ارباً ارباً حتى قتله . وقال عمرو بن مالك
 يردُّ على حاجب قوله :

ألكني الى المرء الزراري حاجب
 وفارسها في كل يوم كريمة
 لعمري لقد دافعت عن حي مالك
 على كل جرداء السراة طمرة
 رئيس تميم في الخطوب الاوائلِ
 وخير تميم بين حاف وناعلِ
 سبائب من حرب تلمح حائلِ
 وأجود خوار العنان منائلِ^(١)

(١) السراة اعلى الظهر اي رقيقة شعر الظهر وهو مدح . طمرة طويلة القوائم . خوار العنان لين العطف . منائل سريع نقل القوائم

نصحت له اذ قلت ان كنت لاحقا
ولو اجاته عصبه تغليبه
ولو رمتم ان تمنعوه رأيتم
لشاب وليد الحمي قبل مشيه
وقامت رجال منكم خندفيه
بقوم فلا تعدل بانباء وائل
لبرنا اليهم بالقنا والقنابل
هناك امورا غيها غير طائل
وعضت تميم كلها بالانامل
ينادون جهرا ليتنا لم نقاتل
فلما قتل الحرث بن ظالم خالد بن جعفر في جوار الملك خرج هاربا حتى
اتي صديقا له من كندة يجعل شعبي . فلما الح الاسود في طلب الحرث
قال له الكندي : ما ارى لك نجاه الا ان اهلك بحضرةوت ببلاد اليمن
فلا يوصل اليك . فسار معه يوما وليلة فلما غربه قال : انني انقطع
ببلاد اليمن فاغترب بها وقد برئت منك خفارتني . فرجع حتى اتى ارض
بكر بن وائل فلجا الى بني عجل بن لجم . فقتل على زبان . فأجاره
وضرب عليه قبة . وفي ذلك يقول العجلي :

ونحن منعنا بالرماح ابن ظالم فظل يغني آمنا في خباثنا

(قال ابو عبيدة) فجاءته بنو ذهل بن ثعلبة وبنو عمرو بن شيان
فقالوا : اخرج هذا المشثوم من بين اظهرنا لا يغرننا بشر فاننا لا طاقة لنا
بالملجأ . والملجأ كتيبة الاسود . فأبت عجل ان تخفره فقاتلوه فامتنت
بنو عجل . فقال الحرث بن ظالم في الكندي وفيهم :

يكلفني الكندي سيرا تنوفة
وأقبل دوني جمع ذهل كأنني
ودوني ركب من لجم مصمم
أكابد فيها كل ذي ضبة^(١) مثيري
خلاة^(٢) لذهل والزعانف^(٣) من عمرو
وزبان جاري والحفيد على بكر

(١) الضبة (القطعة من الغنم) (٢) خلاة كل بقلة قلعها . الزعانف رذال الناس

لعمرى لا أخشى ظلامه ظالم . وسعد بن عجل مجموعون على نصري
(قال ابو عبيدة) ثم قال لهم الحرث : انى قد شهر امرى فيكم ومكاني
وانا راحل عنكم . فارتحل فلحق بطي . فقال الحرث فى ذلك :

لعمرى لقد حلت بي اليوم ناقتى الى ناصر من طي غير خاذل
فأصبحت جاراً للمجرة منهم على باذخ يعلو على المتطاول
(قال أبو عبيدة) وحدثني ابو حية ان الاسود حين قتل الحرث خالدًا
سأل عن امر يبلغ منه . فقال له عروة بن عتبة : ان له جارات من بلي
ابن عمرو ولا أراك تنال منه شيئاً أغيظ له من اخذهن وأخذ أموالهن
فبعث الاسود فأخذهن واستاق أموالهن . فبلغ ذلك الحرث فخرج فى
الحين فانساب فى غمار^(١) الناس حتى عرف موضع جاراته ومرعى ابلهن .
فأتى الابل فوجد حالبين يجلبان ناقة هن^(٢) يقال لها اللفاع^(٣) وكانت لبوناً
كأغزر الابل اذا حلبت اجترت ودمعت عيناها وأصغت برأسها وتفاجت
وهجمت فى المحلب هجماً حتى تسنمه وتجاوبت احوالها بالشخب هشاً
وهشياً حتى تصف بين ثلاثة محالب^(٤) فصاح الحرث بهما ورجز فقال :
اذا سمعت حنة اللفاع قادعي أبا ليلي ولا تراعي
ذلك راعيك فنعم الراعي يبيك رعب الباع والذراع
منطقاً بصارم قطع

(١) غمار الناس زحمتهم وكثرهم

(٢) اللفاع اسم ناقة بينها (٣) الاحليل مخرج اللبن من الثدي .

الشخب ما يخرج من الضرع من اللبن عند كل عصرة . هشت ثرت باللبن .
هشم الناقة حلبها . الصف ان تحلب الناقة فى محلبين او ثلاثة فى حلبه واحده

خلياً عنها . فعرفاه فصرخ البائس^(١) . ثم عمد الحارث الى اموال
 جاراته والى جاراته فجمعهن وردّ اموالهنّ وسار معهنّ حتى اشتلاهن^(٢)
 ولحق الحارث ببلاد قومه مختفياً . وكانت اخته سلمى بنت ظالم عند
 سنان بن ابي حارثة المري . (قال أبو عبيدة) وكان الاسود بن المنذر
 قد تبني سنان بن ابي حارثة المري ابنه شرحبيل . فكانت سلمى امرأة
 سنان بن ابي حارثة المري ترضعه وهي أم هرّم . وكان هرّم غنياً يقدر
 على ما يعطي سائليه . فجاء الحارث وكان قد اندس في بلاد غطفان
 فاستعار سرج سنان ولا يعلم سنان وهم تزول بالشربة . فأتى به سلمى
 بنت ظالم فقال : يقول لك بعلك ابعتي باين الملك مع الحارث حتى
 استأمن له ويتخفّر به . وهذا سرجه آية اليك . فزينة ثم دفعته الى
 الحارث . فأتى بالعلام ناحية من الشربة فقتله ثم أنشأ يقول :

محارب مولاة وشكلان نادم ^(٣)	قفا فاسمعا أخبركما اذ سألتما
أتوكل جاراتي وجارك سالم	أخصي حاربات يكدم نجمة ^(٤)
أحارث ظلماً انما انت حالم	تمنيته جهراً على غير ريبه
فهذا ابن سلمى رأسه متفاقم	فان تك أذواد أصبن ونسوة
وكان سلاحه تجتويه الجاهم ^(٥)	علوت بذى الحيات مفرق رأسه
ولا يركب المكروه الا الاكارم	فتكت به فتكاً كفتكي بخالد

(١) البائس الخالب الايمن والمستعلي الخالب الايسر

(٢) اي اتقدهنّ (٣) محارب مولاة يعني الحارث نفسه . وشكلان نادم

يعني الاسود لانه قتل ابنه شرحبيل (٤) نجمة نبتة خلاف الشجر

(٥) كان على سيف الحارث صورة حيتين . تجتويه لا يوافقها

بدأت بتلك واثنيتُ بهذه وثلاثة تبيضُ منها المقادِم^(١)
 شفيت عليك الصدر منه بضربة كذلك يأبى المغضوبون القمام^(٢)
 (قال أبو عبيدة) وهرب الحرث . فغزا الأسود بني ذبيان اذ تقضوا
 العهد وبني اسد بشطّ اريك لدفع الاسدية سلمى ابنة الى الحرث .
 فقتل فيهم قتلاً ذريعاً وسبى واستاق اموالهم . وفي ذلك يقول :
 وشيوخٌ صرعى بشطّي اريك ونساءٌ كأنهنّ السعالي^(٣)
 من نواصي دودان اذ تقضوا العهد م وذبيان والهجان الغوالي
 ربّ رفدٍ هرقتُهُ ذلك اليو م وأسرى من معشر اقبال^(٤)
 هوّلا ثم هوّلا كلّاً احدثتُ م نعالاً محذوةً بمّال
 وأرى من عصاك أصبح محذو لا وكعب الذي يُطبعك عالي
 (قال) ووجد نعل شرحبيل عند أضاخ^(٥) وهو من الشربة في بني
 محارب بن نخصة بن قيس عيلان . (قال) فأحمى لهم الأسود الصفا
 التي بصحراء اضاخ وقال لهم : اني احدثكم نعالاً . فأمشاهم على
 الصفا الأحمى . فتساقط لحم أقدامهم
 (قال أبو عبيدة) وأخذ الأسود سنان بن ابي حارثة . فأثاه الحرث
 ابن سفيان احد بني الصادر وهو الحرث بن سفيان بن مرة أخو سيار بن
 عمرو بن جابر الفزاري لأمه فاعتذر الى الأسود ان يكون سنان بن ابي
 حارثة علم او أطلع . ولقد كان أطرد الحرث من بلاد غطفان وقال :

(١) المقادِم جمع مُقدّم الراس . الثالثة قتل (لنعمان ٢) جمع القمام اي السيد

(٣) جمع السعلاة انثى الغول . اريك اسم جبل بالبادية وقيل واد .

(٤) جمع قتل العدو (٥) اضاخ من قرى اليمامة

عليّ دية ابنك الف بعير دية الملوك . فحملها اياه وخلقى عن سنان . فأدّى الى الاسود منها ثمانمائة بعير . ثم مات . فقال سيار بن عمرو اخوه لامه : انا اقوم بما بقي مقام الحرث بن سفيان . فلم يرض به الاسود . فرهنه سيار قوسه . فأدّى البقية

(قال ابو عبيدة) فلما قتل الحرث شرحبيل لحق ببني دارم فلجأ الى بني ضمرة . (قال) وبنو عبدالله بن دارم يقولون : بل جاور معبد ابن زرارة فأجاره . فجرّ جواره يوم رححان وجرّ يوم رححان يوم جبلة . وطلبه الاسود بن المنذر بخضرتة . فلما بلغه تزواؤه ببني دارم ارسل فيه اليهم ان يسلموه . فأبوا . فقال بين علي بن قطن بن نهشل ابن دارم بما كان من النعمان بن المنذر في أمر بني رشية وهي رَميلة^(١) حين طلبهم من لقيط بن زرارة حتى استنقذهم . فقال الاسود بن المنذر في ذلك :

كأين لنا من نعمة في رقابكم بني قطن فضلاً عليكم وأنعمنا
وكم مئة كانت لنا في بيوتكم وقتل كريم لم تعدوه مفرماً

(١) رشية امة كانت لزرارة بن عدي بن زبد المشاجمي . فتزوج جارجل من بني نخشل . فولدت له الاشهب بن رميلة والرباب بن رميلة وغيرها . وكان زرارة يأتي بني نخشل يطلب الفلحة التي ولدت . فكانوا يُسمونه ما يكره فيرجع الى ولده فيقول : اسمني بني عمي خيراً . وقالوا : سميت جم اليك عاجلاً . حتى مات زرارة فقام لقيط ابنه باسمهم . فلما اتاهم أسمعه ما يكره ووقع بينهم شر . فذهب النهشلي الى الملك فقال : أبيت اللعن لا تصلني وتصل قومي بافضل من طلبتك الى لقيط الفلحة لتكف عني . فدعاه فشرب معه ثم استوهبهم منه فوهبهم له . فقال الاسود بن المنذر في ذلك ما قال

فانكم لا تمنعون ابن ظالم
فاجابه ضمرة بن ضمرة فقال:

سنمنع جاراً عائداً في بيوتكم
اذا ما دعونا دارماً حال دونه
ولو كنت حرباً ما وردت طويلاً
تركت بني ماء السماء وفعلهم
ولن اذكر النعمان الا بصالح
فان له فضلاً علينا وانعماً

(قال) وبلغ ذلك بني عامر فخرج الاحوص غازياً لبني دارم طالباً بدم
أخيه خالد بن جعفر حين انطوا على الحرث وقاموا دونه . فقزاهم
فالتقوا برحرحان فهزمت بنو دارم وأسر معبد بن زرارة فانطلقوا به حتى
مات في أيديهم . وحديثه في يوم رحرحان يأتي بعد . ثم اسر بنو هزان
الحرث ابن ظالم



يوم رحرحان (*)

قال ابو سعيد الحسن بن الحسين السكري عن محمد بن الحبيب
عن ابي عبيدة قال : كان من خبر رحرحان الثاني ان الحرث بن ظالم المري
لما قتل خالد بن جعفر بن كلاب غدرأ عند النعمان بن المنذر بالحيرة

(١) الوشيع الرماح (٢) المزم الذي له زعة وهي هنة معلقة تحت لحية
العتز (*) رحرحان اسم جبل قريب من عكاظ خلف عرفات . قيل هو
لغطفان . وكان فيه يومان للعرب اشهرهما الثاني

هرب فأتى زرارَةَ بنِ عُدُسٍ فكانَ عندهُ . وكان قوم الحِثِّ قد تشاءموا بهِ فلاموهُ وكره أن يكون لقومه زعم عليه^١ فلم يزل في بني تميم عند زرارَةَ حتى لحق بقريش . وكان يقال ان مرّة بن عوف من لؤمي بن غالب . وهو قول الحِثِّ بنِ ظالمٍ ينتمي الى قريش :

رفعت السيف اذا قالوا قريشُ
وبيئت الثمائل والعتابا
فما قومي بشعبه بن سعدٍ
ولا بفزارَةَ الشعرِ الرقابا

وأُتاهم لذلك النسب . فكان عند عبد الله بن جدعان . فخرجت بنو عامر الى الحِثِّ بنِ ظالمٍ حيث لجأ الى زرارَةَ وعليهم الاحوص بن جعفر والتقوا برححان وأسر يومئذٍ معبد بن زرارَةَ اسرهُ عامر بن مالك واشترك في اسرهِ طُفَيْل بن مالك ورجل من غني يقال له ابو عميلة وهو عَصْمَة بن وهب وكان أخا طُفَيْل بن مالك من الرَضاعة . وكان مَعْبَد بن زرارَةَ أغار على عامر بن مالك في الشهر الحرام وهو رجب وكانت مَضْر تدعوه الاصم لانهم كانوا لا يتنادون فيه : يا لفلان ويا لفلان ولا يتغازون ولا يتنادون فيه بالثارات . وهو ايضاً مُنْصِل الأَل (والأَل الاسنة . كانوا اذا دخل رجب أنصلوا الاسنة من الرماح حتى يخرج الشهر) . وسأل لقيط عامراً ان يطلق اخاه . فقال : امأ حصتي فقد وهبتها لك ولكن أرض أخى وحليفي اللذين اشتراكا فيه . فجعل لقيط لكل واحد مائة من الابل . فرضيا وأتيا عامراً فاخبراه . فقال عامر للقيط : دونك اخاك فاطلق عنه . فلما أطلق فكّر لقيط في نفسه فقال : اعطيتهم مائتي بعير ثم تكون لهم النعمة عليّ بعد ذلك .

لا والله لا أفعل ذلك . ورجع الى عامر فقال : انّ أبي زرارة نهاني ان
 أزيد على مائة دية مُمْزِر . فان اتم رضيتم اعطيتكم مائة من الابل .
 فقالوا : لا حاجة لنا في ذلك . فانصرف لقيط . فقال له معبد : مالي
 يخرجني من أيديهم . فأبى ذلك عليه . فقال : اذا يقسم العرب بني زرارة .
 فقال معبد لعامر بن مالك : يا عامر أنشدك الله لما خلّيت سبيلي فانما
 يريد ابن الحمراء ان ياكل كل مالي . ولم تكن امه أمّ لقيط . فقال له
 عامر : أبعدك الله ان لم يُشفق عليك اخوك فانا أحق ان لا أسفق عليك .
 فعمدوا الى معبد فشدوا عليه القيد وبعثوا به الى الطائف . فلم يزل به
 حتى مات . فذلك قول سُريح بن الاحوص :

لَقيطُ وَأنتَ امرؤُ ماجدٌ ولكنَّ حِلْمَكَ لا يَهْتدي
 أَلَمَّا أَمِنْتَ وَساغَ الشِرا بُ واحْتلَّ بيتُكَ في مَهْمَدٍ^(١)
 رَفَعْتَ بِرِجْلِكَ فُوقَ الفِرا شِ تَهْدِي القِصائِدَ في مَعْبَدِ
 واسلَمْتُهُ عِنْدَ جِدِّ القِقال وتَبخَلُ بِالمالِ ان تَهْتدي

وقال في ذلك عوف بن عطية بن الجزع التيمي يعير لقيط بن زرارة :

هَلّا فِوارسَ رَحِرحانَ هَجوتَهُم عَشْرًا تَناوَحُ في سَراةٍ^(٢) وادِ
 لا تَأْكُلُ الابلُ الفِراثَ^(٣) نَباتُهُ ما إن يَقومُ عِمادُهُ بِعمادِ^(٤)
 هَلّا كَررتَ عَلى أُخيتِكَ مَعْبَدِ والعامريُّ يَقودُهُ بِصِفاذِ^(٥)

(١) شمّد اسم موضع (٢) العشر من شجر العضاء . تناوح تقابل بعضها
 بعضاً . سرارة الوادي وسطه وافضل موضع فيه (٣) الفراث الجياح
 (٤) اي هو اضعف العماد (٥) الصفاذ ما يوثق به الاسير من قيد وغل

وذكرت من لبن المخلق شربةً واخيل تعدو بالصفاح بَدادٍ^(١)
لو كنت اذ لا يستطيع فديته بهجان ادم طارف وتلاد
لكن تركته في عميق قعرها جزراً خامعة^(٢) وطير عواد
لو كنت مستحياً لعرضك مرةً قاتلت او لَفديت بالاذواد
وفيها يقول نابغة بني جعدة :

هَلَا سَأَلْتَ بِيَوْمِي رِحْرِحَانَ وَقَدْ ظَنَنْتَ هَوَازِنُ أَنْ النَّعْيَ قَدْ زَالَا
وفيها يقول مقدم اخو عدس بن يزيد في الاسلام وقتلت بنو طهية ابناً
للثقفاع بن معبد فتنادوا فاخذت بنو طهية منهم الفضل :

وانتم بنو ماء السماء زعمتم ومات ابوكم يا بني معبد هزلاً
وقال المخبل السعدي يذكر معبداً :

فان تك نالتنا كليب بقرّة فيومك فيهم بالمصيفة^(٣) ابرد
هم قتلوا يوم المصيفة مالكا وشاط بايديهم تيط^(٤) ومعبد
وفيها يقول عياض بن مرثد بن أسيد بن قريظ بن لبيد في الاسلام :
ونحن اسرنا معبداً يوم معبد فافتك حتى مات من شدة الاسر
ونحن قتلنا بالصفاء بعد معبد أخاه باطراف الردينية السر

هرب الحرث بن ظالم ومقتله

قال ابو عبيدة : خرج الحرث من عند بني دارم فجعل يطوف في

(١) بداد متفرقة متبددة . الصفاح موضع . مخلق . وسومة بخلق على وجوها

وهي سمة ابل بن زرارة . يقول ذكرت لبن الابل (٢) الخامة الضبع

لاذا تجمع في مشيتها اي تعرج (٣) روى ياقوت « يا لمصيفة »

البلاد حتى سقط في ناحية من بلاد ربيعة ووضع سلاحه وهو في فلاة ليس فيها أثر ونام . فرببه نفر من بني قيس بن ثعلبة ومعهم قوم من بني هزان من عذرة وهو نائم . فاخذوا فرسه وسلاحه . ثم أوثقوه . فانتبه وقد شدوه ولم يملك من نفسه شيئاً . فسأله : من انت . فلم يجبرهم وطوى عنهم الخبر . فضربوه ليقتلوه على ان يجبرهم من هو . فلم يفعل . فاشتراه القيسيون من الهزائين بزق خمر وشاة . ثم انطلقوا به الى بلادهم فقالوا له : من انت وما حالك . فلم يجبرهم . فضربوه ليموت . فأبى . (قال) وهو قريب من اليامة . (قال) فبينما هم على تلك الحال وهم يُرعبونه ضرباً مرةً وتهتدداً اخرى وليناً مرةً ان يجبرهم بجاله وهو يأبى حتى ملوه فتركوه في قيده حتى انفلت ليلاً فتوجه نحو اليامة وهو قريب منه . فلقني غلمة يلعبون . فنظر الى غلام منهم اخلقهم للخير عنده فقال : من انت . قال : أنا بجير بن أبحر العجلي . وله ذوابة يومئذ وأمه امرأة قتادة بن مسلمة الحنفي . فأتاه وأخذ بحقويه والتمه وقال . انا لك جار . فيقال ان عجلاً اجارته في هذا اليوم لا في اليوم الاول الذي ذكرناه في اول الحديث . فأتى الغلام اياه فأخبره واجاره وقال : انت عمك قتادة بن مسلمة الحنفي فأخبره . فأتى قتادة فأخبره فأجاره

(قال ابو عبيدة) وأما فراش فرعم انه أفلت من بني قيس فاقبل شداً حتى اتى اليامة . وتبعوه حتى انتهى الى نادي بني حنيفة وفيه قتادة ابن مسلمة . فلما رآه يهوي نحوهم قال : ان هذا الخائف . وبصر القوم من خلفه فصاح به : الحصن الحصن . فاقبل حتى ولج الحصن . وجاءت

بنو قيس . فحال دونه وقال : لو اخذتوه قبل دخوله الحصن لأسلمته اليكم . فاما اذ تحرم بي فلا سبيل اليه . (قال) فقالوا : اسيرنا اشتريناه باموالنا وما هو لك بيجار ولا تعرفه وانما أتاك هارباً من ايدينا ونحن قومك وجيرتك . قال : اما انا اسلمه ابداً فلا يكون ذلك ولكن اختاروا مني ان شئتم فانظروا ما اشتريتموه به فخذوه مني . وان شئتم اعطيته سلاحاً كاملاً وحملة على فرس ودعوه حتى يقطع الوادي بيني وبينه ثم دونكموه . فقالوا : رضينا . فقال ذلك للحرث . فقال : نعم . فالبسه سلاحاً كاملاً وحملة على فرسه وقال له : ان افلتهم فرد الي الفرس والسلاح لك . (قال) فخرج وتركوه حتى جاز الوادي ثم اتبعوه ليأخذوه . فلم يزل يقاتلهم ويطاردهم حتى ورد بلاد بني قشير وهو قريب من اليمامة أيضاً بينهما اقل من يوم . فلما صار الى بلاد بني قشير ينسوا منه فرجعوا عنه . وعرفه بنو قشير فانطوا عليه وأكرموه ورد الى قتادة بن مسلمة فرسه وارسل اليه بائة من الابل لا ادري أعطاه اياها بنو قشير من اموالهم ليكافي بها قتادة أم كانت له . لم يفسر ابو عبيدة امرها ولا سألته عنها . فقال الحرث بن ظالم في ابني حلاكة وهما من الذين باعوه من القيسيين وفيما كان من أمره :

أبلغ لديك بني قيس مغلفة	اني اقيم في هزان ارباعا
ابنا حلاكة باعاني بلا ثمن	وباع ذو آل هزان با باعا
يا ابني حلاكة لما تأخذاني	حتى أقسم افراساً وادراعا
قتادة الخير نالتني حذيتي ^(١)	وكان قدماً الى الخيرات طلأعا

وقال في ذلك أيضاً :

هَمَّتْ عَكَابَةٌ أَنْ تَضِيحَ لِحْيًا فَأَبَتْ لِحِيمٌ مَا تَقُولُ عَكَابَةٌ
فَأَسْقِي بَجِيرًا مِنْ رَحِيقٍ^(١) مَدَامَةً وَأَسْقِي الْخَفِيرَ وَطَهْرِي أَثْوَابَهُ
جَاءَتْ حَنِيْفَةً قَبْلَ جَيْثَةٍ يَشْكُرُ كَلًّا وَجَدْنَا أَرْبِيَاءَ ذَوَابَهُ^(٢)

وزعم ابو عبيدة ان الحرث لما هُزمت بنو تميم يوم رحرحان مرَّ برجل من بني أسد بن جذيمة . فقال : يا حارِ انك مشثوم وقد فعلت ما فعلت فانظر اذا كنت بمكان كذا وكذا من بركة رحرحان فان لي به جملًا احمر فلا تتعرض له . وانما يعرض له ويكره ان يصرح فيبلغ الاسود فياخذه . فلما كان الحرث بذلك المكان اخذ الجمل فنجا عليه . واذا لا يسايرو من امامه ولا يسبق من ورائه . فبلغ ذلك الاسود فاخذ الاسود الاسدي وناساً من قومه وبلغ ذلك الحرث بن ظالم فقال كأنه يهجوهم لئلا يتهمهم الاسود :

أَرَانِي اللَّهُ بِالنَّعَمِ الْمُبْدَى بِبِرْقَةِ رَحْرِحَانَ وَقَدْ أَرَانِي

لِحْيَ الْإِنكَدِينَ وَحِي عَبَسَ وَحِي نَعَامَةً وَبَنِي غَدَانَ

(قال) فاما بلغ قوله الاسود خلى عنهم ولحق الحرث بمكة وانتمى الى قريش . وذلك قوله :

وَمَا قَوْمِي بِشُعْلَبَةَ بْنِ سَعْدٍ وَلَا بِفِزَارَةَ الشُّعْرِ الرَّقَابَا

وَقَوْمِي أَنْ سَأَلْتَ بَنُو لَوْيَ بِمَكَّةَ عَلِمُوا مَضَرَ الضَّرَابَا

(قال) فزوده وجملة رواحة الجمحي على ناقة . فذلك قوله :

(١) الرحيق الصافي من الحمر

(٢) ذوابة كل شيء . اعلاه ويستمار للرز والشرف والمرتبة

وهش^(١) رواحة الجَمَحِي رحلي بناجية ولم يطلب ثوابا
 كأنَّ الرجلَ والأنساعَ فيها ومبترتي كُسينَ أقبَ جابا^(٢)

(قال) فلهق الحرث بالشام بملك من ملوك غسان يقال النعمان ويقال
 بل هو يزيد بن عمرو الفسائي فأجاره . وكانت للملك ناقة محماة في عنقها
 مدية وزناد وصرّة ملح . وانما يُختبر بذلك رعيته هل يجترئ عليه احد
 منهم . ومع الحرث امرأتان . فوحمت احدى امرأتيه . (قال ابو عبيدة)
 واصابت الناس سنة شديدة فطلبت الشحم اليه . قال : واتي لي بالشحم .
 فالت عليه . فعمد الى الناقة فادخلها الى بطن وادِ قلب في سبلتها^(٣) .
 فأكلت امرأته ورفعت ما بقي من الشحم في عكثها^(٤) . (قال)
 وفقدت الناقة فوجدت نحيراً لم يؤخذ منها الا السنام . فاعلموا ذلك
 الملك وخفي عليهم من فعله . فارسل الى الخمس التغلي وكان كاهناً
 فقال : من نحر الناقة . فذكر ان الحرث نحرها . فتذمّم الملك وكذب
 عنه . فقال : ان اردت تعلم علم ذلك فدى امرأة تطلب الى امرأته
 شحماً . ففعل . فدخل الحرث وقد أخرجت امرأته اليها شحماً فعرف
 الرأي فقتلها ودفنها في بيته . فلما فقدت المرأة قال الخمس : غالها ما غال
 الناقة فان كره الملك ان يفتشه عن ذلك فليأمر بالرحيل فاذا ارتحل بحث
 بيته . ففعل واستأثر الخمس مكان بيته . فوثب عليه الحرث فقتله .

(١) يروى حشّ وهشّ وهما لغتان . وحشّ سوى الجاب (٢)

حمار الوحش الفليظ واقبّ ضامر البطن شبه ناقته به (٣) لبّ طعن

والسبلة منحر البعير (٤) العكّة وعاء من جلود مستدير مختص بالسمن

والعسل وهو بالسمن اخصّ .

فأخذ الحرث فحُبس . فاستسقى ماءً فأثاه رجل بما . فقال : أتشرب .
فانشأ الحرث يقول :

لقد قال لي عند المجاهد صاحبي وقد حيل دون الميش هل أنت شاربُ
وددت باطراف البنان لو أنني بذني أرونا ترمي ورائي الثعالب^(١)
(قال) فأمر الملك بقتله . فقال : انك قد أجرتني فلا تغدرني . فقال :
لا ضير ان غدرت بك مرة فقد غدرت لي مراراً . فأمر مالك بن
الحُمس التغلبي ان يقتله بأبيه . فقال : يا ابن شرّ الاظماء أنت تقتلني .
فقتله . وقال ابن الكلابي : لما قام ابن الحُمس الى الحرث ليقتله . قال : من
انت . قال : ابن الحُمس . قال : انت ابن شرّ الاظماء . قال : وانت
ابن شرّ الاسماء . فقتله .

واخذ ابن الحُمس سيف الحرث بن ظالم المملوب^(٢) فأتى به سوق
عكاظ في الحرم . فجعل يعرضه على البيع ويقول : هذا سيف الحرث
ابن ظالم . فاشتراه قيس بن زهير بن جذيمة . فراه اياه . فعلاه به حتى
قتله في الحرم . فقال قيس بن زحك يرثي الحرث بن ظالم :

ما قصرت من حاضن ستر بيتها أبرّ واوفى منك حارِ بن ظالمِ
أعزّ واحمي عند جارِ وذمةٍ وأضرب في كابٍ من النقع قاتم^(٣)
هذه رواية أبي عبيدة والبصريين . واما الكوفيون فانهم يذكرون ان
النعمان بن المنذر هو الذي قتله

(١) الثعالب من بني مرة وهم رُماة . يقول كانوا يرمون عني ويقومون
بامرئ . ارونا موضع في ديار بني مرة . والبنان موضع (٢) المملوب اسم
سيف الحرث (٣) النقع الغبار الساطع وكاب ضخم

اخبرني بذلك علي بن سليمان الاخفش قال : حدثنا ابو سعيد عن محمد بن حبيب عن ابن الاعرابي عن المفضل قال : لما هرب الحرث الى مكة أسف النعمان بن المنذر على قوته اياه . فلفظ له وراسله واعطاه الامان واشهد على نفسه وجوه العرب من ربيعة ومصر واليمن انه لا يطلبه بدحل ولا يسوءه في حال . وارسل به مع جماعة ليسكن الحرث اليهم . وأمرهم ان يتكلفوا له بالوفاء . ويضمنوا له عنه انه لا يبيعه . ففعلوا ذلك . وسكن اليه الحرث فأتى النعمان وهو في قصر بني مقاتل فقال للحاجب : استأذن لي . والناس يومئذ عند النعمان متوافرون . فاستأذن له . فقال النعمان : ائذن له وخذ سيفه . فقال له : ضع سيفك وادخل . فقال الحرث : ولم اضعه . قال : ضعه فلا بأس عليك . فلما ألح عليه وضعه ودخل ومعه الامان . فلما دخل قال : أنعم صباحاً أبيت اللعن . قال : لا أنعم الله صباحك . فقال الحرث : هذا كتابك . قال النعمان : كتابي والله ما انكره انا كتبتك وقد غدرت وفتكت مراراً . فلا ضير ان غدرت بك مرة . ثم نادى : من يقتل هذا . فقام ابن الخمس التغلبي وكان الحرث فتك بابيه . فقال : أنا أقتله . وذكر باقي الخبر في قصته مع ابن الخمس ما ذكر ابو عبيدة

~~~~~

### خبر الحرث بن ظالم وعمرو بن الاطنابة

وانما ذكر ههنا لاتصاله بقتل خالد بن جعفر ولان فيما تناقضا من الاشعار اغاني صالح ذكرها في هذا الموضع . ( قال ابو عبيدة ) كان

عمرو بن الاطنابة الخزرجي ملك الحجاز . ولما بلغه قتل الحرث بن  
ظالم خالد بن جعفر وكان خالد مصافياً له غضب لذلك غضباً شديداً  
وقال : والله لو لقي الحرث خالداً وهو يقظان لما نظر اليه ولكنه قتله  
نائماً . ولو اتاني لعرف قدره . ثم دعا بشرابه ووضع التاج على رأسه ودعا  
بقيانه فتغنين له :

علاني وعللا صاحبياً واسقياني من المروق ريباً  
ان فينا القيان يعزفن بالدف م لفتياننا وعيشاً رخياً  
يتبارين في النعيم ويصبين م خلال القرون مسكاً زكياً  
انما هتهن ان يتحلين م سموطاً وسنبلاً فارسياً  
من سموط المرجان فصل بالدر م فأحسن بجليهن حلياً  
وفتى يضرب الكتبية بالسيف م اذا كانت السيوف عصياً  
اننا لا نسر في غير نجد ان فينا بها فتى خزرجياً  
يدفع الضيم والظلامه عنها فتجاني عنه لنا يا منياً  
أبلغ الحرث بن ظالم الرعيد م والناذر النذور علياً  
انما يقتل النيام ولا يقتل م يقظان ذا سلاح كميأ  
ومعي مشتكى معايل<sup>(١)</sup> كالجمر م وأعددت صارماً مشرفياً  
لو هبطت البلاد أنسيتك القتل م كما ينسى النسي<sup>(٢)</sup> النسيأ<sup>(٢)</sup>  
( قال ) فلما بلغ الحرث شعره هذا ازداد حنقاً وغيظاً . فسار حتى ديار

( ١ ) معايل جمع معبلة فصل طويل عريض . مشتكى يشكى من ألما

( ٢ ) انسا آخر . النسي . الحمر والنسي . ايضاً شهر كانت العرب تؤخره في

الجاهلية . والنسي الكثير النسيان

بني الحزرج ثم دنا من قبة عمرو بن الاطنابة ثم نادى : أيها الملك أغشي فاني جار مكثور وخذ سلاحك . فاجابه وخرج معه حتى اذا برز له عطف عليه الحزرج وقال : انا ابو ليلى . فاعتد كما ملياً من الليل . وخشي عمرو ان يقتله الحزرج فقال له : يا حارِ اني شيخ كبير واني تعتريني سنة . فهل لك في تأخير هذا الامر الى غد . فقال : هيات وامن لي به في غد . فتجاولا ساعة . ثم ألقى عمرو الرمح من يده وقال : يا حارِ ألم أخبرك ان الناس يغلبني . قد سقط رمحي فاكفف . فكفف . قال : أنظرنني الى غد . قال : لا افعل . قال : فدعني آخذ رمحي . قال : خذه . قال : اخشى ان تُعجلني عنه او تقتك بي اذا اردتُ اخذه . قال : وذمة ظالم لا اعجلتك ولا قاتلتك ولا فتكت بك حتى تأخذه . قال : وذمة الاطنابة لا آخذه ولا أقاتلك . فانصرف الحزرج الى قومه وقال مجيباً له :

|                            |                                      |
|----------------------------|--------------------------------------|
| إعزفا لي بلذة قيتياً       | قبل ان يبكر المنون علياً             |
| قبل ان يبكر العواذل اني    | كنت قدماً لامرهن عصياً               |
| ما أبالي اذا اصطبحت ثلاثاً | أرشيداً حسبتني أم غويأ               |
| بعد ان لا أصر لله اثماً    | في حياتي ولا اخون صفيأ               |
| من سلاف كأنها دم ظبي       | في زجاج تحاله رازقياً <sup>(١)</sup> |
| بلغتنا مقالة المرء عمرو    | فأنفنا وكان ذاك بديأ <sup>(٢)</sup>  |
| قد هممنا بقتله اذ بورنا    | ولقيناها ذا سلاح كميأ <sup>(٣)</sup> |
| غير ما نائم تطل بالحلم م   | معداً بكفه مشرفياً                   |

(١) الرازقي ثياب كتان بيض وضرب من غيب الطائف ايض طويل

الحب (٢) بدي امر عجب (٣) كمي لابس السلاح

فمنا عليه بعد علو بوفاء و كنت قدماً وفتيا  
ورجعنا بالصفح عنه وكان م المن منا عليه بعد تلتيا

—————

### يوم شِعبِ جَبَلَة (\*)

( قال ابو عبيدة ) وأما يوم جبلة وكان من عظام ايام العرب . وكان عظام ايام العرب ثلاثة يوم كلاب لربيعة ويوم جبلة ويوم ذي قار . وكان الذي هاج يوم جبلة ان بني عابس بن بغيض حين خرجوا هاربين من بني ذبيان بن بغيض وحاربوا قومهم خرجوا متلذزين . فقال الربيع بن زياد العبسي أما والله لارمين العرب بـجـجـرها . إقصدوا بني عامر . فخرج حتى نزل مضيقتاً من وادي بني عامر . ثم قال : امكثوا فخرج ربيع وعامر ابنا زياد والحارث بن خلف حتى نزلوا على ربيعة بن شكـل بن كعب بن الحارث . وكان العقـد من بني عامر الى كعب بن ربيعة . فقال ربيعة بن شكـل : يا بني عبس شأنكم جليل وذخلكم الذي يطلب منكم عظيم وأنا اعلم والله ان هذه الحرب أعزُّ حرب ما حاربتها العرب

(\*) جبلة هضبة حمراء بنجد بين الشـرـيف والشـرـاف . والشـرـيف ماء ابني نُـمَير والشـرـاف لبني كُـلاب . وجبلة جبل عظيم واسع له شعب طويل لا يرقى الجبل الا من قبل الشعب . والشعب متقارب وداخله متسع . وقال ابو زياد : جبلة هضبة طولها مسيرة يوم وعرضها مسيرة نصف يوم وليس فيها طريق الا طريقان فطريق من قبل مطلع الشمس وهو اسفل الوادي الذي يجيء من جبلة وبه ماء لعرينة يقال لها سلعة . وعرينة حي من بجيلة حلفاء في بني كُـلاب . وطريق آخر من قبل مغرب الشمس يسمى الحـرـيف . وليس الى جبلة طريق غير هذين

قط ولا والله لا بد من بني كلاب فامهلوني حتى استطلع طلع قومي .  
فخرج في قوم من بني كعب حتى جازوا بني كلاب . فلقبهم عوف بن  
الاحوص فقال : يا قوم أطيعوني في هذا الطرف من غطفان فاقطعوهم  
واغنموهم لا تُفْلِح غطفان بعده ابداً . ووالله إن تريدون على ان  
تستنوهم وتمنعوهم ثم يصيروا اقومكم اعداء . فأبوا عليه وانقلبوا حتى  
نزلوا على الاحوص بن جعفر فذكروا له من امرهم . فقال لربيعة بن  
شكل : أظلمتكم ظلك وأطعمتكم طعامك . قال : نعم . قال : قد والله  
أجرت القوم . فأنزلوا القوم وسطهم بجبوحه دراهم

وذكر بشر بن عبدالله بن حيان الكلابي ان عبساً لما حاربت قومها  
أتوا بني عامر وارادوا عبدالله بن جعدة وابن الحريش ليصيروا حلفاءهم  
دون كلاب . فأتى قيس بن زهير وأقبل نحو بني جعفر هو والربيع بن  
زياد حتى انتهيا الى الاحوص وقد لم ينته . فقال قيس للربيع : انه لا  
يُحلف ولا ثقة دون ان انتمي الى هذا الشيخ . فتقدم اليه قيس فاخذ  
بمجامع ثوبه من وراء فقال : هذا مقام العائذ بك قتلتم ابي فما اخذت له  
عائلاً ولا قتلت به احداً وقد أتيتك لتجيرنا . فقال الاحوص : نعم أنا  
لك جارٌّ مما أجيرُ منه نفسي . وعوف بن الاحوص عن ذلك غائب . فلما  
سمع عوف بذلك أتى الاحوص وعنده بنو جعفر فقال : يا معشر بني جعفر  
أطيعوني اليوم وأعصوني ابداً وان كنت والله فيكم معصياً انهم والله  
لو لقوا بني ذبيان لو لؤوكم اطراف الاسنة اذا نكحوا في أفواههم  
بكلام فابدأوا بهم فاقتلوهم واجعلوهم مثل البرغوث دماغه دمه .  
فأبوا عليه وحالفوهم . فقال رجل : لا أدخل في هذا الحلف . ( قال )

وسمعت بهم حيث قرّ قرارهم بنو ذبيان فحشدوا واستعدّوا وخرجوا  
 وعليهم حصن بن حذيفة ومعه الحليفان أسد وذبيان يطلبون دم  
 حذيفة . وأقبل معهم شرحبيل بن أخضر بن الجون بن آكل المُرار  
 الكِندي في جمع من بني كندة . وأقبلت بنو حنظلة بن مالك والرباب  
 عليهم لقيط بن زرارة يطلبون بدم معبد بن زرارة ويثربي بن عدس .  
 وأقبل معهم كيسان بن عمرو بن الجون في جمع عظيم من كندة  
 وغيرهم . فاقبلوا عليه بوضائع كانت تكون بالحيرة مع الملوك وهم  
 الرابطة<sup>(١)</sup> . وكان في الرباب رجل من اشرافهم يقال له النعمان بن  
 قهوس التيمي . وكان معه لواء من سار الى جبلة . وكان من فرسان  
 العرب وله تقول دُخَنَسَ بنت لقيط بن زرارة يومئذ :

فَرَّ ابْنُ قَهْوَسِ الشُّجَاعِ مِ بَكَفِهِ رِمَحٌ مِثْلُ<sup>(٢)</sup>  
 يَعدُو بِهِ خَاطِي البُضِيعِ مِ كَأَنَّهُ سِيعٌ أَزَلُ<sup>(٣)</sup>  
 إِنَّكَ مِنْ تَمِيمٍ فَدَعِ غُظْفَانَ إِنْ سَارُوا وَحَلُّوا  
 لَا مِنْكَ عِدُّهُمْ وَلَا آبَاكَ إِنْ هَلَكُوا وَذَلُّوا  
 فَخَرَّ البَغِيَّ بِجِدْجِ رَبَّتْهَا مِ إِذَا النَّاسُ اسْتَقَلُّوا  
 لَا حِدْجَهَا رَكِبَتْ وَلَا لِرِغَالٍ<sup>(٤)</sup> فِيهَا مُسْتَظَلُّ

- (١) الوضائع قوم من الجند . المرابطة ملازمة ثغر العدو واصله ان يربط كل  
 واحد من الفريقين خيله ثم صار لزوم الثغر رباطاً  
 (٢) مثل مستقيم يتل به كل شيء اي بصرع  
 (٣) الخاطي الشيء المكتنز . السمع ولد الضبع كما ان العسبار ولد الذئب  
 من الكلبة . الازل الارسح  
 (٤) رغال الأمة

ولقد رأيت أباك وسط م القوم يربق<sup>(١)</sup> او يربق<sup>(٢)</sup>  
مُتقلداً رِبْقَ الفُرَارِ<sup>(٣)</sup> م كأنه في الجيد غل<sup>(٤)</sup>

( قال ) وكان معهم رؤساء بني تميم حاجب بن زرارة واقيط بن زرارة وعمرو بن عمرو بن عينة والحارث بن شهاب وتبعهم غشاء<sup>(٥)</sup> من غشاء الناس يريدون الغنيمة . فجمعوا جمعاً لم يكن في الجاهلية قط مثله أكثر كثرة . فلم تشك العرب في هلاك بني عامر . حتى مروا ببني سعد بن زيد مناة فقالوا لهم : سيروا معنا الى بني عامر . فقالت لهم بنو سعد : ما كنا لنصير معكم ونحن تزعم ان عامراً ابن صعصعة بن سعد . فقالوا : اما اذا أبيتم ان تسيروا معنا فاكتموا علينا . فقالوا : أما هذا فنعم . فلما سمعت بنو عامر مسيرهم اجتمعوا الى الاحوص بن جعفر وهو يومئذ شيخ كبير قد وقع حاجباً على عينيه وقد ترك الغزو . غير انه يدبر امر الناس وكان مجرباً حازماً ميمون النقيبة<sup>(٦)</sup> . فاخبروه الخبر . فقال لهم الاحوص : قد كبرت فما استطيع ان اجي . بالحزم وقد ذهب الراي مني . ولكنني اذا سمعت عرفت فاجمعوا آراءكم ثم بيتوا ايلتكم هذه ثم اغدوا علي فاعرضوا علي آراءكم . ففعلوا فلما اصبحوا غدوا عليه . فوضعت له عباءة بفنائيه فجلس عليها ورفع حاجبيه عن عينيه بعصابة ثم قال : هاتوا ما عندكم . فقال قيس بن زهير العبسي : بات في كنانتي الليلة مائة رأي .

( ١ ) يربق يشد الغنم بالربق وهو الحبل فيه عدة عرى . يبل ياتقط الجلثة وهي البعرة . وهذا دليل على ذلته ( ٢ ) الفرار اولاد الغنم واحداها فرارة ( ٣ ) الغشاء ما يجيء فوق السيل مما يحمله من الزبد وورق الشجر البالي يريد ابدال الناس وسقطهم ( ٤ ) اي محمود المختبر

فقال له الاحوص : يكفيننا منها رأي واحد حازم صليب مُصيب هات  
فأنثر كنانتك : فجعل يعرض كل رأي رآه حتى أنفذ . فقال له الاحوص :  
ما أرى بات في كنانتك الليلة رأي واحد . وعرض الناس آراءهم حتى  
أنفذوا . فقال : ما أسمع شيئاً وقد صرتم الي . اجمعوا ائقالكم  
وضعفاءكم . ففعلوا . ثم قال : حملوا ضُعنكم فحملوها . ثم قال : اركبوا .  
فركبوا وجعلوه في محفة . وقال : انطلقوا حتى تعلوا في اليمين فان  
ادرككم احد كرتم عليه وان أعجزتموهم مضيتم . فسار الناس حتى  
أتوا وادي نجار<sup>١</sup> ضحوة . فاذا الناس يرجع بعضهم على بعض . فقال  
الاحوص : ما هذا . قيل : هذا عمرو بن عبدالله بن جعدة قدم في قتيان  
من بني عامر يعذون بن أجاز بهم ويقطعون بالنساء . حواياهن : فقال  
الاحوص : قدموني . فقدموه حتى وقف عليهم فقال : ما هذا الذي  
تصنعون . قال عمرو : أردت ان تفضحنا وتخرجنا هاربين من بلادنا  
ونحن أعز العرب واكثر عدداً وجلداً واحداً شوكة . تريد ان تجعلنا  
موالي في العرب اذ خرجت بنا هارباً . قال : فكيف افعل وقد جاءنا ما  
لا طاقة لنا به فما الرأي . قال : نرجع الى شعب جيلة فنحوز النساء والضعفة  
والذراري والاموال في راسه ونكون في وسطه فيه ثمل<sup>٢</sup> اي خصب  
وماء . فان أقام من جاءك اسفل أقاموا على غير ما . ولا مقام لهم . وان  
صعدوا عليك قاتلتهم من فوق رؤوسهم بالحجارة فكنت في حرز وكانوا  
في غير حرز وكنت على قتالهم اقوى منهم على قتالك . قال : هذا والله  
الرأي . فأين كان هذا حين استشرت الناس . قال : انما جاءني الآن . قال

( ١ ) روى ياقوت والبكري « وادي نجار » ( ٢ ) في الاصل : ثمل

الاحوص للناس : أرجعوا . فرجعوا . ففي ذلك يقول نابغة بني جمدة :  
 ونحن حبسنا الحي عيساً وعامراً      لحسانَ وابنِ الجونِ اذ قيلَ أقبلَا  
 وقد صعدت وادي نجر نساؤهم      كإصعادِ نسر لا يرومون مَترِلا  
 عطفنا لهم عطف الضروس<sup>(١)</sup> فصادفوا      من الهضبة الحمراء عِزًّا ومَعِقِلا  
 فدخلوا شعب جبلة . ودخلت بنو عامر شعباً منه يقال له مُسَلِّح فحصنوا  
 النساء والذراري والاموال في رأس الجبل وحلأوا الابل عن الماء  
 واقتسموا الشعب بالقداح والقرع بين القبائل في شظاياها<sup>(٢)</sup> . فخرجت  
 بنو تميم ومعهم بارق حي من الازد حلفاء يومئذ لبني نخير . فوجدوا  
 الخليف<sup>(٣)</sup> . وفيه يقول مُعْتَر بن اوس بن حماد البارقي :

ونحن الاعمون بنو نخير      يسير بنا امامهم الخليفُ

( قال ) وكان مُعْتَر يومئذ شيخاً كبيراً اعمى ومعه ابنة له تقود به جملة  
 فيسألها من أسفل من الناس فتخبره وتقول : هؤلاء بنو فلان وهؤلاء  
 بنو فلان . حتى اذا تناهى الناس قال : اهبطي لا يزال هذا الشعب منيعاً  
 سائر هذا اليوم وهبط . وكانت كبشة بنت عروة الرحال بن عتبة بن  
 جعفر بن كلاب يومئذ حاملاً بعامر بن الطفيل . فقالت : ويلكم يا بني  
 عامر ارفعوني فوالله ان في بطني لعز بني عامر . فصقوا القسي على عواتقهم  
 ثم حملوها حتى اثووها بالقتة<sup>(٤)</sup> . فزعموا انها ولدت عامراً يوم فرغ الناس  
 من القتال . فشهدت بنو عامر كلها جبلة الأهلل بن عامر وعامر بن  
 ربيعة بن عامر . وشهدها مع بني عامر من العرب بنو عبس بن رفاعة بن

(١) الضروس الناقة العضوض (٢) شظايا جمع شظية وهي قطع من رؤوس الجبال  
 (٣) الخليف الطريق بين شمين شبه الرقاق (٤) قنة الجبل وقلته اعلاه

الحِث بن بُهْثَة بن سُليْم . وكان لهم بأس وحزم وعليهم مرداس بن أبي عامر وهو أبو العباس بن مرداس . وكانت بنو عيس بن رفاعه حلفاء بني عمرو بن كلاب . وزعم بعض بني عامر أن مرداساً كان مع أخواله وامه فاطمة بنت جلهمة الغنوية . وشهدتها غني وباهلة وناس من بني سعد بن بكر وقبائل بجيلة كلها إلا قشيراً لحرب كانت بين قيس وقومها . فارتحلت بجيلة ففترقت في بطون بني عامر . فكانت عادية من عامر بن قراد بن بجيلة في بني عامر بن ربيعة . وكانت شحمة من بجيلة في بني جعفر بن كلاب ويقال عمرو بن كلاب . وكانت عرينة من بجيلة في عمرو بن كلاب . وكانت بنو قيس كُبة ( لفرس يقال لها كبة ) من بجيلة في بني عامر بن ربيعة . وكانت قينان في بني عامر بن ربيعة . وبنو قُطَيْفة من بجيلة في بني أبي بكر بن كلاب . ونصيب بن عبدالله بن بجيلة في بني عامر بن ربيعة . وبنو عمرو بن معاوية بن زيد من بجيلة في بني أبي بكر بن كلاب معهم يومئذ نذر من عكلى . فبلغ جمعهم ثلاثين الفا . وعمي على بني عامر الخبر فجمعوا لا يدرون ما قرب القوم من بعدهم . وأقبلت تميم وأسد وذيبيان ولِفْهَم نحو جبلة فلقوا كُرب بن صفوان فقالوا له : أين تذهب أتريد تُنذر بنا بني عامر . قال : لا . قالوا : فأعطنا عهداً وموتقاً لا تفعل . فأعطاهم . فخلوا سبيله . فمضى مسرعاً على فرس له عُري حتى إذا نظر إلى مجلس بني عامر وفيهم الاحوص نزل تحت شجرة حيث يرونه . فإرسلوا إليه يدعونه . قال : لست فاعلاً ولكن إذا رحلت فإتوا منزلي فإن الخبر فيه . فلما جاؤوا منزله إذا فيه تراب في حُصرة وشوك قد كُسر رؤوسه وفُرق جبهته وإذا حنظلة

موضوعة واذا وطبُّ معلقٌ فيه لبِن . فقال الاحوص : هذا رجل قد أُخذ عليه المواثيق ان لا يتكلم وهو يخبركم ان القوم مثل التراب كثرةً وان شوكتهم كليلة وجاءتكم بنو حنظلة . انظروا ما في الوطب . فاصطَبُوهُ فاذا فيه لبِن جبن قارص . فقال : القوم منكم على قَدَرِ حِلابِ اللبن الى ان يجرُّ . فقال رجل من بني يربوع . ويقال قائله دختنوس بنت لقيط بن زرارة :

كربُ بنُ صفوان بن شِجْنة لم يدع من دارم احداً ولا من نهشل  
 اَجعلت يربوعاً كَقَوْرَةِ دائِرٍ وَاتلحفن بالله أن لم تفعل  
 وذلك قول عامر بن الطفيل بعد جيلة مجين :

الا ابلغ لديك جموعَ تيم فبيتوا لن نهيجكم نياما  
 نصحتم بالمغيب ولم تُعينوا علينا انكم كنتم كراما  
 ولو كنتم مع ابنِ الجونِ كنتم كمن اودى واصبح قد الاما

فلما استثبت بنو عامر بإقبالهم صعدوا الشعب وامر الاحوص بالابل التي ظمئت قبل ذلك فقال : اعقلوها كل بعير بعقالين في يديه جميعاً . واصبح لقيط والناس نزول به وكانت شورتهم الى لقيط . فاستقبلهم جمل عود اجرب احذُ اعصل كاشر عن انيابه . فقال الحزاة<sup>(١)</sup> من بني اسد : اعقروه . فقال لقيط : والله لا يُعقر حتى يكون محل الي<sup>(٢)</sup> . وكان البعير من عصافير<sup>(٣)</sup> المنذر التي اخذها قرّة بن زهير بن عامر بن سلمة بن قشير . ثم استقبلهم معاوية بن عبادة بن عقييل وكان أعسر فقال :

(١) الحزاة جمع حاز وهو العائف (٢) و يروى « فحل ابي نذراً »  
 (٣) العصافير ابل نجائب كانت للملوك

انا الغلام الاعسر الخير في الشر والشر في اكثر

فتشاءمت بنو اسد وقالوا : ارجعوا عنهم واطيعونا . فرجعت بنو اسد فلم تشهد جبلة مع لقيط الا نفيراً يسيراً منهم شاس بن ابي ليلى ابو عمرو بن شاس الشاعر ومعتل بن عامر بن موالكة المالكي . وقال الناس للقيط : ما ترى . فقال : ارى ان تصعدوا اليهم . فقال شاس : لا تدخلوا على بني عامر . فاني أعلم الناس بهم قد قاتلتهم وقاتلوني وهزمتهم وهزموني فما رأيت قوماً قط اقلق بمنزل من بني عامر . والله ما وجدت لهم مثلاً الا الشجاع<sup>(١)</sup> فانه لا يقر في جحره قلماً وسيخرجون اليكم . والله لئن نمت هذه الليلة لا تشعرون بهم الا وهم منحدرون عليكم . فقال لقيط : والله لندخلن عليهم . فأتوهم وقد اخذوا حذرهم . وجعل الاحوص ابنه شريحاً على تعبئة الناس . فأقبل لقيط واصحابه مدلين<sup>(٢)</sup> فاسندوا الى الجبل حتى ذرت الشمس . فصعد لقيط في الناس واخذ في حافتي الشجن<sup>(٣)</sup> . فقالت بنو عامر للاحوص : قد اتوك . فقال : دعوهم . حتى اذا انصفوا الجبل وانتشروا فيه قال الاحوص : حلوا عقل الابل ثم احدروها وأتبعوا آثارها وليتبع كل رجل منكم بعيده حجرين او ثلاثة . ففعلوا ثم صاحوا بها . فلم يفجأ الناس الا الابل تريد الماء والمرعى . وجعلوا يرمونهم بالحجارة والنبل . واقبلت الابل تحطم كل شي . مرت به . وجعل البعير يدهدي بصدرة كذا وكذا حجراً . فقال رجل من بني اسد :

(١) الشجاع بضم الشين وكسرهما الحية الذكر

(٢) مدلين اي مجترئين (٣) الشجن اعالي الوادي

زعمت ان العير لا تُقاتلُ بلى اذا ما قعقع الرحائلُ  
واختلف الهندي والذوايلُ وقالت الابطال من ينازلُ  
بلى وفيها حسبٌ وناثلُ

فانحط الناس منهزمين في الجبل حتى السهل . فلما بلغ الناس السهل  
لم يكن لاحد همة الا ان يذهب على وجهه . فجعلت بنو عامر يقتلونهم  
ويصرعونهم بالسيوف في آثارهم . فانهزموا شر الهزيمة . فجعل رجل  
من بني عامر يومئذ يرتجز ويقول :

لم أر يوماً مثل يوم جبله

وغطفان<sup>(١)</sup> والملوك اذفله<sup>(٢)</sup>

لم تعد ان أفرش عنها الصقلة

وجعل معقل بني عامر يرتجز ويقول :

نحن سماء<sup>(٣)</sup> الخيل يوم جبله

وهيكل<sup>(٤)</sup> نهد<sup>(٥)</sup> معاً وهيكله

وخرجت بنو تميم من الخليف على الخيل فكركروا الناس<sup>(٦)</sup> . وانقطع  
شريح بن الاحوص في فرسان حتى أخذ الجرف فقاتل الناس قتالاً  
شديداً هناك . وجعل لقيط يومئذ وهو على برذون له مجفف بديباج  
أعطاه اياه كسرى وكان اول عربي جفف يقول :

(١) ازفله جماعة من الناس . انتخلت الشيء استقصيت افضله ونخبته

(٢) افرش اقلع والصقلة جمع صاقل والمعنى اخسا قرية العهد بالصل اي

السيوف . والزوملة الرفقة (٣) سماء جمع سام . ويروى : حماة الشعب

(٤) هيكل فرس طويل ضخم . خد جسم مشرف (٥) اي ردوهم

عرفتكم والدمع بالعين يكف فارس اقلقتوه ما خلف  
 ان النشيل والشواء والرغف والقينة الحسناء والكاس الأنف<sup>(١)</sup>  
 وصفوة القدر وتعجيل اللف<sup>(٢)</sup> للطاعنين الخيل والخيل قطف  
 وجعل لا يمر به احد من الجيش الا قال : أنت والله قتلنا وشاتمنا .  
 فجعل يقول :

يا قوم قد احرقتموني باللوم ولم اقاتل عامراً قبل اليوم  
 فاليوم اذ قاتلتهم فلا لوم تقدموا وقدموني للقوم  
 وقال شاس بن أبي ليلى بحبيبه :

لكن انا قاتلتها قبل اليوم اذ كنت لا تُعصى اموري في القوم  
 وجعل لقيط يقول : من كرفله خمسون ناقة وجعل يقول :  
 اكلكم يزجركم ارحب هلاً<sup>(٣)</sup> ولن تروه الدهر الا مُقبلاً  
 يحمل زغفاً وربيباً جحفاً<sup>(٤)</sup> وسائلاً في أهله ما فعلاً  
 وجعل يقول ايضاً :

أشقر إن لم تقدم تنحرف وان تأخر عن هياج تعمر  
 ثم عاد يقول :

ان الشواء والنشيل والرغف  
 فأجابة شريح بن الاحوص :

(١) النشيل ما يُنشل من اللحم من القدر باليد . كاس انف لم يُشرب بها  
 قبل ذلك (٢) اللف في الاكل إكثار وتخليط . ويروى اللف وهو الابتلاع  
 (٣) ارحب وعلا زجر للخيل (٤) الزغف الدرع الواسعة الطويلة  
 والجحفل السيد العظيم القدر . ويروى : يقود جيشاً ورئيساً

ان كنتَ ذا صدقٍ فأقحمه الجُرْفُ . وقربِ الاِشْتِراءِ حتى تعترفُ  
وجوهنا انا بنو البيض العُطفُ

وبينه وبينه جُرْفُ مُنْكَر . فضرب لقيط فرسه واقحمه عليه الجرف .  
فطعنه شُرَيْح . وقد اختلفوا في ذلك . فذكروا ان الذي طعنه جزء بن  
خالد بن جعفر . وبنو عُقَيْل تزعم ان عوف بن المُنتَفِق العُقَيْلي قتلهُ يومئذٍ  
وانشأ يقول :

ظَلَّتْ تلوم لما بها عرسي      جَهلاً وانتِ حلِمةٌ امسِ  
ان تقتلوا بكري وصاحبه      فلقد شفيتُ بسيفي نفسي  
فقتلته في الشعب وافرسي      في الشرق قبل ترجل الشمس<sup>(١)</sup>

فرعموا ان عوفاً هذا قتل يومئذٍ ستة نفرٍ وقُتل ابن له وابن اخ له . واما  
العلماء فلا يشكون ان شريحاً قتلهُ وارث<sup>(٢)</sup> وبه طعنات . فبقي يوماً  
ثم مات . فجعل لقيط يقول عند موته .

يا ليت شعري عنك دختنوسُ      اذا اتاك الخبرُ المرسوسُ<sup>(٣)</sup>  
أتحلقُ القرونَ ام قميسُ      لا بل قميسُ إنها عروسُ

وجعلت بنو عامر يضربونه وهو ميت . فقالت دختنوس :

ألا يا لها الويلات ويلة من بكى      لضرب بني عبس لقيطاً وقد قضى  
وقُتل يومئذٍ قُريظ بن معبد بن زرارة وزيد بن عمرو بن عدس قتلهُ

الحرث بن الابرص

(١) ترجل الشمس اي ارتفاعها . وفي الاصل « ترحل » بحاء مُهملة

(٢) الارثاثة ان يُجمل وهو مجروح (٣) دختنوس بنت لقيط

ابن زرارة . المرسوس الذي يُسرونه . ويروى المرسوس

(قال) وحمل معاوية بن يزيد الفزاري فأخذ كبشة بنت الحجاج بن معاوية بن قشير وكانت عند مالك بن خفاجة . فحمل معاوية بن خفاجة ابي مالك على معاوية بن يزيد فقتله واستنقذ كبشة . وقال : يا بني عامر انهم يموتون . وقد كان قيل لهم انهم لا يموتون . وتزل حسّان بن عامر ابن الجون وصاح : يا آل كندة . فحمل عليه شريح بن الاحوص . فاعترض دون ابن الجون رجل من كندة يقال له حوشب . فضربه شريح بن الاحوص في رأسه فانكسر السيف فيه . فخرج يعدو بنصف السيف وكان مما رغب الناس مكانه . وشدّ طفيل بن مالك بن جعفر فأسر حسّان بن الجون . وشدّ عوف بن الاحوص على معاوية بن الجون فأسره وجزّ ناصيته واعتقه على الثواب . فلقيته بنو عيس فاخذوه قيس بن زهير فقتله . فأتاهم عوف فقال : قتلتم طليقي . فأحيوه أو اتوني بملك مثله . فتخوّفت بنو عيس شره وكان مهيباً فقالوا : امهلنا . فانطلقوا حتى أتوا ابا براء عامر بن مالك بن جعفر يستغيثونه على عوف . فقال : دونكم سلمى بن مالك فانه نديعه وصديقه . وكانا مشتبهين أحويين<sup>(١)</sup> اشعرين ضخمة أنوفها . وكان في سلمى حياء . فقال : سأكلم لكم طفيلاً حتى يأخذ اخاه فانه لا ينجيكم من عوف إلا ذلك . وأيم الله ليأتين شحياً . فانطلقوا اليه فقال طفيل : قد اتوني بك ما اعرفني بما جئتم له . اتيتموني تريدون مني ابن الجون تُقيدون به من عوف . خذوه . فاعطاهم اياه . فأتوه . فجزّ ناصيته واعتقه . فسمي الجزاز . فذلك قول نافع بن الحنجره في الاسلام :

(١) أحوى الذي لونه سواد الى الخضرة او حمرة الى السواد

قضينا الجونَ عن عيسٍ وكانت صنيعه معبدٍ فينا هزالاً  
 (قال) وشهداها لييد بن ربيعة وهو ابن آسع سنين . يُقال انه كان ابن  
 بضع عشرة سنة . وعامر بن مالك يقول له : اليومَ يَتِمَّتَ من أبيك أن  
 قُتِلَ اعمامُك . وقتل يومئذٍ زهير بن عمرو بن معاوية وُجِدَ مقتولاً بين  
 ظهرائي صفوف بني عامر حيث لم يبلغ القتال هو ومعاوية الضباب بن  
 كلاب

ذَكَرُوا ان الطفيل بن مالك لما رأى القتال يوم جيلة قال : ويلكم  
 وأين نَعَمْ هؤُلاءِ . فأغار على نعم عمرو واخوته وهم من بني عبدالله بن  
 غطفان ثم من بني الثرما . فاستاق الف بعير . فلقيه عبيدة بن مالك  
 فاستجدها فاعطاه مائة بعير وقال : كأني بك قد لقيت ظبيان بن مرة  
 ابن خالد فقال لك اعطاك من ألفه مائة فجئت مفضباً . فلقني عبيدة  
 ظبيان فقال له : كم اعطاك . قال : مائة . فقال : أمانة من الف .  
 فغضب عبيدة . ( قال ) وذكر ان عبيدة تسرع يومئذٍ الى القتال . فنهاه  
 اخواه عامر وطفيل ان يفعل حتى يرى مُقاتلاً . فعصاهما وتقدم . فطعنهُ رجل  
 منهم في كتفه حتى خرج السنان من فوق تديهِ . فاستمسك فيه السنان .  
 فأتى طفيلًا فقال له : دونك السنان فاترعه . فأبى ان يفعل ذلك غضباً .  
 فأتى عامراً فلم يترعه منه غضباً . فأتى سالم بن مالك فاترعه . وألقى  
 جريحاً مع النساء . حتى فرغ القوم من القتال . وقتلت بنو عامر يومئذٍ من  
 تميم ثلاثين غلاماً أغرل . وخرج حاجب بن زرارة منزهماً . وتبعهُ الزهدمان  
 زهدمٌ وقيس ابنا حزن بن وهب العبسيان . فجعللا يطردان حاجباً  
 ويقولان له : استأسر وقد قدرا عليه . فيقول : من انما . فيقولان :

الزهدمان . فيقول : لا استأسر اليوم لموآيين . فبينما هم كذلك اذ  
 ادركهم مالك ذو الرقبة . فقال حاجب : استأسر . قال : ومن انت .  
 قال : انا مالك ذو الرقبة . فقال : افعُلْ فلعمري ما ادركتني حتى  
 كدت ان اكون عبداً . فالقى اليه رمحه . واعتنقه زهدم فالقاه عن فرسه .  
 فصاح حاجب : يا غوثاه . وجعل زهدم يراوغ قائم السيف . فتزل به مالك  
 واقتلع زهدماً عن حاجب . فمضى زهدم واخوه حتى أتيا قيس بن زهير  
 ابن جذيمة فقالا : اخذ مالك اسيرنا من ايدينا . قال : ومن اسيركما .  
 قالا : حاجب بن زرارة . فخرج قيس يتمثل قول حنظلة بن الشرقي  
 القيني أبي الطمّحان رافعاً صوته يقول :

أجدُ بني الشرقي أولعَ اني متى أستجرُ جاراً<sup>(١)</sup> وان عزّ يغديرِ  
 اذا قلت أوفى ادركته دروكة فيا موزعَ الجيرانِ بالغي أقصرِ  
 حتى وقف على بني عامر فقال : ان صاحبكم اخذ اسيرنا . قالوا : من  
 صاحبنا . قال : مالك ذو الرقبة اخذ حاجباً من الزهدمين . فجاءهم مالك  
 فقال : لم آخذهُ منها ولكنها استأسر لي وتركها . فلم يبرحوا حتى  
 حكّموا حاجباً في ذلك وهو في بيت ذي الرقبة . فقالوا : من اسرك  
 يا حاجب . فقال : اما من ردّني عن قصدي ومنعني ان أنجو ورأى مني  
 عورة فتركها فالزهدمان . واما الذي استأسرت له فمالك . فحكّموني في  
 نفسي . قال له القوم : قد جعلنا اليك الحكم في نفسك . فقال : اما  
 مالك فله الف ناقة . وللزهدمين مائة . فكان بين قيس ابن زهير وبين  
 الزهدمين مغاضبة . فقال قيس :

(١) روى الاغانى (١٦ : ٦٩) : ان اخاهم متى يمتلق جاراً

جزاني الزهدمان جزاء سوء      وكنت المرءُ يُجزي بالكرامة  
وقد دافعتُ قد علمتُ معداً      بني قرظ وعمهم قدامه  
ركبتُ بهم طريقَ الحقِ حتى      أتيتهم<sup>(١)</sup> بها مائة ظلامه

وزعم علماءؤنا انهم لما انهزم الناس خرجت بنو عامر وحلفاؤهم في آثارهم يقاتلون ويأسرون ويسلبون . فلحق قيس بن المنتفق عمرو بن عمرو فأسره . فاقبل الحرث بن الابرص في سرعان الخيل<sup>(٢)</sup> . فرآه عمرو مقبلاً فقال لقيس : ان ادركني الحرث قتلني وفاتك ما تلتمس عندي . فهل انت محسن اليّ والى نفسك تجز ناصيتي فتجعلها في كنانتك ولك العهد لأفينّ لك . ففعل . وادركها الحرث وهو ينادي قيساً ويقول : اقتل اقتل . فلحق عمرو بقومه . فلما كان في الشهر الحرام خرج قيس الى عمرو يستثيئه . وتبعه الحرث بن الابرص حتى قدما على عمرو بن عمرو . فأمر عمرو بن عمرو ابنة اخيه آمنة فقال : اضربي على قيس الذي انعم على عمك هذه القبة . وقد كان الحرث قتل اباه يوم جيلة . فجاءت بالقبة فرأت الحرث احياهما واجملها فظنته قيساً فضربت القبة وهي تقول : هذا والله رجل لم يطلع الدهر عليه بما اطلع به عليّ . فلما رجعت الى عمها عمرو قال : يا ابنة اخي على من ضربت القبة . فنعتت نعت الحرث . فقال : ضربتها والله على رجل قتل ابالك وامر بقتل عمك . فجزعت مما قال لها عمها . فقال الحرث بن الابرص :

أما تدرين يا ابنة آل زيد      أمينٌ بما أجنّ اليوم صدري

(٢) سرعان الخيل اوائلها

(١) اثبتهم (نقائض ج وف ٦٧٠)

ويجوز سرعان بسكون على حرف الراء

فكم من فارس لم تُرْزئِهِ<sup>١</sup> فتى الفتيان في عيصٍ وقصرِ  
 رأيت مكانه فصدت عنه فاعيا امره وشدت ازري  
 أمرت به لتخمشَ حنّاه<sup>٢</sup> فضيّع امره قيسٌ وامري  
 ثم ان عمراً قال : يا حارٍ ما الذي جاء بك فوالله ما لك عندي نعمة ولقد  
 كنت سيء الرأى في وقتلت اخي وامرت بقتلي . فقال : بل كفتت عنك  
 ولو شئت اذ ادركتك لقتلتك . قال : ما لك عندي من يدٍ . ثم تدمم  
 منه فاعطاه مائة من الابل . ثم انطلق . فذهب الحرث فلما جاء عمراً  
 قيسٌ اعطاه ابلاً كثيرة . فخرج قيس بها حتى اذا دنا من اهله سمع به  
 الحرث بن الابرص فخرج في فوارس من بني ابيه حتى عرض لقيس  
 فاخذ ما كان معه . فلما اتى قيس بني ابيه بني المنتفق اجتمعوا اليه وارادوا  
 الخروج . فقال : مهلاً لا تقاتلوا اخوتكم فانه يوشك ان يرجع وان  
 يؤول الى الحق فانه رجل حسود . فلما رأى الحرث ان قيساً قد كف  
 عنه ردّ اليه ما اخذ منه . واما عُنَيّة بن الحرث بن شهاب فانه أُسر  
 يومئذٍ فقيد في القدّ وكان يبول على قدمه حتى عفن . فلما دخل الشهر  
 الحرام هرب فافلت منهم بغير فداء . وغنم مرداس بن ابي عامر غنائم  
 وأخذ رجلاً فأخذ منه مائة ناقة . فانترعها منه بنو ابي بكر بن كلاب .  
 فخرج مرداس الى يزيد بن الصّعق وكان له خليلاً فانتهى اليه مرداس  
 وهو يقول :

لصرك ما ترجو معدّ ربيعها رجائي يزيداً بل رجائي اكثرُ  
 يزيدُ بن عمرو خيرٌ من شدّ ناقةً بأقتادها اذا الرياحُ تُصرصرُ

( ١ ) اي لم تُصابي به برزئته ( ٢ ) الحنة الزوجة يقال حنته وكلته

تداعت بنو بكر عليّ كانوا تداعت عليّ بالاخيرة بربر  
تداعت عليّ ان رأوني بجلوة وأنتم بأحراد الفوارس ابصر  
فركب يزيد حتى أخذ الابل من بني ابي بكر فردّها اليه . فطرقه البكريون  
فسقوه حتى سكر . ثم سألوه الابل . فاعطاهم اياها . فلما اصبح ندم  
فخرج الى يزيد فوجد الخبر قد جاءه . فقال له يزيد : اصاح انت أم  
سكران . فانصرف فاطرد إبلا من ابل بني جعفر فذهب بها  
وانصرف يومئذ سنان بن ابي حارثة المري في بني ذبيان على  
حاميته . فلحق بهم معاوية بن الصموت بن الكامل الكلابي وكان  
يسمى الاسد المجدع ومعه حملة العكلي ونفر من الناس . فلحق سنان بن  
ابي حارثة ومالك بن حمار الفزاري في سبعين فارساً من بني ذبيان .  
فقال سنان : يا مالك كز واحمنا ولك خولة بنت سنان ابنتي أزوجكها .  
فكرت مالك فقتل معاوية . ثم اتبعه حملة العكلي وهو يقول :  
لأي يوم ينجا المرء السعة مودع ولا يرى فيها الدعة  
فكرت عليه مالك فقتله . ثم اتبعه رجل من بني كلاب فكرت عليه مالك  
فقتله . ثم اتبعه رجلان من قيس كبة من بجيلة . فكرت عليها فقتلها .  
ومضى مالك واصحابه . فقال مالك في ذلك :

ولقد صددت عن الغنيمة حرماً  
أقبلته صدر الاغر وصارماً  
وابن الصموت تركت حين لقيته  
وابنا ربيعة في الغبار كلاهما  
وبغيت له لداً<sup>(١)</sup> وخيلي تطرد  
ذكرأ فخرأ على اليدين الابدأ  
في صدر مارنة<sup>(٢)</sup> يقوم ويقعد  
وابنا غني عامر والاسود

(١) الاحرد الذي ثقلت عليه الدرع (٢) اللدد الخصومة (٣) يريد قناة

حتى تنفس بعد نكظٍ مُججراً<sup>(١)</sup> أذهبت عنه والفرائصُ تُرعدُ  
 يعدو ببزيٍ سابحٍ ذو مئعةٍ نهدُ المراكلِ ذو تليلٍ أقود<sup>(٢)</sup>  
 فخطب إليه مالك خولة فأبا ان يزوجه . وأما بنو جعفر فيزعمون ان عروة  
 الرحال بن عتبة بن جعفر وجد سنان بن ابي حارثة وابنيه هرماً ويزيداً  
 على غدير قد كاد العطش يهلكهم فجزأ نواصيهم واعتقهم . ثم ان عروة  
 أتى سناناً بعد ذلك يستثنيه فلم يُبته ثواباً يرضاه . فقال عروة في ذلك :  
 ألا من مبلغٌ عني سناناً ألو كما لا أريد بها عتاباً  
 أفي الخضراء تقسيمٌ هجمتكم<sup>(٣)</sup> وعروة لم يُشب إلا الشراباً  
 فلو كان الجعافر ذا وعوني غداة الشعب لم تذق الشراباً  
 أتجزى القين زعمتها عليكم ولا تجزي بنعمتها كلاباً

### لييد والنعمان والربيع بن زياد

أخبر محمد بن حبيب عن ابن الاعرابي قال : وفد ابو براء ملاعب  
 الاسنة وهو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب واخوته طفيل ومعاوية  
 وعبيدة ومعهم لييد بن ربيعة بن مالك بن جعفر وهو غلام على النعمان  
 ابن المنذر فوجدوا عنده الربيع بن زياد العباسي . وكان الربيع ينادم

مارنة اي لدنة . رمح . مارن صلب لين ( ١ ) النكظ الجهد . والمججر المضطر  
 المُلجأ والمضيق عليه ( ٢ ) البز السلاح يريد يعدو بي سابح فرس يد يديه في  
 الجري . ميعته اول جريه وانشطه . نهد مرتفع اي عظيم المراكل والمراكل من  
 الفرس حيث تصيب برجلك . والتليل القوي العنق يريد قوي العنق . اقود سلس منقاد  
 ( ٣ ) هجمة قطعة ضخمة من الابل

النعمان مع رجل من اهل الشام تاجر يقال له زرجون بن نوفل وكان حريفاً للنعمان يعني زرجون يبايعه . وكان اديباً حسن الحديث والمنادمة . فاستخفه النعمان وكان اذا اراد ان يخلو على شرايه بعث اليه والى النطاسي متطيب كان له والى الربيع بن زياد وكان يدعى الكامل . فلما قدم الجعفر يون كانوا يحضرون النعمان لحاجتهم . فاذا خلا الربيع بالنعمان طعن فيهم وذكر معايبهم . ففعل ذلك بهم مراراً . وكانت بنو جعفر له اعداء . فصدّه عنهم . فدخلوا عليه يوماً فرأوا منه تغيراً وجفاءً وقد كان يكرمهم قبل ذلك ويقرب مجلسهم . فخرجوا من عنده غضاباً وليد في رحالهم يحفظ أمتعتهم ويغدو بابلهم كل صباح فيرعاها فاذا أمسى انصرف بابلهم . فاتاهم ذات ليلة فألفاهم يتذاكرون امر الربيع وما يلقون منه . فسألهم فكتموه . فقال لهم : والله لا احفظ لكم متاعاً ولا اسرح لكم بعيراً أو تحبوني . وكانت امّ لبيد امرأة من بني عبس وكانت يتيمة في حجر الربيع . فقالوا : خالك قد غلبنا على الملك وصدّ عنا وجهه . فقال لهم لبيد : هل تقدرين على ان تجمعوا بينه وبينى فازجره عنكم بقول كحسب ثم لا يلتفت النعمان اليه بعده ابداً . فقالوا : وهل عندك من ذلك شي . فقال : نعم . قالوا : فاننا نبلوك بشتم هذه البقلة لبقلة قدّامهم دقيقة القضبان قليلة الورق لاصقة فروعها بالارض تدعى التربة . فقال : هذه التربة التي لا تُذكي ناراً . ولا توهل داراً ولا تسرّ جاراً . عودها ضئيل . وفرعها كليل . وخيرها قليل . بلدها شاسع . ونبتها خاشع . وآكلها جائع . والمقيم عليها ضائع . اقصر البقول فرعاً . واخبثها مرعى . واشدّها قلعاً . فتعسا لها وجدعاً . ألقوا بي اخا بني عبس . أرجعه

عنكم بتعس ونكس . وأتركه من أمره في آس . فقالوا : نصبح فتري  
فيك رأينا . فقال لهم عامر : انظروا غلامكم فان رأيتموه نائماً فليس  
أمره بشيء . وإنما يتكلم بما جاء على لسانه ويهذي بما يهيجس في خاطره .  
وإذا رأيتموه ساهراً فهو صاحبكم . فرمقوه بآبصارهم فوجدوه قد  
ركب رَحْلاً فهو يكدم بأوسطه حتى أصبح . فلما أصبحوا قالوا : أنت  
والله صاحبنا . فحلقوا رأسه . وتركوا ذؤابتين والبسوه حلة . ثم غدوا  
به معهم على النعمان فوجدوه يتغذى ومعه الربيع وهما ياكلان ليس  
معه غيره والدار والمجالس مملوءة من الوفود . فلما فرغ من الغداء اذن  
للجعفرين . فدخلا عليه وقد كان تقارب امرهم فذكروا للنعمان الذي  
قدموا له من حاجتهم . فاعترض الربيع في كلامهم . فقام ليبد يرتجف  
ويقول :

يا رب هيجا هي خير من دعه      أكل يوم هامتي مُقرَّعه<sup>(١)</sup>  
نحن بنو أم البنين الأربعة      ومن خيار عامر بن صعصه  
المطعمون الجفنة المددعه      والضاربون الهام تحت الخيضة<sup>(٢)</sup>  
يا واهب الخير الكثير من سعه      اليك جاوزنا بلاداً مَسْبعة  
نُخبر عن هذا خيراً فاسمعه      مهلاً أبيت اللعن لا تأكل معه

ثم اخذ في هجاء الربيع . فلما فرغ من انشاده التفت النعمان الى الربيع  
شراً يرمقه فقال : أكذا أنت . قال : لا والله لقد كذب علي ابن الحقيق  
اللثيم . فقال النعمان : أف لهذا الغلام لقد خبت علي طعامي . فامر النعمان

(١) مُقرَّعة لا يُرى عليها الا اشعار متفرقة (٢) مددعه مملوءة .

بيني جعفر فأخرجوا . وقام الربيع فانصرف الى منزله . فبعث اليه النعمان  
بضعف ما كان يجبوه به وامره بالانصراف الى أهله . وكتب اليه  
الربيع : اني قد تخوفت ان يكون قد وقر في صدرك ما قاله لييد ولست  
برائم حتى تبعث من يفحص عن امري فيعلم من حضرك من الناس اني  
لست كما قال . فارسل اليه . انك لست صانعاً بانتفائك مما قال لييد  
شيئاً ولا قادراً على ما زلت به الالسن فالحق باهلك . فقال الربيع :

لئن رحلتُ جمالي إنَّ لي سعةً      ما مثلها سعةٌ عرضاً ولا طولاً  
بجيث لو وُزنت لحمٌ باجمها      لم يعدلوا ريشةً من ريش سنويلا<sup>(١)</sup>  
ترعى الروائمُ احرازَ البقول بها      لا مثل رعيكم ملجأً وغنويلا<sup>(٢)</sup>  
فأبرق بأرضك يا نعمان متكثاً      مع التّطاسي يوماً وابن توفيلاً  
فكتب اليه النعمان :

شرد برحلك عني حيث شئت ولا      تُكثِر عليّ ودع عنك الاباطيلا  
فقد ذُكرتَ به والركبُ حامله      ورداً يعلل اهل الشام والنيلا  
فما انتفاؤك منه بعد ما قطعت      هُرج المطي به ابراق شمليلا<sup>(٣)</sup>  
قد قيل ذلك إن حقاً وان كذباً      فما اعتذارك من شيء اذا قيلاً  
فالحق بجيث رأيت الارض واسعةً      وانشر بها الطرف إن عرضاً وان طولاً

~~~~~

(١) سمويل طائر (٢) روائم جمع رثم وهو الظبي . غسويل بنت
ينبت في السباخ . و اراد بالملح المالح من النبت (٣) ابراق جمع قلة
لبرقة . شمليل بلد

يوم الصفقة *

ان كسرى ابرويز كان قد توج هوزة بن العلي الحنفي وضم اليه جيشاً من الاساورة فوقع ببني تميم يوم الصفقة . وذلك قول الشاعر :

اشرب هنيئاً عليك التاج مرتفعاً بالشاذياخ^(١) ودع غمدان لليمن
فانت اولى بتاج الملك تلبسه من هوزة بن علي وابن ذي يزن

كان من حديث يوم الصفقة ان باذان عامل كسرى باليمن بعث الى كسرى عيراً تحمل ثياباً من ثياب اليمن ومسكاً وعنبراً وخرجين فيها مناطق محلاة . وخفراء تلك العير فيما يزعم بعض الناس بنو الجعيد المراديون . فساروا من اليمن لا يعرض لهم احد حتى اذا كان بخصي من بلاد بني حنظلة بن يربوع وغيرهم اغاروا عليها وقتلوا من فيها من بني جعيد والاساورة واقتسموها . وكان فيمن فعل ذلك النطف بن جبير وأسيد بن جنادة . فبلغ ذلك الاساورة الذين بهجر مع كزارجو المكعبير . فساروا الى بني حنظلة بن يربوع . فصادفهم على حوض . فقاتلوهم قتالاً شديداً . فهزمت الاساورة وقتلوا قتالاً شديداً ذريعاً . ويومئذ اخذ النطف الخرجين الذين يضرب بها المثل . فلما بلغ ذلك كسرى استشاط غضباً

وأما ما وجد عن ابن الكلبي في كتاب حماد الراوية : ان كسرى بعث الى عامله باليمن يعير وكان باذان على الجيش الذي بعثه كسرى الى

(*) ويقال له ايضاً يوم المشقر والمشقر حصن بالبحرين عظيم يلي حصناً آخر يقال له الصفا قبل مدينة هجر (١) الشاذياخ مدينة نيسابور

اليمن . وكانت العير تحمل نَبْعاً فكانت تُبذَرَقُ^(١) من المدائن حتى تُدفع الى النعمان ويُبذَرَقها النعمان بخفراء . من بني ربيعة ومضر حتى يدفعها الى هوزة بن علي الحنفي فيبذرقها حتى يخرجها من ارض بني حنيفة . ثم تُدفع الى سعد وتجعل لهم جعالة فتسير فيها فيدفعونها الى عمّال باذان باليمن . فلما بعث كسرى بهذه العير قال هوزة للاساورة : انظروا الذي تجعلونه لبني تميم فاعطونيهِ فانا أكفيكم أمرهم واسير فيها معكم حتى تبلغوا مأمناكم . فخرج هوزة والاساورة والعير معهم من هجر حتى اذا كانوا بنطاع بلغ بني سعد ما صنع هوزة فساروا اليهم وأخذوا ما كان معهم واقتسموه وقتلوا عامة الاساورة وسلبوهم وأسروا هوزة ابن علي . فاشترى هوزة نفسه بثلاثمائة بعير . فساروا معه الى هجر فاخذوا منه فداه . ففي ذلك يقول الشاعر بن كلاب :

ومنا رئيس القوم ليلة ادلجوا بهوزة مقرون اليدين الى النحر
وردنا به نخل اليامة عانياً عليه وثاق القيد والحلق السمر
فعمد هوزة عند ذلك الى الاساورة الذين اطلقهم بنو سعد وكانوا قد سلبوا فكساهم وحملهم . ثم انطلق معهم الى كسرى . وكان هوزة رجلاً جميلاً شجاعاً لبيباً . فدخل عليه فقصّ أمر بني تميم وما صنعوا . فدعا كسرى بكاس من ذهب فسقاه فيها وأعطاه اياها وكساه قباء^(٢) ديباج منسوجاً بالذهب واللؤلؤ وقلنسوة قيمتها ثلاثون الف درهم . وهو قول الاعشى :

لَهُ اَكَالِيلٌ بِالْيَاقُوتِ فَصَلَّاهَا صَوَّأَهَا لَا تَرَى عَيْبًا وَلَا طَبَعًا^(١)
 وَذَكَرَ أَنَّ كَسْرِي سَأَلَ هُوذَةَ عَنْ مَالِهِ وَمَعِيشَتِهِ . فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ فِي عَيْشٍ رَغِيدٍ
 وَأَنَّهُ يَغْزُو الْمَغَازِي فَيُصِيبُ . فَقَالَ لَهُ كَسْرِي فِي ذَلِكَ : كَمْ وَلَدُكَ . قَالَ :
 عَشْرَةٌ . قَالَ : فَأَيُّهُمْ أَحَبُّ إِلَيْكَ . قَالَ : غَائِبُهُمْ حَتَّى يُحْضِرَ وَصَغِيرُهُمْ
 حَتَّى يَكْبُرَ وَمَرِيضُهُمْ حَتَّى يَبْرَأَ . قَالَ كَسْرِي : الَّذِي أَخْرَجَ مِنْكَ هَذَا
 الْعَقْلَ حَمَلَكَ عَلَيَّ أَنْ طَلَبْتَ مِنِّي الْوَسِيلَةَ . وَقَالَ كَسْرِي لهُوذَةَ : رَأَيْتَ
 هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَتَلُوا إِسَاوَرْتِي وَأَخَذُوا مَالِي أَبَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ صُلْحٌ . قَالَ
 هُوذَةُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ حَسَابٌ^(٢) الْمَوْتِ وَهُمْ قَتَلُوا أَبِي . فَقَالَ
 كَسْرِي : قَدْ ادْرَكَتَ تَأْرَكَ فَكَيْفَ لِي بِهِمْ . قَالَ هُوذَةُ : إِنْ أَرْضَيْتَهُمْ
 لَا تَطْلِقُهَا إِسَاوَرْتِكَ وَهُمْ يَمْتَنِعُونَ بِهَا وَلَكِنْ أَحْبَسْ عَنْهُمْ الْمِيرَةَ فَإِذَا
 فَعَلْتَ ذَلِكَ بِهِمْ سَنَةَ أَرْسَلْتُ مَعِيَ جُنْدًا مِنْ إِسَاوَرْتِكَ فَأَقِيمَ لَهُمُ السُّوقَ
 فَانْهَمُ يَأْتُونَهَا فَتُصِيبُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ خَيْلُكَ . فَفَعَلَ كَسْرِي ذَلِكَ وَحَبَسَ
 عَنْهُمْ الْإِسْوَاقَ فِي سَنَةِ مَجْدَبَةَ . ثُمَّ سَرَّحَ إِلَى هُوذَةَ فَأَتَاهَا . فَقَالَ : أَنْتِ
 هَؤُلَاءِ . فَاشْفَنِي مِنْهُمْ وَاشْتَفِ . وَسَرَّحَ مَعَهُ جَوَارِيوُدَارَ وَرَجُلًا مِنْ
 أَرْدَشِيرِ نُحْرَهَ . فَقَالَ لهُوذَةَ : سِرْ مَعِ رَسُولِي هَذَا . فَسَارَ فِي الْفِ أَسْوَارَ
 حَتَّى نَزَلُوا الْمَشَقَّرَ مِنْ أَرْضِ الْبَحْرَيْنِ وَهُوَ حَصْنٌ هَجْرٌ . وَبَعَثَ هُوذَةَ إِلَى
 بَنِي حَنْيْفَةَ فَأَتَوْهُ فَدَنُوا مِنْ حَيْطَانِ الْمَشَقَّرِ . ثُمَّ نَوْدِي : إِنْ كَسْرِي قَدْ بَلَغَهُ
 الَّذِي أَصَابَكُمْ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَقَدْ أَمَرَ لَكُمْ بِمِيرَةٍ فَتَعَالَوْا فَاثَارُوا .
 فَانْصَبَ عَلَيْهِمُ النَّاسَ . وَكَانَ اعْظَمُ مِنْ أَتَاهُمْ بَنُو سَعْدٍ^(٣) فَنَادَى

(١) الطبع الدنسر واصله الصداً يفتى السيف (٢) اي تجرّع الموت

(٣) ذكر ابن الاعرابي ان المكعب تقدم في اتخاذ طعام على ظهر الحصن

مناذي الاساورة : لا يدخلها عربي بسلاح : فأقيم بوأيون على باب المشقر
 فاذا جاء الرجل ليدخل قالوا : ضع سلاحك وامتر واخرج من الباب
 الآخر . فيذهب به الى رأس الاساورة فيقتله . فاذا مرَّ رجل من بني سعد
 بينه وبين هوزة إخاء او رجل يرجوه قال للمكعب : هذا من قومي .
 فيخليه له : فنظر خيبري بن عبادة الى قومه يدخلون ولا يخرجون
 وتتخذ اسلحتهم وجاء ليمتار فلما رأى ما رأى قال : ويلكم أين
 عقولكم فوالله ما بعد السلب إلا القتل . وتناول سيفاً من رجل من
 بني سعد يُقال له مصاد وعلى باب المشقر سلسلة ورجل من الاساورة
 قابض عليها . فضربها فقطعها ويد الاسوار . فانفتح الباب فاذا الناس
 يُقتلون فثارت بنو تميم . فلما علم هوزة ان القوم قد نذروا به أمر المكعب
 فأطلق منهم مائة من خيارهم وخرج هارباً من الباب الاول هو
 والاساورة . فتبعهم بنو سعد والرباب فقتل بعضهم وافلت من أفلت

بجواب

بجواب رطب . فارتفع منه دخان عظيم . وبعث اليهم يمرض الطعام . فاغتروا
 وجاءوا فدخلوا الحصن . فأصق الباب عليهم (ولذا سمي يوم الصفقة . فغبروا
 هناك يستعملون في مهن البناء . فسار فيهم المثل فقيل في من قتل منهم : ليس
 بأول من قتله الدخان . واجشع من اسرى الدخان . واجشع من الوافدين على
 الدخان . واجشع من وفد تميم . وقال الشاعر في ذلك :

اذا ما مات ميت من تميم فسرَّك ان يعيش فجيُّ بزاد
 نجبر او بسمن او بشمر او الشيء الملفف في البجاد
 تراه يطوف في الأفاق حرصاً لياكل راس لقمان بن عاد
 وقال الميداني : ان الشيء الملفف في البجاد هو الوطب من اللبن

يوم كلاب الثاني

كان من حديث يوم كلاب الثاني فيم ذكر ابو عبيدة قال : لما
 اوقع كسرى ببني تميم يوم الصفة بالمشقة فقتل المقاتلة وبقيت الاموال
 والذراري بلغ ذلك مذحج فمضى بعضهم الى بعض وقالوا : اغتسوا بني
 تميم . ثم بعثوا الرسل الى قبائل اليمن وأحلافها من قضاة . فقالت مذحج
 للمأمور الحارثي وهو كاهن : ما ترى . فقال لهم : لا تغزوا بني تميم فانهم
 يسرون أعقاباً^(١) . ويردون مياهاً جباباً . فتكون غنيتكم تراباً .
 قال ابو عبيدة : فذكر انه اجتمع من مذحج ولقها اثنا عشر الفا . وكان
 رئيس مذحج عبد يغوث بن صلاة . ورئيس همدان رجل يُقال له
 مسرح^(٢) ورئيس كندة البراء بن قيس بن الحرث . فأقبلوا الى تميم . فبلغ
 ذلك سعداً والرباب فانطلق ناس من اشرافهم الى اكم بن صيفي وهو
 قاضي العرب يومئذ فاستشاروه . فقال لهم : اقلوا الخلاف على امرائكم
 واعلموا ان كثرة الصياح من الفشل والمرء يعجز لا محالة . يا قوم تثبتوا
 فان احزم الفريقين الركين . ورب عجلة تهب ريثاً . وانزروا للحرب .
 وادرعوا الليل فانه اخفى للويل . ولا جماعة لمن اختلف . فلما انصرفوا
 من عند اكم تهبوا واستعدوا للحرب . وأقبل اهل اليمن حتى اذا
 كانوا بتيمن نزلوا قريباً من الكلاب . ورجل من بني زيد بن رباح بن
 يربوع يقال له مشمت بن زنباع في ابل له عند خال له من بني سعد
 يُقال له زهير بن يوت . فلما ابصرهم المشمت قال لزهير : دونك الابل

وتنح عن طريقهم حتى آتى الحي فأنذرهم . (قال) فركب المشمت
ناقة ثم سار حتى اتى سعدا والرباب وهم على الكلاب فأنذرهم فأعدوا
للقوم وصبحوهم فأغاروا على النعم فطردوها . وجعل رجل من اهل
اليمن يرتجز ويقول :

في كل عامٍ نعمٌ ننتابه على الكلاب غيباً أربابه
(قال) فأجابه غلام من بني سعد كان في النعم على فرس له فقال :
عماً قليل سترى أربابه صلب القناة حازماً شبابه
على جياذٍ ضمّر عيابه

(قال) فأقبلت سعد والرباب . ورئيس الرباب النعمان بن جساس .
ورئيس بني سعد قيس بن عادم المنقري . فقال صبي حين دنا من القوم :
في كل عامٍ نعمٌ تحورنه يلبحه قوم وتنتجونه
أربابه نوكى^١ فلا يحمونه ولا يلاقون طعانا دونه
أنعم الابناء تحسبوننه هيات هيات ! اترجونه

فقال ضمرة بن اسد الحارثي : انظروا اذا استقم النعم فان اتكم الخيل
عصبا عصباً وثبتت الاولى للاخرى حتى تلحق فان أمر القوم هين . وان
لحق بكم القوم فلم ينظروا اليكم حتى يردوا وجوه النعم ولا ينتظر
بعضهم بعضاً فان أمر القوم شديد . وتقدمت سعد والرباب فالتقوا في
اوائل الناس فلم يلتفتوا اليهم واستقبلوا النعم من قبل وجوها فجعلوا
يضربونها بارماحهم . واختلط القوم فاقتتلوا قتالا شديدا يومهم حتى اذا
كان من آخر النهار قُتل النعمان بن جساس قتله رجل من اهل اليمن

كالت امه من بني حنظلة يقال له عبدالله بن كعب وهو الذي رماه .
فقال للنعمان حين رماه : خذها وانا ابن الحنظلية . فقال النعمان : تكيلتك
امك رب حنظلية قد غاظتني . فذهبت مثلاً . وظن اهل اليمن ان بني
تميم سيهزمهم قتل النعمان . فلم يؤدهم ذلك الا جراً عليهم . فاقتلوا
حتى حجز الليل بينهم فباتوا يحرس بعضهم بعضاً . فلما اصبحوا غدوا
على القتال . فنادى قيس بن عاصم : يال سعد . ونادى عبد يغوث : يال سعد .
قيس بن عاصم يدعو سعد بن زيد مناة بن تميم . وعبد يغوث يدعو سعد
العشيرة . فلما سمع ذلك قيس نادى : يال كعب . فنادى عبد يغوث :
يال كعب . قيس يدعو كعب بن سعد . وعبد يغوث يدعو كعب بن
عمرو . فلما رأى ذلك قيس من صنيع عبد يغوث قال : ما لهم اخزاهم
الله ما ندعو بشعار الا دعوا بثله . فنادى قيس : يال مقاعس يعني بني
الحرث بن عمرو بن كعب وكان يلقب مقاعساً . فلما سمع وعلة بن
عبدالله الجرهمي الصوت وكان صاحب اللواء يومئذ طرحه . وكان اول
من انهزم من اليمن . وحملت عليهم بنو سعد والرباب فهزموهم اقطع
هزيمة . وجعل رجل منهم يقول :

يا قوم لا يفلتكم الزيدان مُخْرِمٌ اعني به والديان

وجعل قيس بن عاصم ينادي : يال تميم لا تقتلوا الا فارساً فان الرجال
لكم . وجعل يرتجز ويقول :

لما تولوا عصاً شوازبا اقسمت لا اطعن الا راكبا

اني وجدت الطعن فيهم صائباً

وجعل يأخذ الاسارى فاذا اخذ اسيراً قال له : ممن انت . فيقول :

من بني رعبل . وهم اندال . فكان الاسارى يريدون بذلك رخصَ
 الفداء . فجعل قيس اذا أخذ اسيراً منهم دفعه الى من يليه من بني تميم
 ويقول : امسك حتى اصطاد لك رعبلة اخرى . فذهبت مثلاً . فما زالوا في
 آثارهم يقتلون ويأسرون حتى أسر عبد يغوث أسره فتى من بني عمير
 ابن عبد شمس . وقتل يومئذٍ علقمة بن سباح القرَيعي وهو فارس
 هَبُود^(١) . وأسر الاهتم واسمه سنان بن سمي ويومئذٍ سُمي الاهتم .
 ورئيس كندة البراء بن قيس . وقتلت التيم الادبر الحارثي وآخر من بني
 الحرث يقال له معاوية قتلها النعمان بن جساس . وقتل يومئذٍ من
 اشراقهم خمسة . وقتلت بنو ضمرة ابن لبيد الحاسي الكاهن قتله
 قبيصة بن ضرار . واما عبد يغوث فانطلق به العشمي الى اهله وكان
 العشمي أهوج . فقالت له أمه ورأت عبد يغوث عظيماً جميلاً : من أنت .
 قال : انا سيد القوم . فضحكت وقالت : قبحك الله من سيد قوم حين
 اسرك هذا الاهوج . فقال عبد يغوث :

وتضحك مني شيخة عشمية كأن لم تری قبلي اسيراً يانيا
 ثم قال لها : ايتها الحرّة هل لك الى خير . قالت : وما ذاك . قال : أعطني
 ابنتك مائة من الابل وينطلق بي الى الاهتم فاني اتخوف ان تنزعني سعد
 والرباب منه . فضمن له مائة من الابل وأرسل الى بني الحرث فوجهوا
 بها اليه . فقبضها العشمي فانطلق به الى الاهتم . وأنشأ عبد يغوث يقول :
 أَأَهْتُمْ يَا خَيْرَ الْبَرِيَةِ وَالِدَا وَرَهْطًا إِذَا مَا النَّاسَ عَدَّوْا الْمَسَاعِيَا
 تَدَارِكُ اسِيرًا عَانِيًا فِي بِلَادِكُمْ وَلَا تَتَّقَنِي^(٢) التِّيمُ أَلَقَ الدَّوَاهِيَا

(١) هَبُود فارس عمرو بن جميد المرادي (٢) لَا تَتَّقَنِي لَا تَظْفِرُ بِي

فشت سعد والرباب فيه . فقالت الرباب : يا بني سعد قتل فارسنا ولم
يقتل لكم فارس مذكور . فدفعه الالهتم اليهم . فأخذه عصمة بن أبير
التيهي فانطلق به الى منزله . فقال عديغوث : يا بني تيم اقتلوني قتلة
كرمة . فقال له عصمة : وما تلك القتلة . قال : اسقوني الخمر ودعوني
أنح على نفسي . فقال له عصمة : نعم . فسقاه الخمر ثم قطع له عراقاً
يقال له الاكحل وتركه يترف ومضى عنه عصمة وترك معه ابنين له .
فقالا : جمعت اهل اليمن وجئت لتصطلمنا فكيف رأيت صنع الله بك .
فقال عديغوث في ذلك :

ألا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا	فما لكما في اللوم نفع ولا ليا
ألم تعلمنا ان الملامة نفعها	قليل وما لومي اخي من شماليا
فيا راكباً إماماً عرضت فبلغن	نداماي من نجران ألا تلاقيا
أبا كرب والايهين كايهما	وقيساً بأعلى حضرموت اليمانيا
جزى الله قومي بالكلاب ملامة	صريحهم والآخرين المواليا
ولو شئت نجتني من الخيل نهدة	تري خلفها الحو الجياد تواليا ^(١)
ولكنني أحمي ذمار أييكم	وكان الرواح يمتظفن المحاميا
وتضحك مني شيخة عشمية	كأن لم تري قبلي اسيراً يانيا
وقد علمت عرسي مليكة انني	أنا الليث معدوا عليه وعاديا
أقول وقد شدوا لساني بنسعة	أمعشر تيم اطلقوا لي لسانيا ^(٢)

(١) الحو من الخيل التي تضرب الى الحضرة . نواليا توابع . يقول فرسي

لحفتها تسبق الحو فهي تناو فرسي (٢) يقول افعلوا بي خيراً لينطلق

لساني بشكركم فان لم تفعلوا فلساني مشدود لا اقدر على مدحكم

أمشرتيم قد ملكتم فأسججوا^(١) فان تقاتلوني تقتلوا بي سيداً
 أحقاً عباد الله أن لست سامعاً وقد كنتُ ثخارَ الجزورِ ومُعيلَ م
 وأنحر للشرب الكرام مطيتي وعادية سوم الجراد وزعتها^(٢)
 كأنني لم اركب جواداً ولم اقل ولم اسبأ الرزق الروي ولم اقل
 (قال) فضحكت العيشية . وهم أسروه وذلك انه لما أسر شدوا لسانه
 بنسعة لئلا يهجوهم وابوا الا قتله . فقتلوه بالنعمان بن جساس . فقالت
 صفة بنت الخرع ترثي النعمان :
 نِطاقه هندواني وجبته لقد أخذنا شفاء النفس لو شفيت
 وقال علقمة بن السباح لعمر بن الجعيد :
 لما رأيت الامر مخلوجة^(٣) اكهت فيه ذابلاً مارنا^(٤)
 قلت اه خذها فاني امرؤ يعرف رمحي الرجل الكاهنا

(١) اي سهلوا ويسروا (٢) تحربوني تسلبوني وتغلبوني بالغداء (٣) المعزب
 المنتحى بابله والمتالي التي تتج بعضها وبقي البعض (٤) الشرب جمع شارب
 واصدع أشق (٥) العادية القوم يركضون وسوم الجراد انتشاره . وزعتها
 كفتها (٦) نفسي ونسي (٧) السبأ شراء المحر للشرب والايثار
 الذين يضربون القداح (٨) فضاضة واسعة . اضاة غدير . موضونه منسوجة
 (٩) مخلوجة غير مستقيم (١٠) ذابل دقيق ومارن لدن يعني الرمح

قوله « يعرف رحمي الرجل الكاهنا » يريد ان عمرو بن الجعيد كان كاهنا
 وهر احد بني عامر بن الدليل بن شن بن اقصى بن عبد القيس ولم يزل
 ذلك في ولده . ومنهم الرباب بن البراء كان يتكهن ثم طلب خلاف اهل
 الجاهلية فصار على دين المسيح عليه السلام

عدي بن زيد

هو عدي بن زيد بن حمّار بن زيد بن ايوب بن مجروف^(١) بن عامر بن
 عصية بن امرئ القيس بن زيد مناة . هو قروي وقد أخذوا عليه في
 اشياء عيب فيها . وكان الاصمعي وابو عبيدة يقولان : عدي بن زيد
 في الشعراء بتزلة سهيل في النجوم يعارضها ولا يجري معها مجراها .
 وكذلك عندهم أمية بن ابي الصلت . ومثله كان عندهم من الاسلاميين
 الكعيت والطرماع . قال العجاج : كانا يسألاني عن الغريب فأخبرهما به
 ثم أراه في شعرهما وقد وضعاه في غير مواضعه . فقليل له : ولم ذاك .
 قال : لانها قرويان يصفان ما لم يريا فيضعانه في غير موضعه . وانا بدوي
 أصف ما رأيت فأضعه في مواضعه . وكذلك عندهم عدي وأميه . قال
 ابن الاعرابي فيما اخبرني به علي بن سليمان الاخفش قال : سبب نزول
 آل عدي بن زيد الحيرة أن جده أيوب بن مجروف كان منزله اليمامة
 في بني امرئ القيس بن زيد مناة . فأصاب دماً في قومه فهرب فلحق
 بأوس بن قلام أحد بني الحرث بن كعب بالحيرة . وكان بين ايوب بن

مجروف وبين أوس بن قلام هذا نسب من قبل النساء . فلما قدم عليه ايوب بن مجروف اكرمه واتزله في داره . فمكث معه ما شاء الله ان يمكث . ثم ان أوساً قال له : يا ابن خالي أتريد المقام عندي وفي داري . فقال له ايوب : نعم فقد علمت اني ان اتيت قومي وقد اصبت فيهم دماً لم أسلم وما لي دار الا دارك آخر الدهر . قال أوس : اني قد كبرت وأنا خائف ان اموت فلا يعرف ولدي لك من الحق مثل ما اعرف واخشى ان يقع بينك وبينهم امرٌ يقطعون فيه الرحم . فانظر احب مكان في الحيرة اليك فأعلمني به لأقطعك او ابتاعه لك . (قال) وكان لايوب صديق في الجانب الشرقي من الحيرة وكان منزل اوس في الجانب الغربي . فقال له قد احببت ان يكون المنزل الذي تسكن فيه عند منزل عصام بن عبدة أحد بني الحرث بن كعب . فابتاع له موضع داره بثلاثمائة أوقية من ذهب واتفق عليها مائتي أوقية ذهباً واعطاه مائتين من الابل برعائها وفرساً وقينة . فمكث في منزل اوس حتى هلك . ثم تحول الى داره التي في شرقي الحيرة فهلك بها . وقد كان ايوب اتصل قبل ملكه بالملوك الذين كانوا بالحيرة وعرفوا حقه وحق ابنه زيد ابن ايوب . فلم يكن منهم ملك يملك الا ولولد ايوب منه جوائز وحمالات^(١) . ثم ان زيد بن ايوب نكح امرأة من آل قلام فولدت له حمارة . فخرج زيد بن ايوب يوماً من الايام يريد الصيد في ناس من اهل الحيرة وهم منتدون^(٢) بجفير المكان الذي يذكره عدي بن زيد في

(١) حمالات ما يحمل اليه من الهدايا

(٢) منتدون اي مجتمعون . ويروى مبتدون اي نازلون البادية

شعره . فانفرد في الصيد وتباعد من اصحابه . فلقى رجلاً من بني امرئ القيس الذين كان لهم الثأر قبل ابيه . فقال له وقد عرف فيه شبه ايوب : من الرجل . قال : من بني تميم . قال : من ايهم . قال : مري . قال له الاعرابي : واين متزلك . قال : الحيرة . قال : أمن بني ايوب انت . قال : نعم ومن اين تعرف بني ايوب . واستوحش من الاعرابي وذكر الثأر الذي هرب ابوه منه . فقال له : سمعتُ بهم . ولم يُعلمه انه قد عرفه . فقال له زيد بن ايوب : فمن اي العرب انت . قال : انا امرؤ من طي . فأمنه زيد وسكت عنه . ثم ان الاعرابي اغتفل زيد بن ايوب فرماه بسهم فوضعه بين كتفيه ففلق قلبه . فلم يرم حافر دابته حتى مات . فلبث اصحاب زيد حتى اذا كان الليل طلبوه وقد افتقدوه وظنوا انه قد امعن في طلب الصيد فباتوا يطلبونه حتى ينسوا منه . ثم غدوا في طلبه فاقتنوا اثره حتى وقفوا عليه ورأوا معه أثر راكب يسيره . فاتبعوا الاثر حتى وجدوه قتيلاً . فعرفوا ان صاحب الراحلة قتله فاتبعوه واغذوا السير فأدركوه مساء الليلة الثانية . فصاحوا به . وكان من ارعى الناس فامتنع منهم بالنبل حتى حال الليل بينهم وبينه وقد اصاب رجلاً منهم في مرجع كتفيه^٢ بسهم . فلما اجته الليل مات وأفلت الرامي . فرجعوا وقد قتل زيد بن ايوب ورجلاً آخر معه من بني الحرث بن كعب . فكث حمار في احواله حتى أيفع ولحق بالوصفاء . فخرج يوماً من الايام يلعب مع غلمان بني حيان . فلطم اللحياني عين حمار . فشجّه حمار .

(٢) مرجع الكتف اسفلها وهو ما يلي الابط منها من جهة منبض القلب يقال طمنه في مرجع كتفيه

فخرج أبو اللحياني فضرب حماراً . فأتى حمار امه يبكي . فقالت له : ما شأنك . فقال : ضربني فلان لان ابنة لطمني فشججته . فجزعت من ذلك وحوّلتها الى دار زيد بن ايوب وعلمته الكتابة في دار ابيه . فكان حمار أول من كتب من بني ايوب . فخرج من اكتب الناس وطلب حتى صار كاتب ملك النعمان الاكبر فلبث كاتباً له حتى وُلد له ابن من امرأة تزوجها من طي فسماه زيدا باسم ابيه . وكان لحمار صديق من الدهاقين العطاء يقال له فروخ ماهان وكان محسناً الى حمار . فلما حضرت حماراً الوفاة أوصى بابنه زيد الى الدهقان وكان من المرازبة . فأخذه الدهقان اليه فكان عنده مع ولده . وكان زيد قد حذق الكتابة والعربية قبل ان يأخذه الدهقان . فعلمه لما اخذه الفارسية فأقفاها وكان لبيبا . فأشار الدهقان على كسرى (انوشروان) أن يجعله على البريد في حوائجه . ولم يكن كسرى يفعل ذلك الا باولاد المرازبة . فكث يتولّى ذلك لكسرى زماناً . ثم ان النعمان النصري اللخمي هلك . فاختلف اهل الحيرة في من يملكونه الى ان يعقد كسرى الامر لرجل ينصبه . فأشار عليهم المرزبان يزيد بن حمار . فكان على الحيرة الى ان ملك كسرى المنذر بن ماء السماء . ونكح زيد بن حمار نعمة بنت ثعلبة العدوية فولدت له عدياً . وملك المنذر وكان لا يعصيه في شيء . وولد للمرزبان ابن فسماه شاهان مرد . فلما تحرك عدي بن زيد وأيفع طرحه أبوه في الكتاب حتى اذا حذق أرسله المرزبان مع ابنة شاهان مرد الى كتاب الفارسية . فكان يختلف مع ابنه ويتعلم الكتابة والكلام بالفارسية حتى خرج

(١) جمع دُهقان بضم الدال وفتحها ومعناه الرئيس

من أفهم الناس بها وأفصحهم بالعربية وقال الشعر وتعلم الرمي
بالنشاب . فخرج من الاساورة الرماة وتعلم نعب العجم على الخيل
بالصوالة وغيرها . ثم ان المرزبان وفد على كسرى ومعه ابنه شاهان
مرد . فبينما هما واقفان بين يديه اذ سقط طائران على السور . فقال
كسرى للمرزبان وابنه : ليرم كل واحد منكما واحداً من هذين الطائرين
فان قتلتاهما ادخلتكما بيت المال وملأت افواهكما بالجواهر . ومن اخطأ
منكما عاقبته . فاعتمد كل واحد منهما طائراً منها ورميا فقتلاهما
جميعاً . فبعثهما الى بيت المال فملئت افواههما جوهراً وأثبت شاهان مرد
وسائر اولاد المرزبان في صحابته . فقال فروخ ماهان عند ذلك للملك :
ان عندي غلاماً من العرب مات أبوه وخلفه في حجري فريته فهو افصح
الناس وأكثبهم بالعربية والفارسية والملك محتاج الى مثله فان رأى ان
يُثبته في ولدي فعل . فقال : ادعه . فارسل الى عدي بن زيد وكان جميل
الوجه فائق الحسن وكانت الفرس تتبرك بالجميل الوجه فلما كلمه وجدته
اظرف الناس وأحضرهم جواباً . فرغب فيه وأثبته مع ولد المرزبان .
فكان عدي اول من كتب بالعربية في ديوان كسرى . فرغب اهل
الحيرة الى عدي ورهبوه . فلم يزل بالمداين في ديوان كسرى يؤذن له
عليه في الخاصة وهو مُعجَب به قريب منه وابوه زيد بن حمار يومئذ
حي إلا ان ذكر عدي قد ارتفع وخمل ذكر أبيه . فكان عدي اذا
دخل على المنذر قام جميع من عنده حتى يقعد عدي . فعلا له بذلك
صيت عظيم . فكان اذا أراد المقام بالحيرة في منزله ومع أبيه وأهله
استأذن كسرى فأقام فيهم الشهر والشهرين واكثر وأقل . ثم ان كسرى

ارسل عدي بن زيد الى ملك الروم بهدية من طُرف ما عنده . فلما أتاه بها عدي أكرمه وحمله الى اعماله على البريد ليريه سعة ارضه وعظيم ملكه . وكذلك كانوا يصنعون . فمن ثم وقع عدي بدمشق وقال فيها الشعر . فكان مما قاله بالشأم وهي أوّل شعر قاله فيما ذكر :

ربّ دارٍ بأسفلِ الجِزَعِ من دَومَةٍ مِ أشهى اليّ من جَبيرونِ
وندامي لا يفرحون بما نا
قد سُقيتُ السَّمولَ في دارِ بشرِ
ثم كان أوّل ما قاله بعدها قوله :

لمن الدارُ تعفّت بخيمٍ
أصبحت غيرَها طولُ القِدمِ
ما تَبيّنُ العينُ من آياتِها
غيرَ نُويّ مثلَ خطِّ القلمِ
وثلاث كالحماماتِ بها
بين مجّاهنَ توشيمُ الحُتمِ^(٢)

(قال) وفسد امر الحيرة وعدي بدمشق حتى اصلىح ابوه بينهم . لان اهل الحيرة حين كان عليهم المنذر أرادوا قتله لانه كان لا يعدل فيهم وكان يأخذ من اموالهم ما يعجبه . فلما تيقن ان اهل الحيرة قد اجمعوا على قتله بعث الى زيد بن حمار بن زيد بن ايوب وكان قبله على الحيرة فقال له : يا زيد انت خليفة ابي وقد بلغني ما اجمع عليه اهل الحيرة فلا حاجة لي في ملككم دونكموه مأكوه من شتم . فقال له زيد : ان الامر ليس اليّ ولكني أسبرُ لك هذا الامر ولا آلوك نصحاً . فلما اصبح غدا اليه الناس فحيوه تحية الملك وقالوا له : ألا تبث الى عبدك الظالم يعنون

(١) جبل بعائتين . وموضع بالجزيرة (٢) ثلاث يعني الاثاني التي تُنصب عليها القدر . والتوشيم آثار الوقود قد صار فيها كالوشم

المنذر فتريح منه رعيتك . فقال لهم : أولاً خير من ذلك . قالوا : أشر علينا . قال : تدعونني على حاله فإنه من اهل بيت مُلك وأنا آتيه فأخبره أن اهل الحيرة قد اختاروا رجلاً يكون امر الحيرة اليه إلا ان يكون غزو او قتال فلك اسم المُلك . وليس اليك سوى ذلك من الامور . قالوا : رأيك افضل . فأتى المنذر فأخبره بما قالوا . وقبل ذلك وفرح وقال : ان لك يا زيد عليّ نعمة لا اكفرها ما عرفتُ حقَّ سبدي^(١) فولّى اهل الحيرة زيدياً على كل شيء . سوى اسم الملك فانهم اقرّوه للمنذر وفي ذلك يقول عدي :

نحن كنا قد علمتم قبلكم عند البيت وأوتاد الإصار

(قال) ثم هلك زيد وابنه عدي يومئذ بالشام . وكانت لزيد الف ناقة للمخيمات كان اهل الحيرة اعطوه اياها حين ولّوه ما ولّوه . فلما هلك ارادوا اخذها . فبلغ ذلك المنذر فقال : لا واللات والعزى لا يؤخذ مما كان في يد زيد تُفروق^(٢) وانا اسمع الصوت . ففي ذلك يقول عدي ابن زيد لابنه النعمان بن المنذر :

وأبوك المرء لم يُشناً به يوم سيم الحسف منّا ذو الحسار

(قال) ثم ان عدياً قدم المدائن على كسرى بهديّة قيصر فصادف اياه والمرزبان الذي رباه قد هلكا جميعاً . فاستأذن كسرى في الامام بالحيرة . فأذن له . فتوجه اليها . وبلغ المنذر خبره فخرج فلتقاهُ الناس ورجع معه وعدي أنبل اهل الحيرة في انفسهم ولو أراد ان يملكوه لملكوه ولكنهُ

(١) سبدي كان صن لاهل الحيرة (٢) تفروق قمع الثمرة اللازق بما

كان يوثر الصيد واللهو واللعب على الملك . فمكث سنين يبدو^(١) في فصلي السنة فيقيم في حفير ويشتو باخيرة ويأتي المدائن في خلال ذلك فيخدم كسرى . فمكث ذلك سنين وكان لا يوثر على بلاد بني يربوع مَبْدَى^(٢) من مبادي العرب ولا ينزل في حي من احياء بني تيم غيرهم . وكان أخلاؤه من العرب كلهم بني حفير . وكانت ابله في بلاد بني ضبة وبلاد بني سعد وكذلك كان أبوه يفعل لا يجاوز هذين الحيين بابله . ولم ينزل على حاله تلك حتى تزوج هنداً بنت النعمان بن المنذر وهي يومئذ جارية حين بلغت او كادت

وذكر هشام بن الكلبي قال : كان لعدي بن زيد اخوان احدهما اسمه عمارة وثقبه أبي والآخر اسمه عمرو ولقبه سُمَي . وكان لهم اخ من امهم يقال له عدي بن حنظلة من طي . وكان أبي يكون عند كسرى وكانوا اهل بيت نصارى يكونون مع الاكسرة ولهم معهم اكل وناحية يقطعونهم القطائع ويجزلون صلاتهم . وكان المنذر لما ملك جعل ابنه النعمان بن المنذر في حُجر عدي بن زيد . فهم الذين ارضعوه وربّوه . وكان للمنذر ابن آخر يقال له الاسود أمه مارية بنت الحرث . فارضعه ورباه قوم من اهل الحيرة يقال لهم بنو مَرِينَا ينتسبون الى لحم وكانوا أشرافاً . وكان للمنذر سوى هذين من الولد عشرة . وكان ولده يقال لهم الاشاهب من جاهم . فذلك قول اعشى بن قيس بن ثعلبة :
وبنو المنذر الاشاهب في الحيرة م يمشون غدوة كالسيوف

(١) يبدو يخرج الى البادية

(٢) المبدى خلاف المحضر وهو المنتجع في البادية للكلاء

وكان النعمان من بينهم أحمر أبرش قصيراً وأمه سلمى بنت وائل بن
 عطية الصائغ من اهل فدك . فلما احتضر المنذر وخلف اولاده العشرة
 أوصى بهم الى اياس بن قبيصة الطائي وملكه على الحيرة الى أن يرى
 كسرى رأيه . فمكث مملكاً عليها شهراً وكسرى في طلب رجل يملكه
 عليهم . فلم يجد احداً يرضاه . فضجر وقال : لأبعثن الى الحيرة اثني
 عشر الفاً من الاساورة ولأملكن عليهم رجلاً من الفرس ولأمرنهم
 ان ينزلوا على العرب في دورهم ويملكوا عليهم اموالهم ونساءهم .
 وكان عدي بن زيد واقفاً بين يديه . فأقبل عليه وقال : ويحك يا عدي
 من بقي من آل المنذر وهل فيهم احد فيه خير . فقال : نعم ايها الملك
 السعيد ان في ولد المنذر لبقية فيهم كلهم خير . فقال : ابعث اليهم
 فأحضرهم . فبعث اليهم فأحضرهم وانزلهم جميعاً عنده . ويقال بل
 شخص عدي بن زيد الى الحيرة حتى خاطبهم بما اراد واوصاهم ثم
 قدم بهم الى كسرى . (قال) فلما نزلوا على عدي بن زيد أرسل الى
 النعمان : لست املك غيرك . فلا يوحشك ما أفضل به اخوتك عليك من
 الكرامة فاني انا اغترهم بذلك . ثم كان يفضل اخوته جميعاً عليه في
 النزل والاكرام والملازمة ويُرِيهم تنقُصاً للنعمان وانه غير طامع في تمام
 امرٍ على يده وجعل يخلو بهم رجلاً رجلاً فيقول : اذا أدخلتكم على
 الملك فالبسوا أفخر ثيابكم وأجملها . واذا دعا لكم بالطعام لتأكلوا فتباطأوا
 في الاكل وصغروا اللقم وتزروا ما تأكلون . فاذا قال لكم : أتكفوني
 العرب . فقولوا : نعم . فاذا قال لكم : فان شئ احدكم عن الطاعة وأفسد
 أتكفونني . فقولوا : لا ان بعضنا لا يقدر على بعض . ليهابكم ولا يطمع

في تفرقكم ويعلم ان للعرب منعة وبأساً . فقبلوا منه . وخلا بالنعمان
 فقال له : البس ثياب السفر وادخل متقلداً بسيفك . واذا جلست للاكل
 فعظم اللقم وأسرع المضغ والبلع وزد في الأكل وتجوّع قبل ذلك فان
 كسرى يعجبه كثرة الأكل من العرب خاصة ويرى انه لا خير في العربي
 اذا لم يكن أكولاً شرهاً ولا سياً اذا رأى غير طعامه وما لا عهد له
 به . واذا سألك : هل تكفيني العرب . فقل : نعم . فاذا قال لك : فمن
 لي باخوتك . فقل له : ان عجزت عنهم فاني عن غيرهم لأعجز . (قال)
 وخلا ابن مرينا بالاسود فسأله عما اوصاه به عدي . فاخبره . فقال :
 غشك والصليب والمعمودية وما نصحك وان اطعتني لتخالفن كل ما
 أمرك به ولتماكن وان عصيتني ليماككن النعمان . ولا يفرنك ما أراكه
 من الأكرام والتفضيل على النعمان فان ذلك دهاء فيه ومكر وان هذه
 المعدية لا تخلو من مكر وحيلة . فقال له : ان عدياً لم يأبني نصحاً وهو
 اعلم بكسرى منك وان خالفته او حشته وأفسد علي . وهو جاء بنا
 ووصفنا والى قوله يرجع كسرى . فلما أيس ابن مرينا من قبواه منه
 قال : ستعلم . ودعا بهم كسرى فلما دخاوا عليه اعجبه جمالهم وكاملهم
 ورأى رجالاً قلما رأى مثلهم . فدعا لهم بالطعام ففعلوا ما أمرهم به
 عدي . فجعل ينظر الى النعمان من بينهم ويتأمل أكله فقال لعدي
 بالفارسية : ان يكن في أحد منهم خيرٌ ففي هذا . فلما غسلوا ايديهم
 جعل يدعوهم رجالاً رجلاً رجلاً فيقول له : اتكفيني العرب . فيقول : نعم
 أكفيها كلها إلا اخوتي . حتى انتهى الى النعمان آخرهم فقال : اتكفيني
 العرب . قال : نعم . قال : كلها . قال : نعم . قال : فكيف لي باخوتك .

قال : ان عَجِزَتْ عَنْهُمْ فَاَنَا عَنْ غَيْرِهِمْ اعْجِزْ . فَمَلَكَهُ وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَالْبَسَهُ
 تاجاً قِيمَتُهُ سِتُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فِيهِ اللَّوْلُؤُ وَالذَّهَبُ . فَلَمَّا خَرَجَ وَقَدْ مَلَكَ
 قَالَ ابْنُ مَرِينَا لِلْأَسْوَدِ : دُونَكَ عُقْبَى خِلَافِكَ لِي . ثُمَّ انْ عَدِيّاً صَنَعَ طَعَاماً
 فِي بَيْعَةٍ وَأَرْسَلَ إِلَى ابْنِ مَرِينَا ان : ائْتِنِي بِمَنْ أَحْبَبْتَ فَإِنِّي لِي حَاجَةٌ . فَأَتَى
 فِي نَاسٍ فَتَغَدَّوْا فِي الْبَيْعَةِ . فَقَالَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ لِبْنِ مَرِينَا : يَا عَدِيُّ انَّ
 أَحَقَّ مِنْ عَرَفَ الْحَقَّ ثُمَّ لَمْ يَلْمُ عَلَيْهِ مِنْ كَانَ مِثْلَكَ . وَإِنِّي قَدْ عَرَفْتُ ان
 صَاحِبُكَ الْأَسْوَدُ بْنُ الْمَنْدَرِ كَانَ أَحَبَّ إِلَيْكَ ان يَمْلِكُ مِنْ صَاحِبِي النُّعْمَانِ .
 فَلَا تَلْمُنِي عَلَى شَيْءٍ . كُنْتَ عَلَى مِثْلِهِ . وَأَنَا أَحَبُّ ان لَا تَحْتَدَّ عَلَيَّ شَيْئاً لَوْ
 قَدَرْتَ عَلَيْهِ رَكْبَتَهُ . وَأَنَا أَحَبُّ ان تُعْطِيَنِي مِنْ نَفْسِكَ مَا أُعْطِيَكَ مِنْ نَفْسِي
 فَإِن نَصِيْبِي فِي هَذَا الْأَمْرِ لَيْسَ بِأَوْفَرَ مِنْ نَصِيْبِكَ . وَقَامَ إِلَى الْبَيْعَةِ فَحَلَفَ
 ان لَا يَهْجُوهُ أَبَداً وَلَا يَبْغِيَهُ غَائِلَةً أَبَداً وَلَا يَزْوِيَّ عَنْهُ خَيْراً أَبَداً . فَلَمَّا فَرَغَ
 عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ قَامَ عَدِيُّ بْنُ مَرِينَا فَحَلَفَ مِثْلَ مِثْلِهِ ان لَا يَزَالُ يَهْجُوهُ أَبَداً
 وَيَبْغِيهِ الْغَوَائِلَ مَا بَقِيَ . وَخَرَجَ النُّعْمَانُ حَتَّى تَوَلَّى مِثْلَ أَبِيهِ بِالْحَيْرَةِ . فَقَالَ
 عَدِيُّ بْنُ مَرِينَا لِعَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ :

أَلَا أَبْلُغُ عَدِيّاً عَنْ عَدِيٍّ	فَلَا تَجْزَعُ وَإِن رَأَيْتَ قُواكَا
هِيََا كَلْنَا تَبْرُّ لَعِيْرٍ قَقْدٍ	لُتَحْمَدُ أَوْ يَسْتَمُّ بِهِ غِنَاكَا
فَإِن تَظْفَرَ فَلَمْ تَظْفَرَ حَمِيداً	وَإِن تَعَطَّبَ فَلَا يَبْعَدُ سِوَاكَا
نَدِمْتَ نَدَامَةَ الْكُفْسِيِّ لَمَّا	رَأَيْتَ عَيْنَاكَ مَا صَنَعْتَ يَدَاكَا

(قال) ثم قال عدي بن مرينا للأسود : أما إذا لم تظفر فلا تعجزن ان
 تطلب بئارك من هذا المعدي الذي فعل بك ما فعل فقد كنت اخبرك
 ان معداً لا ينام كيدها ومكرها وأمرتك ان تعصيه فخالفتني . قال : فما

تريد . قال : اريد ان لا ياتيكَ فائدة من مالك وأرضك إلا عرضتها عليّ .
 ففعل . وكان ابن مرينا كثير المال والضيعة . فلم يكن في الدهر يوم
 ياتي الا على باب النعمان هدية من ابن مرينا . فصار من اكرم الناس عليه
 حتى كان لا يقضي في ملكه شيئاً الا بأمر ابن مرينا . وكان اذا ذُكر
 عدي بن زيد عند النعمان أحسن الثناء عليه وشيخ ذلك بان يقول : ان
 عدي بن زيد فيه مكر وخديعة . والمعدي لا يصلح الا هكذا . فلما رأى
 من يُطيف بالنعمان منزلة ابن مرينا عنده ثرؤموه وتابعوه . فجعل يقول
 لمن يثق به من اصحابه : اذا رأيتموني اذكر عدياً عند الملك بخير فقولوا :
 انه لكذلك ولكنهُ لا يسلم عليه احد وانه ليقول ان الملك يعني النعمان
 عاملاً وانه هو ولأه ما ولأه . فلم يزالوا بذلك حتى اضغنوه عليه فكتبوا
 كتاباً على لسانه الى قهرمان له ثم دسوا اليه حتى اخذوا الكتاب منه واتوا
 به النعمان . فقرأه فاشتد غضبه فأرسل الى عدي بن زيد : عزمت عليك الا
 زرتني فاني قد اشتقت الى رؤيتك . وعدي يومئذ عند كسرى . فاستأذن
 كسرى . فأذن له . فلما أتاه لم ينظر اليه حتى حبسه في محبس لا يدخل
 عليه فيه احد . فجعل عدي يقول الشعر في الحبس . هذه رواية الكلبي في
 قصائد كثيرة كان يقولها فيه ويكتب بها اليه فلا تغني عنده شيئاً
 واما المفضل الضبي فانه ذكر ان عدي بن زيد لما قدم على النعمان
 صادقه لا مال عنده ولا اثاث ولا ما يصلح للملك وكان آدم اخوته
 منظرًا وكلهم اكثر مالا منه . فقال له عدي : كيف اصنع بك ولا مال
 عندك . فقال له النعمان : ما أعرف لك حيلة الا ما تعرفه أنت . فقال له : قم
 بنا نغض الى ابن قردس رجل من اهل الحيرة من دومة . فاتياه ليقترضا منه

مألاً . فأبى ان يُقرضهما وقال : ما عندي شي . فأتيا جابر بن شمعون وهو الاسقف احد بني الاوس بن قلام . فاستقرضا منه مألاً . فانزلها عنده ثلاثة ايام يذبح لهم ويسقيهم الخمر . فلما كان في اليوم الرابع قال لهما : ما تريدان . فقال لهُ عدي : تقرضنا اربعين الف درهم يستعين بها النعمان على امره عند كسرى . فقال : لكما عندي ثمانون الفاً . ثم اعطاها اياها . فقال النعمان لجابر : لا جرم لا جرى لي درهم الا على يديك ان انا ما كنت . وجابر هو صاحب القصر الابيض بالحيرة . ثم ذكر من قصة النعمان واخوته وعدي وابن مرينا مثل ما ذكره ابن الكلبي . وقال المفضل خاصة : ان سبب حبس النعمان عدي بن زيد ان عدياً صنع ذات يوم طعاماً للنعمان وسأله ان يركب اليه ويتغدى عنده هو واصحابه . فركب النعمان اليه . فاعترضه عدي بن مرينا فاحتبسهُ حتى تغدى عنده هو واصحابه وشربوا حتى ثملوا . ثم ركب الى عدي ولا فضل فيه فأحفظهُ ذلك . ورأى في وجه عدي الكراهة فقام وركب ورجع الى منزله . فقال عدي بن زيد في ذلك من فعل النعمان :

أَحْبَبْتَ مَجْلِسَنَا وَحَسَنَ مَ حَدِيثِنَا يُودِي بِإِلَيْكَ
فَالْمَالُ وَالْأَهْلُونَ مَصْرَعَةٌ مَ لِأَمْرِكَ أَوْ نَكَالِكَ
مَا تَأْمُرُنْ فِينَا فَأَمْرُكَ مَ فِي يَمِينِكَ أَوْ شِمَالِكَ

(قال) وأرسل النعمان ذات يوم الى عدي بن زيد فأبى ان يأتيه . ثم اعاد رسوله . فأبى ان يأتيه . وقد كان النعمان شرب . فغضب وأمر به فسحب من منزله حتى انتهى به اليه فحبسه في الصَّيْنِ ولجَّ في حبسه وعدي يرسل اليه بالشعر

وقالوا جميعاً : فلما سجن عدي بن زيد كتب الى أخيه أبي وهو مع

كسرى بهذا الشعر :

أبلغُ أياً على نأيه وهل ينفع المرة ما قد علم
بأن أخاك شقيق القوة د كنت به واثقاً ما سلم
لدى ملك موثق في الحديد م إماً بحق وإماً ظلم
فلا أعرفك كذات الغلا م ما لم تجد عارماً تعترم^(١)
فأرضك أرضك ان تأتينا تم نومة ليس فيها حلم^(٢)

قال فكتب اليه اخوه أبي :

ان يكن خانك الزمان فلا عا جز باع ولا ألف^(٣) ضعيف
ويمين الاله لو ان جاؤا^(٤) م طحوناً تضي فيها السيوف
ذات رز^(٥) مجتابة غمرة المو ت صحيح سربالها مكفوف
كنت في حنيتها لجئتك اسعى فاعلمن لو سمعت اذ تستضيف
أو بال سئلت دونك لم يمنع م تلالد حاجة او طريف
أو بارض أستطيع آتيك فيها لم يهمني بعد بها او مخوف
إن يعني والله ألف فجوعاً لا يعنك ما يصبو الخريف
في الاعادي وانت مني بعيد عز هذا الزمان والتعنيف
ولعمري لئن جزعت عليه لجزوع على الصديق اسوف

(١) المعنى ان ام الغلام ان لم نجد من ترضعه درت هي فحلبت ثديها .
يقال هذا للمتكلف ما ليس من شأنه (٢) النومة التي ليس فيها حلم هي
الموت (٣) ألف اي عيب بظي الكلام (٤) كتيبة جاؤا
يعلوها لون السواد لكثرة الدروع يريد جيشاً عظيماً (٥) الرز الصوت الخفي

ولعمري لئن ملكتُ عَزَائِي لَقَلِيلٌ شُرُوكٌ^(١) فَمَا اطُوفُ
 قَالُوا جَمِيعاً : فَلَمَّا قَرَأَ أَبِي كِتَابَ عَدِي قَامَ إِلَى كَسْرَى فَكَلَّمَهُ فِي أَمْرِهِ
 وَعَرَفَهُ خَبْرَهُ . فَكَتَبَ إِلَى النُّعْمَانَ بِأَمْرِهِ بِاطْلَاقِهِ وَبَعَثَ مَعَهُ رَجُلًا .
 وَكَتَبَ خَلِيفَةُ النُّعْمَانَ إِلَيْهِ : أَنَّهُ قَدْ كَتَبَ إِلَيْكَ فِي أَمْرِهِ . فَاتَى النُّعْمَانَ
 أَعْدَاءُ عَدِي مِنْ بَنِي بُقَيْلَةَ وَهُمْ مِنْ غَسَّانٍ فَقَالُوا لَهُ : اقْتُلْهُ السَّاعَةَ . فَأَبَى
 عَلَيْهِمْ . وَجَاءَ الرَّسُولُ . وَكَانَ أَخُو عَدِي تَقَدَّمَ إِلَيْهِ وَرِشَاءً وَأَمْرَهُ أَنْ يَبْدَأَ
 بَعَدِي فَيَدْخُلُ إِلَيْهِ وَهُوَ مَحْبُوسٌ بِالصَّنِينِ . فَقَالَ لَهُ : ادْخُلْ عَلَيْهِ فَانظُرْ مَا
 يَأْمُرُكَ بِهِ فَاثْمِلْهُ . فَدَخَلَ الرَّسُولُ عَلَى عَدِي فَقَالَ لَهُ : أَنِي قَدْ جِئْتُ
 بِرِسَالِكَ فَمَا عِنْدَكَ . قَالَ : عِنْدِي الَّذِي تَحِبُّ . وَوَعَدُهُ بَعْدَ سَنِيَّةٍ وَقَالَ لَهُ : لَا
 تَخْرُجَنَّ مِنْ عِنْدِي وَاعْطِنِي الْكِتَابَ حَتَّى أَرْسَلَهُ إِلَيْهِ . فَانَكَ وَاللَّهِ أَنْ خَرَجْتَ
 مِنْ عِنْدِي لِأَقْتُلَنَّ . فَقَالَ : لَا أُسْتَطِيعُ إِلَّا أَنْ آتِيَ الْمَلِكَ بِالْكِتَابِ فَأَوْصَلَهُ
 إِلَيْهِ . فَانْطَلَقَ بَعْضُ مَنْ كَانَ هُنَاكَ مِنْ أَعْدَائِهِ فَاخْبَرَ النُّعْمَانَ أَنَّ رَسُولَ كَسْرَى
 دَخَلَ عَلَى عَدِي وَهُوَ ذَاهِبٌ بِهِ وَإِنْ فَعَلَ وَاللَّهِ لَمْ يَسْتَبِقْ مِنَّا أَحَدًا أَنْتَ
 وَلَا غَيْرُكَ . فَبَعَثَ إِلَيْهِ النُّعْمَانَ أَعْدَاءَهُ فَعَثَوْهُ حَتَّى مَاتَ ثُمَّ دَفَنُوهُ . وَدَخَلَ
 الرَّسُولُ إِلَى النُّعْمَانَ فَأَوْصَلَ الْكِتَابَ إِلَيْهِ . فَقَالَ : نَعَمْ وَكَرَامَةٌ وَأَمْرٌ لَهُ
 بِأَرْبَعَةِ آلَافٍ مِثْقَالٍ ذَهَبًا وَجَارِيَةٍ حَسَنَاءَ . وَقَالَ لَهُ : إِذَا أَصْبَحْتَ فَادْخُلْ
 أَنْتَ بِنَفْسِكَ فَأَخْرِجْهُ . فَلَمَّا أَصْبَحَ رَكِبَ فَدَخَلَ السِّجْنَ . فَأَعْلَمَهُ الْحَرَسُ
 أَنَّهُ قَدْ مَاتَ مِنْذُ أَيَّامٍ وَلَمْ يُجْتَرَى عَلَى إِخْبَارِ الْمَلِكِ خَوْفًا مِنْهُ وَقَدْ عَرَفْنَا
 كَرَاهَتَهُ لِمَوْتِهِ . فَرَجَعَ إِلَى النُّعْمَانَ وَقَالَ لَهُ : أَنِي كُنْتُ أَمْسُ دَخَلْتُ عَلَى
 عَدِي وَهُوَ حَيٌّ وَجِئْتُ الْيَوْمَ فَحَجَّزَنِي السِّجَانَ وَبَيْتَنِي^(٢) وَذَكَرَ أَنَّهُ قَدْ

مات منذ أيام . فقال له النعمان : أبيع بك الملك إلى فتدخل إليه قبلي .
 كذبت . ولكنك أردت الرُشوة والحُبث . فتهدده ثم زاده جائزة
 وأكرمه وتوثق منه ان لا يخبر كسرى الا انه قد مات قبل ان يقدم
 عليه . فرجع الرسول الى كسرى وقال : اني وجدت عدياً قد مات قبل
 ان أدخل عليه . وندم النعمان على قتل عدي وعرف انه قد احتيل عليه
 في امره واجترأ اعداؤه عليه وهابهم هيبة شديدة . ثم انه خرج الى
 صيده ذات يوم فلقي ابناً لمدي يقال له زيد . فلما رآه عرف شبهه . فقال
 له : من أنت . فقال : انا زيد بن عدي بن زيد . فكلبته فاذا غلام ظريف .
 ففرح به فرحاً شديداً وقربته واعطاه ووصله واعتذر اليه من امر ابيه
 وجهره . ثم كتب الى كسرى . ان عدياً كان ممن أُعين به الملك في نصحه
 وله فاصبه ما لا بد منه وانقطعت مدته وانقضى اجله ولم يُصب به
 احد اشد من مصيبي واما الملك فلم يكن ليفقد رجلاً الا جعل الله له
 منه خلفاً لما عظم الله من ملكه وشأنه . وقد بلغ ابن له ليس بدونه
 رأيتُه يصلح لخدمة الملك فسرحته اليه فان رأى الملك ان يجهله مكان
 ابيه فليفعل وليصرف عنه عن ذلك الى عمل آخر . وكان هو الذي يلي
 المكاتبه عن الملك الى ملوك العرب في امورها وفي خواص امور الملك .
 وكانت له من العرب وظيفة مؤظفة في كل سنة مهران أشقران يجهلان
 له هلاماً والكمأة الرطبة في حينها واليابسة والأقط والأدم وسائر
 تجارات العرب . فكان زيد بن عدي يلي ذلك له وكان هذا عمل عدي .
 فلما وقع زيد بن عدي عند الملك هذا الموقع سأله كسرى عن النعمان .
 فأحسن الثناء عليه . ومكث على ذلك سنوات على الامر الذي كان ابوه

عليه . وأعجب به كسرى . فكان يُكثر الدخول عليه والخدمة له .
 وكانت لملوك العجم صفة من النساء مكتوبة عندهم فكانوا يعيشون
 في تلك الارضين بتلك الصفة فاذا وجدت حملت الى الملك . غير انهم لم
 يكونوا يطلبونها في ارض العرب ولا يظنونها عندهم . ثم انه بدا للملك
 في طلب تلك الصفة وامر فكتب بها الى النواحي . ودخل اليه زيد بن
 عدي وهو في ذلك القول فخاطبه فيما دخل اليه فيه ثم قال : اني رأيت
 الملك قد كتب في نسوة يُطلبن له وقرأت الصفة . وقد كنت بال المنذر
 عارفاً . وعند عبدك النعمان من بناته واخواته وبنات عمه واهله اكثر من
 عشرين امرأة على هذه الصفة . قال : فاكتب فيهن . قال : ايها الملك ان شر
 شيء في العرب وفي النعمان خاصة انهم يتكرمون زعموا في انفسهم عن
 العجم . فانا اكره ان يغيبهن عن تبعث اليه او يعرض عليه غيرهن . وان
 قدمت انا عليه لم يقدر على ذلك . فابعثني وابعث معي رجلاً من ثقافتك
 يفهم العربية حتى أبلغ ما تُحِبُّه . فبعث معه رجلاً جلدًا فهماً . فخرج به
 زيد فجعل يُكرم الرجل ويُلطفه حتى بلغ الحيرة . فلما دخل عليه أعظم
 الملك وقال : انه قد احتاج الى نساء لنفسه وولده واهل بيته واراد
 كرامتك بصهره فبعث اليك . فقال : ما هو لاء النسوة . فقال : هذه صفتهن
 قد جئنا بها . فقرأ زيد الصفة على النعمان . فشئت عليه وقال لزيد
 والرسول يسمع : أما في ما السواد وعين فارس ما يبلغ به كسرى
 حاجته . فقال الرسول لزيد بالفارسية : ما المها والعين . فقال له بالفارسية :
 كلوان أي البقر . فامسك الرسول . قال زيد للنعمان : انما اراد كرامتك ولو
 علم ان هذا يشق عليك لم يكتب اليك به . فانزلها يومين عنده . ثم كتب

الى كسرى . ان الذي طلب الملك ليس عندي . وقال يزيد : اعذرني عند الملك . فلما رجعا الى كسرى قال زيد للرسول الذي قدم معه : اُصْدُق الملك عما سمعت فاني سأحدثه بمثل حديثك ولا أخالفك فيه . فلما دخلا على كسرى قال زيد : هذا كتابه اليك . فقرأه عليه . فقال له كسرى : وأين الذي كنت خبرتني به . قال : قد كنت خبرتك بضئتهم بنسائهم على غيرهم وان ذلك من شقائهم واختيارهم الجوع والعري على الشيع والرياش وايتارهم السموم والرياح على طيب ارضك هذه حتى انهم ليسئونها السجن . فسل هذا الرسول الذي كان معي عما قال فاني أكرم الملك عن مشافهته بما قال واجاب به . قال للرسول : وما قال . فقال له الرسول : ايها الملك انه قال : أما كان في بقر السواد وفارس ما يكفيه حتى يطلب ما عندنا . فعرف الغضب في وجهه ووقع في قلبه منه ما وقع لكنه لم يزد على ان قال : ربَّ عبدٍ قد اراد ما هو اشد من هذا ثم صار امره الى التباب . وشاع هذا الكلام حتى بلغ النعمان . وسكت كسرى أشهراً على ذلك . وجعل النعمان يستعد ويتوقع حتى أتاه كتابه أن : أقبل فان للملك حاجة اليك . فانطلق حين أتاه كتابه فحمل سلاحه وما قوي عليه ثم لحق بجيلى طي . . وكانت فرعة بنت سعد بن حارثة بن لأم عنده وقد ولدت له رجلاً وامرأة وكانت ايضاً عنده زينب بنت أوس بن حارثة . فأراد النعمان طيناً على ان يدخلوه الجليلين ويمنعوه . فأبوا ذلك عليه وقالوا له : لولا صهرك لقاتلناك . فانه لا حاجة لنا الى معاداة كسرى ولا طاقة لنا به . وأقبل يطوف على قبائل العرب ليس احد منهم يقبله غير ان بني رواحة بن قطيعة بن عيس قالوا : ان شئت

قاتلنا معك . لَمَنَّةٌ كانت له عندهم في امر مروان القَرْظ . قال : ما أحبُّ ان أهلكم فانه لا طاقة لكم بكسرى . فأقبل حتى نزل بذي قار في بني شيان سرّاً . فلقى هاني بن قبيصة وقيل بل هاني بن مسعود وكان سيداً مُنيحاً والبيت يومئذٍ من ربيعة في آل ذي الجَدَّين لقيس بن مسعود بن قيس بن خالد ذي الجَدَّين . وكان كسرى قد أطعم قيس بن مسعود الأبلَّة . فكره النعمان ان يدفع اليه اهله لذلك وعلم ان هانئاً يمنع مما يمنع نفسه منه

وقال حماد الرواية في خبره : انه انما استجار بهاني كما استجار بغيره فأجاره وقال له : قد لزمني ذمامك وأنا مانعك مما امنع نفسي واهلي وولدي منه ما بقي من عشيرتي الاذنين رجل . وان ذلك غير نافعك لانه مُهلكي ومهلكك . وعندني رأي لك لست اشير به عليك لادفعك عمماً تُريده من مجاورتي ولكنه الصواب . فقال : هاته . فقال : ان كل امر يجمل بالرجل ان يكون عليه الا ان يكون بعد الملك سُوقة . والموت نازل بكل احد . ولأن تموت كويماً خير من أن تتجرع الذلَّ أو تبقى سوقة بعد الملك . هذا ان بقيت . فامض الى صاحبك واحمل اليه هدايا ومالاً وألقِ نفسك بين يديه . فاماً ان صفح عنك فعدت ملكاً عزيزاً . واما ان أصابك فالموت خير من ان يتلعب بك صعاليك العرب ويتخطفك ذئابها وتأكل مالك وتعيش فقيراً مجاوراً أو تُقتل مقهوراً . فقال : كيف مجرمي . قال : هن في ذمتي لا يُخلص اليهن حتى يُخلص الي بناقي . فقال : هذا وأبيك الرأي الصحيح ولن اجاوزه . ثم اختار خيلاً وحللاً من غضب اليمن وجوهراً وطُرفاً كانت عنده ووجه بها الى

كسرى وكتب اليه يعتذر ويُعلمه انه صائر اليه ووجه بها مع رسوله .
 قبلها كسرى وامره بالقدوم . فعاد اليه الرسول فأخبره بذلك وأنه لم يرد
 له عند كسرى سوءاً . فمضى اليه حتى اذا وصل الى المدائن لقيه زيد بن
 عدي على قنطرة ساباط فقال له : انجُ نعيم ان استطعت النجاء . فقال له :
 أفعلتها يا زيد أما والله لئن عشتُ لك لاقتدتك قتلة لم يُقتلها عربي قطاً
 ولألحقنك بأبيك . فقال له زيد : امض لشأنك نعيم فقد والله آخيتُ لك
 آخيةً^(١) لا يقطعها المهر الأرن^(٢) . فلما بلغ كسرى انه بالباب بعث
 اليه فقيدهُ وبعث به الى سجن كان له بجانقين . فلم يزل فيه حتى وقع
 الطاعون هناك فمات فيه . وقال حماد الراوية والكوفيون : بل مات
 بساباط في حبسه . وقال ابن الكلبي : ألقاهُ تحت ارجل الفيلة فوطئته
 حتى مات واحتجوا بقول الاعشى :

فذاك وما أنجى من الموت ربهُ بساباط حتى مات وهو محزرق^(٣)

وأنكر هذا من زعم انه مات بجانقين وقالوا : لم يزل محبوساً مدة
 طويلة وانه انما مات بعد ذلك بجمين قبيل الاسلام وغضب له العرب
 حينئذ . وكان قتله سبب وقعة ذي قار

وقعة ذي قار*)

كان من حديث ذي قار ان كسرى ابرويز لما غضب على النعمان

(١) الأخيّة والأخيّة جبل يدفن في الارض تبرز منه شبه حلقة تُربط بها الدابة

(٢) الارن النشيط (٣) محزرق مضيق عليه (٤) ذو قار ماء

لبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط . وحنو ذي قار على ليلة منه

ابن المنذر أتى النعمان هاني بن مسعود فاستودعه ماله واهله وولده والـف
 شِكَّةٌ^(١) ووضع ودائع عند احياء من العرب . ثم هرب وأتى طيئاً
 لـجِهره فيهم . كانت عنده فرعة بنت سعيد بن حارثة بن لام وزينب
 بنت أوس بن حارثة . فأبوا ان يدخلوه جبلهم . وأتته بنو رَوَاحَة بن
 ربيعة بن عبس فقالوا له : أبيت اللعن اقم عندنا فاننا مانعوك مما تمنع
 منه انفسنا . فقال : ما أحب ان تهلكوا بسبي . وجزاهم خيراً . ثم خرج
 حتى وضع يده في يد كسرى فحبسه بساباط . (قالوا) فلما هلك النعمان
 جعلت بكر بن وائل تُغير في السواد^(٢) . فوفد قيس بن مسعود بن قيس
 ابن خالد بن ذي الجدين الى كسرى فسأله ان يجعل له أكلاً وطُعمَةً على
 ان يضمن له بكر بن وائل ان لا يدخلوا السواد ولا يُفسدوا فيه . فأقطعه
 الأُبلة^(٣) وما والاها وقال : هي تكفيك وتكفي اعراب قومك .
 فكانت له حُجيرة^(٤) فيها مائة من الابل للاضياف اذا نحرت ناقة
 أُقيدت أخرى . واياها عنى الشماخ بقوله :

ارفع بالابانها عنكم كما رفعت عنهم لقاح بني قيس بن مسعود

(١) الشِكَّةُ السلاح كله (٢) السواد ما حوالي القصبَة من القرى والرساتيق
 (٣) الأُبلة بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي
 يدخل الى مدينة البصرة وهي اقدم من البصرة لان البصرة مُصرت في ايام
 عمر بن الخطّاب وكانت الأُبلة حينئذ مدينة فيها مسالح من قبل كسرى
 وقائده . كان خالد بن صفوان يقول : ما رأيت ارضاً مثل الابلَة مسافة ولا اغذى
 نُطفة ولا اوطأ مطية ولا اربح لتاجر ولا احفى لعائد . وقال الاصمعي : جنان
 الدنيا ثلاث غوطة دمشق وخر بلخ وخر الابلَة . واما نحر الابلَة الضارب الى
 البصرة فحفره زياد (معجم البلدان) (٤) حجرة حظيرة الابل

(قال) فكان يأتيه من آتاه منهم فيعطيه جُلَّةَ تمر وكرْباسة^(١) . حتى قدم الحرث بن وعله بن المجالد والمكسر بن حنظلة فأعطاهما جلتي تمر وكرباستين . فغضبا وأبيا ان يقبلا ذلك منه . فخرجا واستغويا ناساً من بكر بن وائل ثم أغارا على السواد . قاغار الحرث على اسافل رومستان وهي من جرد . واغار المكسر على الأنبار . فلقية رجل من العباد من اهل الحيرة قد نُتجت بعض نوقهم فحملوا الخوار على ناقه وصرّوا^(٢) الابل . فقال العبادي : لقد صبح الانبار شرّ جل يحمل جملاً وجل برته^(٣) عود . فجعلوا يضحكون من جهله بالابل . (قال) واغار يُجيز ابن عائد بن سويد العجلي ومعه مفروق بن عمرو الشيباني على القادسية وطيزناباذ وما والاهما . وكلهم ملاً يديه غنيمة . فاما مفروق وأصحابه فوقع فيهم الطاعون فمات منهم خمسة نفر مع من مات من أصحابهم . فدُفنوا بالدجيل وهو دوحه من العذيب يسيرة . فقال مفروق :

أتاني بأنباط السواد يسوقهم اليّ وأودت رجلي^(٤) وفوارسي
فلما بلغ ذلك كسرى اشتد حنقه على بكر بن وائل . وبلغه ان حلقة^(٥)
النعمان وولده واهله عندهم . فأرسل كسرى الى قيس بن مسعود وهو
بالأبلة فقال : غررتني من قومك وزعمت انك تكفينيهم . وأمر به فحُبس
بسابط . وأخذ كسرى في تعبئة الجيوش اليهم . فقال قيس بن مسعود

-
- (١) جُلَّة وعاء من خوص يُكَنز فيه التمر . كرباسة ثوب من قطن
(٢) صرّوا الابل شدوا ضروعها بالصرار لئلا يرضعها اولادها
(٣) البرة حلقة من فضة او صُفر او شعر تجمل في انف الناقه
(٤) رَجَلَة ورجلة ورجلة جمع راجل (٥) الحلقة السلاح والدرع

وهو محبوس :

ألا ابلغ بني ذهل رسولا
أيأكلها ابن وعة في ظليف
ويامن فيكم الذهلي بعدي
ألا من مبلغ قومي ومن ذا
تطاول ليله واصاب حزناً
وقال قيس ينذر قومه :

ألا ليتني ارشو سلاحي وبغلي
فأنا ثوينا في شعوب وأنهم
وان جنود العجم بيني وبينكم
فيخبر قومي اليوم ما أنا قائل
غزتهم جنود حمة وقبائل
فما قلجي يا قوم ان لم تقاتلوا

(قال) فلما وضع لكسرى واستبان ان مال النعمان وحلقته وولده
عند ابن مسعود بعث اليه كسرى رجلاً يخبره انه قال له : ان النعمان انا
كان عاملي وقد استودعك مائة واهله والحلقة فابعث بها الي ولا تكلفني
ان ابعث اليك ولا الي قومك بالجنود تقتل المقاتلة وتسي الذرية . فبعث
اليه هاني : ان الذي بلغك باطل . وما عندي قائل ولا كثير . وان يكن
الامر كما قيل فانما انا احد رجلين إما رجل أستودع امانة فهو حقيق ان
يردها على من اودعه اياها ولن يسلم الحر امانته . او رجل مكذوب
عليه فليس ينبغي ان تأخذه بقول عدو او حاسد . (قال) وكانت
الاعاجم قوماً لهم حلم قد سمعوا ببعض علم العرب وعرفوا ان هذا
الامر كائن فيهم . فلما ورد عليه كتاب هاني حملته الشفقة ان يكون
ذلك قد اقترب فأقبل حتى قطع الفرات فنزل غمر بني مقاتل وقد احنقه

ما صنعت بكر بن وائل في السواد ومنع هاني اياه ما منعه
(قال) ودعا كسرى اياس بن قبيصة الطائي وكان عامله على عين
التمر وما والاها الى الحيرة وكان كسرى قد اطعمه ثلاثين قرية على
شاطئ الفرات . فأتاه في صنائعه من العرب الذين كانوا في الحيرة .
فاستشاره في الغارة على بكر بن وائل وقال : ماذا ترى وم ترى ان
نغزيهم من الناس . فقال له اياس : ان الملك لا يصلح ان يعصيه احد من
رعيته وإن تطعني لم تُعلم احدا لاي شيء عبرت وقطعت الفرات فيروا ان
شيئا من العرب قد كركبك ولكن ترجع وتضرب عنهم وتبعث عليهم
العيون حتى ترى غرة منهم ثم ترسل حلبة^(١) من العجم فيها بعض
القبائل التي تليهم فيوقعون بهم وقعة الدهر ويأتونك بطيبتك . فقال له
كسرى : انت رجل من العرب وبكر بن وائل اخالك فأنت تتعصب
لهم ولا تألوهم نصحا . فقال اياس : رأي الملك افضل . فقام اليه عمرو بن
عدي بن زيد العبادي وكان كاتبه وترجمانه بالعربية وفي امور العرب
فقال له : أقم ايها الملك وابعث اليهم بالجنود يكفوك . فقام اليه النعمان
ابن زُرعة من ولد السفاح التغلبي فقال : ايها الملك ان هذا الحي من
بكر بن وائل اذا احاطوا بذئ قار تهاقتوا تهاقت الجراد في النار .
فعقد للنعمان بن زُرعة على تغلب والنمر . وعقد لخالد بن يزيد البهراني
على قضاة وايد . وعقد لاياس بن قبيصة على جميع العرب ومعه كتيبتاه
الشهباء والدوسر . فكانت العرب ثلاثة آلاف . وعقد للها مرز على الف
من الاساورة . وعقد لخنازير^(٢) على الف . وبعث معهم باللطيمة وهي

(١) الحلبة الدفعة من الخيل تجمع للسباق او للغارة (٢) ويروى : جلابزين

كانت تخرج من العراق فيها البرز والطر والأطاف توصل الى باذان
 عامله باليمن . وقال : اذا فرغتم من عدوكم فسيروا بها الى اليمن . وأمر
 عمرو بن عدي ان يسير بها . وكانت العرب تحفرهم وتجيرهم حتى تبلغ
 اللطيمة اليمن . وعهد كسرى اليهم اذا ساروا بلاد بكر بن وائل
 ودنوا منها ان يعيشوا النعمان بن زُرعة . فان أتوكم بالحلقة ومائة غلام
 منهم يكونون رهناً بما أحدث سفهاؤهم فاقبلوا منهم والأفقاتلوهم .
 وكان كسرى قد أوقع قبل ذلك ببني تميم يوم الصفقة فالعرب ورجلة
 خائفة منه . وكانت حُرقة بنت حسان بن النعمان يومئذ في بني سنان .
 هكذا في هذه الرواية . وقال ابن الكلبي : حُرقة بنت النعمان وهي
 هند . والحُرقة لقب وهذا هو الصحيح . فقالت تذرهم وتقول :

ألا أبلغ بني بكر رسولا فقد جدَّ النفير بعنقير^١
 فليت الجيش كلهم فدام ونفسي والسرير وذا السرير
 كأني حين جدَّ بهم اليكم مُعلِّقة الذوائب بالعبور^٢
 فلو اني اطلقت لذاك دفعا اذا لدفعته بدمي وزيري

فلما بلغ بكر بن وائل الخبر سار هانئ بن مسعود حتى انتهى الى ذي
 قار فنزل به . وأقبل النعمان بن زُرعة حتى نزل على ابن اخته مرة بن
 عمرو فحمد الله النعمان وأثنى عليه ثم قال : انكم اخوالي واحد طرفي
 وان الرائد لا يكذب اهله . وقد اتاكم ما لا قبيل لكم به من
 أحرار فارس وفرسان العرب والكتيبتان الشهباء والدوسر . وان في

(٢) العبور هي الشّرى العبور نجم مضيء .

(١) المنفقير الداهية

الشر خياراً . ولأن يفندي بعضكم بعضاً خير من ان تصظلموا^(١) .
انظروا هذه الحلقة فادفعوها وادفعوا رهناً من ابنائكم بنا احدث
سفاؤكم . فقال له القوم : ننظر في امرنا . وبعثوا الى من يليهم من بكر
ابن وائل وبرزوا ببطحاء ذي قار بين الجلهتين^(٢) . (قال) وكان مرداس
السلمي مجاوراً فيهم يومئذ . فلما رأى الجيوش قد أقبلت اليهم حمل
اعياله فخرج عنهم وانشأ يقول يخرضهم بقوله :

بلغ سراة بني بكر مغلفةً اني اخاف عليهم سربة الواري^(٣)
اني أرى الملك الهامرز منصتاً يُزجي جياداً وركباً غير اعيار^(٤)
لا تلقط البعر الحولي نسوتهم للجائزين على اعطان^(٥) ذي قار
فان ابيتم فاني رافع ظمئي ومُنشِبٌ في جبال اللوب^(٦) اظفاري
وجاعل بيننا ورداً غواربه^(٧) ترمي اذا ما ربا^(٨) الوادي بتيار
وجعلت بكر بن وائل حين بعثوا الى من حولهم من قبائل بكر لا
ترفع لهم جماعة الا قالوا : سيدنا في هذه . فرفعت لهم جماعة فقالوا : سيدنا
في هذه . فلما دنوا اذا هم بعبد عمرو بن بشر بن مرثد . فقالوا : لا . ثم
رفعت لهم أخرى فقالوا : في هذه سيدنا . فاذا هو جبلة بن باعث بن صريم
اليشكري . فقالوا : لا . فرفعت اخرى فقالوا : في هذه سيدنا . فاذا هو الحرث

(١) تصظلموا تستأصلوا وتبيدوا

(٢) جله الوادي مقدمه وما استقبلك منه واتسع لك

(٣) سربة جماعة من العسكر يُغيرون . والواري المتلهب من قولك وري

الزرد (٤) المنصت المرع . واعيار جمع عير وهو الحمار

(٥) اعطان مبارك الابل جمع عطن (٦) اللوب لغة في اللوب وهم

جيل من السودان (٧) ربا ارتفع . و « ورداً غواربه » اراد البحر

ابن وعله بن المجالد الذهلي . فقالوا : لا . ثم رفعت لهم اخرى فقالوا : في هذه سيدنا . فاذا فيها الحرث بن ربيعة بن عثمان التيمي في تيم الله . فقالوا : لا . ثم رفعت لهم اخرى اكبر مما كان يجي فقالوا : لقد جاء سيدنا . فاذا رجل اصلع الشعر عظيم البطن مُشرب حمرة . فاذا هو حنظلة بن ثعلبة بن سيّار بن حيي بن حاطبة بن الاسعد بن جذيمة بن سعد بن عجل . فقالوا : يا ابا معدان قد طال انتظارنا وقد كرهنا ان نقطع امراً دونك وهذا ابن اختك النعمان بن زرعة قد جاءنا والرائد لا يكذب اهله . قال : فما الذي أجمع عليه رأيكم واتفق عليه مملؤكم^(١) . قالوا : ان اللخي^(٢) اهون من الوهي وان في الشر خياراً ولان يقتدي بعضكم بعضاً خير من ان تصطلموا جميعاً . قال حنظلة : فقبح الله هذا رأياً لا تجر احرار فارس ارجلها ببطحاء . ذي قار وانا اسمع الصوت . ثم امر بقبته فضربت بوادي ذي قار . ثم نزل ونزل الناس فأطاقوا به . ثم قال لهاني بن مسعود : يا ابا امامة ان ذمتكم ذمتنا عامة وانه لن يوصل اليك حتى تفنى ارواحنا . فأخرج هذه الحلقة ففرقتها بين قومك . فان تظائر فسُرد عليك وان تهلك فأهون . فقود . فامر بها فأخرجت ففرقتها بينهم . ثم قال حنظلة للنعمان : لولا انك رسول لما أبت الى قومك سالماً . فرجع النعمان الى اصحابه فاخبرهم بما رد عليه القوم . فباتوا ليلتهم مستعدين للقتال . وبكر بن وائل يتأهبون للحرب فلما اصبحوا اقبلت الاعاجم نحوهم . وامر حنظلة بالظعن جميعاً

(١) الملائمة القوم

(٢) اللخي اعطاء المال يريد ان فقد المال خير من الهلاك

فوقفها خلف الناس . ثم قال : يا معشر بكر بن وائل قاتلوا عن طعنكم
او دَعُوا . فاقبلت الاعاجم يسرون على تعبئة . فلما رأتهم بنو قيس بن
ثعلبة انصرفوا فلاحقوا بالحلي فاستخفوا فيه . فسُمي حي بني قيس بن
ثعلبة . (قال) وهو على موضع خفي . فلم يشهدوا ذلك اليوم . وكان
ربيعه بن غزالة السكوني ثم التجيبي يومئذ هو وقومه نزولاً في بني
شيبان . فقال : يا بني شيبان أما لو آتي كنت منكم لأشرت عليكم
برأي مثل عروة العلم^(١) . فقالوا : فانت والله من اوسطنا فأشر علينا .
فقال : لا تستهدفوا هذه الاعاجم فتهلككم بنشأها ولكن تكدسوا
كراديس^(٢) فيشد عليهم كردوس فاذا اقبلوا عليه شد الآخر . فقالوا :
فانك قد رأيت رأياً . ففعلوا . فلما التقى الزحفان وتقارب القوم قام حنظلة
ابن ثعلبة فقال : يا معشر بكر بن وائل ان النشاب الذي مع الاعاجم
يفرقكم فاذا ارسلوه لم يخطئكم . فعاجلهم اللقاء وابدؤوهم بالشدة .
ثم قام هاني بن مسعود فقال : يا قوم مهلك مقذور . خير من نجا
معرور^(٣) . وان الحذر لا يدفع القدر . وان الصبر من اسباب الظفر .
المنية ولا الدنية . واستقبال الموت خير من استدباره . والطمع في الشر .
اكرم من الطعن في الدبر . يا قوم جُدوا فما من الموت بُد . فتج لو كان
له رجال . أسمع صوتاً ولا ارى قوماً . ويا آل بكر شدوا واستعدوا
والأ تشدوا تُردوا . ثم قام شريك بن عمرو بن شراحيل بن مرة بن
همام فقال : يا قوم انما تهابونهم أنكم ترونهم عند الحفاظ اكثر منكم

(١) عروة العلم اي العلم الذي يوثق به يريد رأياً سديداً

(٢) الكردوس قطعة من الخيل (٣) اي غير ثابت

وكذلك انتم في اعينهم . فعليكم بالصبر فان الأسنّة تردى الأعتة .
يا آل بكر قُدمًا قُدمًا^(١) . ثم قام عمرو بن جبلة بن باعث بن صريم
الشكري فقال :

يا قوم لا تغرركم هذي الخرقُ ولا وميضُ البيض في الشمس برقُ
من لم يقاتل منكم هذا العنق^(٢) فجنبوه الراحَ واسقوه المرقُ
ثم قام حنظلة بن ثعلبة الى وُضين^(٣) راحلة امرأته فقطعه . ثم تتبّع الظعنَ
يقطع وُضين^(٤) . فسمي يومئذٍ مقطع الوضين . (قالوا) وكانت بنو
عجل في الميسنة بازاء خنازين^(٥) . وكانت بنو شيان في الميسرة بازاء
كتيبة الهامرز . وكانت افناء بكر بن وائل في القلب . فخرج أسوار من
الاعاجم مسور في اذنيه درتان من كتيبة الهامرز يتحرى الناس للبراز
فنادى في بني شيان . فلم يبرز اليه احد . حتى اذا دنا من بني يشكر
برز له يزيد بن حارثة أخو بني ثعلبة بن عمرو فشدّ عليه بالرمح فطعنه
فدقّ صلبه واخذ حليته وسلاحه . فذلك قول سويد بن ابي كاهل
يفتخر :

ومنا يزيد اذا تحرى^(٦) مجموعكم فلم تقربوه المرزبانُ المشهراً
وبارزه منا غلامٌ بصارمٍ حُسامٍ اذا لاقى الضريبة^(٧) يبتراً
ثم ان القوم اقتتلوا صدرَ نهارهم أشدَّ قتالٍ رآه الناس الى ان زالت

(١) اي تقدّموا (٢) العنق الجماعة

(٣) الوضين بطان الناقة . ويقال مقطع البطن والبطن حزم الاقتاب

(٤) وبيروى : جلابزين (٥) تحرى وتمدّى بمعنى اي تمدد ونازع

الغلبة (٦) الضريبة ما ضربته بالسيف

الشمس . فشد الحوفزان واسمه الخرت بن شريك على الهامرز فقتله .
 وقتلت بنو عجل خنازين . وضرب الله وجوه الفرس فانهمزوا . وتبعتهم
 بكر بن وائل . فلحق مرثد بن الحرث النعمان بن زرعة فاهوى له
 طعناً . فسبقه النعمان بصدر فرسه فأفلة فقال مرثد في ذلك :

وخيل تبارى للطعان شهدتها فأغرقت فيها الرمح والجمع محجم
 وافلتنى النعمان قوت رماحنا وفوق قطة المهر ازرق لهدم
 (قال) ولحق اسود بن بجير بن عائد بن شريك العجلي النعمان بن زرعة
 فقال له : يا نعمان هلم اليّ فانا خير لك من اسد انا خير لك من
 الكعبين . قال : ومن انت . قال : الاسود بن بجير . فوضع يده في يده .
 فجز ناصيته وخلق سبيله وحمله الاسود على فرس له وقال له : انج على
 هذه فانها اجود من فرسك . وجاء اسود بن بجير العجلي على فرس
 النعمان بن زرعة . وقتل خالد بن يزيد البهراني قتله الاسود بن شريك
 ابن عمرو . وقتل يومئذ عمرو بن عدي بن زيد العبادي الشاعر . فقالت
 امه ترثيه :

ويح عمرو بن عدي من رجل	خان يوماً بعد ما قيل كل
كان لا يعقل حتى ما اذا	جاء يوم ياكل الناس عقل
أبهم دلاك عمرو للردى	وقديماً حين للمرء الاجل
ليت نعمان علينا ملكاً	وبني لي حي لم يزل
قد تنظرنا لغاد اوبة	كان لو يغني عن المرء الامل
بان معه عضد مع ساعد	بونسا للدهر وبونسا للرجل

(١) اللهدم كل شيء من سنان او سيف قاطع . والقطة موضع الردف من الدابة

(قال) وأفلت اياس بن قبيصة على فرس له كانت عند رجل من بني تيم الله يُقال له ابو ثور . فلما اراد اياس ان يغزوهم ارسل اليه ابو ثور بها . فنهاه اصحابه ان يفعل . فقال : والله ما في فرس اياس ما يُعزُّ رجلاً ولا يُذاهُ وما كنت لأقطع رحمة فيها . فقال اياس :

غزاها ابو ثور فلما رأيتها دَخِيسَ دِواءٍ^(١) لا اضيع غزاها
فأعددتها كفوا لكل كريمة اذا أقبلت بكر تجر رشاها

(قال) واتبعتهم بكر بن وائل يقتلونهم بقية يومهم وليلتهم حتى اصبحوا من الغد وقد شارفوا السواد ودخلوه . فذكروا ان مائة من بكر ابن وائل وسبعين من عجل وثلاثين من افناء بكر بن وائل أصبحوا وقد دخلوا السواد في طلب القوم . فلم يفلت منهم كبير احد . وأقبلت بكر ابن وائل على الغنائم فقسموها بينهم وقسموا تلك اللطائم بين نساءهم .
فذلك قول الدهان بن جندل :

ان كنت ساقية يوماً على كرم فأسقي فوارس من ذهل بن شياننا
وأسقي فوارس حاموا عن ديارهم وأعلي مفارقهم مسكاً ورمانا

(قال) فكان اول من انصرف الى كسرى بالهزيمة اياس بن قبيصة . وكان لا يأتيه أحد بهزيمة جيش الأتزع كتفيه . فلما اتاه اياس سأله عن الخبر . فقال : هزمنا بكر بن وائل فأتيناك بنسائهم . فأعجب ذلك كسرى وأمر له بكسوة . وان اياساً استأذنه عند ذلك فقال : ان اخي مريض بعين التمر فاردت ان آتية . وانما اراد ان يتنحى عنه . فأذن له كسرى .

(١) دَخِيسَ سميته والدواء تصنيع الفرس وتسميتها ليشتد لحمها ويذهب

فترك فرسه الحمامة وهي التي كانت عند ابي ثور بالحيرة وركب نجيبته
فلحق باخيه . ثم اتى كسرى رجل من اهل الحيرة وهو باخورنق . فسأله
هل دخل على الملك احد . فقال : نعم اياس . فقال : تكلت اياساً أمه .
وظنَّ انه قد حدثه بالخبر . فدخل عليه فحدثه بهزيمة القوم وقتلهم .
فأمر به فنزعت كتفاه . وقال ابو كلبة التيمي يفخر بيوم ذي قار :
لولا فوارس لا ميلٌ ولا عزلٌ من اللهازم ما نُظمت^(١) بذي قارِ
ما زلت مفترساً اجساد افتية تُشير اعطافها منها بأثارِ
ان الفوارس من عجلٍ هم أنفوا من ان يُحلُّوا اكسرى عرصة الدارِ
لاقوا فوارس من عجلٍ بشككتها ليسوا اذا قلصت حربٌ بأغمارِ^(٢)
قد أحسنت ذهلُ شيانٍ وما عدلت في يوم ذي قارِ فرسانُ ابنِ سيَّارِ
همُ الذين اتوهم عن شمائلهم كما تلبس ورادٌ بصدارِ
فاجابه الاعشى فقال :

أبلغ اياكلبة التيمي مألكتة فانت من معشرٍ والله اشرارِ
شيان تدفع عنك الحرب آونة وانت تنبحُ نبح الكلب في الغارِ
(قال) ولم يزل قيس بن مسعود في سجن كسرى بساباط حتى مات

قيس

(١) ميل جمع اميل وهو الذي لا يثبت على ظهور الخيل والاعزل الذي لا
سلاح معه . واللهازم حلفاء بني عجل . ويروي قظم اي اقم في القبط
(٢) اغمار جمع غمر وهو الذي لم يجرب الامور ولا تجربة له في الحرب

حرب داحس

كان من حديث داحس ان امه فرس كانت لقرواش بن عوف
يقال لها جلوى وكان ابوه يسمى ذا العقال وكان لحوط بن ابي جابر .
فنتج قرواش فرسه مهراً من ذي العقال فسماه داحساً وخرج كأنه ابوه
ذو العقال . وفيه يقول جرير :

ان الجياد يبتن حول خباثنا من آل أعوج^(١) او لذي العقال
فلما تحرك المهر سام مع امه وهو قلو يتبعها وبنو ثعلبة ساثرون . فرآه
حوط فاخذه . فقالت بنو ثعلبة : يا بني رباح الم تفتلوا فيه اول مرة ما
فعلتم^(٢) ثم هذا الآن . فقالوا : هو فرسنا ولن نترككم او نقاتلكم عنه
او تدفعوه الينا . فلما رأى ذلك بنو ثعلبة قالوا : اذا لا نقاتلكم عنه
انتم اعز علينا هو فداؤكم ودفعوه اليهم . فلما رأى ذلك بنو رباح قالوا :
والله لقد ظلمنا اخوتنا مرتين ولقد حلموا وكرموا . فارسلوا به اليهم
مع لقوحين . فكث عند قرواش ما شاء الله وخرج اجود خيول العرب
ثم ان قيس بن زهير بن جذيمة العبسي أغار على بني يربوع فلم
يُصب احداً غير ابنتي قرواش بن عوف ومائة من الابل لقرواش
وأصاب الحي وهم خلوف^(٣) ولم يشهد من رجالهم غير غلامين من
بني ازهم بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع . فجالا في متن الفرس مرتدفيه

(١) اعوج فرس مشهور لبني هلال
ان حاول منع لقاح جلوى من ذي العقال
غاب الرجال واقام النساء

(٢) تلميح الى قصة حوط لما
(٣) خلوف غيب . وقيل اذا

وهو مقيد بقيد من حديد . فأعجلهما القوم عن حلّ قيدهما واتبعهما القوم .
 فضرب بالغلّامين ضرباً حتى نجوا به . ونادتهما احدي الجاريتين : ان مفتاح
 القيد مدفون في مذود الفرس . بكان كذا وكذا اي بجانب مذود
 وهو مكان أي لا ينزلا الا في ذلك المكان . فسبقا اليه حتى اطلقاه . ثم
 كراً راجعين . فلما رأى ذلك قيس بن زهير رغب في الفرس فقال لهما :
 لكما حكمكما وادفعا اليّ الفرس . فقالا : او فاعل انت . قال : نعم .
 فاستوثقا منه على ان يردّ ما اصاب من قليل وكثير ثم يرجع عوده على
 بدئه ويطلق الفتاتين ويحلي عن الابل وينصرف عنهم راجعاً . ففعل
 ذلك قيس . فدفعا اليه الفرس . فلما رأى ذلك اصحاب قيس قالوا : لا
 نصالحك ابداً . أصبنا مائة من الابل وامرأتين فعمدت الى غنيمتنا
 فجعلتها في فرس لك تذهب به دوننا . فعظم في ذلك الشر حتى اشترى
 منهم غنيمتهم بمائة من الابل

فلما جاء قرواش قال للغلّامين الازميين : اين فرسي . فأخبراه . فأبى
 ان يرضى الا ان يدفع اليه فرسه . فعظم في ذلك الشر حتى تنافروا
 فيه . فقضي بينهم أن تُردّ الفتاتان والابل الى قيس بن زهير ويردّ عليه
 الفرس . فلما رأى ذلك قرواش رضي بعد شره . وانصرف قيس بن زهير
 ومعه داحس . فمكث ما شاء الله

وزعم بعضهم ان الرهان انما هاجه بين قيس بن زهير وحذيفة بن
 بدر أن قيساً دخل على بعض الملوك وعنده قينة لحذيفة بن بدر تغنيه
 بقول امرئ القيس :

دارٌ لهندٍ والرّبابِ وفرّتنا وليسَ قبل حوادث الايام

وهنّ فيما يُذكر نسوة من بني عبس . فغضب قيس بن زهير وشقّ رداءها
 وشتمها . فغضب حذيفة . فبلغ ذلك قيساً فاتاه يسترضيه فوقف عليه فجعل
 يكلمه وهو لا يعرفه من الغضب وعندده افراس له فعابها وقال : ما
 يرتبط مثلك مثل هذه يا أبا مسهر . فقال حذيفة : أتعيبها . قال : نعم .
 فتجاريا حتى تراهنّا

وقال بعض الرواة : ان الذي هاج الرهان أنّ رجلاً من بني عبدالله
 ابن نطفان ثم احد بني جوشنٍ وهم اهل بيتِ شؤم أتاه الورد العبسي
 أبو عروة بن الورد وأتى حذيفة زائراً فعرض عليه حذيفة خيله . فقال :
 ما ارى فيها جواداً مُبراً^(١) فقال له حذيفة : فعند من الجواد المبرّ .
 فقال : عند قيس بن زهير . فقال له هل لك ان تراهنني عنه . قال : نعم
 قد فعلت . فراهنه على ذكّر من خيله وانثى . ثم ان العبسي اتى قيس بن
 زهير وقال : اني قد راهنت حذيفة على فرسين من خيلك ذكر وانثى
 واوجبت الرهان . فقال قيس : ما أبالي من راهنت غير حذيفة . فقال : ما
 راهنت غيره . فقال قيس : انك ما علمت^(٢) لأنك قد ركب قيس فأتى
 حذيفة حتى وقف عليه . فقال له : ما غدا بك . قال غدوت لأوضحك الرهان
 قال : بل غدوت لتغلقه . قال : ما اردت ذلك . فأبى حذيفة إلا الرهان .
 فقال قيس : أخيرك ثلاث خلال فان بدأت فاخترت قبلي فلي خلتان ولك
 الاولى . وان بدأت فاخترت قبلك فلك خلتان ولي الاولى . فقال حذيفة :
 فابدأ . قال قيس : الغاية من مائة غاوة^(٣) . قال حذيفة : فالضمار أربعون
 ليلة والمجرى من ذات الإصا . ففعلوا ووضعوا السبق على يدي غلاق او

(١) المبرّ الغالب (٢) ويروى : عمات (٣) الغلوة الرمية بالنشابة

ابن غلاق احد بني ثعلبة . فاما بنو عيس فزعموا انه اجرى الخطار والحنفاء .
وزعمت بنو فزارة انه اجرى قرزلاً والحنفاء . واجرى قيس داحساً والغبراء .
ويؤم بعضهم ان الذي هاج الرهان ان رجلاً من بني المقتمر بن
قطيعة بن عيس يُقال له سُراقَةُ راهن شاباً من بني بدر وقيس غائب
على اربع جزائر من خمسين غلوة . فلما جاء قيس كره ذلك وقال له : لم
ينتهِ رهان قط الا الى شر . ثم اتى بني بدر فسألهم المواقعة . فقالوا : لا
حتى نعرف سبقنا فان اخذنا فحقتنا وان تركنا فحقتنا . فغضب قيس
ومحك وقال : اما اذا فعلتم فأعظيوا الخطار وأبعدوا الغاية . قالوا : فذلك
لك . فجعلوا الغاية من واردات الى ذات الإصا . وذلك مائة غلوة .
والثنية فيما بينهما . وجعلوا القصة في يدي رجل من بني ثعلبة بن
سعد يقال له حصين وملاوا البركة ماءً وجعلوا السابق اول الخيل
يكرع فيها . ثم ان حذيفة بن بدر وقيس بن زهير أتيا المدى الذي
أرسلن منه ينظران الى الخيل كيف خرجا منه . فلما أرسلت عارضها .
فقال حذيفة : خدعتك يا قيس . قال : ترك الخداع من اجري من مائة .
فأرسلها مثلاً . ثم ركضا ساعة فجعلت خيل حذيفة تبرد وخيل زهير
تقصر . فقال حذيفة : سبقتك يا قيس . فقال : جري المذكيات غلاب
فأرسلها مثلاً . ثم ركضا ساعة . فقال حذيفة : انك لا تركض مر كضاً .
فأرسلها مثلاً . وقال : سبقت خيلك يا قيس . فقال قيس : رويداً يعلون
الجدد . فأرسلها مثلاً . (قال) وقد جعلت بنو فزارة كميناً بالثنية .
فاستقبلوا داحساً فعرفوه فامسكوه وهو السابق . ولم يعرفوا الغبراء .
وهي خلفه مصلية . حتى مضت الخيل واستهلّت من الثنية ثم ارساوه

فتمطر^١ في آثارها فجعل يبدرها فرساً فرساً حتى سبقها الى الغاية مصلياً
وقد طرح الخيل غير الغبراء، ولو تباعدت الغاية لسبقها . فاستقبلها بنو فزارة
فلطموها ثم حلأوها عن البركة . ثم لطموا داحساً وقد جاء متواليين .
فجاء قيس وحذيفة في آخر الناس وقد دفعتهم بنو فزارة عن سبقهم
ولطموا افراسهم ولم تُطقمهم بنو عيس يقاتلونهم وانما كان من شهد ذلك
من بني عيس ابياتاً غير كثيرة . فقال قيس بن زهير : يا قوم انه لا يأتي قوم
الى قومهم شراً من الظلم فاعطونا حنئنا . فأبت بنو فزارة ان يعطوهم
شيئاً . وكان الخطر عشرين من الابل . فقالت بنو عيس : اعطونا بعض
سبقنا . فأبوا . فقالوا : اعطونا جزوراً ننحرها نُطعمها اهل الماء فاننا نكره
القالة في العرب . فقال رجل من بني فزارة : مائة جزور وجزور واحدة
سواء . والله ما كنا لننقر لكم بالسبق علينا ولم نُسبق . فقام رجل من
بني مازن بن فزارة فقال : يا قوم ان قيساً كان كارهاً لاوّل هذا الرهان
وقد احسن في آخره وإن الظلم لا ينتهي إلا الى الشر . فاعطوه جزوراً
من نعمكم فأبوا . فقام الى جزور من ابله فعقلها ليعطيها قيساً ويرضيه .
فقام ابنه فقال : انك لكثير الخطأ اتريد ان تخالف قومك وتُلحق بهم
خزاية بما ليس عليهم . فأطلق الغلام عقالها فلحقت بالنعم . فلما رأى ذلك
قيس بن زهير احتمل عنهم هو ومن معه من بني عيس . فأتى على ذلك
ما شاء الله . ثم ان قيساً اغار عليهم فلقي عوف بن بدر فقتله واخذ ابله .
فبلغ ذلك بني فزارة فهتموا بالقتال وغضبوا . فحمل الربيع بن زياد احد
بني عوذ بن غالب بن قُطيعة بن عيس دية عوف بن بدر مائة عُسراء .

مُتَلِيَةً^(١) . واصطَلحَ النَّاسُ فمَكثُوا مَا شَاءَ اللهُ . ثُمَّ ان مَالِكُ بن زُهَيْرِ
 أتَى امْرَأَتَهُ بِاللَّقَاظَةِ قَرِيبًا مِنْ اَلْحَاجِرِ فَبَلَغَ ذَلِكَ حذِيفَةَ بن بَدْرِ فَدَسَّ لَهُ
 فَرَسَانًا عَلَى اَفْرَاسِ مِنْ مَسَانِ خَيْلِهِ وَقَالَ : لَا تَنْتَظِرُوا مَالِكًا ان وَجَدْتُمُوهُ
 ان تَقْتُلُوهُ . وَالرَّبِيعُ بن زِيَادٍ مَجَاوِرٌ حذِيفَةَ بن بَدْرِ . وَكَانَتْ امْرَأَةُ الرَّبِيعِ
 ابْنِ زِيَادٍ مُعَاذَةَ ابْنَةَ بَدْرِ . فَانْطَلَقَ الْقَوْمُ فَلَقُوا مَالِكًا فَقَتَلُوهُ ثُمَّ انْصَرَفُوا
 عَنْهُ وَجَاوَرُوا عَشِيَّةً وَقَدْ جَهَدُوا اَفْرَاسَهُمْ فَوَقَفُوا عَلَى حذِيفَةَ وَمَعَهُ الرَّبِيعُ
 ابْنِ زِيَادٍ . فَقَالَ حذِيفَةَ : اَقْدَرْتُمْ عَلَى حِمَارِكُمْ . فَقَالُوا نَعَمْ وَعَقْرْنَا . فَقَالَ
 الرَّبِيعُ : مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ قَطَّ اَهْلَكَتْ اَفْرَاسِكَ مِنْ اَجْلِ حِمَارٍ . فَقَالَ
 حذِيفَةَ لَمَّا اكْثَرَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَلَامَةِ وَهُوَ يَحْسِبُ ان الَّذِي اَصَابُوا حِمَارًا : اَنَا لَمْ
 نَقْتُلْ حِمَارًا وَلَكِنَّا قَتَلْنَا مَالِكُ بن زُهَيْرِ بَعُوفِ بن بَدْرِ . قَالَ الرَّبِيعُ :
 بِنَسِ لَعَمْرُ اللهِ الْقَتِيلُ قَتَلْتَا . اَمَا وَاللَّهِ اِنِّي لِاِظْنُهُ سَيَبْلُغُ مَا يُكْرَهُ .
 فَتَرَا جَمَاعَةً شَيْئًا مِنْ كَلَامِ ثُمَّ تَفَرَّقَا . فَقَامَ الرَّبِيعُ يَطُؤُ الْاَرْضَ وَطَنًا شَدِيدًا .
 وَاخَذَ يَوْمَئِذٍ حَمَلُ بن بَدْرِ ذَا النُّونِ^(٢) سَيْفَ مَالِكِ بن زُهَيْرِ

قَالَ اَبُو عُبَيْدَةَ : فَرَعَمُوا اَنَّ حذِيفَةَ لَمَّا قَامَ الرَّبِيعُ بن زِيَادٍ ارْسَلَ اِلَيْهِ
 بِمُوَادَّةٍ لَهُ فَقَالَ لَهَا : اِذْهَبِي اِلَى مُعَاذَةَ (بِنْتِ بَدْرِ امْرَأَةِ الرَّبِيعِ) فَانْظُرِي
 مَا تَرِينَ الرَّبِيعَ يَصْنَعُ . فَانْطَلَقَتِ الْجَارِيَةُ حَتَّى دَخَلَتِ الْبَيْتَ فَانْدَسَتْ
 بَيْنَ الْكُفَاءِ وَالنَّضْدِ^(٣) . فَجَاءَ الرَّبِيعُ فَنَفَذَ الْبَيْتَ حَتَّى أَتَى فَرَسَهُ فَقَبِضَ

(١) الْعُشْرَاءُ الَّتِي أَتَى عَلَيْهَا مِنْ حَمَلِهَا عَشْرَةَ اَشْهُرٍ مِنْ مَلْفَحِهَا . وَالْمَتَالِي (الَّتِي
 تَبْحُ بِبَعْضِهَا وَالْبَاقِي يَتَلَوُّهَا فِي النَّتَاجِ

(٢) سُمِّيَ ذَا النُّونِ لِصُورَةِ سَمَكَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ

(٣) الْكُفَاءُ شَقَّةٌ فِي آخِرِ الْبَيْتِ . وَالنَّضْدُ مَتَاعٌ يَجْعَلُ عَلَى حِمَارٍ مِنْ خَشَبِ

بمَعْرِفَتِهِ ثُمَّ مَسَحَ مَتْنَهُ حَتَّى قَبِضَ بِعُكُوتِهِ ذَنْبَهُ^(١) ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْبَيْتِ وَرَجَحَهُ مَرَكُوزَ بِنَانِهِ فَهَزَّهُ هَزًّا شَدِيدًا ثُمَّ رَكَزَهُ كَمَا كَانَ . ثُمَّ قَالَ لِأَمْرَأَتِهِ : اطْرَحِي لِي شَيْئًا فَطَرَحَتْ لَهُ شَيْئًا فَاضْطَجَعَ عَلَيْهِ وَقَالَ : قَدْ حَدَّثَ أَمْرًا . ثُمَّ تَغَيَّرَ وَقَالَ :

من سبي النبي الجليل الساري	نام الخلي وما أغمض حار
وتقوم مَعُولَةٌ مع الأسحار	من مثله تُسَمَّى النساءِ حواسرًا
فليأتِ نَسوتنا بوجه نهار	من كان مسرورًا بمقتل مالك
يَكِينٌ قبل تبليج الأسحار	يُجِدُ النساءِ حواسرًا يندبنه
فاليومَ حين بدونَ للنظار	قد كنَّ يُجْبَانُ الوجوهَ تَسْرًا
سهل الخليفة طيب الاخبار	يُجْمِشِنَ حُرَّاتِ الوجوهِ على امرء
ترجو النساءِ عواقب الاطهار	أفعدَ مقتل مالك بن زهير
ألا المطي تُشَدُّ بالاكوار	ما ان ارى في قتله لذوي الحجى
يقذفن بالمهرات والامهار	وُجَبَّاتٍ ما يذقن عذوفة ^(٢)
فكأننا طلي الوجوه بقار	ومساعراً صداً الحديد عليهم
ولسوف نصرقة بشر محار ^(٣)	يارب مسرورٍ بمقتل مالك

فَرَجَعَتِ الْمَرْأَةُ فَأَخْبَرَتْ حَاضِرَةَ الْخَبْرِ . فَقَالَ : هَذَا حِينَ اجْتَمَعَ امْرَأَتُكُمْ . وَوَقَعَتِ الْحَرْبُ . وَقَالَ الرَّبِيعُ لِحَاضِرَةَ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ جَارُهُ : سِيرَنِي فَأَنِي جَارُكُمْ مَسِيرَةَ ثَلَاثِ لَيَالٍ . وَمَعَ الرَّبِيعِ فَضْلَةٌ مِنْ خَمْرٍ . فَلَمَّا سَارَ الرَّبِيعُ دَسَّ حَاضِرَةَ فِي إِثْرِهِ فَوَارَسَ فَقَالَ : اتَّبِعُوهُ فَإِذَا مَضَتْ ثَلَاثُ

(٢) العذوف والمدوف . ما أكلته

(١) العكوة اصل الذنب

(٣) المحار المرجع

ليالٍ فإنَّ معه فَضْلةَ خمرٍ فإن وجدتموه قد هراقها فهو جادٌ وقد مضى
فانصرفوا . وان لم تجدوه قد أراقها فاتبعوه فانكم تجدوه قد مال
لادنى منزلٍ فرتع وشرب فاقتلوه . فتبعوه فوجدوه قد مال لادنى منزلٍ
وسقَّ الرِّقَّ ومضى . فانصرفوا . فلما أتى الربيع قومه وقد كان بينه وبين
قيس بن زهير شَحْناءً وذلك أنَّ الربيع ساوم قيس بن زهير في درعٍ
كانت عنده . فلما نظر اليها وهو راكبٌ وضعها بين يديه ثم ركض بها
فلم يردّها على قيس . فعرض قيس لفاطمة ابنة الحُرْشَبِ الأُمَاريَّةِ من
انار بن بغيض وهي إحدى مُنْجِبَاتِ قيس وهي أمُّ الربيع وهي تسير
في ظمائنٍ من عبسٍ فاقتاد جملها يريد ان يرتهاها بالدرع حتى تُردَّ عليه .
فقال : ما رأيت كاليوم فعَلَّ رجلٌ . اي قيسُ ضلَّ حِلْمَكَ أترجو ان
تصطلح انت وبنو زياد وقد اخذت أمهم فذهبت بها عينا وشمالا فقال
الناس في ذلك ما شاءوا وحسبك من شرِّ سماعه . فارسلتها مثلاً . فعرف
قيس بن زهير ما قالت له فخلّى سبيلها وأطرد ابلاً لبني زياد فقدم بها
مكة فباعها من عبدالله بن جُدعان القُرْشِيِّ . وقال في ذلك قيس بن
زهير :

ألم يبلغك والانماء تنمي	بما لاقت أبون بني زياد
ومحبسها على القرشي تُشرى	بادراعٍ واسيفٍ حدادٍ
كما لاقيت من حمل بن بدرٍ	واخوته على ذات الإصاد
هم فخرُوا عليَّ بغيرٍ فخرٍ	وذادوا دون غايته جوادِي
وكنتُ اذا مُنيتُ بخصمٍ سوء	دلفتُ له بداهيةً نادٍ

بداهية تدق الصلْب منه
 و كنت اذا اتاني الدهر ربق^١
 اثم تعلم بنو الميقاب اني
 اطوف ما اطوف ثم آوي
 اليك ربيعة الخير ابن قرط
 كفاني ما اخاف ابو هلال
 تظن جياته يُجدين حولي
 كأني اذ أنحت الى ابن قرط
 فتقصر او تجوب على الفواد
 بداهية شددت لها نجادي
 كريم غير مُغثك الزناد^٢
 الى جار كجار ابي دواد^٣
 وهوباً للطريف وللتلاد
 ربيعة فانتهدت عني الاعادي
 بذات الرمث كالحدا الفوادي
 عقلت الى يلملم او نضاد^٤

(قال) فكانت تلك الشحنة بين بني زياد وبين بني زهير فكان
 قيس يخاف خذلانهم اياه . فزعموا ان قيساً دس غلاماً له مولداً فقال :
 انطلق كأنك تطلب ابلاً فانهم سيسألونك فاذا ذكر مقتل مالك ثم احفظ
 ما يقولون . فاتاهم العبد فسمع الربيع يتغنى بقوله : « ابعده مقتل مالك
 بن زهير » . فلما رجع العبد الى قيس فأخبره بما سمع من الربيع بن

(١) الربق ما يتقلده

(٢) الوقب الاحمق والميقاب التي تلد الحمقى . ومغثك الزناد اي غير صلد
 الزناد . يروى بالفين والعين . اعنتك زناداً اخذه من شجر لا يدري ايوري ام
 يصلد (٣) جاره يعني ربيعة الخير بن قرط . وجار ابي دواد يقال الحرث
 ابن همام وكان ابو دواد في جواره فخرج صبيان الحي يلعبون في غدير فغمس
 الصبيان ابن ابي دواد فيه فقتلوه فخرج الحرث فقال : لا يبقى صبي في الحي الا
 غرق في الغدير او يرضى ابو دواد . فودي ابن ابي دواد عشر ديات فرضي .
 (٤) عقل لجأ . يلملم من كبار جبال تخامة على ليلتين من مكة ويقال المسلم
 بالهمزة وهو الاصل والياء بدل من الهمزة . ونضاد جبل عظيم في الحجاز

زياد عرف قيس ان قد غضب . فاجتمعت بنو عبس على قتال بني فزارة
 فارسوا اليهم ان : رُدُّوا علينا ابلنا التي وَدَّينا بها عوقاً أخوا حذيفة بن
 بدر لأمه . فقال : لا أعطيكُم دية ابن أمي وإنما قتل صاحبكم حملُ
 ابن بدر وهو ابن الاسديَّة . وأنتم وهو أعلم . فزعم بعض الناس انهم
 كانوا ودَّوا عوف بدر باثة من الابل متلية اي قد دنا نتاجها وانه قد
 أتى على تلك الابل اربع سنين وان حذيفة بن بدر أراد ان يردَّها
 بأعيانها . فقال له سنان بن خارجة المري : أتريد ان تُلحق بنا خزايةً
 فنعطيهم أكثر مما اعطونا فتسبنا العرب بذلك . فأمسكها حذيفة . وأبى
 بنو عبس ان يقبلوا إلا ابلهم بعينها . فكث القوم ما شاء الله ان يكثروا .
 ثم ان مالك بن بدر خرج يطلب ابلًا له فرأى على بني رواحة فرماه جنيدب
 احد بني رواحة بسهم فقتله . فقالت ابنة مالك بن بدر في ذلك :

لله عينا من رأى مثل مالكٍ عقيرة قومٍ أن جرى فرسانِ
 فليتهما لم يشربا قطُّ قطرةً وليتهما لم يُوسلا لِرِهانِ
 أحلَّ به امس الجنيدبُ نذرهُ فأبيُّ قتيلٍ كان في غطفانِ
 اذا سبجت بالرقمتين حمامةً او الرس فابكي فارس الكتفانِ^(١)

ثم ان الاسلع بن عبدالله مشى في الصلح ودهن بني ذبيان ثلاثة من
 بنيه واربعة من بني اخيه حتى يصطلحوا جعلهم على يدي سبيع بن
 عمرو فمات سبيع وهم عنده . فلما حضرته الوفاة قال لابنه مالك بن
 سبيع : ان عندك مكرمة لا تبعد ان انت احتفظت بهولاء الأغيلمة .

(١) الكتفان اسم فرس مالك بن بدر . الكتفان (اللسان ١١ : ٢٠٢)

الكتفان (نقائض ج وف ٩٣) (الكتفان (ياقوت ٧٧٩ : ٢)

وكانني بك لو قدمت قد اتاك حذيفة خالك (وكانت ام مالك هذا
ابنة بدر) فعصر عينيه وقال : هلك سيدنا . ثم خدعك عنهم حتى تدفعهم
اليه فيقتلهم . فلا شرف بعدها . فان خفت ذلك فاذهب بهم الى قومهم .
فلما ثقل جعل حذيفة يبكي ويقول : هلك سيدنا . فوقع ذلك له في
قلب مالك . فلما هلك سبيع اطاف بابنه مالك فأعظمه . ثم قال له :
يا مالك اني خالك واني أسن منك فادفع اليّ هؤلاء الصبيان ليكونوا
عندي الى ان ننظر في أمرنا . ولم يزل به حتى دفعهم الى حذيفة
باليغمريّة^(١) فلما دفع مالك الى حذيفة الرهن جعل كل يوم يُبرز غلاماً
فينصبه غرضاً ويرمي بالنبل . ثم يقول : نادِ اباك . فينادي اياه حتى يترقه
النبل . ويقول لواقد بن جندب : نادِ اباك . فجعل ينادي : يا عماء . خلافاً
عليهم ويكره ان يابس^(٢) اياه بذلك . وقال لابن جنيد بن عمرو بن
الاسلع : نادِ جنّية . وكان جنّية لقب ابيه . فجعل ينادي : يا عمراه باسم
ابيه حتى قتل . وقتل عتبة بن شهاب بن قيس بن زهير . ثم ان بني فزارة
اجتمعوا هم وبنو ثعلبة وبنو مرة فالتقوا هم وبنو عيس فقتلوا منهم
مالك بن عمرو بن سبيع الثعلبي قتله مروان بن زنباع العبسي وعبد
الغزّي بن حذار الثعلبي والحارث بن بدر الفزاري وهرم بن ضمضم المري
قتله ورد بن حابس العبسي . ولم يشهد ذلك اليوم حذيفة بن بدر . فقالت
ناجية اخت هرم بن ضمضم المري :

يا لهف نفسي لهفة المفجوع اذ لا ارى هرماً على مودوع^(٣)

(١) اليعمرية ماء بواي من بطن نخل من الشربة
والحمل على المكروه (٣) مودوع فرسه (٢) الابس القهر

من اجل سيدنا ومصراع جنبه . علق الفؤادُ بجنظلي . مجدوع .
 ثم ان حذيفة بن بدر جمع وتأهب . واجتمع معه بنو ذبيان بن بغيض .
 فبلغ بني عيس انهم قد ساروا اليهم فقال قيس : اطيعوني فوالله ان لم
 تفعلوا لا تكثن على سيفي حتى يخرج من ظهري . قالوا : فانا نطيعك .
 فأمرهم فسرّ حوا السّوام والضّاعف بليل . وهم يريدون ان يظعنوا من
 منزلهم ذلك . ثم ارتحلوا في الصبح واظهروا على ظهر العتبة وقد مضى
 سوامهم وضعفاؤهم . فلما اصبحوا طلعت عليهم الخيل من الشنايا . فقال
 قيس : خذوا غير طريق المال فانه لا حاجة للقوم ان يقعوا في شوكتكم
 ولا يريدون بكم في انفسكم شرّاً من ذهاب اموالكم . فأخذوا غير
 طريق المال . فلما ادرك حذيفة الأثر وراه قال : أبعدهم الله وما خيرهم
 بعد ذهاب اموالهم . فاتّبع المال . وسارت ظعن بني عيس والمقاتلة من
 ورائهم . وتبع حذيفة وبنو ذبيان المال . فلما ادركوه ردّوا اوله على
 آخره . ولم يُفلت منهم شيء . وجعل الرجل يطرد ما قدر عليه من الابل
 فيذهب بها . وتفرّقوا واشتدّ الحرّ . فقال قيس بن زهير : يا قوم ان القوم
 قد فرّق بينهم المغنم فأعطفوا الخيل في آثارهم . فلم تشعر بنو ذبيان إلا
 والخيل دوائس . فلم يقاتلهم كبيرٌ احدٍ . وجعل بنو ذبيان انما همّة
 الرجل في غنيمته ان يجوزها ويمضي بها . فوضعت بنو عيس فيهم السلاح
 حتى ناشدتهم بنو ذبيان البقية . ولم يكن لهم همٌ غير حذيفة فارسلوا
 خيلهم مجتهدين في أثره . وارسلوا خيلاً تقصّ الناس ويسألونهم حتى
 سقط خبر حذيفة من الجانب الايسر على شدّاد بن معاوية العبسي وعمرو
 ابن ذهل بن مرّة العبسي وعمرو بن الاسلع والحارث بن زهير وقرواش

ابن هنيّ وجنيدب . وكان حذيفة قد استرخى حزام فرسه . فنزل عنه فوضع رجله على حجر مخافة ان يُقتَصَّ أثره ثم شدَّ الحزام . فوقع صدر قدمه على الارض فعرفوه وعرفوا حنفاً^١ فرسه فاتبعوه . ومضى حتى استغاث بجفّر الهبأة وقد اشتدَّ الحرّ فرمى بنفسه ومعه حمل بن بدر وحاش بن عمرو وورقا . بن بلال واخوه وهما من بني عدي بن فزارة وقد نزعوا سروجهم وطرحوا سلاحهم ووقعوا في الماء وتمككت دوابهم وقد بعثوا ربيثة . فجعل يطلع فينظر فإذا لم ير شيئاً رجع . فنظر نظرة فقال : اني قد رأيت شخصاً كالنعامة او كالطائر فوق القتادة من قبل مجيئنا . فقال حذيفة : هنا وهنا هذا شداد على جروة

فبينما هم يتكلمون اذا هم بشداد بن معاوية واقفاً عليهم . فحال بينهم وبين الخيل . ثم جاء عمرو بن الاسلع ثم جاء قرواش حتى تتاموا خمسة . فجعل جنيدب على خيلهم فاطردها . وحمل عمرو بن الاسلع فاقتحم هو وشداد عليهم في الجفر . فقال حذيفة : يا بني عبس فأين العقول والاحلام . فضربه اخوه حمل بن بدر بين كتفيه وقال : اتق ماثور القول بعد اليوم . فأرسلها مثلاً . وقتل قرواش بن هني حذيفة وقتل الحرث بن زهير حمل بن بدر وأخذ منه ذا النون سيف مالك بن زهير وكان حمل اخذه من مالك بن زهير يوم قتله . فقال الحرث بن زهير في ذلك :

تركت على الهبأة غير فخرٍ حذيفةً حوله قصد العوالي

(١) الحنف ان تقبل احدي البيدين على الاخرى وفي الناس ان تقبل احدي الرجلين على الاخرى وان يطا الرجل وحشيها

سيخبر قومه حنش بن عمرو اذا لاقاهم وابنا بلال
ويخبرهم مكان النون مني وما أُعطيتُه عرق الخلال^(١)
فأجابه حنش بن عمرو :

سيخبرك الحديث به خير^(٢) يجاهرك العداوة غير آلي
بُداءُتها لقرواش وعمرو وأنت يجول جوبك في الشمال^(٣)

حروب الفجار * وحرور عكاظ

كانت هذه الحروب بين قريش وقيس عيلان في اربعة اعوام متواليات ولم يكن لقريش في اولها مدخل ثم تحققت بها . فاما الفجار الاول فكانت الحرب فيه ثلاثة ايام ولم تسم باسم شهر بها . واما الفجار الثاني فكان أعظمها لانهم استحلوا فيه الحرم وكانت ايامه يوم نخله . وكان الروساء . فيه حرب بن أمية في القلب وعبدالله بن جدعان وهشام بن المغيرة في المجنبتين . ثم يوم شطة ثم يوم العبلاء . ثم يوم عكاظ ثم يوم الحرّة

قال أبو عبيدة : كان أمر الفجار ان بدر بن معشر الغفاري احد بني غفار بن مالك كان رجلاً منيعاً مستطيلاً بمنعته على من ورد عكاظ .

(١) العرق المكافاة والخلال المودة يقول لم يطوني السيف عن مكافاة ومودة ولكني اخذته منه غضباً بقتلي اياه

(٢) الجوب الترس . يقول بداءة الامر لقرواش وعمرو وهما اقتحما الجفر وقتلا من قتلا . وانت ترسك في يدك يجول لم تغن شيئاً . يقال لك البداءة ولفلان العودة * سميت فجاراً لانها كانت في الاشهر الحرم

فاتخذ مجلساً بسوق عكاظ وقعد فيه وجعل يبرح على الناس ويقول :
 نحن بنو مُدْرِكةَ بنِ خِنْدِفٍ من يطعنوا في عينه لا يَطْرِفِ
 ومن يكونوا قومه يُغَطْرِفِ كأنهم لجة بحرٍ مُسَدِفٍ^(١)
 وبدر بن معشر باسط رجله يقول : أنا أعز العرب فمن زعم انه أعز مني
 فليضرب هامتي بالسيف فهو اعز مني . فوثب رجل من بني نصر بن
 معاوية يقال له الاحمر بن مازن بن أوس فضربه بالسيف على ركبته
 فاندرها^(٢) . ثم قال : خذها اليك ايها المخندف وهو ماسك سيفه . وقام
 ايضاً رجل من هوزان فقال :

انا ابن همدان ذو التغرِفِ بحرٌ مجور زاخر لم يتَرَفِ
 نحن ضربنا ركة المخندفِ اذ مدّها في اشهر المعرِفِ^(٣)

وفي هذه الضربة أشعار كثيرة لا معنى لذكرها

ثم كان اليوم الثاني من الفجار الاول . وكان السبب في ذلك ان
 شباباً من قريش وبني كنانة هزأوا بامرأة من بني عامر بسوق عكاظ .
 فنادت : يا آل عامر . فثاروا وحملوا السلاح . وحملة كنانة واقتتلوا قتالاً
 شديداً ووقعت بينهم دماء . فتوسط حرب بن أمية واحتمل دماء القوم
 وأرضى بني عامر من مُثلة صاحبته

ثم كان اليوم الثالث من الفجار الاول . وكان سببه انه كان لرجل
 من بني جُشم بن بكر بن هوازن دين على رجل من بني كنانة . فلواه^(٤)
 به وطال اقتضاؤه اياه فلم يُعطه شيئاً . فلما اعياه وافاه الجشمي في سوق

(١) مسدِف اي مُظلم . وفي الاصل : مُسرف (٢) اندرها قطعها

(٣) المعرِف الموقِف بعرفات (٤) لواه دينه مطلقه به

عكاظ بقرد ثم جعل ينادي : من يبغني بمثل هذا الربّاح^(١) : يا علي بن فلان بن فلان الكناني . من يعطيني مثل هذا : يا علي بن فلان بن فلان الكناني . رافعاً صوته بذلك . فلما طال نداؤه بذلك وتعييره به كنانة مرّ رجل منهم فضرب القرد بسيفه فقتله . فهتف به الجشمي : يا آل هوازن . وهتف الكناني : يا آل كنانة . فتجمع الحيّان حتى تحاجزوا ولم يكن بينهم قتلى . ثم كفوا وقالوا : أفي ربّاح تُريقون دماءكم وتقتلون انفسكم . وحمل ابن جدعان ذلك في ماله بين الفريقين

(قال) ثم كان يوم الفجار الثاني وأوّل يوم حروبه يوم نخلة . قال أبو عبيدة : كان الذي هاج هذه الحروب يوم الفجار الآخر ان البرّاض بن قيس ابن رافع احد بني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة كان سكيراً فاسقاً خلعه قومه وتبرأوا منه . فشرب في بني الدليل فخلعوه . فأتى مكة وأتى قريشاً . فنزل على حرب بن أمية فحالفه فأحسن حرب جواره . وشرب بمكة حتى همّ حرب ان يخلعه . فقال لحرب : انه لم يبق احد ممن يعرفني الا خلعتني سواك . وانك ان خلعتني لم ينظر اليّ احد بعدك . فدعني على حلفك وانا خارج عنك . فتركه وخرج فلحق بالنعمان بن المنذر بالحيرة . وكان النعمان يبعث الى سوق عكاظ في وقتها بلطيمة^(٢) يجيزها له سيّد مضر فتباع وتشترى له بثمانها الأدم والحريير والوكاء^(٣) والحذاء والبرود من العصب والوشى والمسير^(٤) والعدي . وكانت سوق عكاظ

(١) الرّبّاح والربّاح القرد (٢) اللطيمة نافجة المسك

(٣) الوكاء رباط اقربة وكل ما شدّ رأسه من وعاء ونحوه

(٤) المسير ضرب من البرود فيها خطوط تعمل من القز كالسيور

في أول ذي القعدة فلا تزال قائمة يباع فيها ويشترى الى حضور الحج . وكان قيامها فيما بين النخلة والطائف عشرة اميال وبها نخل واموال ثقيف . فجهز النعمان لطيمة له وقال : من يجيزها . فقال البرأض : انا أجيزها على بني كنانة^(١) . فقال النعمان : انما أريد رجلاً يجيزها على اهل نجد . فقال عروة الرحال وهو يومئذ رجل من هوازن : انا أجيزها أبيت اللعن . فقال له البرأض : من بني كنانة تجيزها يا عروة . قال : نعم وعلى الناس جميعاً . أفكلب خطيع^(٢) يجيزها . ثم شخص بها وشخص البرأض وعروة يرى مكانه ولا ينحشاه على ما صنع . حتى اذا كان بين ظهري غطفان الى جانب فدك بأرض يقال لها أواره قريب من الوادي الذي يقال له تيمن نام عروة في ظل شجرة . ووجد البرأض غفلة فقتله وهرب عصاريط^(٣) الرّكاب فاستاق الرّكاب . وقال البرأض في ذلك :

وداهية يهال الناس منها شددت لها بني بكر ضلوعي
هتكت بها بيوت بني كلاب وأرضت الموالي بالرضوع
جمت لها يدي بنصل سيف أفل^(٤) فخر كالجدع الصريع
وقال ايضاً :

نقمت على المرء الكلابي فخره وكنت قديماً لا أقر فخاراً
علوت بجدّ السيف مفرق رأسه فأسمع اهل الواديين خواراً
فقال ليبد بن ربيعة يحض على الطلب بدمه
أبلغ إن عرضت بني غير وأحوال القليل بني هلال

(١) اي على اهل الحجاز (٢) المضاريط الخدم القائمون على الابل
(٣) سيف افل ذو فلول وهي كسور وتلّم في حده لكثرة الضرب به

بأن الوافد الرحال أضحى صريعاً عند تيمن ذي الطلال
قال أبو عمرو : لقي البرأض بشر بن ابي خازم فقال له : هذه القلائص
لك على ان تأتي حرب بن أمية وعبدالله بن جدعان وهشاماً والوليد ابني
المغيرة فتخبرهم ان البرأض قتل عروة . فاني أخاف إن يسبق الخبر الى
قيس أن يكتسوه حتى يقتلوا به رجلاً من قومك عظيماً . فقال له : وما
يومنك ان تكون انت ذلك القتل . قال : ان هوازن لا ترضى ان تقتل
بسيدها رجلاً خليعاً طريداً من بني ضمرة . (قال) ومرّ بهما الجليس بن
يزيد أحد بني الحرث وهو يومئذ سيد الاحابيش من بني كنانة
والاحابيش من بني الحرث . فقال لهم الجليس : مالي أراكم نجياً .
فأخبروه الخبر ثم ارتحلوا وكتموا الخبر على اتفاق منهم . (قال) وكانت
العرب اذا قدمت عكاظ دفعت أسلحتها الى ابن جدعان حتى يفرغوا من
أسواقهم وحجهم . ثم يردّها عليهم اذا ظنوا . وكان سيداً حكيماً مثرياً
من المال . فجاءه القوم فأخبروه خبر البرأض وقتله عروة وأخبروا حرب
ابن أمية وهشاماً والوليد ابني المغيرة . فجاء حرب الى عبدالله بن جدعان
فقال له : احتبس قبلك سلاح هوازن . فقال له ابن جدعان : أبا العدر
تأمرني يا حرب . والله لو أعلم انه لا يبقى منها سيف إلا ضربت به ولا
رمح إلا طعنت به ما أمسكت منها شيئاً . ولكن لكم مائة درع
ومائة رمح ومائة سيف في مالي تستعينون بها . ثم صاح ابن جدعان في
الناس : من كان له قبلي سلاح فليأت وليأخذه . فاخذ الناس اسلحتهم .
وبعث ابن جدعان وحرب بن أمية وهشام والوليد الى ابي براء : انه قد

كان بعد خروجنا حرب وقد خفنا تفاقم الامر فلا تنكروا خروجنا .
وساروا راجعين الى مكة . فلما كان آخر النهار بلغ ابا براء قتل البراض
عروة فقال : خدعني حرب وابن جدعان . وركب فيمن حضر عكاظ من
هوازن في اثر القوم فادر كورهم بنخلة فاقتتلوا حتى دخلت قريش الحرم
وجن عليهم الليل فكفوا . ونادى الادرم بن شعيب احد بني عامر بن
صعصعة : يا معشر قريش ميعاد ما بيننا هذه الليلة من العام المقبل
بعكاظ . وكان يومئذ رؤساء قريش حرب بن أمية في القلب وابن
جدعان في احدى المجنبتين وهشام بن المغيرة في الاخرى . وكان رؤساء
قيس عامر بن مالك ملاعب الاسنة على بني عامر . وكدام بن عمير على
فهم . وعدوان ومسعود بن سهم على ثقيف . وسبيع بن ربيعة النصري
على بني نصر بن معاوية . والصمة بن الحرث وهو ابو دريد بن الصمة
على بني جشم . وكانت الراية مع حرب بن أمية وهي راية قصي التي يُقال
لها العقاب . فقال في ذلك خدش بن زهير :

يا شدة ما شددنا غير كاذبة على سخينة^(١) لولا الليل والحرم
اذ يتقينا هشام بالوليد ولو أنا نثقنا^(٢) هشاماً شالت الخدم
بين الاراك وبين المرج تبطحهم زرق الاسنة في اطرافها السهم
فان سمعتم بجيش سالك شرفاً وبطن مر فأخفوا الجرس واكتتموا

(قال) وقدم البراض باللطيمة مكة وكان يأكلها . وكان عامر بن يزيد
ابن الملوح بن يعمر الكناني نازلاً في اخواله من بني غير بن عامر وكان

(١) كانت العرب تسمي قريشاً سخينة لاكلها السخن . الخدم جمع خدمة

(٢) ثقفه ظفر به

وهي الساق هنا

ناكحاً فيهم . فهتت بنو كلاب بقتله . فمنعته بنو غير . ثم شخصوا به حتى نزل في قومه . واستعوت^(١) كنانة بني اسد وبني غير واستغاثت بهم فلم تُغثم . ولم يشهد الفجار احد من هذين الحين

ثم كان اليوم الثاني من الفجار الثاني وهو يوم شمطة . فتجمعت قريش وكنانة بأسرها وبنو عبد مناة والاحابيش وأعطت قريش رؤوس القبائل اسلحة تامة وأداة وجمعت هوازن وخرجت فلم تخرج معهم كلاب ولا كعب ولا شهد هذان البطنان من ايام الفجار الا يوم نخلة مع ابي براء عامر بن مالك . وكان القوم جميعاً متساندين على كل قبيلة سيدهم (قال) فسبقت هوازن قريشاً فنزلت شمطة من عكاظ وظنوا ان كنانة لم توافهم . وأقبلت قريش فنزلت من دون المسيل . وجعل حرب بني كنانة في بطن الوادي وقال لهم : لا تبرحوا مكانكم ولو أبيحت قريش . فكانت هوازن من وراء المسيل . قال أبو عبيدة : فحدثني أبو عمرو ابن العلاء . قال : كان ابن جدعان في احدى الجنبتين وفي الاخرى هشام ابن المغيرة وحرب في القلب . وكانت الدائرة في اول النهار لكنانة . فلما كان آخر النهار تداعت هوازن وصبروا واستحجروا القتل في قريش فلما رأى ذلك بنو الحرث بن كنانة وهم في بطن الوادي مالوا الى قريش وتركوا مكانهم . فلما استحجروا القتل بهم قال ابو مساحق بلعاء بن قيس لقومه : الحقوا برحهم وهو جبل . ففعلوا وانهزم الناس . ففي ذلك يقول خدش بن زهير في كلمة له :

ألا أبلغ ان عرضت به هشاماً وعبدالله أبلغ والوليدا

اولئك ان يكن في الناس خيراً
هم خيرُ المعاشر من قريش
باناً يوم شمطة قد اقمنا
جلبنا الخيل ساهمة اليهم
فبتنا نعقد السيا^١ وباتوا
فجاءوا عارضاً برِداً^٢ وجئنا
ونادوا يا لعمرِ لا تفرّوا
فعاركنا الكمأة وعاركونا
فولوا نضربُ الهاماتِ منهم
تركنا بطن شمطة من علاء
ولم ارَ مثلهم هُزموا وفلّوا
ثم كان اليوم الثالث من ايام الفجار وهو يوم العبلاء . فجمع القوم بعضهم
لبعض والتقوا على قرن الحول بالعبلاء وهو موضع قريب من عكاظ .
ورؤساؤهم يومئذٍ على ما كانوا عليه يوم شمطة وكذلك من كان على
المجذبتين . فاقتلوا قتالاً شديداً . فانهمزمت كنانة . فقال خدّاش بن زهير
في ذلك :

ألم يبلغك بالعبلاء أنا ضربنا خندفاً حتى استقادوا

(١) قُود جمع اقود وهي الخيل السلسة القيادة والنقع الغبار الساطع
(٢) نعقد السيا اي العلامات (٣) العارض السحاب والبرد المطر
البرد استعاره للجيش المطر السهام (٤) لا صدود اي لا يصدّهم احد
عماً يريدون (٥) صديد يسيل منه الدم

نبتي بالمنازل عزّ قيسٍ وودّوا لو تسيخُ بنا البلادُ
وقال ايضاً :

ألم يبلغك ما قالت قريش وحي بني كنانة اذ أتوا
دهمناهم بأرعن مكفهرٍ فظلّ لنا بعقوتهم زئيرٌ^١
نقوم مارن الخطي فيهم يجي على أسنتنا الخزيرو

ثم كان اليوم الرابع من ايامهم يوم عكاظ فالتقوا في هذه المواضع على رأس الحول وقد جمع بعضهم لبعض واحتشدوا والرؤساء بجاهلهم . وحمل عبدالله بن جدعان يومئذ الف رجل من بني كنانة على ألف بعير وخشيت قريش أن يجري عليها ما جرى يوم العباء . فقيد حرب وسفيان وأبو سفين بنو امية بن عبد شمس انفسهم وقالوا : لا نبرح حتى نموت مكاننا . وعلى أبي سفين يومئذ درعان قد ظاهر بينهما . فسمي هؤلاء الثلاثة يومئذ العنابس وهي الأسد . فاقتتل الناس يومئذ قتالاً شديداً وثبت الفريقان حتى همت بنو بكر بن عبد مناة وساثر بطون كنانة بالهرب . وكانت بنو مخزوم تلي كنانة فحافظت حفاظاً شديداً . وكان اشدهم يومئذ بنو المغيرة فانهم صبروا وأبلوا بلاءً حسناً . فلما رأت ذلك بنو عبد مناة من كنانة تدامروا فرجعوا . وحمل بلعاء بن قيس يومئذ وهو يقول :
ان عكاظاً مأوانا فخلّوه وذا المجاز بعد أن تحلّوه

وخرج الجليس بن يزيد أحد بني الحرث بن عبد مناة بن كنانة وهو رئيس الاحابيش يومئذ فدعا الى المبارزة . فبرز اليه الحدثان بن سعد

(١) العقوة (الساحة والمحلة) . الرّعن الانف العظيم من الجبل . جيش ارعن له فضول كرعان الجبل والمكفهر السحاب الغليظ المسودّ الراكب بعضه بعضاً شبه به الجيش

النصري قطعته الحدثان فذق عذبه . وتحاجزوا واقتتل القوم قتالاً شديداً . وحملت قريش وكنانة على قيس من كل وجه . فانهزمت قيس كلها إلا بني نصر فانهم صبروا ثم هربت بنو نصر وثبت بنو دهمان فلم يُغنوا شيئاً فانهزموا وكان عليهم سابع بن ابي ربيعة أحد بني دهمان فعقل نفسه ونادى : يا آل هوازن يا آل هوازن يا آل نصر . فلم يعرج اليه احد وأجفلوا منهزمين فكر بنو أمية خاصة في بني دهمان ومعهم الحنيسق وقشعة الجشميان فقاتلوا ولم يُغنوا شيئاً فانهزموا . وكان مسعود ابن معتب الثقفي قد ضرب على امرأته سبيعة بنت عبد شمس بن عبد مناة خباء ، وقال لها : من دخله من قريش فهو آمن . فجعلت توصل في خباياها ليُتسع . فقال لها : لا يتجاوزني خباؤك فاني لا أمضي إلا من أحاط به الخباء . فأحفظها . فقالت : أما والله اني لأظن انك ستود ان لو زدت في توسعته . فلما انهزمت قيس دخلوا خباياها مستجيرين بها . فأجار لها حرب بن أمية جيرانها وقال لها : يا عمة من تمسك باطناب خباياك او دار حوله فهو آمن . فنادت بذلك . فاستدارت قيس بخباياها حتى كثروا جداً فلم يبق أحد لا نجاة عنده إلا دار بخباياها . فليل لذلك الموضع مدار قيس وكان يُضرب به المثل فتغضب قيس منه . وكان زوجها مسعود بن معتب قد أخرج معه يومئذ بنيه من سبيعة وهم عروة ولوحة ونويرة والاسود فكانوا يدورون وهم غلمان في قيس يأخذون بأيديهم الى خباء امهم ليُجيروهم فيسودوا . بذلك امرتهم امهم ان يفعلوا . (قال) وقال ضرار ابن الخطاب الفهري قوله :

ألم تسأل الناس عن شأننا ولم يُثبت الامر كالحاير

هوازن في كفها الحاضر
 على كل سلهبة ضامر
 بأرعن ذي لَجَبٍ^(١) زاخر
 طعناً بسمر القنا العائر^(٢)
 وطارَت شِعا^(٣) بنو عامر
 بتقلب الخائب الخاسر
 رِثْم توت مع الصادر
 أخيراً لدى دارة الدائر

غداة عكاظٍ اذا استكملت
 وجاءت سُليم تهزُّ القنا
 وجثنا اليهم على المضمرات
 فلما التقينا أذقناهم
 فقرت سُليم ولم يصبوا
 وفرت ثقيف الى لاتها^(٤)
 وقاتلت العنس^(٥) شطرَ النها
 على ان دهمانها حافظت

وقال خدش بن زهير:

عليهم من الرحمان واقٍ وناصر
 أتيج لنا ريب مع الليل ناجر
 كئابٌ يخشاها العزيزُ المكائر
 كأنهم بالمشرقية سامر
 ويلحق منهم أولون وآخر
 عمابة يوم شره متظاهر
 هوازن وارفضت سليم وعامر
 اذا أوهن الناس الجدود العوائر

أتتنا قريش حافلين بجمعهم
 فلما دنونا للقباب وأهلها
 أتيجت لنا بكر وحول لوائها
 جثت دونهم بكر فلم تستطعهم
 وما برحت خيلٌ تمور وتدعي
 لدن غدوة حتى أتى وانجلي لنا
 وما زال هذا الدأب حتى تحاذلت
 وكانت قريش يفلق الصخر جدها

ثم كان اليوم الخامس وهو يوم الحريرة وهي حرة الى جانب عكاظ .
 والروساء بجاهم الأبعاء بن قيس فانه قد مات فصار اخوه مكانه على

(١) اللجب الصباح (٢) العائر السهام الذي لا يُدرى من ابن يأتي
 (٣) شعا متفرقين (٤) اللات صنم (٥) عنس قبيلة

عشيرته . فاقتتلوا فانهزمت كنانة وقتل يومئذ أبو سفيان بن أمية وثمانية رهط من بني كنانة قتلهم عثمان بن اسد من بني عمرو بن عامر وخمسة نفر . وقال خدش بن زهير قوله :

لقد بلوكم فأبلوكم بلاءهم يوم الحريرة ضرباً غير تكذيب
ان تُعدوني فاني لأبنُ عمكم وقد أصابوكم منه بشوئوب^(١)
وانَّ ورقاء قد أردى أبا كنف وابني اياس وعمرأ وابن ايوب
وان عثمان قد أردى ثمانية منكم وأنتم على خبز وتجريب

ثم كان الرجل منهم بعد ذلك يلقي الرجل والرجلان يلقيان الرجلين فيقتل بعضهم بعضاً . فلقي ابن محمية بن عبد الله الديلي زهير بن ربيعة أبا خدش . فقال زهير : اني حرام جنت مُعْتَمِرًا . فقال له : ما تُلقي طوال الدهر الا قلت : انا معتمر . ثم قتله . فقال الشويرع الليثي واسمه ربيعة ابن علس :

تركنا ثاويًا يزقو صداهُ زهيرًا بالعوالي والصفاح^(٢)
أُتِيحَ له ابنُ محمية ابن عبد فأعجله التسومَ بالبطاح
ثم تداعوا الى الصلح على ان يدي من عليه فضلٌ في القتل الفضل الى اهله . فأبى ذلك وهب بن مُعْتَبٍ وخالف قومه واندس الى هوازن حتى أغارت على بني كنانة . فكان منهم بنو عمرو عليهم سلمة بن سعد

(١) الشوئوب الدفعة من المطر فيه برد يريد الرمي بالسهام

(٢) الصفاح جمع صفيحة وهي العريض من السيوف . زقا صوت . اذا قتل قتيل فلم يُدرك به الثأر خرج من راسه زعموا طائرٌ كالبومة يسمونه الصدى فيصبح على قبره اسفوني اسفوني فان قُتل قاتله كفَّ عن صباحه

البكائي وبنو هلال عليهم ربيعة بن أبي ظبيان الهلالي . وبنو نصر بن معاوية عليهم مالك بن عوف وهو يومئذٍ أمرد . فأغاروا على بني ليث بن بكر بصحراء النعيم . فكانت لبني ليث أول النهار فقتلوا عبيد بن عوف البكائي قتله بنو مدالج وسبيع بن المؤمل الجسري حليف بني عامر . ثم كانت على بني ليث آخر النهار فانهزموا واستحرقوا القتل في بني الملوح بن يعمر بن ليث وأصابوا نَعْمًا ونساءً حينئذٍ . فكان من قُتل في حروب الفجار من قريش العوام بن خويلد قتله مرة بن معتب وقُتل حزام بن خويلد وأحبيحة بن ابي احبيحة ومعمر بن حبيب الجمحي وجُرح حرب بن أمية . وقُتل من قيس الصِّمَّة أبو دريد بن الصِّمَّة قتله جعفر بن الاحنف . ثم تراضوا بان يعدوا القتلى فيدوا من فضل . فكان الفضل لقيس على قريش وكنانة . فاجتمعت القبائل على الصلح وتعاقدوا ان لا يعرض بعضهم لبعض . فرهن حرب بن أمية ابنه أبا سفيان بن حرب . ورهن الحرث بن كلدة العبدي ابنه النضر . ورهن سفيان بن عوف احد بني الحرث بن عبد مناة ابنه الحرث حتى وُديت الفضول . ويقال ان عتبة بن ربيعة تقدم يومئذٍ فقال : يا معشر قريش هلثوا الى صلة الأرحام والصلح . قالوا : وما صلحكم هنا فانا موتورون . فقال : على ان ندي قتلاكم ونتصدق عليكم بقتلانا . فرضوا بذلك . وسار عتبة يومئذٍ على ان : أقبل . (قال) فلما رأت هوازن رهائن قريش بأيديهم رغبوا في العفو فأطلقوهم . (قال) وكان الفضل عشرين قتيلاً من هوازن فوداهم حرب بن أمية فيما تروي قريش . وبنو كنانة تزعم ان القتلى الفاضلين قتلاهم وانهم هم وُدوهم . قال ابو عبيدة : ولما انهزمت قيس

خرج مسعود بن متعب لا يعرج على شي . حتى أتى سابعة بنت عبد شمس
 زوجته وقال : أنا بالله وبك . فقالت : كلاً زعمت أنك ستملأ بيتي من
 أسرى قومي اجلس فانت آمن . وقالت أمية بنت عبد شمس ترثي
 أخاها أبا سفيان بن أمية ومَن قُتل من قومها :

أبي ليك لا يذهب	ونيط الطرف بالكوكب
ونجمٌ دونهُ الأهوا	لُ بين الدلو والعقرب
وهذا الصبح لا يأتي	ولا يدنو ولا يقرب
بعقرٍ عشيرةٍ منّا	كرام الخيم والمنصب
أحالَ عليهمُ دهرٌ	حديدُ الثاب والمخَب
فعلَّ بهم وقد آمنوا	ولم يُقصر ولم يشطب ^(١)
وما عنهُ إذا ما جلَّ م	من منجى ولا مهرب
ألا يا عين فابكيهم	بدمعٍ منكٍ مُستغرب
فان ابكي فهم عزي	وهم ركني وهم منكب
وهم أصلي وهم فرعي	وهم نسبي إذا أنسب
وهم مجدي وهم شرفي	وهم حصني إذا أرهب
وهم رحي وهم تُرسي	وهم سيفي إذا أغضب
فكم من قائلٍ منهم	إذا ما قال لم يكذب
وكم من ناطقٍ فيهم	خطيبٍ مصقعٍ مُعرب
وكم من فارسٍ فيهم	كمي مُعلمٍ محرب
وكم من مدرّه فيهم	أريبٍ حوّلٍ قَلب ^(٢)

وكم من جفيل فيهم عظيم النار وأوكب
وكم من خضرم فيهم نجيب ماجد منجب^(١)

مقتل ربيعة بن مكدّم في يوم الكديد

ربيعة بن مكدّم احد فرسان مضر المعدودين وشجعانهم المشهورين قتله
نبيشة بن حبيب السلمي في يوم الكديد . قال ابو عمرو بن العلاء : وقع
تزاري (كذا) بين نفر من بني سليم بن منصور وبين نفر من بني فراس
بن مالك بن كنانة . فقتلت بنو فراس رجلين من بني سليم بن منصور .
ثم انهم ودّوهما . ثم ضرب الدهر ضربته . فخرج نبيشة بن حبيب السلمي
غازياً فلقى ضاعناً من بني كنانة بالكديد في ركب من قومه وظفر بهم
نفر من بني فراس بن مالك فيهم عبد الله ابن جذل الطعان بن فراس
والحرث بن مكدّم أبو الفريضة واخوه ربيعة بن مكدّم . (قال) وهو
محدود يومئذ يحمل في محفة . فلما رأهم ابو الفريضة قال : هؤلاء بنو سليم
يطلبون دماءهم . فقال اخوه ربيعة بن مكدّم : أنا اذهب حتى أعلم
علم القوم فاتيكم بخبرهم . فتوجه نحوهم . فلما ولى قال بعض الظعن :
هرب ربيعة . فقالت اخته عزة بنت مكدّم : أين تنتهي ترة الفتى . فعطف
وقد سمع النساء فقال :

لقد علمن انني غير فرق لأطعن طعنة وأعتق

يقلب الامور اي بصير بالامور يخال لها (١) الخضرم الجواد الكثير العطية
مشبه بالبحر الخضرم وهو الكثير الماء . والمنجب الذي يأتي بأولاد كرماء .

أصبحهم صاحبي بهجر الخدق عضباً حساماً وسناناً يأتلق
ثم انطلق يعدو به فرسه . فحمل عليه بعض القوم فاستطرد له في طريق
الظعن وانفرد به رجل من القوم فقتله وتبعه ثم رماه نبيشة او طعنه .
فلحق بالظعن يستدمي حتى انتهى الى امه ام سنان فقال : على يدي
عصابة . وهو يرتجز ويقول :

شدي علي العصب ام سيار فقد رزيت فارساً كالدينار
يطعن بالرمح امام الادبار

فقات امه :

انا بنو ثعلبة بن مالك مرور اخبار لنا كذلك
من بين مقتول وبين هالك ولا يكون الرز . الا ذلك

قال ابو عبيدة : وشدت امه عليه عصابة . فاستسقاها ماء . فقالت : ان
شربت الماء مت فكر على القوم . فكر راجعاً يشتد على القوم ويتزفه
الدم حتى اتخن فقال للظعن : اوضعن ركابكن حتى ينتهين الى ادنى
البيوت من الحي فاني لما بي وسوف اقف دونكن لهم على العقبة فاعتمد
على رحمي فلا يقدمون عايكن لمكاني . ففعلن ذلك فنجون الى مامنهن .
قال ابو عمرو بن العلاء : ولا نعلم قتيلاً ولا ميتاً حى الاظعان غيره .
(قال) وانه يومئذ لغلام له ذؤابة . فاعتمد على رحمه وهو واقف لهن
على متن فرسه حتى بلغت مامنهن وما يقدم القوم عليه . فقال نبيشة بن
حبيب : انه لما ثل العنق وما اظنه الا قدمات . فامر رجلاً من خزاعة كان
معه أن يرمي فرسه . فرماها فقمصت وزالت . فمال عنها ميتاً . (قال)
ويقال بل الذي رمى فرسه نبيشة . (قال) فانصرفوا عنه وقد فاتهم

الظعن . ولحقوا يومئذ ابا الفريعة الحرث بن مكدم فقتلوه وألقوا على ربيعة احجاراً . فرآ به رجل من بني الحرث بن فهر فنفرت ناقته من تلك الاحجار التي أهيلت على ربيعة فقال يرثيه ويعتذر ان لا يكون عقر ناقته على قبره وحض على قتله وعير من فر وأسلمه من قومه :

نفرت قلوصي من حجارة حرة . بنيت على طلق اليدين وهوب
لا تنفري ياناق منه فانه . سبأ خمر مسعر حروب
لولا السفار وبعد حرق مهمة^(١) . لتركها تحبو على العرقوب
فر الفوارس عن ربيعة بعدما . نجاهم من غمرة المكروب
يدعو علياً حين أسلم ظهره . فلقد دعوت هناك غير مجيب
لا يبعدن ربيعة بن مكدم . وسقى النوادي قبره بذنوب
فبلغ شعره بني كنانة فقالوا : والله لو عقرها لسقنا اليه الف ناقة سود
الحدق



ربيعة بن مكدم ودريد بن الصمة يوم الاخرم

حدث ابو عبيدة قال : خرج دريد بن الصمة في فوارس بني جشم حتى اذا كانوا بواد لبني كنانة يقال له الاخرم وهو يريد الغارة على بني كنانة رفع له رجل من ناحية الوادي معه ظعينة . فلما نظر اليه قال لفارس من اصحابه : صح به أن : خل عن الظعينة وانج بنفسك . وهو

(١) الحرق الفلاة الواسعة تتخرق فيها الرياح اي بشتد هبوجا . والمهمة المفازة المقفرة . يقول : لولا سفر شاع في فلاة واسعة لنحرت ناقتي

لا يعرفه . فانتهى اليه الرجل وألحَّ عليه . فلما أبى ألقى زمام الراحلة وقال للظئينة :

سيري على رسلك^(١) سير الآمن . سير رداح ذات جأش ساكن .
ان انثنائي دون قرني شائني وأبلي بلائي واخبري وعائني
ثم حمل على الفارس فصرعه وأخذ فرسه فاعطاه الظئينة . فبعث دريد
فارساً آخر لينظر ما صنع صاحبه . فرآه صريعاً . فصاح به . فتصام عنه .
فظن أنه لم يسمع فغشيه . فألقى الزمام عليها ثم حمل على الفارس فصرعه
وهو يقول :

خلّ سبيل الحرّة المنيعه . انك لاقِ دونها ربيعه .
في كفه خطية منيعه . أولاً فخذها طعنة سريعة .
فالطعن مني في الوغى شريعه .

فلما أبطأ على دريد بعث فارساً آخر لينظر ما صنعا . فانتهى اليها فرأهما
صريعين . ونظر اليه يقود ظئينته ويجرّ رحه . فقال له الفارس : خلّ عن
الظئينة . فقال لها ربيعه : اقصدي قصد البيوت . ثم أقبل عليه فقال :
ماذا تريد من شتيم^(٢) عابس . ألم ترّ الفارس بعد الفارس .
ارداهما عامل رمح يابس .

ثم طعنه فصرعه . فانكسر رحه . فارتاب دريد وظنّ انهم قد أخذوا
الظئينة وقتلوا الرجل . فلحق بهم فوجد ربيعه لا رمح معه وقد دنا من
الحي . ووجد القوم قد قُتلوا . فقال له دريد : ايها الفارس ان مثلك لا
يُقتل وان الخيل نائرة باصحابها ولا أرى معك رمحاً وأراك حديث

(١) على رسلك على مهلك (٢) شتيم كريبه الوجه يقال اسد شتيم عابس

السن . فدونك هذا الرمح فاني راجع الى اصحابي فشبّط عنك . فأتى دريد
اصحابه فقال : ان فارس الظعينة قد حماها وقتل فوارسكم وانتزع رمحي
ولا طمع لكم فيه . فانصرف القوم . وقال دريد :

ما إن رأيتُ ولا سمعتُ بثله
أردى فوارس لم يكونوا نُهزة^(١)
متلهللاً تبدو أسرّةُ وجهه
يُزجي ظعينتهُ ويسحبُ رمحه
وترى الفوارسَ من مخافة رمحه
يا ليت شعري مَنْ ابوهُ وامه
فقال ربّيعه :

حامي الظعينة فارساً لم يقتل
ثم استمرّ كأنه لم يفعل
مثل الحسام جلتُهُ أيدي الصيقل
متوجهاً يُنساهُ نحو المتزل
مثل البُغاثِ خشينَ وقعَ الاجدل
يا صاح من يكُ مثلهُ لم يُجهل

ان كان ينفك اليقين فسائلي
هل هي لأول من اتاها نُهزة^(٢)
اذ قال من أدنى الفوارس سبة
فصرقتُ راحلة الظعينة نحوه
وهتكتُ بالرمح الطويل إهابه
ونضجتُ آخر بعدهُ جياشة^(٣)
ولقد شفقتُهما بأخر ثالث

عني الظعينة يوم وادي الاكرم
لولا طعانُ ربّيعه بن مكدّم
خلّ الظعينة طائماً لا تندم
عمداً ليعلم بعض ما لم يعلم
فهوى صريعاً لليدين وللقم
نجلاءً فاغرةً كشدقِ الاضجم^(٤)
وأبى الفرار لي الغداة تكرمي

(قال) فلم يلبث بنو مالك بن كنانة رهط ربّيعه بن مكدّم ان أغاروا
على بني جشم رهط دريد فقتلوا وأسروا وغنموا وأسروا دريد بن الصمة

(١) النهزة الشيء الذي هو لك معروض كالغنيمة تقول فلان نهزة المختلس

اي هو صيد لكل احد (٢) جياشة اي طعنة يفور منها الدم والاضجم المعوج

فأنهى نسبه . فبينما هو عندهم اذ جاء نسوة يتهادين اليه . فصرخت امرأة منهن فقالت : هلكتم وأهلكم . ماذا جرى علينا قرمنا . هذا والله الذي اعطى ربيعة رحمة يوم الضعينة . ثم ألقت عليه ثوبها وقالت : يا آل فراس انا جارة لهُ منكم هذا صاحبنا يوم الوادي . فسألوه من هو . فقال : انا دريد بن الصمة فما فعل ربيعة بن مكدم . قالوا : قتلته بنو سليم . قال : فمن الضعينة التي كانت معه . قالت المرأة : ربيعة بنت جذل الطعان وأنا هي وأنا امرأته . فحبسه القوم وأمروا أنفسهم وقالوا : لا ينبغي ان تكفر نعمة دريد عندنا . وقال بعضهم : والله لا يخرج من ايدينا الا برضا المخارق الذي أسره . وانبعثت المرأة في الليل فقالت :

سنجزى دريداً عن ربيعة نعمة وكل فتى يُجزى بما كان قدماً
فان كان خيراً كان خيراً جزاؤه وان كان شراً كان شراً مذمماً
سنجزيه نعمة لم تكن بصغيرة باعطائه الروح السيد المقوما
فقد ادركت كفاه فينا جزاءه وأهل بان يُجزى الذي كان أنعماً
فلا تكفروه حي نعان فيكم ولا تركبوا هلك الذي ملأ الفها
فان كان حياً لم يضق بثوابه ذراعاً غنياً كان او كان مُعديماً^١
ففكروا دريداً من إيسار مخارقه ولا تجعلوا البوسى الى الشر مسلماً
فأصبح القوم فتعاونوا بينهم فأطلقوه . وكسته ربيعة وجهازته . ولحق بقومه ولم يزل كافاً عن غزو بني فراس حتى هلك

شجاعة ربيعة بن مكرم

حدث ربيعة بن مهور الصادري قال : سألت عمر بن الخطاب رضي الله عنه عمرو بن معدى كرب الزبيدي : من أشجع من رأيت . فقال : والله يا أمير المؤمنين لا خبرتك عن أحيل الناس وعن أشجع الناس وعن اجبن الناس . فقال له عمر : هات . قال : خرجت كأحسن ما رأيت وكان لي فرس شَمَقِقَةٌ^(١) طويلة سريعة الانفاذ تَمَطَّقُ بالعرق تَمَطَّقُ الشيخ بالمرق . فركبتها فلم ألبث لا ألقى أحداً إلا قتلته . فخرجت فاذا أنا بفتى بين عرصين فقلت له : خذ حذرك فاني قاتلك . فقال : والله ما انصفتني يا أبا ثور أنا كما ترى أعزل اميل عوارة والعوارة الذي لا ترس معه^(٢) . فأنظرني حتى آخذ نبلي . فقلت : وما غناؤها عنك . قال : أمتنعُ بها . قلت : خذها . قال : لا والله او تعطيني من العهود ما يُثلجني انك لا تُريعي حتى آخذها . (قال) فأثلجته . فقال : وإله قريش لا آخذها ابداً . فسلم والله مني . فهذا احيل الناس . فمضيت حتى اشتمل على الليل . فوالله اني لأسير في قر باهر كالنور الظاهر اذا بفتى على فرس يقود ظعينة وهو يقول :

يا لدينا يا لدينا ليتنا يُعدى علينا

ثم يبلى ما لدينا

ثم يُنخرج حنظلة من مخلاته ثم يرمي بها في السماء فلا تبلغ الارض حتى ينظمها بمشقص من نبله . فصحتُ به : خذ حذرك شكلك أمك

(١) الشمققة الطويل والنشيط (٢) في الاصل « التي لا ترى معه » .

يقال اعور الفارس اذا بدا فيه موضع خلل للطنن

فاني قاتلك . فقال عن فرسه فاذا هو بالارض . فقلت : ان هذا الاستخفاف . فدنوت منه وصحت به : ويلك ما أجهلك . فما تخلخل^(١) ولا زال حتى شككت بالرمح في إبهامه . فاذا هو كأنه قدمات منذ سنة . فمضيت وتركته . فهذا أجبن الناس . ثم مضيت فأصبحت بين دكادك^(٢) فنظرت الى أبيات فعدت اليها فاذا فيها جوار ثلاثة كأنهن نجوم الثريا . فبكين حين رأيتني . فقلت : ما يُكيكن . فقلن : لما أبتلينا به منك . ومن ورائنا اخت لنا أجمل منا . فأشرفت من مرقد فاذا بشخص لم أر شيئاً قط أجمل من وجهه واذا بعلام يخصف نعله عليه ذؤابة يسحبها . فلما نظر اليّ وثب على الفرس مبادراً ثم ركض فسبقني الى البيوت فوجدهن قد ارتعن . فسمعه يقول لهن :
 مهلاً نسياتي اذا لا ترتعن . ان منع النوم نساءً تمنعن
 أرخين اذيال المروط وارتعن

(قال) فلما دنوت منه قال : أتطرد لي او اطرد لك . قلت : بل اطرد لي . فركض وركضت في إثره حتى أمكنت السنان من لفته^(٣) واتكأت عليه فاذا هو والله مع لب فرسه . ثم استوى في سرجه . فقلت : أقلني . فقال : اطرد . حتى اذا ظننت ان السنان بين ناصيته اعتمدت عليه . فاذا هو والله قائم على الارض والسنان زالج^(٤) . فاستوى على فرسه . فقلت : أقلني . قال : اطرد . فطردته حتى اذا امكنت السنان من متنه اتكأت عليه وانا اظن اني قد فرغت منه . فقال في سرجه حتى نظرت الى بدنه في

(١) تخلخل تحرك (٢) الدكداكة الرمل المتلبد وارض فيها غلظ

(٣) اللفته اسفل الكف (٤) زالج اي لم يُصب القصد

الارض ومضى السنان زاجاً . ثم استوى على فرسه وقال : أبعد ثلاث
 تريد ماذا لي تكلتك أمك . فوليت وانا مرعوب منه . فلما غشيني وجدت
 حس السنان فالتفت فاذا هو يطردني بالرمح بلا سنان . فكف عني
 واستترتني فزلت وتزل والله وجزاً ناصيتي وقال : انطلق فاني أنفسُ بك
 عن القتل . فكان ذلك والله يا امير المؤمنين عندي أشد من الموت . فذلك
 أشجع ما رأيت . وسألت عن الفتى فقيل ربيعة بن مكدم الفراسي من
 بني كنانة

وقد اخبرني احمد بن عبد العزيز الجوهري هذا الخبر وفيه خلاف
 للاول قال : حدثت سكين بن محمد قال : دخل عمرو بن معدي كرب
 على عمر بن الخطاب رضي الله عنه . فقال له : من اين اقبلت . قال : من عند
 سيد بني مخزوم وأعظمها قاماً . وأمدّها هامة . وأقلها ملامة . وأفضلها
 حِلماً واقدمها سلماً مقدماً . قال : ومن هو . قال : سيف الله وسيف
 رسوله . قال : واي شي . صنعت عنده . قال : أتيتهُ زائراً فدعا لي بكعب
 وقوس وثور^(١) . فقال عمر : وأبيك ان في هذا لشبعا . قال : لي او لك
 يا امير المؤمنين . قال : لي ولك . قال . بن . فوالله اني لا آكل الجذعة^(٢)
 واشرب اللبن وصرفاً فلم تقول هذا يا امير المؤمنين . فقال له عمر : اي
 أحياء قومك خير . قال : مذحج وكلُّ قد كان فيه خير أهل الربا والرباح .
 قال عمر : فأين سعد العشيرة . قال : هم أشدنا شرساً^(٣) . واكثرنا خميساً .

(١) الكعب قطعة من السمن تبقى في النّحي . القوس ما يبقى في الجُلّة من
 التمر . الثور قطعة عظيمة من الأقط (٢) الجذعة الصغيرة السنّ من الابل
 والحيل والبقر والشاء (٣) الشريس الشراسة

واكرمنا رئيساً . هم الاوفياء البررة . المساعير الفجرة . قال عمر : يا ابا ثور
 ألك علم بالسلاح . قال : على الحبير سقطت . سل عما بدا لك . قال :
 اخبرني عن النبيل . قال : منايا تحطى وتصيب . قال : فاخبرني عن الرمح .
 قال : اخوك وربنا خانك . قال : اخبرني عن الترس . قال : ذاك مجنّ وعليه
 تدور الدوائر . قال : اخبرني عن الدرع . قال : مشغلة للفارس متعبة
 للراجل . قال : اخبرني عن السيف . قال : عنه قارعتك لأمك الهبل . فقال
 له عمر : لا بل لأمك . قال له عمرو : بل لأمك . فرفع عمر الدرّة فضرب
 بها عمراً وكان محتبياً فأنحلت جبوتة . فاستوى قائماً وانشأ يقول :

أتضربني كأنك ذو رُعينٍ بخير معيشةٍ أو ذو نواسٍ
 فكم ملكٍ كريمٍ قد رأينا وغيرٍ ظاهرٍ الجبوت قاسي
 فأضحى أهله بادوا واضحى يُنقل من اناس في اناسٍ

قال : صدقت يا ابا ثور وقد هدم ذلك كله الاسلام اقسمت عليك الآ
 جلست . فجلس . فقال له عمر : هل كعت^(١) من فارس قط ممن لقيت .
 قال : اعلم يا امير المؤمنين اني لم استحل الكذب في الجاهلية فكيف
 استحلّه في الاسلام وقد قلت لجهة^(٢) من خيلي خيل بني زبيد : أغيروا
 بنا على بني البكاء . فقالوا : أتبعد علينا المغار . فقلت : فعلى بني مالك بن
 كنانة . (قال) فأتينا على قوم سَراة . فقال عمر : وما علمك بانهم سراة .
 قال : رأيت مذاود خيل كثيرة وقدورا وقباب آدم فعرفت ان القوم
 سراة فكففت خيلي حجرة^(٣) وجلست في موضع اسمع كلامهم . واذا
 بجارية بينهم قد خرجت من خيمتها فجلست بين صواحب لها . ثم دعت

(١) كعت جبنت (٢) الجهة الجاعة (٣) حجرة ناحية

وليلة من ولأئدها فقالت : ادعي فلاناً . فدعت لها رجلاً من الحي .
 فقالت له : ان نفسي تحدثني أن خيلاً تُغير على الحي فكيف انت ان
 زوجتك نفسي . فقال : أفل وأصنع . فجعل يصف فيُقرط . فقالت له :
 انصرف حتى أرى رأيي . واقبلت على صواحباتها فقالت : ما عنده خير .
 ادعي لي فلاناً . فدعت آخر . فخاطبته فأجابها بمثل جوابه . فقالت له :
 انصرف حتى أرى رأيي . وقالت لصواحباتها : وما عند هذا خير ايضاً . ثم
 قالت للوليدة : ادعي لي ربيعة بن مكرم . فدعته . فقالت له مثل قولها
 للرجلين . فقال لها : ان اعجز العجز وصف الرجل نفسه ولكني ان لقيت
 أعذرت وحسب المرء غناء ان يُعذر . فقالت له : قد زوجتك نفسي
 فاحضر غداً مجلس الحي ليعلموا ذلك . فانصرف من عندها . فانتظرت
 حتى ذهب الليل ولاح الفجر فخرجت من مكمني فركبت فرسي وقلت
 لخلي : أغيري . فأغارت . فتركتها وقصدت قصد النسوة ومجلسهن فكشفت
 عن خيمة المرأة فاذا بامرأة تامة الحسن . فلما ملأت عينها مني اهوت الى
 درعها فشقتة وقالت : واكلاه والله ما ابكي على مال ولا على تِلاد
 ولكن على اخت لي من وراء هذا الغور (واهوت الى غور رمل الى
 جانبهم) تبقى بعدي في مثل هذا الحائط^(١) فتهلك ضيعة . فقلت :
 هذه غنيمة من وراء غنيمة . فدفعت فرسي حتى اوفيت على النقا^(٢) .
 فاذا أنا برجل جلد أهلب^(٣) يَحْصِف نعله والى جانبه فرسه وسلاحه .
 فلما رأي رمى بنعله ثم استوى على فرسه واخذ رمحه ومضى لا يحفل بي

(١) الحائط البستان من النخيل اذا كان عليه حائط اي جدار

(٢) النقا القطعة من الرمل (٣) اهل كثير شعر الراس والجسد

فطَفَقْتُ اشْجَرَهُ بِالرَّمْحِ خَفَقًا^(١) وَاقُولُ لَهُ يَا هَذَا اسْتَأْسِرَ . فَضَى لَا يَحْفَلُ
بِي حَتَّى اشْرَفَ عَلَى الْوَادِي . فَلَمَّا رَأَى اخِيلَ تَجْرِي بِفِيهِ اسْتَعْبَرَ بَاكِيًا
وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

قَدْ عَلِمْتُ إِذَا مَنَحْتَنِي فَاهَا أَنِّي سَاجِرِي الْيَوْمِ مِنْ مَجْرَاهَا
يَا لَيْتَ شِعْرِي الْيَوْمَ مَنْ دَهَاهَا

فَقُلْتُ :

عَمَّرُوا عَلَى طَوْلِ الْوَجِي دَهَاهَا بِاخِيلَ يَحْمِيهَا عَلَى وَجَاهَا
حَتَّى إِذَا حَلَّ بِهَا احْتَوَاهَا

فَحَمَلُ عَلِيٍّ وَهُوَ يَقُولُ :

أَهْرُ نَضْرَ الْعَيْشِ فِي دَارِ قَدَمِ . أَفِيضُ دَمْعًا كَمَا فَاضَ انْسَجَمِ .
أَنَا ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ الشِّيمِ . مَوْثِقِنِ النَّيْبِ وَمَوْفٍ بِالذَّمِّ .
أَكْرَمُ مَنْ يَشِي بِسَاقٍ وَقَدَمِ . كَاللَيْثِ إِنْ هَمَّ بِتَقْضَامِ . قَضَمِ .

فَحَمَلْتُ عَلَيْهِ وَأَنَا أَقُولُ :

أَنَا ابْنُ ذِي التَّقْلِيدِ فِي الشَّهْرِ الْأَصَمِ . أَنَا ابْنُ ذِي الْأَكَالِ قَتَالَ الْبَهْمِ .
مَنْ يَلْتَنِي يُودِ كَمَا أودتْ إِرَمِ . أتركه لحماً علي ظهرٍ وَضَمِ^(٢) .
فَحَمَلُ عَلِيٍّ وَهُوَ يَقُولُ :

هَذَا حَمِيٌّ قَدْ غَابَ عَنْهُ ذَائِدُهُ . الْمَوْتُ وَرِدُّ وَالْأَنَامُ وَارِدُهُ .
وَحَمَلُ عَلِيٍّ فَضْرَبَنِي . فَرُغْتُ . وَاخْطَأَنِي فَوْقَ سَيْفِهِ فِي قَرْبُوصِ السَّرْجِ .

(١) اشجره اطمنه . كل ضرب بشيء عريض خفق وخفقه بالسيف والسوط

والدرة ضربه ضرباً خفيفاً (٢) الوضم كل شيء يوضع عليه اللحم . تركه
لحماً علي وضم اوقع به فذلله واوجعه

فقطعه وما تحته حتى هجم على منسح الفرس . ثم ثنى بضربة أخرى . فرغت . واخطاني فوق سيفه على مؤخر السرج فقطعه حتى وصل الى فخذ الفرس . وصرت راجلاً فقلت له : ويحك من انت . فوالله ما ظننت احداً من العرب يقدم عليّ الا ثلاثة الحرث بن ظالم للعُجْب والحَيْلَا . وعامر بن الطُفَيْل للسنّ والتجربة وربيعه بن مكدم للحداثة والصرامة . فمن انت ويلك . قال : بل الويل لك فمن انت ويلك . قلت : عمرو بن معدي كرب . قال : وانا ربيعة بن مكدم . قلت : يا هذا اني قد صرتُ راجلاً فاختر مني احدي ثلاث ان شئت اجتلدنا بسيفينا حتى يموت الاعجز منا . وان شئت اصطرعنا فأينا صرع صاحبه حكم فيه . وان شئت سالمتك . قال : الصلح اذا ان كان لقومك فيك حاجة وما بي ايضاً على قومي هوان . قلت : فذلك لك . وأخذت بيده حتى أتيت اصحابي وقد حازوا نعمه . فقلت : هل تعلمون اني كُفِت عن فارس من الابطال قط اذا لقيته . قالوا : نُعيذك من ذلك . قلت : فانظروا هذا النعم الذي حزتموه فخذوه مني غداً في بني زبيد فانه نعم هذا الفتى وانه لا يوصل مني اليه شي . وأنا حي . فقالوا : لحاك الله من فارس قوم أنسأتنا حتى اذا هجمنا على الغنيمة الباردة فتلثنا عنها . فقلت : لا بد لكم من ذلكم وان تهبوها لي ولربيعه بن مكدم . فقالوا : وانه هو . فقلت : نعم . ورددتها وسالمته . فأمن حربي وأمنت حربه حتى هلك

دُرَيْدُ بْنُ الصِّمَّةِ

هو دريد بن الصمّة واسمه معاوية بن الحرث بن بكر بن علقمة

وقيل علقمة . ودرديد بن الصمة فارس شجاع شاعر فحل وجعله محمد بن سلام أول شعراء الفرسان وقد كان أطول الفرسان الشعراء غزواً وابعدهم اثراً واكثرهم ظفراً واينهم نقيبة^(١) عند العرب واشعرهم دريد بن الصمة . وقال ابو عبيدة : كان دريد بن الصمة سيد بني جشم وفارسهم وقائدهم وكان مظفراً ميمون النقيبة . وغزا نحو مائة غزاة ما اخفق في واحدة منها . وأدرك الاسلام فلم يُسلم . وخرج مع قومه يوم حنين مظاهراً^(٢) للمشركين ولا فضل فيه للحرب وانما اخرجوه تيسناً وليقتبسوا من رأيه . فمنهم مالك بن عوف من قبول مشورته وخالفه لئلا يكون له ذكر . فقتل دريد يومئذ على شركه . وخبره يأتي بعد هذا . وكان لدريد اخوة وهم عبدالله الذي قتله غطفان . وعبد يغوث قتله بنو مرة . وقيس قتله بنو ابي بكر بن كلاب . وخالد قتله بنو الحرث بن كعب . امهم جميعاً ریحانة بنت معدي كرب الزبيدي اخت عمرو بن معدي كرب كان الصمة سبها ثم تزوجها فاولدها بنيه واياها يعني اخوها عمرو بقوله في شعره :

أمن ریحانة الداعي السميعُ يورقني واصحابي هُجوعُ
اذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه الى ما تستطيعُ

وكان لدريد ابن يقال له سلمة وكان شاعراً وهو الذي رمى ابا عامر الاشعري بسهم فاصاب ركبته فقتله وارتمى فقال :

ان تسألوا عني فاني سلمة ابن سجادير^(٣) لمن توسمه
اضرب بالسيف رؤوس المسلمين

(١) اي احمدهم مختبراً (٢) مظاهراً معاوياً (٣) السادير ما يترامى

وكانت تُدريد ايضاً بنت يقال لها عمرة شاعرة ولها فيه مرات كثيرة .
قال ابو عبيدة : سمعت ابا عمرو بن العلاء يقول : احسن شعر قيل في
الصبر على النوائب قول دريد بن الصمة :

لمقتل عبدالله والهالك الذي على الشرف الاعلى قتيل ابي بكر
وعبد يغوث او خليلي خالد وعزاً مصاباً حثو قبري على قبري^(١)
أبي القتل الآل صمة انهم ابوا غيره والقدر يجري الى القدر
فإمّا تريننا ما ترال دماؤنا لدى واطر يسمي بها آخر الدهر
فإنّا للحم السيف غير نكيرة ونلحمه حيناً وليس بذي نكر^(٢)
يُغار علينا واطرين فيشتقى بنا ان أصبنا او نُغير على وثر
بذاك قسمنا الدهر شطرين قسمة فما ينقضي الآ ونحن على شطر

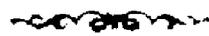
اخبر بخر ابتداء هذه الحروب محمد بن العباس اليزيدي قال : قرأت على
احمد بن يحيى عن ابن الاعرابي قال : اغارت بنو عامر بن صعصعة وبنو
جشم بن معاوية على اسد وغطفان . وكان دريد بن الصمة وعمرو بن
سفيان بن ذي اللحية متساندين فدريد على بني جشم بن معاوية وعمرو بن
سفيان على بني عامر . فقال عبدالله بن الصمة لاخيه : اني غير مُعطيك
الرياسة ولكن لي في هذا اليوم شأنًا . ثم اشترك عبدالله وشراحيل بن
سفيان . فلما اغار القوم اخذ عبدالله من نعم بني اسد ستين واصاب القوم
ما شاءوا وادرك رجل من بني جذيمة عبدالله بن الصمة . فقال له عبدالله

لإنسان من ضعف بصره عند السكر من الشراب وغشي الناس والدُّوار

(١) اي موت الواحد في اثر الآخر

(٢) يقول مخاطب بانفسنا فتقتل ونقتل وليس ذلك فينا ومنا بنكر

ابن الصمة . ارجع فاني كنت شاركت شراحيل بن سفيان . فان استطاع
 دريد فليأته وليأخذ مالي منه . واقام دريد في اواخر الحية . فقال له
 عمرو : ارتحل بالناس قبل ان يأتيك الصرخاء . فقال : اني انتظر اخي
 عبدالله . حتى اذا طال عليه قال له : ان اخاك قد ادرك فوارس من
 الحليفين يسوقون بظعنهم فقتلوه . فانطلقوا حتى اذا كانوا بحيث يفترقون
 قال دريد لشراحيل : ان عبدالله انبأني ولم يكذبني قط ان له شركة
 مع شراحيل فأدوا اليها شركة . فقالوا له : ما شاركناه قط . فقال دريد :
 ما انا بتارككم حتى استحلفكم عند ذي الخلصة^(١) . فاجابوه الى
 ذلك وحلفوا له . ثم جاء عبدالله بغنيمة عظيمة . فجاهوه ينشدونه الشرك .
 فقال لهم دريد : ألم أحلفكم حين ظننتم ان عبدالله قد قُتل . فقالوا : ما
 حلفنا . وجعلوا يناشدون عبدالله ان يعطيهم . فقال : لا حتى يرضى دريد .
 فأبى ان يرضى . فتوعدوه ان يسرقوا ابله . فقال دريد في ذلك :
 اوعدتم ابي كلاً سيمنعها بنو غزيرة^(٢) لا ميل ولا عور



مقتل عبدالله بن الصمة

ان السبب في مقتله انه كان غزا غطفان ومعه بنو جشم وبنو نصر
 ابنا معاوية فظفر بهم وساق اموالهم في يوم يقال له يوم اللوى ومضى بها

(١) الخلصة وثن من اوثانهم (٢) اراد بغزيرة رهطه قال ابو تمام في
 مختار اشعار القبائل غزيرة جد دريد

ولما كان منهم غير بعيد قال : انزلوا بنا . فقال اخوه دريد : يا ابا فرعان^(١) نشدتك الله لا تنزل فان غطفان ليست بغافة عن اموالها . فأقسم لا يريم حتى يأخذ مرباعه^(٢) وينقع نقيعه فياكل ويطعم ويقسم البقية بين اصحابه . فبينما هم في ذلك وقد سطعت الدواخن اذا بغيار قد ارتفع اشد من دخانهم واذا عبس وفزارة واشجع قد اقبلت . فقالوا ارييتهم : انظر ماذا ترى . فقال : ارى قوماً جماداً كان سراييلهم قد غمست في الجادي^(٣) . قال : تلك اشجع ليست بشيء . ثم نظر فقال : ارى قوماً كانهم الصبيان أسنتهم عند آذان خيلهم . قال : تلك فزارة . ثم نظر فقال : ارى قوماً أدماناً^(٤) كأنما يحملون الجبل بسوادهم يخذون الارض باقدامهم خدأً ويجرون رماحهم جراً . قال : تلك عبس والموت معهم . فتلاحقوا بالمنعرج في رميلة اللوى فاقتتلوا فقتل رجل من بني قارب وهم من بني عبس عبدالله بن الصمة . فتنادوا قتل ابو دفاقة . فعطف دريد فذب عنه فلم يُغن شيئاً . وجرح دريد فسقط . فكفوا عنه وهم يرون انه قتل . واستنقذوا المال ونجا من هرب . فمر الزهدمان^(٥) وهما من بني عبس وهما زهدم وقيس ابنا حزن بن وهب بن رواحة . قال دريد : فسمعت زهدماً العبي يقول لكردم الفزاري : اني لأحس دريداً حياً

(١) كانت لعبد الله ثلاث كنى ابو فرعان وابو دفاقة وابو أوفى

(٢) المربع الابل التي تلد في اول النتاج والمربع التي ولدها معها . نفع نحر من ابل النهب (٣) الجادي الزعفران منسوب الى قرية بالشام تبث الزعفران اسمها جادية (٤) ادمان جمع آدم وهو الاسمر (٥) قيل لها الزهدمان تلياً لاشهر الاسمين كما قيل العجران لأبي بكر وعمر والقمران للشمس والقمر .

فَأَنْزَلَ فَأَجْهَرَ عَلَيْهِ . قَالَ : قَدِمَات . قَالَ : أَنْزَلَ فَأَنْظَرَ إِلَى سَبْتِهِ^(١) هَلْ تَرْمِزُ . قَالَ دَرِيدٌ : فَسَدَدْتُ مِنْ حَتَارِهَا^(٢) . (قَالَ) فَنَظَرَ فَقَالَ : هِيَا ت . أَيِ قَدِمَات . فَوَلَّى عَنِّي . (قَالَ) وَمَالَ بِالزَّجِّ فِي شَرْجِ دَرِيدٍ فَطَعَنَهُ فِيهِ فَسَالَ دَمٌ كَانَ احْتَقَنَ فِي جَوْفِهِ . قَالَ دَرِيدٌ : فَعَرَفْتُ الْحِقَّةَ حَيْثُذِ . فَأَمَلْتُ حَتَّى إِذَا كَانَ اللَّيْلُ مَشَيْتُ وَإِنَّا ضَعِيفٌ قَدْ تَزْفِي الدَّمُ حَتَّى مَا أَكَادُ أَبْصُرُ . فَجُزْتُ بِمَجَاعَةٍ تَسِيرٌ فَدَخَلْتُ فِيهِمْ فَوَقَعْتُ بَيْنَ عُرْقُوبِي بَعِيرِ ظُعِينَةٍ . فَنَفَرَ الْبَعِيرُ . فَنَادَتْ : نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ . فَانْتَسَبْتُ لَهَا فَأَعْلَمَتِ الْحَيَّ بِمَكَانِي . فَغُسِلَ عَنِّي الدَّمُ وَزُوِّدَتْ زَادًا وَسِقَاءً فَنَجَوْتُ . (قَالَ) ثُمَّ حَجَّ كَرْدَمٌ بَعْدَ ذَلِكَ فِي نَفَرٍ مِنْ بَنِي عَبَسَ . فَلَمَّا قَارَبُوا دِيَارَ دَرِيدٍ تَنَكَّرُوا خَوْفًا . وَمَرَّ بِهِمْ دَرِيدٌ فَأَنكَرَهُمْ فَجَعَلَ يَمْشِي فِيهِمْ وَيَسْأَلُهُمْ مِنْهُمْ . فَقَالَ لَهُ كَرْدَمٌ : عَمَّنْ تَسْأَلُ . فَدَفَعَهُ دَرِيدٌ وَقَالَ : أَمَا عَنكَ وَعَمَّنْ مَعَكَ فَلَا أَسْأَلُ أَبَدًا . وَعَانَقَهُ وَأَهْدَى إِلَيْهِ فَرَسًا وَسِلَاحًا وَقَالَ لَهُ : هَذَا يَا فَعَلْتَ لِي يَوْمَ اللَّوَى . وَقَالَ دَرِيدٌ يَرِي إِخَاهُ عَبْدَ اللَّهِ :

أَمْرَتَهُمْ أَمْرِي بِمَنْعِجِ اللَّوَى	فَلَمْ يَسْتَبِينُوا الرَّشْدَ إِلَّا ضَحَى الْغَدِ
فَلَمَّا عَصَوْنِي كُنْتُ مِنْهُمْ وَقَدِ ارَى	غَوَايَتَهُمْ أَوْ إِنِّي غَيْرُ مَهْتَدِ
وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةٍ إِنْ غَوَتْ	غَوَيْتُ وَإِنْ تَرُشِدُ غَزِيَّةٌ أُرْشِدِ
دَعَانِي إِخِي وَالْحَيْلُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ	فَلَمَّا دَعَانِي لَمْ يَجِدْنِي بِقُعْدُدِ ^(٣)
تَنَادَوْا فَقَالُوا ارْدَتِ الْحَيْلُ فَارِسًا	فَقُلْتُ أَعْبُدُ اللَّهَ ذَلِكَمُ الرُّدِيِّ ^(٤)
فَإِنْ يَكُ عَبْدَ اللَّهِ خَلَى مَكَانَهُ	فَلَمْ يَكُ وَقَافًا ^(٥) وَلَا طَائِشَ الْيَدِ

(١) السببة الاست (٢) أي من شرحها (٣) القمعد الجبان
الضعيف المتأخر (٤) الردي المالك (٥) وقاف هيابة يقف ولا يقدم

ولا بَرَمًا إذا الرياحُ تناوحت برطاب العِضَاءِ والهشيمِ المَعْضَدِ^(١)
 نظرت إليه والرواحُ تنوشهُ كوقع الصياصي في النسيجِ الممددِ^(٢)
 فطاعنتُ عنه الحيلَ حتى تبددت وحتى علاني اشقرُ اللونِ مُزبدِ^(٣)
 فما رمت حتى خرقتني رماحهم وغودرتُ اكبو في القنا المتقصدِ^(٤)
 قتال امرئٍ واسبى اخاهُ بنفسه وابقن ان المرء غير مُخلدِ
 صبورٌ على وقع المصائبِ حافظٌ من اليوم أعقابَ الاحاديثِ في غدِ



يوم الغدير

اخبر ابو عبيدة قال : اغار دريد بن الصيئة بعد مقتل اخيه عبدالله على غطفان يطالبهم بدمه . فاستقراهم^(٥) حياً حياً وقتل من بني عبس ساعدة بن مرة واسبى ذؤاب بن اسما . اسره مرة بن عوف الجشمي . فقالت بنو جشم : لو فاديناه . فأبى ذلك دريد عليهم وقتله باخيه عبدالله . وقتل من بني فزارة رجلاً يقال له جذام واخوة له واصاب جماعة من بني مرة وبني ثعلبة بن سعد ومن احياء غطفان وذلك في يوم الغدير . وفي هذا اليوم ومن قتل فيه منهم يقول :

(١) البرم اللثيم وهو في الاصل الذي لا يدخل مع القوم في الميصر ولا يخرج معهم فيه شيئاً . الهشيم النبات اليابس المتكسر . المعضد ما قطع من الشجر يضربونه ليسقط ورقه فينخذونه علفاً لابلهم (٢) تنوشه تناوله . الصيئة شوكة يمرها الحائك على الثوب حين ينسجه (٣) جرّ « مزبد » لمجاورة المجرور (٤) المتقصد المتكسر (٥) استقراهم تتبعهم

تَأْبُدُ مِنْ أَهْلِ مَعْشَرٍ^(١) فَحَزْمٌ سُويْقَةٌ فَأَلْصَفُ
 فَجَزَعُ الْخَلِيفِ أَوْ وَاسِطٍ فَأَبْلَغُ سُلَيْمِي وَأَنْفَاهَا^(٢)
 بَأْنِي ثَارَتْ بِأَخْوَانِكُمْ وَكُنْتُ كَأَنِّي بِهِمْ مَخْفَرٌ
 صَبَحْنَا فَرَارَةً سُمَرَ الْقَنَا وَأَبْلَغُ لَدَيْكَ بَنِي مَازِنٍ
 فَانْ تَقَاتَلُوا فِتَّةً أَفْرَدُوا فَانْ حَرَامًا لَدَى مَعْرِكٍ
 وَوَيْومَ يَزِيدِ بَنِي نَاشِبٍ وَوَيْومَ يَزِيدِكُمُ الْاَكْبَرُ
 اِثْرًا صَرِيخِ بَنِي نَاشِبٍ وَوَيْلَقَعْنَ فِيهِمْ وَلَمْ يُقْبَرُوا
 تَجْرُ الضَّبَاعُ بِأَوْصَالِهِمْ

ويقول في ذلك ايضاً دريد بن الصمة في قصيدة له اخرى :

جَزِينَا بَنِي عَبْسٍ جَزَاءَ مُوقَرًّا بِقَتْلِ عَبْدِ اللَّهِ يَوْمَ الذَّنَائِبِ
 وَلَوْلَا سَوَادُ اللَّيْلِ اِدْرَاكَ رَكْضُنَا بِذِي الرِّمِّثِ وَالْأَرطَى عِيَاضِ بْنِ نَاشِبِ
 قَتَلْنَا بَعْدَ اللَّهِ خَيْرَ لِدَاتِهِ ذَوَابَّ بَنِ اسْمَاءَ بَنِ زَيْدِ بْنِ قَارِبِ
 وَقَالَ دَرِيدٌ اِيضًا فِي هَذِهِ الْوَقْعَةِ :
 قَتَلْنَا بَعْدَ اللَّهِ خَيْرَ لِدَاتِهِ وَخَيْرَ شَبَابِ النَّاسِ لَوْ صُمَّ^(٤) اِجْمَاعًا

(١) تأبُد توحش تأبَد المنزل اقفر وألفته الاوابد اي الوحش . معشر في
 ديار بني جشم رهط دريد بن الصمة (٢) المبدى المذهب في طلب الكلاب
 والمحضر المرجع الى أعداد المياه (٣) ألقاف جمع لف وهم القوم
 يجتمعون من قبائل شتى (٤) صمَّ ضرب ضرباً شديداً

ذوآب بن أسماء بن زيد بن قارب مَنِيَّتُهُ أُجْرِي إِلَيْهَا وَأَوْضَعَا
 فَتَى مِثْلَ نَصْلِ السِّيفِ يَهْتَدُ لِلنُّدَى كَعَالِيَةِ الرَّمْحِ الرَّدِينِيِّ أَرَوْعًا"
 وقال ابن الكلبي : قالت ريمحانة بنت معدي كرب لدريد بن الصمة بعد
 حول من مقتل أخيه : يا بني ان كنت عجزت عن طلب الثأر بأخيك
 فاستعن بجالك وعشيرته من زبيد . فأنف من ذلك وحلف لا يكتحل
 ولا يدهن ولا يمس طيباً ولا يأكل لحماً ولا يشرب خمراً حتى يُدرك
 ثأره . وغزا هذه الغزاة وجاءها بذوآب بن أسماء فقتله بفنائها وقال :
 هل بلغت ما في نفسك . قالت : نعم مُثِّعْتُ بِكَ

مقتل قيس بن الصِّمَّة

قتله بنو بكر بن كلاب . وكان السبب في ذلك فيما أخبرني به هاشم
 ابن محمد انه غزا في قومه بني خزاعة من بني جشم . فأغاروا على ابل
 لبني كعب بن ابي بكر بن كلاب فانطلقوا بها . وخرج بنو ابي بكر بن
 كلاب في طلبها حتى اذا دنوا منها قال عمرو بن سفيان الكلبي وكان
 حازماً عاقلاً : امكثوا . ومضى هو متنكراً حتى اتى رجلاً من بني خزاعة
 فسلم عليه واستسقاها . فسقاها . وانتسب له هلالياً . فسأله عن قومه واين
 مرعى ابلهم واعلمه انه جاء زائراً لقومه يريد مجاورتهم . فخبره الرجل
 بكل ما اراد . ورجع الى قومه وقد عرف بُغِيَّتَهُ . فصبح القوم فظفرت
 بهم بنو كلاب وقتلوا قيس بن الصمة وذهبوا بإبل بني خزاعة وارتجعوا

اموالهم . وكان يقال لعمر بن عمرو بن سفيان ذو السيفين لانه كان يلقي الحرب
ومعه سيفان خوقاً من ان يخونه احدهما . واياء عنى دريد بن الصمة
بقوله :

ان امرأ بات عمرو بين صرمته^(١) عمرو بن سفيان ذو السيفين مغرور
يا آل سفيان ما بالي وبالكم هل تنتهون وباقي القول مأثور
يا آل سفيان ما بالي وبالكم انتم كبير وفي الاحلام عصفور
هلاً نهيم اخاكم عن سفاهته اذ تشربون وغازي الخمر مدحور^(٢)
لا اعرفن لمة سوداء داجية^(٣) تدعو كلاباً وفيها الرمح مكسور
لن تسبقوني ولو اهلتمكم شرفاً عقي اذا أبطأ الفجج^(٤) المخاصير

مقتل خالد بن الصمة

ان خالد بن الصمة قُتل في غارة اغارتها بنو الحرث بن كعب على
بني نصر بن معاوية في يوم يقال له يوم ثيل فاصابوا اناساً من بني نصر .
وبلغ الخبر بني جشم فلحقوهم ورثيس بني جشم يومئذ مالك بن حزن
فاستنقذوا ما كان في ايديهم من غنائم بني نصر . فأصابوا ذا القرن
الحرثي اسيراً وفاقأوا عين شهاب بن ابان الحرثي بسهم . وقُتل يومئذ
خالد بن الصمة وكان مع مالك بن حزن . واصابت بنو جشم منهم

(١) الصرمة القطعة من الابل (٢) الدحر الدفع بنف على سبيل الالهانة
والاذلال (٣) داجية اي سابغة وافرة (٤) جمع افجج وهو الذي
يفرّج بين رجله

ناساً . وكان رئيس بني الحرث بن كعب يومئذ شهاب ابن ايان . ولم يشهد
 دريد بن الصمة ذلك اليوم . فلما رجعوا قتلوا ذا القرن بجالد بن الصمة .
 ولما قدم لتضرب عنقه صاح بأوس بن الصمة وكان له صديقاً . ولم يكن
 أوس حاضراً فلم ينفعه ذلك وقتل . فلما قدم اوس غضب وقال : أقتلتم
 رجلاً استجار باسمي . فقال عوف بن معاوية في ذلك :

نُبتت أوساً بكى ذا القرن اذ شربا على عكاظ بكاءً غال مجهودي
 اني حلفت بما جمعتُ من نشبٍ وما ذبحتُ على انصابك السودِ
 لتبكين قتيلاً منك مُقرباً اني رأيتك تبكي للأباعيدِ

مفاخرة بين حاتم وسعد بن حارثة

قال ابن الاعرابي ويعقوب بن السكيت وسائر من ذكرنا من الرواة :
 خرج الحكم بن ابي العاصي ومعه عطر يريد الحيرة . وكان بالحيرة سوق
 يجتمع اليه الناس كل سنة . وكان النعمان بن المنذر قد جعل لبني لام بن
 عمرو ربع الطريق طعمة لهم وذلك لان بنت سعد بن حارثة بن لام
 كانت عند النعمان وكانوا اصهاره . فمرّ الحكم بن ابي العاصي بحاتم بن
 عبدالله فسأله الجوار في ارض طي حتى يصير الى الحيرة . فأجاره . ثم امر
 حاتم بجزور فنحرت وطبخت اعضاء فاكأوا ومع حاتم ملحان بن
 حارثة بن سعد بن الحشرج وهو ابن عمه . فلما فرغوا من الطعام طيهم
 الحكم من طيبه ذلك . فمرّ حاتم بسعد بن حارثة بن لام وليس مع حاتم
 من بني ابيه غير ملحان وحاتم على راحلته وفرسه تُقاد . فاتاه بنو لام

فوضع حاتم سُفرتَه وقال : إَطْعَمُوا حَيَّاكُمْ اللهُ . فقالوا : من هوَؤُلاءِ معَكَ يا حاتم . قال : هوَؤُلاءِ جيرانِي . قال لَهُ سَعْدُ : فَأَنْتِ تُجِيرُ عَلَيْنَا فِي بِلَادِنَا . قال لَهُ : انا ابن عمكم واحقُّ من لم تُخْفِرُوا ذِمَّتَهُ . فقالوا : لست هَذَاكَ . وَاَرَادُوا ان يَفْضَحُوهُ كَمَا فُضِحَ عَامِرُ بنِ جُوَيْنِ قَبْلَهُ . فوثبوا اليه فتناول سعد بن حارثة بن لام حاتمًا . فاهوى لَهُ حاتم بالسيف فاطار اُرْبَةَ اَنْفِهِ ووقع الشَّرَّ حَتَّى تَحَاجَزُوا . فقال حاتم في ذلك :

وَدَدْتُ وَبَيْتَ اللهِ لَوْ اَنَّ اَنْفَهُ هَوَاءٌ فَمَا مَتَّ^(١) المَخَاطُ عَنِ العَظْمِ .

وَلَكِنَّا لِاقَاهِ سَيْفِ ابْنِ عَمِّهِ قَابَ وَمَرَّ السَّيْفِ مِنْهُ عَلَى الحُطَمِ .

فَقَالُوا لِحَاتِمٍ : بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ سَوْقُ الحَيْرَةِ فَمَا جَدُّكَ وَنَضَعُ الرِّهْنَ . ففعلوا ووضَعُوا تِسْعَةَ افراس رهنًا على يد رجل من كلب يقال لَهُ امرؤ القيس ابن عدي ووضَع حاتم فرسه . ثم خرجوا حتى انتهوا الى الحيرة . وسمع ذلك اياس بن قبيصة الطائي فخاف ان يعينهم النعمان بن المنذر ويقويهم بِإِلهِ وَسُلْطَانِهِ لِلصَّهْرِ الَّذِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ فَجَمَعَ رَهْطَ مِنْ بَنِي حِيَّةٍ وَقَالَ : يا بني حية ان هوَؤُلاءِ القوم قد ارادوا ان يفضحوا ابن عمكم في مجاده^(٢) . فقال رجل من بني حية : عندي مائة ناقة سوداء ومائة ناقة حمراء ادماء . وقام آخر فقال : عندي عشرة حصن على كل حصان منها فارس مدجج لا يُرى مِنْهُ اِلَّا عَيْنَاهُ . وقال حسان بن جبلة الخيري : قد علمتم ان ابي قد مات وترك كلاً كثيراً فعليَّ كل خمر أو لحم او طعام ما اقاموا في سوق الحيرة . ثم قام اياس فقال . عليَّ مثل جميع ما اعطيتم كلُّكم . (قال) وحاتم لا يعلم بشي . مما فعلوا . وذهب حاتم الى مالك بن جبار

(١) هواء خلاء . متَّ تزع (٢) مجاده اي مجادته وهي المغالبة في المجد

ابن عم له بالحيرة كان كثير المال فقال : يا ابن عم اعني على مخايلتي^(١) . ثم انشد :

يا مال احدي خطوب الدهر قد طرقت يا مال ما انتم عنها بزحزاح^(٢)
يا مال جاءت حياض الموت واردة من بين غمر فحضاناه وضحضاح^(٣)
فقال له مالك . ما كنت لأحرب نفسي ولا عيالي وأعطيك مالي . فانصرف
عنه وقال مالك في ذلك قوله :

أنا بني عمكم ما ان نباعلكمم ولا نجاوركمم إلا على ناح
وقد بلوتك اذ نلت الثراء . فلم ألفك بالمال إلا غير مرتاح
ثم اتى حاتم ابن عم له يقال له وهم بن عمرو وكان حاتم يومئذ مصارماً
له لا يكلمه . فقالت له امرأته : أي وهم هذا والله ابو سفانة حاتم قد
طلع . فقال : ما لنا ولحاتم أتبتي النظر . فقالت : ها هو . قال : ويحك هو
لا يكلمني فما جاء به الي . فزول حتى سلم عليه . فرد سلامه وحيأه ثم
قال له : ما جاء بك يا حاتم . قال : خاطرت على حسبك وحسي . قال : في
الرحب والسعة هذا مالي . (قال) وعدته يومئذ تسعمائة بعير . فخذها
مائة مائة حتى تذهب الابل او تُصيب ما تريد . فقالت امرأته : يا حاتم
انت تُخرجنا عن مالنا وتفضح صاحبنا تعني زوجها . فقال : اذهبي عني
فوالله ما كان الذي غمك ليردني عما قبلي . وقال حاتم :

الا أبلغا وهم بن عمرو رسالة فانك انت المرء بالخير اجدر
رأيتك ادنى الناس منا قرابة وغيرك منهم كنت احبو وانصر

(١) المخايلة المفاخرة (٢) الزحزاح التباعد والتنحي

(٣) الضحضاح الماء البسير الذي لا غرق فيه ولا غمر له . مال ترخيم مالك

إذا ما أتى يومٌ يُفترق بيننا يموت فكن يا وهمُ ذو يتأخر^(١)
 (قالوا) ثم قال اياس بن قبيصة : احمولني الى الملك . وكان به نقرس .
 فحُمِل حتى أُدخل عليه . فقال : أنعم صباحاً أبيت اللعن . فقال النعمان :
 وحيأك أهلك . فقال اياس : أتمدُّ أختانك بالمال والحيل وجعلت بني تمل
 في قعر الكنانة . أظنَّ أختانك ان يصنعوا بحاتم كما صنعوا بعامر
 ابن جوين ولم يشعروا ان بني حية بالبلد . فان شئت والله ناجزناك حتى
 يسفح الوادي دماً . فليعضروا مجادهم غداً بمجمع العرب . فعرف نعمان
 الغضب في وجهه وكلامه فقال له النعمان : يا أحملاً لا تغضب فاني
 سأكفيك . وأرسل النعمان الى سعد بن حارثة والى اصحابه : انظروا ابن
 عمكم حاتمًا فأرضوه فوالله ما انا بالذي اعطيكم مالي تبذرونه وما أُطيق
 بني حية . فخرج بنو لام الى حاتم فقالوا له : أعرض عن هذا المِجاد ندع
 أرشَ انفِ ابنِ عمنا . قال : لا والله لا أفعل حتى تتركوا افراسكم ويُغلب
 مجادكم . . فتركوا ارش انفِ صاحبهم وافراسهم وقالوا : قبجها الله
 وابعدها فانما هي مقارف^(٢) . فعمد اليها حاتم فعقرها وأطعمها الناس
 وسقاها الخمر . وقال حاتم في ذلك :

ابلى بني لامٍ بان خيولهم عقرى وان مجادهم لم يمجِدِ
 ها انما مطرت سواؤكم دماً ورفعت رأسك مثل رأس الاصيدِ
 ليكونَ جيراني أكالا بينكم بخلاً لكندي وسي مزيدِ
 وابن النجود اذا غدا متباطناً وابن العذور^(٣) ذي العِجان الأبردِ

(١) « ذو » في لغة طيء « الذي » (٢) مقارف جمع مُقْرِف وهو الهجين

من الخيل (٣) النجود من حمر الوحش التي لا تحمل . ويروى في الاصل

ولثابت عيني جذ متماوتٍ وللفظِ "أوسى عوى لقلدِ
ابلسع بني نعل باني لم اكن ابدأ لأفعلها طوال المسند"^(١)
لا جتهم فلا وأترك صحبتي نهياً ولم تغدير بقائمة^(٢) يدي

زيد الخيل

كان زيد الخيل فارساً مغواراً مظفراً شجاعاً بعيد الصوت في الجاهلية
وادرك الاسلام ووفد الى النبي (صلم) ولقيه وسر به وقرظه وسماه
زيد الخير . وهو شاعر مقلِّ مُخضرم معدود في الشعراء الفُرسان . وانما
كان يقول الشعر في غاراته ومفاخراته ومغازيه . واياديه عند من صر عليه
واحسن في قراء اليه . وانما سمي زيد الخيل لكثرة خيله . وانه لم يكن
لاحد من قومه ولا لكثير من العرب الا الفرس والفرسان . وكانت له خيل
كثيرة منها المساة المعروفة التي ذكرها في شعره وهي ستة وهي الهطال
والكमित والورد وكامل ودؤول ولاحق . وفي الهطال يقول :

اقرب مربط الهطالِ إني ارى حرباً ستلقح عن حبالِ

وفي الورد يقول :

أبت عادة للورد ان يكره القنا وحاجة نفسي في نخير وعامرِ

وفي دؤول يقول :

فأقم لا يفارقني دؤول اجول به اذا كثر الضرابُ

« متلاطماً » عوض متباطناً . والمذؤور الخمار الواسع الجوف والرجل السبيء الخلق

(١) اللغظ واللغظ الاصوات المبهمة المختلطة ويروى : وللمعظ اوس

(٢) طوال المسند اي مدى الدهر (٣) قائم السيف وقائمه مقبضه

هذا ما حضرنى من تسمية خيله فى شعره وقد ذكرها . وكان لزيد الخيل ثلاثة بنين كلهم يقول الشعر وهم عروة وحرث ومهل . ومن الناس من ينكر ان يكون له من الولد الأعروة وحرث . وهذا الشعر الذى فيه الغناء يقوله فى فرس من خيله ظلع فى بعض غزواته بنى اسد فلم يتبع الخيل ووقف فاخذته بنو الصيياء فصلح عندهم واستقل^(١) . وقيل بل اغزى عليه بعض بنى نيهان فنكس عنه وأخذ . وقيل انه خلفه فى بعض احياء العرب ظالماً ليستقل فاغارت عليهم بنو اسد فاخذوا الفرس فيما استاقوه لهم . فقال فى ذلك زيد الخيل :

يا بنى الصيياء رُدّوا فرسى انما يُفعل هذا بالذليل
لا تُذيلوه فاني لم اكن يا بنى الصيياء لمهري بالذليل
عودوه كالذى عودته دلج^(٢) الليل وايطاء القليل
أحملُ الزرقَ على منسجه فيظلُّ الضيفُ نشواناً يميلُ

قال ابو عمرو الشيباني : وكان زيد الخيل ملجأ على بنى اسد بغاراته ثم على بنى الصيياء منهم . ففيهم يقول :

ضجت بنو الصيياء من حربنا والحرب من يجلُّ بها يضجر
بتنا نُزجى نحوهم ضمراً معروفة الانساب من منسر
حتى صبغناهم بها غدوة نقتلهم قسراً على ضمير
يدعون بالويل وقد مسهم منّا غداة الشعب ذى الهيشر^(٣)
ضربُ يزيل الهام ذو مصدق^(٤) يعلو على البيضة والمقفر

(١) استقلّ خض من علته (٢) الدلج سير الليل (٣) الهيشر
شجر كبير الشوك تأكله الابل (٤) ذو مصدق اي صادق الحملة

اخبر حماد الرواية عن ابن ابي ليلى قال : انشدتني ليلى بنت عروة بن زيد الخيل الطائي شعر ابيها في يوم مَحَجَن :

بني عامر هل تعرفون اذا غدا ابو مكثف^(١) قد شدَّ عقد الدوائر
بجيش تضلّ البلق في حجراته ترى الأكم فيه سُجْدًا للحوافر
وجمع كحل الليل مُرتجز الوغى كثير حواشيه سريع البوادر

قالت ليلى فقلت لابي : يا ابا شهدت ذلك اليوم مع ابيك . قال : اي والله يا بنية لقد شهدته . قلت : كم كانت خيل ابيك هذه التي وصفت . قال : ثلاثة افراس

نسخت من كتاب عمرو بن ابي عمرو الشيباني بخطه عن ابيه ان زيد الخيل بن مهلهل جمع طيناً واخلطاً لهم وجموعاً من سُذَّاذ العرب فغزاهم بني عامر ومن جاورهم من قبائل العرب من قيس وسار اليهم فصبحهم مع طلوع الشمس . فنذروا به وفرعوا الى الخيل وركبوها . وكان اول من نذر بهم فلقي جمعهم غني بن اعصر واخوتهم الحرث وهم الطفاوة واسمه مالك بن سعد بن قيس بن عيلان . فاقتلوا قتالاً شديداً ثم انهزمت بنو عامر فاستحروا القتل بغني وفيهم فرسان وشعراء . فماتت ايديها طي من غنائم تميم وأسر زيد الخيل يومئذ الحطيئة الشاعر فجز ناصيته واطلقه . ثم ان غنياً تجمعت بعد ذلك مع ألف من بني عامر فغزوا طيناً في ارضهم فغنموا وقتلوا وادركوا ثارهم منهم . وقد كان زيد الخيل قال في وقعه لبني عامر قصيدته التي يقول فيها :

وخيبة من يجيب على غني وباهلة بن اعصر والركاب

فلما ادركوا ثأرهم اجابه طفيل الغنوي فقال :

سمونا بالجياد الى أعادِ
نوئهمُ على رُعبٍ وشحطِ

مُغاورةً مجدٍ واعتصابِ
بِقودٍ يطلعنَ من النقابِ

وهي طويلة يقول فيها :

اخذنا بالمخطم من اناهم
وقتلنا سراتهم جهاراً
سبايا طيء ابرزن قسراً
سبايا طيء من كل حي
وما كانت بنساتهم سبايا
ولا كانت دماؤهم وفاء

من السود المزنة الرعابِ
وجئنا بالسبايا والنهابِ
وأبدلنا القصور من الشعابِ
بين في الفرع منها والنصابِ^(١)
ولا رغباً يُعدُّ من الرغابِ
لنا فيما يُعدُّ من العقابِ

اخبرني الحسن بن يحيى قال : حدثنا حماد بن اسحق عن ابيه قال : كان
لزيد الخليل ابن يقال له عروة وكان فارساً شاعراً . فشهد القادسية فحسن
فيها بلاؤه وقال في ذلك يذكر حسن بلائه :

برزت لاهل القادسية معلماً
ويوماً باكناف النخيلة قبلها
وأقصت منهم فارساً بعد فارس
ونجاني الله الاجلُ وجراي
وايقنت يوم الديلميين اني
فما رمت حتى مزقوا برماهم
محافظة اني امرو ذو حفيظة

وما كل من يغشى الكريهة يُعلمُ
شهدت قلم ابرح آدمي وأكليمُ
وما كل من يلقي الفوارس يسلمُ
وسيف لأطراف المرازب مخدم^(٢)
متي ينصرف وجهي عن القوم يهزموا
ثيابي وحتى بل أخصي الدمُ
اذا لم اجد مستأخراً اتقدمُ

(قال) وشهد مع علي بن ابي طالب رضي الله عنه صفين وعاش الى
إمارة معاوية . فأرادهُ على البراءة من علي عليه السلام فامتنع عليه
وقال :

يحاولني معاوية بن حرب وليس الى الذي يهوى سبيلُ
علي جعدي ابا حسن علياً وحظي من ابي حسن جليلُ

(قال) وله اشعار كثيرة

قال مؤرّج : خرج رجل من طي يقال له ذؤاب بن عبدالله الى صهر
له من هوازن . فأصيب الرجل وكان شريفاً ذا رئاسة في حيه . فبلغ
ذلك زيدا فركب في نهبان ومن تبعه من ولد الغوث واغار على بني عامر
وجعل كلما اخذ اسيراً قال له : ألك علم بالطائي المقتول . فان قال نعم
قتله وان قال لا خلى سبيله ومن عليه . وكان رجل من اصحاب بني
الوحيد والضباب وبني نفيل ثم رجع زيد الى قومه فقالوا : ما صنعت .
فقال : ما اصببت بشأ ذؤاب ولا ييويه به الا عامر بن مالك ملاعب
الاسنة فاما ابن الطفيل فلا ييويه به وانشأ زيد يقول :

لا ارى ان بالقتيل قتيلاً عامرياً يفني بقتل ذؤاب
ليس من لاعب الاسنة في النقع م وسني ملاعباً بأراب
عامر ليس عامر بن طفيل لكن العمر رأس حي كلاب
ذاك ان ألقه أنال به الوتر م وقرت به عيون الصحاب
او يفتني فقد سبقت بوتر مدحجي وجد قومي كتاب
قد تفتنت للضباب رجالاً وتكرمت عن دماء الضباب
وأصبنا من الوحيد رجالاً ونفيل فما اساغوا شرابي

فبلغ عامر بن الطفيل قول زيد الخيل وشعره فاغضبه وقال مجيباً له :
 قل لزيد قد كنت تؤثر بالجلم م اذا سفهت حلوم الرجال
 ليس هذا القليل من سلف الحي م كلاع ويحصب و كلال
 او بني آكل المرار ولا صيد م بني جفنة الملوك الطوال
 وابن ماء السماء قد علم النا س ولا خير في مقالة غال
 ان في قتل عامر بن طفيل لبواء لطبيء الاجبال
 اني والذي يمج له النا س قليل في عامر امثالي^(١)
 يوم لا مال للمحارب في الحر ب سوى نصل اسمر عسال
 ولجام في رأس اجد كالجد ع طوال وابيض قصال^(٢)
 ودلاص^(٣) كالتهي ذات فضول ذاك في حلبة الحوادث مالي
 ولعتي فضل الرئاسة والسن م وجد على هوازن عال
 غير اني اولى هوازن في الحر ب بضرب المتوج المختال
 وبطن الكمي في خمس النقع م على متن هيكلك جوال
 قال ابو عمرو الشيباني : لما بلغ زيد الخيل ما كان من الحرث بن ظالم
 وعمرو بن الاطنابة الخزرجي وهجائه اياه غضب زيد لذلك فأغار على
 بني مرة بن غطفان فأسر الحرث بن ظالم وامرأته في غارته ثم من عليها
 وقال يذكر ذلك :

الأهل اتى غوثاً ورومان اننا صبغنا بني ذبيان احدى العظام
 وسقنا نساء الحي مرة بالقنا وبالخيل تردي قد حوينا ابن ظالم

(٢) قصال قطاع

(١) في الاصل : في عامر الامثال

(٣) دلاص درع

جنيًا لأعضاء النواجي يقذنه
يقول أقبلوا مني الفداء وأنعموا
وسائل بن جاز ابن عوف فقد رأى
تلاعب وحادان العضاريط بعدما
اغرك أن قيل ابن عوف ولا أرى
غداة سيننا من خفاجة^(٢) سبيها
فمن مبلغ عني الخزارج غارة
على تعب بين النواجي الرواسم^(١)
علي وجزوني مكان القوادم
حليته جالت عليها مقاسمي
جلاها بسهميه لقيط بن حازم
عزك ألا واهياً في العزائم
ومررت لهم مناً نحوس الأشائم
على حي عوف موجفاً^(٣) غير ناخم

وقال ابو عمرو: أغار زيد على بني فزارة وبني عبدالله بن غطفان ورئيسهم
يومئذ ابو ضب ومع زيد الخيل من بني نبهان بطنان يقال لها بنو نصر
وبنو مالك . فأصاب وغنم وساقوا الغنيمة وانتهوا الى العلم فاققسموا
النهاب . فقال لهم زيد : اعطوني حق الرئاسة . فأعطاه بنو نصر وأبى بنو
مالك . فغضب زيد وانحدر الى بني نصر . فبينما بنو مالك يقتسمون اذ
غشيتهم فزارة وغطفان وهم حلفاء فاستنقدوا ما بأيديهم . فلما رأى
زيد ذلك شد على القوم قتل رئيسهم أبا ضب وأخذ ما في ايديهم
فدفعه الى بني مالك وكانوا نادوه يومئذ : يا زيدا اغشنا . فكرر على القوم
حتى استنقد ما في ايديهم وردّه . وقال يذكر ذلك :

كررت على أبطال سعد ومالك
فلاياً كرت الورد حتى رأيتهم
ومن يدعُ الداعي اذا هو ندداً^(٤)
يسكبون في الصحراء مشئى وموحداً

(١) الرواسم التي سيرها سريع يؤثر في الارض

(٢) خفاجة حي من بني عامر

(٣) الايجاف سرعة السير . رآكب

(٤) ندد بالغ في النداء

البعير يوضع وراكب الفرس يوجف

وحتى نبذتم بالصعيد رماحكم وقد ظهرت دعوى زعيم واسعدا
 فما زلت ارميهم بغرّة وجهه وبالسيف حتى كلّ تحتى وبلدا
 اذا شكّ اطراف العوالي لبانه أقدمه حتى يرى الموت اسودا
 علائها بالامس ما قد علمتم وعلّ الجوارى بيننا ان تُسهدا
 لقد علمت نهبان أنى حميتها واني منعت السبي ان يتبددا
 عشية غادرت ابن ضبّ كائنا هوى عن عقاب من شاريخ صنددا^(١)
 بذى شطب أغشى الكتيبة سلهب أقبّ كيرحان الظلام معودا
 قال ابو عمرو : وخرج زيد الخيل يطلب نعباً له من بني بدر وأغار عامر
 ابن الطفيل على بني فزارة فأخذ امرأة يقال لها هند واستاق نعباً لهم .
 فقالت بنو بدر لزيد : ما كنا قط الى نعبك احوج منّا اليوم . فتبعه زيد
 الخيل وقد مضى وعامر يقول : يا هند ما ظنك بالقوم . فقالت : ظني بهم
 انهم سيطلبونك وليسوا نياماً عنك . (قال) فأدركه زيد الخيل . فنظر
 الى عامر فانكره لهظبه وجماله . وغشيه زيد فبرز له عامر . فقال : يا عامر
 خلّ سبيل الطعينة والنعم . فقال عامر : من انت . قال : فزاري انا . قال
 عامر : والله ما انت من القلح^(٢) افواهاً . فقال زيد : خلّ عنها . قال : لا
 أو تخبرني من انت . قال : اسدي . قال : لا والله ما انت من المتكورين
 على ظهور الخيل . قال : خلّ سبيلها . قال : لا والله او تخبرني فاصدقني .
 قال : أنا زيد الخيل . قال : صدقت فما تريد من قتالي فوالله لئن قتلتنى
 لتطلبنك بنو عامر ولتذهبن بنو فزارة بالذكر . فقال له زيد : خلّ عنها .

(١) شاريخ رؤوس الجبال . صندد جبل بتهامة

(٢) القلح صفرة في الاسنان ووسخ يركبها

قال : تُخَلِّي عني وأدعك والظئينة والنعم . قال : فاستأسر . قال : أفعل .
فجزَّ ناصيته وأخذ رمحهُ وأخذ هنداً والنعم فردَّها الى بني بدر . وقال
في ذلك :

أنا أنكثِر في قيسٍ وقائنا وفي تميم وهذا الحي من أسدِ
وعامر بن طفيلٍ قد نحوت له صدر القناة بماضي الحدِّ مُطردٍ^(١)
لما أحس بانَّ الواردَ مُدرِكهُ وصارماً وربيطَ الجأشِ ذا لَبِدٍ^(٢)
نادى اليَّ بِسَلْمٍ بعد ما أخذت منه المنيَّةُ بالخيزوم واللُّغْدِ^(٣)
ولو تصبَّر لي حتى أخالطهُ أسعرتُهُ طعنةٌ كالنارِ بالزُّنْدِ

(قال) فانطلق عامر الى قومه مجزوزاً وأخبرهم الخبر . فغضبوا لذلك
وقالوا : لا ترأسنا ابداً . وتجهزوا ليغيروا على طي ورأسوا عليهم علقمة بن
عُلائة . فخرجوا ومعهم الحطيئة وكعب بن زهير . فبعث عامر الى زيد
الحليل دسيساً ينذره . فجمع زيد قومه فلقبهم بالمضيق فقاتلهم فأسر
الحطيئة وكعب بن زهير وقوماً منهم فحبسهم . فلما طال عليهم الأسر
قالوا : يا زيد فادنا . قال : الامر الى عامر بن الطفيل . فأبوا ذلك عليه .
فوهبهم لعامر الأ الحطيئة وكعباً . فاعطاه كعب فرسه الكميت . وشكا
الحطيئة الحاجة فمَنَّ عليه . فقال زيد :

أقول لعبيدي جرول^(٤) اذا أسرته أثبني ولا يغررك انك شاعرُ
أنا الفارس الحامي الحقيقة والذي له المكرمات والأهبي^(٥) والمآثرُ

(١) مطرد مستقيم (٢) ذا لبد اي كالاسد الذي له لبدة اي زبرة

(٣) اللغد اللحمة التي بين الخنك وصفحة العنق

(٤) جرول اسم الحطيئة (٥) اللهم افضل العطايا واجزلها

اذا الحرب شَبَّتْهَا الاكفُ المساعِرُ
وأترعَ حوضاهُ وحتجَّ^(١) ناظرُ
يُباعدني عنها من القبِ ضامرُ
مجاهرةً انَّ الكريمِ يجاهرُ
على اهلها اذ لا تُرجى الاواصرُ

سيأتي ثنائي زيدا بن مهلهل
ومن آل بدرٍ شدة لم تهل
غداة التقينا في المضيق بأخيل^(٢)
تفادي ضفاف الطير من وقع اجل

ومن آل بدرٍ قد اصبحت الاخيرا
وان يكفروا الألف يا زيد كافرا
بما قد ترى منهم حلولا كرا كرا^(٣)
ولا تنس ما قتلت يا زيد عامرا
فرضي عنه زيد ومن عليه لما قال هذا فيه وعد ذلك ثواباً من الحطيئة
وقبله . فلما رجع الحطيئة الى قومه قام فيهم حامداً لزيد شاكراً لنعته
حتى اسرت طيء بني بدر فطلبت فزاره وافناء قيس الى شعراء العرب

وقومي رؤوس الناس والرأس قائد
فلست اذا ما الموت حوذر ورده
بوقافةٍ يخشى الخوف تهباً
ولكنني أغشى الخوف بصعدتي
وأروي سناني من دماء عزيزة
فقال الحطيئة لزيد :

ان لم يكن مالي بات فاني
فأعطيت منا الود يوم لقيننا
فما نلتنا غداً ولكن صبعتنا
تفادي حماة الخيل من وقع رحمة
وقال فيه الحطيئة ايضاً :

وقعت بعيس ثم انعمت فيهم
فان يشكروا فالشكر ادنى الى التقى
تركت المياه من قيم بلاقماً
وحي سليم قد أبدت^(٤) شريدهم

(٢) في الاصل : باحبل . واخيل جماعة خيل

(١) حجاج حدق النظر

وبروي بأخيل اي الحيلاء

(٤) في الاصل : أثرت

(٣) كرا كرا اي جماعات

ان يهجوا بني لام. وزيداً . فتحامتهم شعراء العرب وامتنعت من هجائهم . فصاروا الى الخطيئة . فأبى عليهم وقال : اطلبوا غيري فقد حقن دمي واطلقني بغير فداء . فليست بكافر نعمته ابداً . فقالوا : فاننا نعطيك مائة ناقة . قال : والله لو جعلتموها الفأ ما فعلت ذلك . وقال الخطيئة : كيف الهجاء . وما تنفكُ صالحاً من آل لامٍ بظهر النيب تأتينا المنعمين اقام العزُّ وسطهمُ بيض الوجوه . وفي الهيجا مطاعينا وقد اخبرنا ابو خليفة عن محمد بن سلام قال : خرج مجير بن زهير والخطيئة ورجل من فزارة يتقنصون الوحش . فلقبهم زيد الخيل فأسرهم فاقتدى مجير نفسه بفرس كان لكعب اخيه وكعب يومئذ مجاوراً في بني ملقط من طي . وشكا اليه الخطيئة الفاقة فاطلقه . وقال ابو عمرو : غزت بنو نبهان فزارة وهم متساندون ومعهم زيد الخيل فاقتتلوا قتالاً شديداً ثم انهزمت فزارة وساقت بنو نبهان الغنائم من النساء والصبيان . ثم ان فزارة حشدت واستعانت باحياء من قيس وفيهم رجل من سليم شديد البأس سيد يقال له عباس بن انس الرعلي كانت بنو سليم قد ارادوا عقد التاج على رأسه في الجاهلية . فحسده ابن عم له فلطم عينه . فخرج عباس من اعمال بني سليم في عدة من اهل بيته وقومه فنزل في بني فزارة وكان معهم يومئذ ولم يكن لزيد المربع^١ حينئذ . وأدركت فزارة بني نبهان فاقتتلوا قتالاً شديداً . فلما رأى زيد ما لقيت بنو نبهان نادى : يا بني نبهان أأحل ولي المربع . فقالوا : نعم . فشد على بني سليم فهزمهم واخذ أم الاسود امرأة عباس بن انس ثم شد على فزارة والاخلاط

فهمهم وقال في ذلك :

ألا ودعت جيرانها أم أسودا
وابغض أخلاق النساء أشدها
وسائل بني نيهان عنا وعندهم
دعوا مالكا ثم اتصلنا بالك
وبشر بن عمرو قد تركنا مجندلا
تمطت به قوداء ذات علالة
لقيناهم تستنقد الخيل كالفنا
فيا رب قدر قد كفانا وجفنة
على انني أثوي سناني وصعدتي
وقال ابو عمرو : : وقعت حرب بين اخلاط طي . فنهاهم زيد عن ذلك
وكرهه فلم ينتهوا . فاعتزل وجاور بني تميم وتزل على قيس بن عاصم .
فغزت بنو تميم بكر بن وائل وعليهم قيس وزيد معه فاقتلوا قتالا شديدا
وزيد كاف . فلما رأى ما لقيت تميم ركب فرسه وحمل على القوم وجعل
يدعو : يا تميم . يتكني بكنية قيس اذا قتل رجلا او اذراه عن فرسه
او هزم ناحية . حتى هزمت بكر وظفرت تميم فصارت فخرا لهم في
العرب . وافتخر بها قيس . فلما قدموا قال له زيد : اقسم لي يا قيس
نصيبي . فقال : وائي نصيب فوالله ما ولي القتال غيري وغير اصحابي .

(١) خطر رمح ذو اهتراز شديد (٢) علالة بقية من الجري . صلدم
شديد الحافر . الخنذيد كل ضخم من الخيل وغيره (٣) السميري الرمح
الصليب العود . المقصد المكسر

فقال زيد :

ألا هل اتاها والاحاديثُ جَمَّةٌ
فلمست بوقافِ اذا الخيل احجبت
تُخبِرُ من لاقيتَ أن قد هزمتهم
بل الفارس الطائيُّ فضَّ جموعهم
مغلظةً انباء جيش اللهازمِ
ولست بكذاب كقيس بن عاصمِ
ولم تدرِ ما سباهمُ والعمائمِ
ومكةَ والبيتِ الذي عند هاشمِ
بماثورةٍ^(١) تشفي صداعَ الجماجمِ
اذا ما دعوا عَجلاً عجلنا عليهم
فبلغ المكشر بن حنظلة العجليُّ أحد بني سنان قول زيد فخرج في ناس
من عجل حتى أغار على بني نبهان فأخذ من نعمهم ما شاء . وبلغ ذلك
زيد الخيل فخرج على فرسه في فوارس من نبهان حتى اعترض القوم
فقال : ما لي ولك يا مكشر . فقال : قوامك : « اذا ما دعوا عَجلاً عجلنا
عليهم » . فقاتلهم زيد حتى استنقذ بعض ما كان في ايديهم . ورجع
المكشر ببقية ما أصاب . فأغار زيد على بني تيم الله بن ثعلبة . فغنم وسبي .
وقال في ذلك :

اذا عركت عَجلاً بنا ذنبَ غيرنا
عركنا بتم اللات ذنبَ بني عجلِ
وقال ابو عمرو : كان حريث بن زيد الخيل شاعراً فبعث عمر بن الخطاب
رجلاً من قريش يقال له ابو سُفيان يستقرئ اهل البادية فمن لم يقرأ شيئاً
من القرآن عاقبه . فأقبل حتى نزل بمحلة بني نبهان فاستقرأ ابن عمَ لزيد
الخيل يقال له أوس بن خالد بن زيد بن مهيب . فلم يقرأ شيئاً . فضربه
فمات . فاقامت بنته ام أوس تندبه . وأقبل حريث بن زيد الخيل
فأخبرته . فأخذ الرمحَ فشدَّ على ابي سُفيان فطعنه فقتله وقتل ناساً من

(١) اي بوقعةٍ تذكر في التاريخ كماثرة لهم

اصحابه ثم هرب الى الشام : وقال في ذلك :

الا بكر الناعي بأوس بن خالد
 فلا تجزعي يا أمّ أوس فإنه
 فان يقتلوا أوساً عزيزاً فاني
 ولولا الأسي ماعشت في الناس بعده
 أصبنا به من خيرة القوم سبعة
 اخي الشتوة الغبراء والزمن المحل^(١)
 يلاقي المنايا كل حافٍ وذئ نعل^(٢)
 تركت ابا سفيان ملتزم الرحل^(٣)
 ولكن اذا ما شنت جاوبني مثلي
 كراماً ولم ناكل به حشف النخل^(٤)

السليك بن السلكة

هو السليك بن عمرو وقيل بن عمير بن يثربي أحد بني مُعاعِس وهو
 الحرث بن عمرو بن كعب بن سعد مناة بن تميم . والسلكة أمه وهي
 أمة سوداء . وهو احد صعاليك العرب العدائين الذين كانوا لا يلحقون
 ولا تعلق بهم الخيل اذا عدوا وهم السليك بن السلكة والشنفرى
 وتأبط شراً وعمرو بن براق ونفيل بن براق

حدث المنتجع بن نبهان قال : كان السليك بن عمير السعدي اذا
 كان الشتاء استودع ببيض النعام ماء السماء ثم دفنه . فاذا كان الصيف
 وانقطعت إغارة الخيل أغار وكان أدلّ من قطة يجي حتى يقف على
 البيضة وكان لا يُغير على مُضر وانما يغير على اليمن فاذا لم يمكنه ذلك
 أغار على ربيعة . وقال المفضل في روايته : وكان السليك من اشدّ رجال

(١) تكون الشتوة غبراء لقلّة الامطار والحضرة (٢) اي مقتولاً على
 الرحل ملازماً له (٣) الحشف اردأ التمر اي لم تقبل الدية قرأ

العرب وانكرهم واشعرهم وكانت العرب تدعوه سليك المقاب^(١) وكان ادلّ الناس بالارض واعلمهم بمسالكتها واشدهم عدواً على رجله لا تعلق به الخيل وكان يقول : اللهم انك تهيب ما شئت لما شئت اذا شئت . اللهم اني لو كنت ضعيفاً كنت عبداً ولو كنت امرأة كنت أمة . اللهم اني اعوذ بك من الحية فاماً الهية فلا هية . فذكروا انه املق^(٢) حتى لم يبق له شيء ، فخرج على رجله رجاء ان يصيب غرة من بعض من يمرُّ به فيذهب بابله حتى امسى في ليلة من ليالي الشتاء باردة مُقْمِرَةٌ فاشتمل الصماء^(٣) ثم نام . فبينما هو نائم اذ جثم عليه رجل فقعده على جنبه فقال : استأسر . فرفع السليك اليه رأسه وقال : الليل طويل وانت مُقْمِرٌ . فارسلها مثلاً . فجعل الرجل يلهزه^(٤) ويقول : يا خبيث استأسر . فلما اذاه بذلك اخرج السليك يده فضمَّ الرجل اليه ضمة صرخ منها وهو فوقه ثم قال : من انت . فقال : انا رجل افتقرت فقلت : لا اخرجن فلا ارجع الى اهلي حتى استغني فآتيهم وانا غني . قال : انطلق معي . فانطلقا فوجدوا رجلاً قصته مثل قصتها فاصطحبوا جميعاً حتى اتوا الجوف جوف مُراد . فلما اشرفوا عليه اذا فيه نعم قد ملأ كل شيء . من كثوته فهابوا ان يغيروا فيطردوا بعضها فيلحقهم الطلب . فقال لها سليك : كونا قريباً مني حتى آتي الرعاء . فأعلم لكما علم الحي اقريب ام بعيد فان كانوا قريباً رجعت اليكما وان كانوا بعيداً قلت لكما قولاً أوحى اليكما به فأغيرا . فانطلق حتى اتى الرعاء فلم يزل يتسقطهم حتى اخبروه بمكان

(١) المقاب جماعة الخيل والفرسان (٢) املق افتقر (٣) اشتال الصماء ان يردّ فضلة ثوبه على عضده اليسرى ثم ينام عليها (٤) لجزه لكره

الحي . فاذا هم بعيد إن طلبوا لم يُدرَ كوا . فقال السليك للرعا . : ألا اغتبيكم . فقالوا : بلى غننا . فرفع صوته وغنى :

يا صاحبي ألا لا حي بالوادي سوى عبيد وآم بين اذواد
اتنظران قريبا ريث غفلتهم ام تغدوان فان الريح للغادي

فلما سماع ذلك اتيا السليك فاطردوا الابل فذهبوا بها . ولم يبلغ الصريخ الحي حتى فاتوهم بالابل . قال المفضل : وزعموا ان سليكا خرج ومعه رجلان من بني الحرث بن امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم يقال لها عمرو وعاصم وهو يريد الغارة . فرآ على حي بني شيان في ربيع والناس مخصبون في عشية فيها ضباب ومطر . فاذا هو بيت قد انفرد من البيوت وقد امسى . فقال لاصحابه : كونوا بكلن كذا حتى آتي اهل هذا البيت فعلى ان اصيب لكم خيرا او آتيكم بطعام . قالوا : افعل . فانطلق وقد امسى وجن عليه الليل . فاذا البيت بيت رؤيم وهو جد حوشب بن يزيد بن رؤيم واذا الشيخ وامراته يفناء البيت . فآتى السليك البيت من مؤخره فدخله . فلم يلبث ان راح ابنه بابه فلما اراحها غضب الشيخ وقال لابنه : هلا عشيتها ساعة من الليل . فقال له ابنه : انها أبت العشاء . فقال : العاشية تهيج الآية^(١) فارسلها مثلاً . ثم غضب الشيخ ورفض ثوبه في وجهها فرجعت الى مراتعها ومعهما الشيخ حتى مالت بأدنى روضة فرتعت وجلس الشيخ عندها لتتغشى وغطى وجهه بثوبه من البرد . وتبعه سليك . فلما وجد الشيخ مفترأ^(٢) استله من

(١) المعنى : ان الابل التي تأبى الرعي اذا رأت التي تتغشى حاجها ذلك للرعي

فرعت معها (٢) أفتر ضمنت جفونه فانكسر طرفه من الناس

ردائه فضربه قاطار رأسه وصاح بالابل فطردها . فلم يشعر صاحباه وقد
ساء ظنهما وتحوقفا عليه حتى اذا هما بالسليك يطردها فطرداهامه . وقال
سليك في ذلك :

وعاشية راحت بطاناً ذعرتها بسوط قتيل وسطها يتسيف
كأن عليه لون برد محبب اذا ما اتاه صارم يتلهف
فبات له اهل خلا . فناوهم وممرت بهم طير فلم يتصيفوا
وباتوا يظنون الظنون وصحبتى اذا ما علوا نشراً اهلوا وأوجفوا
وما نلتها حتى تصعلكت حقة وكدت لأسباب المنية أعرف
وحتى رأيت الجوع بالصيف ضرني اذا قت تغشاني ظلال فأسدف^(١)

وقال الاثرم في روايته عن ابي عبيدة : خرج سليك في الشهر الحرام حتى
اتي عكاظ . فلما اجتمع الناس التقى ثيابه ثم خرج متفضلاً^(٢) مترجلاً
فجعل يطوف بين الناس ويقول : من يصف لي منازل قومه وأصف له
منازل قومي . فلقية قيس بن مكشوح المرادي فقال : انا اصف لك منازل
قومي وصف لي منازل قومك . فتواقفا وتعاهدا ان لا يتكاذبا . فقال
قيس بن المكشوح : اخذ بين مهب الجنوب والصبأ ثم سر حتى لا تدري
اين ظل الشجرة . فاذا انقطعت المياه فسر اربعا حتى تبدو لك رملة وقف
بينها الطريق فانك ترد على قومي مراد وخشم . فقال السليك : اخذ بين
مطلع سهيل ويد الجزاء . اليسرى العاقد لها من افق السماء . فشم منازل
قومي بني سعد بن زيد مناة . فانطلق قيس الى قومه فاخبرهم الخبر .
فقال ابوء المكشوح : ثكلتك أمك هل تدري من لقيت . قال : لقيت

(١) اسد ف اظلمت عيناه (٢) متفضلاً اي في ثوب واحد

رجلاً فضلاً كأنما خرج من اهلكه - فقال : هو والله سليك بن سعد . فاستعلق
السليك قومه فخرج احماس^١ بين بني سعد وبني عبد سميع . وكان في
الربيع يعيد الى بيض النعام فيملوه من الماء ويدفنه في طريق اليمن
في الفاوز . فاذا غزا في الصيف مر به فاستأثره . فرأى باصحابه حتى اذا
انقطعت عنهم المياه قالوا : يا سليك اهلكتنا ويحك . قال : قد بلغتم للماء
ما اقربكم منه . حتى اذا انتهى الى قريب من المكان الذي خبأ الماء
فيه طلبه فلم يجده . وجعل يتردد في طلبه . فقال بعض اصحابه لبعض :
اين يقودكم هذا العبد قد والله هلكتم . وسع ذلك ثم اصاب بعد ما
ساء ظنهم فهم السليك بقتل بعضهم ثم أمسك . فانصرفت عنهم بنو
عبد شمس في طوائف من بني سعد . (قال) ومضى السليك في بني
مقاعس ومعه رجل من بني حرام يقال له سرد . فلما رأى اصحابه قد
انصرفوا بكى . ومضى به السليك حتى اذا دنوا من بلاد خثعم ضلت
ناقة سرد في جوف الليل . فخرج في طلبها . فأصابه أناس حين اصبح
فاذا هم مراد وخثعم فأسروه . ولحقوا السليك فاقتتلوا قتالاً شديداً .
وكان اول من لقيه قيس بن مكشوح . فأسره السليك بعد ان ضربه
ضربة اشرفت على نفسه . واصاب من نعمهم ما عجز عنه هو
واصحابه . واصاب ام حرف بنت عوف بن يربوع الخثعمية يومئذ .
واستنقذ سرداً من ايدي خثعم . ثم انصرف مسرعاً فلحق باصحابه
الذين انصرفوا عنه قبل ان يصلوا الى الحيا وهم اكثر من الذين شهدوا
معه . فقسما بينهم على سهام الذين شهدوا . وقال السليك في ذلك :

بَكَى صَرَدٌ لِمَا رَأَى الْحَيَّ اعْرَضَتْ
 وَخَوْفَهُ رَيْبَ الزَّمَانِ وَقَفْرَهُ
 وَنَائِيٌ بَعِيدٌ عَنِ بِلَادِ مَقَاعِسِ
 فَقَلْتُ لَهُ لَا تَبْكِ عَيْنِكَ إِنِّهَا
 سَيَكْفِيكَ فَقَدْ الْحَيَّ لَحْمٌ مَغْرَضٌ^(١)
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ الدَّهْرَ لَوْنَانِ لَوْنُهُ
 فَيَا خَيْرَ مَنْ لَا يَرْتَجِي خَيْرَ أَوْبَةٍ
 رَدَدْتُ عَلَيْهِ نَفْسَهُ فَيَكَاثِمَانَا
 فَمَا قَدَّرَ قَرْنُ الشَّمْسِ حَتَّى رَأَيْتُهُ
 وَضَارَبْتُ عَنْهُ الْقَوْمَ حَتَّى كَاثَمَانَا
 وَقَلْتُ لَهُ خُذْ هَجْمَةَ جَبْرِيَّةَ^(٢)
 وَبِلَّةَ جَابَانَ كَرَّرْتُ عَلَيْهِمْ
 عَشِيَةَ كَرَّرْتُ بِالْحَرَامِيِّ نَاقَةَ
 فَضَارَبْتُ أَوْلَى الْخَيْلِ حَتَّى كَاثَمَانَا
 قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: وَبَلَّغَنِي أَنَّ السَّلِيكَ بْنَ السَّلَكَةِ رَأَتْهُ طَالَانِعُ جَيْشِ لَبَكْرِ
 ابْنِ وَائِلٍ وَكَانُوا جَازُوا مِنْ حُدُودِهِمْ لِيُغِيرُوا عَلَى بَنِي تَمِيمٍ وَلَا يَعْلَمُ بِهِمْ أَحَدٌ
 فَقَالُوا: إِنَّ عِلْمَ السَّلِيكَ بِنَا أَنْذَرَ قَوْمَهُ. فَبِعَثُوا إِلَيْهِ فَارْسِينَ عَلَى جَوَادِينَ.

(١) مغرض غريض أي طري (٢) منسّر قطعة من الجيش والشروب
 جماعات من الخيل (٣) جبرية تجبر الفاقة وتغنيك (٤) حيهل وحيهلا
 وحيهلا منوناً وغير منون كلمة يُستحث بها وهي ركبة من جي واهلا
 (٥) الايدع دم الاخوين وهو العندم نوع من الصبغ. والصيب الخناء.

فلما هاجاه خرج يمحّص^(١) كأنه ظبي وطاردها سحابة يومه ثم قالوا : اذا كان الليل اعياء ثم سقط او قصر عن العدو فناخذهُ . فلما اصبحا وجدا اثره قد عثر بأصل شجرة فتبرأ عنها وندرت^(٢) قوسه فانحطمت فوجدوا قِصدة^(٣) منها قد ارتزت بالارض فقالوا : ما له اخزاه الله ما اشدّه . وهما بالرجوع . ثم قالوا : لعل كان هذا من اول الليل ثم فتر . فتبعاه فاذا اثره متفاجأ قد بال في الارض وجد . فقالوا : ما له قاتله الله ما اشد متنه والله لا نتبعه ابداً . فانصرفا وتم الى قومه وانذرهم فكذبوه لبعد الغاية . فانشأ يقول :

يكذبني العمران عمرو بن جندب وعمر بن سعد والمكذب الكذب
تكلتكما ان لم اكن قد رأيتها كراديس يهديا الى الحي موكب
كراديس فيها الحوفزان وقومه فوارس همّام متى يدع يركبوا
(قال) وجاء الجيش فأغاروا على جمعهم .

وقال ابو عبيدة : اغار السليك على بني عوارا بطن من بني مالك ابن ضبيعة فلم يظفر منهم بفائدة . وارادوا مساورته^(٤) . فقال شيخ منهم : انه اذا عدا لم يتعلق به شي . فدعوه حتى يرد الماء فاذا شرب وثقل لم يستطع العدو وظفرتم به . فأهلوه حتى ورد الماء وشرب ثم بادروه . فلما علم انه مأخوذ جاملهم وقصد لادنى بيوتهم حتى وليج على امرأة منهم يقال لها فكيهة فاستجار بها . فمنعته وجعلته تحت درعها واختطت السيف وقامت دونه . فكأثروها فكشفت خمارها عن شعرها وصاحت

(١) يمحّص يمدو (٢) تبرأ عنها تنحى . ندرت سقطت
(٣) قِصدة كسرة (٤) ساوره واثية

ناخوتها . فجاؤوها ودفعوا عنه حتى نجا من القتل . فقال السليك في ذلك :
 لعمرُ ابيك والائماء تُسمى لنعم الجارُ اختُ بني عوارا
 من الخجراتِ لم تفضح اباهما ولم ترفع لاختوتها شئارا^(١)
 وما عجزت فكيهة يوم قامت بنصل السيف واستلبوا الخجارا
 ثم قدم بعد ذلك على بني كنانة وهو شيخ كبير وهم بناء لهم يقال له
 قباقيب خلف البشر . فاتاه نعمان بابنيه الحكم وعثمان وهما سيّدا بني
 كنانة ونائلة ابنته فقال : هذان وهذه لك وما املك غيرهم . فقالوا :
 صدق . فقال : قد شكرت لك وقد رددتهم عليك . فجمعت له بنو كنانة
 ابلا عظيمة فدفعوها اليه ثم قالوا له : ان رأيت ان تُرينا بعض ما بقي
 من إحضارك . قال : نعم وأبعوني اربعين شاباً وابغوني درعاً ثقيلة . فأتوه
 بذلك . فلبس الدرع وقال للشبان : الحقوا بي ان شئتم . وعدا فلات العدو
 لوثاً . وعدوا جنبته فلم يلحقوه الا قليلاً . ثم غاب عنهم وكرّ حتى عاد

(١) اخبر اليزيدي عن عمه قال : كان ابراهيم بن سعدان يؤدّب ولد علي
 ابن هشام وكان يفتي بالعود تأديباً ولعباً . (قال) فوجهه اليّ يوماً علي بن هشام
 يدعوني . فدخلت فاذا بين يديه امرأة مكشوفة الرأس تلاعبه بالترد . فرجعت
 عجلًا . فصاح بي : ادخل . فدخلت فاذا بين ايديها نبيذ يشربان منه . فقال : خذ
 عوداً وغنّ لنا . ففعلت ثم غنيت في وسط غنائي :

من الخجرات لم تفضح اباهما ولم ترفع لاختوتها شئارا

فوثبت من بين يديه وغطت رأسها وقالت : اني اشهد الله اني تائبة اليه ولا
 افضح ابي ولا ارفع لاختوتي شئارا . ففقر علي بن هشام ولم ينطق وخرجت من
 حضرته . فقال لي : ويلك من اين صبتك الله علي . هذه مغنبة بغداد وانا في طلبها
 منذ سنة لم اقدر عليها الا اليوم فجئتني بهذا الصوت حتى هربت . فقلت : والله ما
 اعتمدت مساءتك ولكنه شيء خطر علي غير تعمد

الى الحي وهو وحده يحضر والدرع في عنقه تضرب كأنها خرقة من شدة
إحضاره

تأبط شراً

هو ثابت بن جابر بن سُفيان وتأبط شراً لقب لقب لثب به . ذكر الرواة
ان أمه قالت له : كل أخوتك يأتيني بشيء اذا راح غيرك . فقال لها :
سأتيك الليلة بشيء . ومضى فصاد افاعي كثيرة من اكبر ما قدر عليه .
فلما راح اتى بهن في جراب متأبطاً به فألقاه بين يديها . ففتحتهُ فتساعين
في بيتها . فوثبت وخرجت . فقال لها نساء الحي : ماذا اقلك به ثابت .
فقلت : اتاني بافاعي في جراب . وقلن : وكيف حملها . قالت : تأبطها . قلن :
لقد تأبط شراً . فلزمه تأبط شراً

اخبرني عمي عن الحزنبل عن عمرو بن ابي عمرو الشيباني قال : نزلت
على حي من فهم اخوة عدوان من قيس فسألتهم عن خبر تأبط شراً .
فقال لي بعضهم : وما سؤالك عنه أتريد ان تكون لصاً . قلت : لا ولكن
اريد ان اعرف اخبار هولاء العدائين فأحدث بها . فقالوا : نحدثك بخبره .
ان تأبط شراً كان أعدي ذي رجلين وذو ساقين وذو عيتين . وكان اذا
جاع لم تقم له قائمة فكان ينظر الى الطباء فينتقي على نظره اسمها ثم
يجري خلفه فلا يفوته حتى يأخذه فيذبجه بسيفه ثم يشويه فيأكله . وانما
سمي تأبط شراً لانه فيما حكى لنا لقي النول في ليلة ظلماء في موضع
يقال له رحي يطان في بلاد هذيل فأخذت عليه الطريق فلم يزل بها
حتى قتلها وبات عليها . فلما اصبح حملها تحت ابطه وجاء بها الى

اصحابه . فقالوا له : لقد تأبط شراً . فقال في ذلك :

تأبط شراً ثم راح او أعتدى يواجم غنماً او سيف على فحل
وقال ايضاً في ذلك :

ألا من مبلغ فتيسان فهم . بما لاقيت عند رحي بطن

واني قد لقيت الغول تهوي بسهب كالصحيفة صحصحان

فقلت لها كلانا نضو أين^(١) اخو سفر فخطي لي مكاني

فشدت شدة نحوي فأهوى لها كفي بمصقول يماني

فأضربها بلا دهش فخرت صريعاً لليدن وللجران

فقالت عد فقلت لها رويداً^(٢) مكانك اني ثبت الجنان

فلم انفك متعكناً عليها لأنظر مصباً ماذا أتاني

اذا عيسان في رأس قبيح . كراس الهر مشقوق اللسان

وساقا مخدج وشواة كلب . وثوب من عباء او شنان^(٣)

قال حمزة : ولقي تأبط شراً ذات يوم رجلاً من ثقيف يقال له ابو

وهب كان جباناً اهوج وعليه حلة جيدة . فقال ابو وهب لتأبط شراً :

بم تغلب الرجال يا ثابت وانت كما اري دميم ضئيل . قال : باسمي . انما

اقول ساعة ما ألقى الرجل : انا تأبط شراً فيخلع قلبه حتى انال منه ما

اردت . فقال له الثقيفي : أقط^(٤) . قال : قط . قال : فهل لك ان تبيعني

(١) ألتضو البعير المهزول . والأين التعب (٢) بزعم العرب ان الغول

اذا ضربت ضربة واحدة ماتت بها فان ضربت ضربة اخرى عاشت . وذلك

قوله : فقالت عد فقلت لها رويداً (٣) مخدج ناقص الخلق . والشوارة جلدة

الرأس . والشنان جمع شن وشنة وهي القرية الخلق (٤) أقط اي أحسب

اسمك . قال : نعم . قال : فمَ تبتاعهُ . قال : بهذه الحلّة وبكنيتي . قال له : افعل . ففعل . وقال له تَبَّطُ شراً : لك اسمي ولي كنيته . واخذ حلته واعطاه طمريه . ثم انصرف . وقال في ذلك يخاطب زوجة التقفي :
 ألا هل اتى الحسناء ان حليلها تَابَّطُ شراً واكتنيتُ ابا وهب
 فبه تسمى اسمي وسُئيت باسمه فابن له صبري على مُعْظَمِ الحُطْبِ
 وأين له بأسُ كبا سي وسورتي وابن له في كل فادحة قلبي
 اخبر ابو بركة الاشجعي قال : اغار تَابَّطُ شراً ومعه ابن براق الفهمي على بجيلة . فاطردا لهم نعباً . ونذرت بها بجيلة فخرجت في آثارهما . ومضيا هاربين في جبال السراة وركبا الحزن . وعارضتها بجيلة في السهل فسبقوهما الى الوهط وهو ماء لعرو بن العاص بالطائف فدخلوا لها في قصبه العين . وجاءا وقد بلغ العطش منها الى العين . فلما وقفنا عليها قال تَابَّطُ شراً لابن براق : أقل من الشرب فانها ليلة طرد . قال : وما يُدريك . قال : والذي اعدو بطيره اني لأسمع وجيب قلوب الرجال تحت قدمي . وكان من اسمع العرب واكيدهم . فقال له ابن براق : ذلك وجيب قلبك . فقال له تَابَّطُ شراً : والله ما وجب قط ولا كان وجاباً . وضرب بيده عليه واصاخ نحو الارض يستمع فقال : والذي اعدو بطيره اني لأسمع وجيب قلوب الرجال . فقال له ابن براق : فانا انزل قلبك . فتزل فبرك وشرب وكان آكد القوم عند بجيلة شوكة . فتركوه وهم في الظلمة . وتزل ثابت . فلما توسط الماء وتبوا عليه فاخذوه واخرجوه من العين مكتوفاً وابن براق قريب منهم لا يطمعون فيه لما يعلمون من عدوه . فقال لهم ثابت : انه من اصف الناس واشدهم

عُجِباً بَعْدُوهُ وَسَأَقُولُ لَهُ اسْتَأْسِرْ مَعِيَ فَسِيدَعُوهُ عُجِبَهُ بَعْدُوهُ إِلَى أَنْ يَبْدُو
 مِنْ بَيْنِ أَيْدِيكُمْ . وَهُوَ ثَلَاثَةٌ أَطْلَاقٌ أَوَّلُهَا كَالرِّيحِ الْهَابَةِ وَالثَّانِي كَالْفَرَسِ
 الْجَوَادِ وَالثَّلَاثُ يَكْبُو فِيهِ وَيَعْتَرُ فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهُ ذَلِكَ فَخَذُوهُ فَإِنِّي أَحَدٌ
 أَنْ يَصِيرَ فِي أَيْدِيكُمْ كَمَا صَرْتُ إِذْ خَالَفَنِي . قَالُوا : قَافِعِل . فَصَاحَ بِهِ تَأْبِطُ
 شَرًّا : أَنْتَ أَخِي فِي الشَّدَّةِ وَالرِّخَاءِ . وَقَدْ وَعَدَنِي الْقَوْمُ أَنْ يَمْنُوا عَلَيْكَ وَعَلَيَّ
 فَاسْتَأْسِرْ وَوَأَسِنِي بِنَفْسِكَ فِي الشَّدَّةِ كَمَا كُنْتَ أَخِي فِي الرِّخَاءِ . فَضَعَكَ
 ابْنُ بَرَّاقٍ وَعَلِمَ أَنَّهُ قَدْ كَادَهُمْ وَقَالَ : مَهْلًا يَا ثَابِتُ أَيْسْتَأْسِرُ مِنْ عِنْدِهِ
 هَذَا الْعَدُو . ثُمَّ عَدَا . فَعَدَا أَوَّلَ طَلْقٍ مِثْلَ الرِّيحِ كَمَا وَصَفَ لَهُمُ وَالثَّانِي
 كَالْفَرَسِ الْجَوَادِ وَالثَّلَاثُ جَعَلَ يَكْبُو وَيَعْتَرُ وَيَقَعُ عَلَى وَجْهِهِ . فَقَالَ ثَابِتُ .
 خَذُوهُ . فَعَدُّوا بِاجْمَعِمْ . فَلَمَّا أَنْ نَفَّسُوا عَنْهُ شَيْئًا عَدَا تَأْبِطُ شَرًّا فِي كِتَافِهِ .
 وَعَارَضَهُ ابْنُ بَرَّاقٍ فَقَطَعَ كِتَافَهُ وَأَفْلَتَا جَمِيعًا . فَقَالَ تَأْبِطُ شَرًّا :

يَا عَبْدُ مَا لَكَ مِنْ شَوْقٍ وَإِبْرَاقٍ وَمَرَّ طَيْفٍ عَلَى الْإِهْوَالِ طَرَّاقٍ^١
 يَسْرِي عَلَى الْإَيْنِ وَالْحَيَاتِ مُحْتَفِيًا نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ سَارِ عَلَى سَاقٍ^٢
 وَأَمَّا الْمُفْضَلُ الضُّبِّيُّ فَذَكَرَ أَنَّ تَأْبِطُ شَرًّا وَعَمْرُو بْنُ بَرَّاقٍ وَالشَّنْفَرِيُّ غَزَوْا
 بِجَيْلَةٍ فَلَمْ يَظْفَرُوا مِنْهُمْ بِغَرَّةٍ . وَثَارُوا إِلَيْهِمْ فَأَسْرَوْا عَمْرًا وَكَتَفُوهُ .
 وَأَقْلَتَهُمُ الْآخِرَانُ عَدُوًّا . فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهَا . فَلَمَّا عَلِمَا أَنَّ ابْنَ بَرَّاقٍ قَدْ أُسِرَ
 قَالَ تَأْبِطُ شَرًّا لِصَاحِبِهِ : امْضُ فَكُنْ قَرِيبًا مِنْ عَمْرٍو فَإِنِّي سَاتِرَاءِي لَهُمْ
 وَأُطِيعُهُمْ فِي نَفْسِي حَتَّى يَتْبَاعِدُوا عَنْهُ . فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَحُلِّ كِتَافَهُ

(١) العبد ما اعتاده الإنسان من م أو شوق أو مرض أو ذكر . والابراق
 مصدر آرقه وطرَّق يطرق أي يأتي في الليل (٢) الأين والام ضرب من
 الحيات والاین أيضاً الأعياء . ومحتف حاف .

وانجروا . ففعل ما امره به . واقبل تأبط شراً حتى تراءى لبجيلة . فلما رأوه طبعوا فيه فطلبوه وجعل يطعمهم في نفسه ويعدو عدواً خفيفاً يقرب فيه ويسألهم تخفيف الفدية وإعطائه الأمان حتى يستأسر لهم وهم يُجيبونه الى ذلك ويطلبونه وهو يحضر إحضاراً خفيفاً ولا يتباعد . حتى علا قلعة اشرف منها على صاحبيه فاذا هما قد زجروا . ففطنت لها بجيلة فألحقتها طلباً . ففاتاهم . فقال : يا معشر بجيلة أتعجبكم عدو ابن براق اليوم والله لا عدون لكم عدواً أنسيكم به عدوه . ثم عدا عدواً شديداً ومضى . وذلك قوله : « يا عيد مالك من شوق و ابراق »

(قالوا) وكان من حديثه انه خرج غازياً يريد بجيلة هو ورجل معه وهو يريد ان يغترهم فيصيب حاجته . فأتى ناحية منهم فقتل رجلاً ثم استاق غنماً كثيرة . فندروا به فتبعه بعضهم على خيل وبعضهم رجالة وهم كثير . فلما رأهم وكان من أبصر الناس عرف وجوهم . فقال لصاحبه : هؤلاء قوم قد عرفتهم ولن ينفارقونا اليوم حتى يقاتلونا ويظفروا بجاجتهم . فجعل صاحبه ينظر فيقول : ما أتيتن احداً . حتى اذا دهمها قال لصاحبه : اشتد فاني سأمنعك ما دام في يدي سهم . فاشتد الرجل ولقيهم تأبط شراً وجعل يرميهم حتى نفذت نبله . ثم انه اشتد فر بصاحبه . فلم يُطق شدة . فقتل صاحبه وهو ابن عم زوجته . فلما رجع تأبط شراً وليس صاحبه معه عرفوا انه قد قتل . فقالت له امراته : تركت صاحبك وجئت متباطناً . فقال تأبط شراً في ذلك :

الا تليكما عوسي منيعة ضمنت من الله انما مستسراً وعالنا
تقول تركت صاحباً لك ضائعاً وجئت الينا فارقاً متباطناً

اذا ما تركتُ صاحبي لثلاثة او اثنين مثلينا فلا أبتُ آمنا
 وما كنتُ أبأءَ على الجِلِّ اذ دعا ولا المرء يدعوني ممراً مُداهنا
 قال الاثرم : قال ابو عمرو في هذه الرواية : وخرج تابطُ شراً يريد ان يغزو
 هذيلًا في رهط . فقتل على الاجل بن فنضل رجل من بجيلة وكان بينهما
 حلف . فانزلهم ورحب بهم . ثم انه ابتغى لهم الذراريح^(١) ليستقيم فيستريح
 منهم . ففطن له تابطُ شراً فقام الى اصحابه فقال : اني احب ان لا يعلم
 انا فطننا له . سائبوه حتى نحلف ان لا ناكل من طعامه ثم اغتره فأقتله
 لانه ان علم حذرني . وقد كان مالاً ابن فنضل رجل منهم يقال له
 لكيز فثلب فيهم اخاه فاعتل عليه وعلى اصحابه فسبوه وحلفوا ان لا
 يذوقوا من طعامه ولا من شرابه . ثم خرج في وجهه وأخذ في بطن واد
 فيه النمرور وهي لا يكاد يسلم منها احد . والعرب تسمي التمر ذا
 اللونين وبعضهم يسميها السبنتي . فقتل في بطنه وقال لاصحابه : انطلقوا
 جميعاً فتصيدوا فهذا الوادي كثير الأروى . فخرجوا وصادوا وتركوه في
 بطن الوادي فجاءوا فوجدوه قد قتل غمراً وحده وغزا هذيلًا فغنم
 واصاب . فقال تابطُ شراً في ذلك :
 اقسمتُ لا انسى وان طال عيشنا صنيعَ لكيزِ والاجلَ بن فنضلِ
 تولنا به يوماً فساء صباحنا فانك عمري قد ترى اي منزلِ
 بكى اذ رأنا نازلين ببابه وكيف بكاء ذي القليل المعيلِ
 وقال ايضاً في هذه الرواية : كان تابطُ شراً يشتر عسلًا في غار من بلاد
 هذيل يأتيه كل عام وان هذيلًا ذكوته فرصدوه لابان ذلك حتى اذا

(١) الذراريح نوع من الذباب هو سم قاتل

جاء هو واصحابه تدلّى فدخل الغار وقد أغاروا عليهم فأنفروهم فسبقوهم ووقفوا على الغار فحركوا الحبل فاطلع تلبط شراً راسه . فقالوا : اصعد . فقال : ألا اراكم . قالوا : بلى . قد رأيتنا . فقال : فعلام اصعد أعلى الطلّاقة أم الفداء . قالوا : لا شرط لك . قال : فاراكم قاتلي وآكلي جنائي . لا والله لا أفعل . (قال) وكان قبل ذلك نقب في الغار نقباً اعده للهرب . (قال) فحصل يُسيل العسل من الغار ويهريته . ثم عمد الى الزرق فشده الى صدره ثم لصق بالعسل فلم يبرح يتزلّج عليه حتى خرج سليماً وفاتهم وبين موضعه الذي وقع فيه وبين القوم مسيرة ثلاث . فقال تلبط شراً في ذلك :

اقول للحيان وقد صغرت لهم	وطايي ويومي ضيق الحجر معور ^(١)
لكم نخلة إما فداء ومينة	واما دم ^(٢) والتقل بالحر اجدر
وأخرى اصادي ^(٣) النفس عنها وانها	لمورد حزم ان ظفرت ومصدر
فرشت لها صدري فزل عن الصفا	به جوجو صلب ^(٤) ومتن مختصر ^(٥)
فخالط سهل الارض لم يكدح الصفا	به كدحة والموت خزيان ينظر
فأبت الى فهم ^(٦) وما كنت آتياً	وكم مثلها فارقتها وهي تصفر
اذا المرء لم يمتثل وقد جدّ جدّه	أضاع وقاسى امره وهو مدبر
ولكن اخو الحزم الذي ليس نازلاً	به الامر الآ وهو للحزم مبصر

(١) لحيان بطن من هذيل . والحجر الناحية . ومعور اي بدت عورته وهي موضع المخافة . (٢) المصاداة ادارة الرأي في تدبير الشيء . (٣) الجوجو الصدر . مختصر دقيق . (٤) فهم قبيلة تلبط شراً .

فذاك قريعُ الدهر ما كان حَوْلُ^١ اذا سُدَّ منه مِنْخَرٌ جاشَ مِنْخَرُ^١
فانك لو قاسيت بالصَبِ حيلتي بلحيانَ لم يقصر بي الدهرُ مقصرُ
وقال ايضاً في حديث تابط شراً انه خرج في عدَّة من فهم فيهم عامر
ابن الاخنس والشنفرى والمسيب وعمرو بن براق ومرَّة بن خليف حتى
بيتوا النوص وهم حي من بجيلة فقتلوا منهم نقرأ واخذوا لهم ابلاً
فساقوها حتى كانوا من بلادهم على يوم وايلة فاعترضت لهم خشم
وفيهم ابن حاجر وهو رئيس القوم وهم يومئذ نحو من اربعين رجلاً .
فلما نظرت اليهم صعايك فهم قالوا لعامر بن الاخنس : ماذا ترى . قال :
لا ارى لكم الا صدق الضراب فان قتلتم كنتم قد اخذتم ثأركم . قال
تابط شرا : بأبي انت وامى فنعم رئيس القوم انت اذا جدَّ الجدُّ واذا
كان قد اجمع رأيكم على هذا فاني ارى لكم ان تحملوا على القوم
حملة واحدة فانكم قليل والقوم كثير ومتى افتدقتم كثركم القوم . فحملوا
عليهم فقتلوا في حملتهم . فحملوا ثانية فانهم خشم وتفرقت . واقبل
ابن حاجر فأسند في الجبل^٢ فاعجز . فقال تابط شراً في ذلك :

جزى الله قتياناً على العوص امطرت سماؤهم تحت العجاجة بالدم
وقد لاح ضوء الفجر عرضاً كأنه بلمحتة اقراب ابلق ادهم
فان شفاء الداء إدراك ذله صياح على آثار حوم عرصرم
وضاربتهم بالسفح اذ عارضتهم قبائل من ابنا قسر وخشم

(١) قريع الدهر الذي قرَّعه الدهر بنوائبه حتى جرب وتدبر . حَوْل بصير
بتحويل الامور . جاش تحرك واضطرب . هذا مثل للمكروب المضيق عليه
والمنى لا يؤخذ عليه طريق الا فخذ من طريق اخرى (٢) اسند في الجبل رقي

ضراباً عدا منه ابن حاجز هارباً
وقال الشنفرى في ذلك :

دعيني وتحولي بعد ما شئت اني
خرجنا فلم نعهد وقلت وصاتنا
سراحين^(١) فتيان كان وجوههم
نمر برهو الماء صفحاً وقد طوت
ثلاثاً على الاقدام حتى سما بنا
فثاروا الينا في السواد فهججوا
فشن عليهم هزة السيف ثابت
وظلت بفتيان معي اتقيهم
وقد خر منهم راجلان وفارس
يشن اليه كل ريع وقلعة
فلما رانا قومنا قيل افلحوا

سيفدى بنعشي مرة فأغيب
ثمانية ما بعدها متعب
مصاييح او لون من الماء مذهب
ثمانلنا والزاذ ظن مغيب
على العوص شعشاع من القوم محرب
وصوت فينا بالصباح المثوب
وصم فيهم بالحسام المسيب
بين قليلاً ساعة ثم خيبوا
كمي صرعناه وحوم^(٢) مسلب
ثمانية والقوم رحل ومقنب
فقلنا اسألوا عن قائل لا يكذب

مقتل عمرو ذي الكلب

هو عمرو بن العجلان . قال ابن الاعرابي : انه سمي ذا الكلب
لانه كان له كلب لا يفارقه . وعن الاثرم عن ابي عبيدة انه قال : لم يكن

(١) عدا ذرى الصخر اي تجاوز ذروة الجبل . والجدر والجدار واحد .
والوجين الارض الغليظة الصلبة . وردم بالمكان اقام به . يشير الى صنيع ابن
حاجز اذ اسند في الجبل . (٢) سراحين جمع سرحان وهو الذئب والاسد .
(٣) في الاصل « الحوم » بالخاء المعجمة . الحوم الابل الكثيرة .

لَهُ كَلْبٌ لَا يَفَارِقُهُ . إِنَّمَا خَرَجَ غَازِيًا وَمَعَهُ كَلْبٌ يَصْطَادُ بِهِ . فَقَالَ لَهُ
اصْحَابُهُ : يَا ذَا الْكَلْبِ . قُتِبْتَ عَلَيْهِ . (قَالَ) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ لَهُ
عَمْرُو الْكَلْبِ وَلَا يَقُولُ فِيهِ ذُو . (قَالَ) وَكَانَ يَغْزُو بَنِي فِهْمٍ غَزْوًا
مُتَّصِلًا . فَتَمَّ لَيْلَةً فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ فَوَثَبَ عَلَيْهِ ثَمْرَانٌ فَأَكَلَاهُ . فَادَّعَتْ
فِهْمٌ قَتْلَهُ . هَكَذَا فِي هَذِهِ الرَّوَايَةِ . وَاخْتَرْتُ كَثِيرًا مِنَ الرَّوَاةِ قَالُوا : كَانَ مِنْ
حَدِيثِ عَمْرُو ذِي الْكَلْبِ الْهُذَلِيِّ وَكَانَ مِنْ رَجَالِهِمْ أَنَّ إِنْسَانًا كَانُوا قَدِ
وَجَدُوا عَلَيْهِ وَطَلَبُوا دَمَهُ إِلَى أَنْ جَاءَهُمْ عَامًا مِنْ ذَلِكَ فَتَنَذَرُوا بِهِ
فَخَرَجُوا فِي آثَرِهِ . وَخَرَجَ هَارِبًا مِنْهُمْ . فَتَبِعُوهُ يَوْمَ ذَلِكَ وَهُمْ عَلَى آثَرِهِ
حَتَّى أَمْسَى وَهَاجَتْ عَلَيْهِ رِيحٌ شَدِيدَةٌ فِي لَيْلَةٍ ظُلْمَاءَ . فَبَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ عَلَى
ظَهْرِ الطَّرِيقِ إِذْ رَأَى نَارًا عَنْ يَمِينِهِ فَقَالَ : أَخْطَأْتُ وَاللَّهِ الطَّرِيقَ وَإِنَّ
النَّارَ لَعَلَى الطَّرِيقِ . فَحَارَ وَشَكَّ وَقَصَدَ لِلنَّارِ حَتَّى آتَاهَا وَقَدْ كَانَ يَصِيحُ .
فَإِذَا رَجُلٌ قَدْ أَوْقَدَ نَارًا لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ . فَقَالَ لَهُ عَمْرُو ذُو الْكَلْبِ : مَنْ
أَنْتَ . قَالَ : أَنَا رَجُلٌ مِنْ عَدُوَانِ . قَالَ : فَمَا اسْمُ هَذَا الْمَكَانِ . قَالَ : السَّدُ .
فَعَلِمَ أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ وَأَخْطَأَ . وَالسَّدُ شَيْءٌ لَا يُجَاوِزُ . قَالَ : وَبَيْتُكَ فَلَمْ أَوْقِدْ
فَوَاللَّهِ مَا تَشْرَبُ وَلَا تَصْطَلِي . وَمَا أَوْقِدْتَ إِلَّا لَمَنِيَّةَ عَمْرُو الشَّقِيِّ . هَلْ
عِنْدَكَ شَيْءٌ تَطْعِمَنِي . قَالَ : نَعَمْ . فَأَخْرَجَ لَهُ تَمْرَاتٍ قَدْ نَقَّاهَا فِي يَدِهِ . فَلَمَّا
رَأَاهَا قَالَ : تَمْرَاتٌ تَتَّبِعُهَا عِبْرَاتٌ مِنْ نِسَاءِ خَفِرَاتٍ . ثُمَّ قَالَ : اسْقِنِي . قَالَ : مَاذَا
أَلْبَنَاءُ . قَالَ : لَا وَلَكِنْ اسْقِنِي مَاءَ قَرَاخَا . فَأَنِي مَقْتُولٌ صَبَاحًا . ثُمَّ انْطَلَقَ
فَأَسْنَدَ فِي السَّدِ . وَرَأَى الْقَوْمَ الَّذِينَ جَاءُوا فِي طَلْبِهِ آثَرَهُ حَيْثُ أَخْطَأَ .
فَاتَّبَعُوهُ حَتَّى وَجَدُوهُ فَدَخَلَ غَارًا فِي السَّدِ . فَلَمَّا ظَهَرُوا لِلسَّدِ عَلِمُوا أَنَّهُ
فِي الْغَارِ فَنَادَوْهُ فَقَالُوا : يَا عَمْرُو . قَالَ : مَا تَشَاءُونَ . قَالُوا : أَخْرِجْ . قَالَ :

فلمَ دخلتُ اذن . قالوا : بلى فاخرج . قال : لا اخرج . قالوا : فانشدنا قولك :

وَمَقْعَدِ كُرْبِيَّةٍ قَدْ كُنْتُ فِيهَا مَكَانَ الْاَصْبَعَيْنِ مِنَ الْقِبَالِ^(١)
 قال : ها هي ذه انا فيها . (قال) وعنَّ له رجل من القوم فرماه عمرو
 فقتله . فقالوا : اُقتلته يا عدو الله . فقال : أجل ولقد بقيت معي اربعة اسهم
 كانها انياب ام جليحة^(٢) لا تصلون اليَّ او اُقتل بكل سهم منها رجلاً
 منكم . فقالوا لعبداهم : يا ابا نجاد ادخل عليه وانت حر . فتهيأ للدخول
 ابو نجاد . فقال له عمرو : ويلك يا ابا نجاد ما ينفعك ان تكون حراً
 اذا قتلتك . فنكصوا عنه . فلما رأوا ذلك صعدا فنقبوا عليه ثم رموه
 حتى قتلوه واخذوا سلبه فرجعوا به الى ام جليحة وهي تشوف^(٣) . فلما
 رأوها قالوا لها : يا ام جليحة ما رأيك في عمرو . قالت : رأيت والله انكم
 طلبتموه سريعاً . ووجدتموه تبيعاً . ووضعتموه سريعاً . فقالوا : والله لقد
 قتلناه . فقالت : والله ما اراكم قد فعلتم ولئن كنتم فعلتم لرب تدي منكم
 قد افترشهُ . وضب^(٤) قد احترشهُ فطرحوا اليها ثيابه فاخذتها فقالت :
 ربيع عطر وثوب عمرو . اما والله ما وجدتموه ذا حجرة جافية . ولا ضالة
 كافية . وقالت ربيعة اخت عمرو ذي الكلب ترثيه :
 كل امرئ يحال الدهر^(٥) مكذوب^(٦) وكلُّ منْ غالبَ الايامَ مغلوب^(٧)

(١) القبال زمام النعل (٢) ام جليحة امرأة كان ينسب بها

(٣) تشوف تترين (٤) احترشه اصطاده والاحتراش في الاصل ان

يجرك الصياد يده على جحر الضب ليظنه حبة فيخرج ذنبه ليضربها فيأخذها

(٥) محال الدهر كيد

وكل حي وان عزوا وان سلموا يوماً طريقهم في الشر دُعُوبٌ^(١)
أبلغ هذيلًا وابلغ من يُبلغها عني رسولاً وبعض الغي تكذيبُ
بانَ ذا الكلب عمراً خيراً نسباً بطنِ شريان يعوي حوله الذيبُ
الطاعنُ الطعنةَ الذجلاء يتبعها مُتَعَجِرٌ من نجيع الجوف أسكوبٌ^(٢)
والتاركُ القرنَ مُصفرًا اناملهُ كأنهُ من رجيع الجوف مخضوبُ
تشي النورُ اليه وهي لاهية^(٣) مَشِي العذارى عليهن الجلايبُ
والمُخرجُ العاتقَ العذراءَ مُذعِنَةً في السبي ينفعُ من أردانها الطيبُ

الخنساء وهند بنت عتبة

حدث عبد الرحمان بن ابي الزناد قال: لما كانت وقعة بدر قُتل فيها
عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة . فأقبلت هند بنت عتبة
ترثيهم . وبلغها تسويم الخنساء هودجها في الأوسم ومعاظمتها العرب
بصيتها بأبيها عمرو بن الشريد واخويها صخر ومعاوية وانها جعلت
تشهد الموسم وتبكيهم وقد سومت هودجها براية وانها تقول: انا اعظم
العرب مصيبةً . وان العرب قد عرفت لها بعض ذلك . فلما أُصيبت هند با
اصيبت وبلغها ذلك قالت: انا اعظم من الخنساء مصيبة . وأمرت
يهودجها فسوم براية وشهدت الموسم بعكاظ وكانت سوقاً يجمع فيها
العرب فقالت: اقرنوا جملي بجمال الخنساء . ففعلوا . فلما أن دنت منها قالت
لها الخنساء: من أنت يا أختي . قالت: انا هند بنت عتبة اعظم العرب

(١) دُعُوب طريق مذلل موطوء واضح يسلكه الناس (٢) متعجر يسيل
يتبع بعضه بعضاً . اسكوب دائم المعلان جار ساكب (٣) لاهية لاخا آمنة منه

مصيبة . وقد بلغني انك تعاضمين العرب بمصيتك فجم تعاضمينهم . فقالت
 الخنساء : بعمر بن الشريد وصخر ومعاوية ابني عمرو . وجم تعاضمينهم
 انت . قالت : بأبي عتبة بن ابي ربيعة وعمي شيبة بن ربيعة واخي الوليد .
 قالت الخنساء : او سواهم عندك . ثم انشدت تقول :

ابكي ابي عمراً بعين غزيرة
 وصنوي لا انسى معاوية الذي
 وصخرأ ومن ذا مثل صخر اذا غدا
 فذلك يا هند الرزية فاعلمي
 فقالت هند تحيها :

قليل اذا نام الخلي هجودها
 له من سراة الحرتين وفودها
 بسهبة الابطال قبا يقودها
 ونيران حرب حين شب وقودها
 ابكي عميد الابطحين كليهما
 ابي عتبة الخيرات ويحك فاعلمي
 اولئك آل المجد من آل غالب
 وقالت لها ايضاً يومئذ :

من حسن لي الاخوين م كالغصنين او من رآهما
 قرمان لا يتظالما ن ولا يرام حاهما
 ويلي على ابوي والقبر م الذي واراها
 لا مثل كهلي في الكهو ل ولا فتى كفتاهما
 أسدان لا يتدلا ن ولا يرام حاهما
 رحين خطين في كبد السماء تراهما
 ما خلفا اذ ودعا في سودد شرواهما
 سادا بغير تكلف عفواً يفيض فداها

حسان بن ثابت وعمرو بن الحرث

قال ابو عمرو الشيباني : قال حسان بن ثابت : قدمتُ على عمرو بن الحرث فاعتاص الوصول عليّ اليه فقلت للحاجب بعد مدة : ان اذنت لي عليه والّا هجوت اليمن كلها ثم انقلبتُ عنكم . فأذن لي . فدخلتُ عليه فوجدت عنده النابغة وهو جالس عن يمينه وعلقمة بن عبدة وهو جالس عن يساره . فقال لي : يا ابن الفريعة قد عرفت عيصك^(١) ونسبك في غسان فارجع فاني باعث اليك بصلة سنية ولا احتاج الى الشعر فاني اخاف عليك هذين السبعين النابغة وعلقمة ان يفضحاك وفضيحتك فضيحتي وانت والله لا تُحسِن ان تقول :

رِفاقِ النعالِ طيبٌ حُجْراتهمُ يُجَيِّونَ بالريحانِ يومَ السباسبِ
فأبيتُ وقلت : لا بدّ منه . فقال : ذاك الى عمّيك . فقلت لها : بحق الملك
الّا قدّمتماني عليكما . فقالا : قد فعلنا . فقال عمرو بن الحرث : هات يا ابن
الفريعة . فانشأت :

أَسَأَلَتْ رَسْمَ الدارِ امْ لَمْ تَسْأَلِ
لِللَّهِ دَرُّ عِصَابَةٍ نَادَمْتُهَا
بين الجوابي فالْبَضِيعِ فحَوْمَلِ
يَوْمًا مَجَلَّقَ^(٢) فِي الزَّمَانِ الأوَّلِ
قَبْرَ ابْنِ مَارِيَةَ^(٣) الكَرِيمِ المَفْضَلِ
كَأَسَأَ^(٤) يُصَفِّقُ بِالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ
أولادُ جَفْنَةٍ عِنْدَ قَبْرِ أبِيهِمْ
يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ البَرِيصَ عَلَيْهِمْ

(١) العيص الاصل (٢) جلق اسم مدينة دمشق (٣) مارية بنت ظالم الكنديّة أم الحرث الاعرج . وهي ذات الفرطين اللذين يضرب بها المثل فيقال لما يغلى به الثمن بقرطي مارية . وواختها هند الهنود امرأة حجر آكل المرار (٤) يروي « بردى » عوض « كأساً » يريد ماء نهر بردى . والبريص

يعشون حتى ما تهرّ كلابهم لا يدألون عن السواد المُقِيلِ
 بيض الوجوه كريمةً احسابهم شُمُّ الانوف من الطراز الاولِ
 (فقال) فلم يزل عمرو بن الحرث يزحل عن موضعه سروراً حتى شاطر
 البيت . وهو يقول : هذا وأبيك الشعرُ لا ما يعللاني به منذ اليوم . هذه
 والله البتّة التي قد بترت المدائح . احسنت يا ابن الفريعة . هات له
 يا غلام الف دينار مرجوحة^(١) . فأعطيتُ ذلك . ثم قال : لك عليّ في كل
 سنة مثلها . ثم أقبل على النابتة فقال : قم يا زياد فهات الثناء المسجوع .
 فقام النابتة فقال : الا أنعم صباحاً ايها الملك المبارك . السماء غطاؤك .
 والارض وِطاؤك . ووالدي فداؤك . والعرب وِقاؤك . والعجم حماؤك .
 والحكما جلساؤك . والمداره سُتارك . والمقاول إخوانك . والعقل سُعارك .
 والجلم دِنارك . والسكينة مهادك . والوقار غشاؤك . والبر وِسادك .
 والصدق رِداؤك . واليمن حِداؤك . والسَخاء ظهارتك . والحمية
 بِطانتك . والعلاء غايتك . واكرم الأحياء أحياءك . واشرف الأجداد
 اجدادك . وخير الآباء آباؤك . وأفضل الاعمام اعمامك . واسرى الاخوان
 اخوالك . وأعفُ النساء حلائلك . وأفخر الشبان أبناؤك . وأطهر الأمهات
 أمهاتك . وأعلى البنيان بنيانك . وأعذب المياه امواهك . وافيح الدارات
 داراتك . واتزه الحداثق حدائقك . وأرفع اللباس لباسك . قد حالف
 الإضريح^(٢) عاتقك . ولاءم المسك مسكك . وجاور العنبر ترائبك .
 وصاحب النعيم جسدك . العسجد آنتك . واللّجين صحافك . والعصب

اسم غوطة دمشق (١) مرجوحة هي التي في كل دينار عشرة دنائير

(٢) الاضريح الخنز

مَناديلك . والحَوَّارِي طَعَامِك . والشَّهْد إِدَامِك . والحُرْطُوم شَرَابِك .
والإِشْرَاف مَنَاصِفِك " . والحَيْر بِنَائِك . والشَّرَّ بِسَاحَةِ اِعْدَائِك .
والنَّصْر مَنُوط بِلِوَائِك . والجِذْلَان مَعَ أَلِيَّةِ حُسَّادِك . وَالِإِرَّ فِعْلِك . قَد
طَحَطِح عَدُوَّكَ غَضْبُكَ . وَهَزَم مَقَانِبَهُمْ مَشْهَدِك . وَسَار فِي النَّاسِ عَدْلِك .
وَشَسِعَ بِالنَّصْرِ ذِكْرُكَ . وَسَكَّنَ قَوَارِعَ اِلْاِعْدَاءِ ظَفْرُكَ . الذَّهَبَ عَطَاوُكَ .
وَالدَّوَاةَ رَمَزُكَ . وَالْأَوْرَاقَ لِحْطُكَ . وَالغَنَى إِطْرَاقُكَ . وَالْفَ دِينَارٌ مَرْجُوحَةٌ
أَيَاوُوك . أَيَفَاخِرُكَ الْمَنْذَرُ اللَّخْمِي . فَوَاللَّهِ لَأَقْفَاكَ خَيْرٌ مِنْ وَجْهِهِ وَلِشِمَالِكَ خَيْرٌ
مِنْ يَمِينِهِ . وَلَاخْمُصُكَ خَيْرٌ مِنْ رَأْسِهِ . وَلِحَطَّأُكَ خَيْرٌ مِنْ صَوَابِهِ . وَلَصَّتْكَ
خَيْرٌ مِنْ كَلَامِهِ . وَلَاأُمُّكَ خَيْرٌ مِنْ أَبِيهِ . وَلِحُدْمِكَ خَيْرٌ مِنْ قَوْمِهِ . فَهَبْ لِي
أَسَارِي قَوْمِي وَاسْتَرْهِنْ بِذَلِكَ شُكْرِي . فَانْكَ مِنْ إِشْرَافِ قَحْطَانَ . وَأَنَا
مِنْ سَرَوَاتِ عَدْنَانَ . فَرَفَعَ عَمْرُو رَأْسَهُ إِلَى جَارِيَةٍ كَانَتْ قَائِمَةً عَلَى رَأْسِهِ
وَقَالَ : بِمِثْلِ هَذَا فَلَيْثُنَ عَلَى الْمَلُوكِ وَمِثْلُ ابْنِ الْفَرِيعةِ فَلْيَسُدِّحْهُمْ . وَأَطْلَقَ
لَهُ أَسْرَى قَوْمِهِ . وَذَكَرَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ هَذِهِ الْقِصَّةَ نَحْوَ هَذَا وَقَالَ : فَقَالَ لَهُ
عَمْرُو : اجْعَلِ الْمَفَاضِلَةَ بَيْنِي وَبَيْنَ الْمَنْذَرِ شِعْرًا فَإِنَّهُ أَسِيرٌ . فَقَالَ :

وُنُبِثْتُ أَنَّ أَبَا مَنْذَرٍ يُسَامِيكَ لِلْحَدِيثِ الْكَبِيرِ
قَدْ أَلْكَ أَحْسَنُ مِنْ وَجْهِهِ وَأُمُّكَ خَيْرٌ مِنَ الْمَنْذَرِ
وَيُسْرَاكَ أَجْوَدُ مِنْ كَفِّهِ مِ الْيَمِينِ فَقُولَا لَهُ آخِرَ

حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ وَالنَّابِغَةُ عِنْدَ النِّعْمَانَ

قال حسان بن ثابت : قدمت على النعمان بن المنذر وقد امتدحته .

فأتيت حاجبه عصام بن شهبة فجلست إليه . فقال : اني لأرى عربياً أفمن الحجاز انت . قلت : نعم . قال : فكن قحطانياً . قلت : فانا قحطاني . قال : فكن يثربياً . قلت : فانا يثربي . قال : فكن خزرجياً . قلت : فانا خزرجي . قال : فكن حسان بن ثابت . قلت : فانا هو . قال : أجنث بيدحة الملك . قلت : نعم . قال : فاني ارشدك اذا دخلت عليه فانه يسألك عن جبلة بن الايهم ويسبُّه فأياك ان تساعدته على ذلك ولكن أمرٌ ذكره إمراراً لا توافق فيه ولا تخالف وقل : ما دخول مثلي ايها الملك بينك وبين جبلة وهو منك وانت منه . وان دعاك الى الطعام فلا تؤاكله فان اقدم عليك فأصب منه اليسير إصابة بارٍ قسمه مستشرف بمواكلته لا اكل جائع . سبب . ولا تُطِلْ محادثته ولا تبدأه باخبار عن شيء حتى يكون هو للمائل لك . ولا تُطِلْ الاقامة في مجلسه . فقلت : أحسن الله ريقك قد اوصيت واعياً . ودخل . ثم خرج اليّ فقال لي : ادخل . فدخلت فسلمت وحييت تحية الملوك . فجاراني من امر جبلة ما قاله عصام كأقوة كان حاضراً وأجبت بما امرني . ثم استأذنته في الانشاد فأذن لي فانشدته . ثم دعا بالطعام ففعلت ما امرني عصام به وبالشراب ففعلت مثل ذلك . فأمر لي بمجازة سنية وخرجت . فقال لي عصام : بقيت عليّ واحدة لم أوصك بها . قد بلغني ان النابغة الذبياني قدم عليه واذا قدم فليس لأحد منه حظٌ سواه فاستأذن حينئذٍ وانصرف مكرماً خيراً من ان تنصرف مجفواً . فأتمت ببابه شهراً . ثم قدم عليه الفزاريان وكان بينهما دُخْلٌ^١ وكان معها النابغة قد استجار بها وسألها مسألة النعمان أن يرضى عنه .

فضرب عليها قبة من آدم ولم يشعر بانّ النابغة معها
وقال ابو زيد عمر بن شبة في خبره : لما صار معها الى النعمان كان
يرسل اليهما بطيب وألطف مع قينة من إمامه . فكأنا يأمرانها ان تبدأ
بالنابغة قبلهما . فذكرت ذلك للنعمان فعلم انه النابغة . ثم القى عليها
شعره « يا دار مية بالعلياء فالسند » وسألها ان تغنيه به اذا اخذت فيه
الحمر . ففعلت . فاطربته . فقال : هذا شعر علوي هذا شعر النابغة .
(قال) ثم خرج في غب سماء^١ . فعارضه الفزاريان والنابغة بينهما قد
خضب بجناء فأقنأ خضابه . فلما رآه النعمان قال : هي بدم كانت أحرى
ان تخضب . فقال الفزاريان : أبيت اللعن لا تثريب قد اجناه والعفو
أجل . فأمنه واستنشه أشعاره . فعند ذلك قال حسان بن ثابت :
فحسدته على ثلاث لا ادري على أيتها كنت له أشد حسداً على إدياء
النعمان له بعد المباعدة ومسامرته له وإصغائه اليه أم على جودة شعره
ام على مائة بعير من عصافيره امر له بها

قال أبو عبيدة : قيل لأبي عمرو : أفمن مخافته امتدحه واتاه بعد
هربه منه أم لغير ذلك . فقال : لا لعمر الله ما لمخافته فعل إن كان لآمناً
من ان يوجه النعمان له جيشاً وما كانت عشيرته لتسليه لاؤل وهلة .
ولكنه رغب في عطاياه وعصافيره . وكان النابغة يأكل ويشرب في آنية
الفضة والذهب من عطايا النعمان وأبيه وجدّه . لا يستعمل غير ذلك .
وقيل ان السبب في رجوعه الى النعمان بعد هربه منه انه بلغه انه عليل
لا يرجي فأقلقه ذلك ولم يملك الصبر على البعد عنه مع علته وما خافه

عليه وأشفق من حدوثه به . فصار اليه وألفاه محمواً على سريره يُنقل ما بين العُمر وقصور الحيرة . فقال لعصام بن شهيرة حاجبه فيما أخبرنا به اليزيدي :

ألم أقسم عليك لتخبرني أحمول على النعش الهام^(١)
فاني لا الومك في دخولي^(٢) ولكن ما ورائك يا عصام^٣
فان يهلك أبو قابوس يهلك ربيع الناس والشهر الحرام^(٤)
ويُمسك بعده بذناب عيش اجب^(٥) الظهر ليس له سنام

حسان بن ثابت وقيس بن الخطيم

حدث عبدالله بن الحرث قال : شرب حسان بن ثابت يوماً مع سلام بن مشكم وكان له نديماً معهم كعب بن اسد وعبدالله بن أبي قيس بن الخطيم . فاسرع الشراب فيهم وكانوا في مُوادة وقد وضعت الحرب أوزارها بينهم . فقال قيس بن الخطيم لحسان : تعال أشاركك . فتشاربا في اناء عظيم فأبقى من الاناء شيئاً . فقال له قيس : اشربه . فقال حسان وعرف الشر في وجهه : او خيراً من ذلك اجعل لك العلبة . قال :

(١) قال ابو عبيدة : كانت ملوك العرب اذا مرض احدهم حملته الرجال على اكتافها يتعاقبون فيكون كذلك على اكتاف الرجال لانه عندهم اوطأ من الارض (٢) اي لا الومك في ترك الاذن لي في الدخول ولكن اخبرني بكنه امره (٣) يريد انه كالربيع في الخصب لمجتيديه وكالشهر الحرام لجاره لا يوصل الى من اجاره كما لا يوصل في الشهر الحرام الى احد (٤) اجب مقطوع السنام

لا إلا ان تشربه . فأبى حسان . وقال له سلام بن مشكم : يا ابا يزيد لا تُكرهه على ما لا يشتهي . انما دعوته لآكرامه ولم تدعه لتستخف به وتسي . مجالسته . فقال له قيس : أفتدعوني انت على ان تسيء مجالستي . فقال له سلام : ما في هذا سوء مجالسة وما حملت عليك الا لانك مني واني حليفك وليست عليك غضاضة في هذا وهذا رجل من الخزرج قد اكرمه وادخلته منزلي فيجب ان تُكرم لي من اكرمه . ولعمري ان في الصحو ما تكتفون به من حروبكم . فافترقوا وآلى سلام بن مشكم على نفسه ان لا يشرب سنة وقد بلغ هذا من نديه وكان كريماً

حجر آكل المرار وزياد بن الهبولة

هو حجر بن عمرو بن معاوية . اخبر الشرقي بن القطامي قال : اقبل تتبع ايام سار الى العراق فتزل بأرض معد فاستعمل عليهم حجر بن عمرو وهو آكل المرار . فلم يزل ملكاً حتى خرف . وله من الواد عمرو ومعاوية وهو الجون . ثم ان زياد بن الهبولة اغار عليه وهو ملك في ربيعة ابن تزار ومثله بنعمر ذي كندة . وكان قد غزا بربيعة البحرين فبلغ زياد غزاته فاقبل حتى اغار في مملكة حجر فاخذ مالا كثيراً وسي امرأة حجر وهي هند ابنة ظالم واخذ نسوة من نساء بكر بن وائل . فلما بلغ حجراً وبكر بن وائل مغاره وما اخذ اقبلوا معه ومعه يومئذ اشراف بكر بن وائل . فتعجل عمرو بن معاوية وعوف بن محلم وقالوا لججر : انا متعجلان الى الرجل لعلنا نأخذ منه بعض ما اصاب منا . فلقياه

دون عين أباغ فكلّمه عوف بن محلم وقال : يا خير القتيان اردد عليّ ما اخذته مني . فاعطاه اياه . وكلّمه عمرو بن معاوية في فحل ابله . فقال : خذهُ . فاخذهُ عمرو . وكان قوياً فجعل الفحل يترع الى الابل فاعتقلهُ عمرو فصرعه . فقال له ابن الهبولة : اما والله يا بني شيان لو كنتم تعتقلون الرجال كما تعتقلون الابل لكنتم انتم انتم . فقال عمرو : اما والله لقد وهبت قليلاً وشتمت جليلاً ولقد جرت على نفسك شراً وأتجدني عند ما ساءك . ثم ركض حتى صار الى حجر فاخبرهُ الخبر . فاقبل حجر في اصحابه حتى اذا كان بمكان يقال له الحخير بالبر وهو دون عين أباغ بعث سدوساً وصليعاً يتجسّسان له الخبر ويعلمان له علم العسكر . فخرجا حتى هجما على عسكره وقد اوقد ناراً ونادى مناد له : من جاء بحزمة من حطب فله فِدرة من تمر^١ . وكان ابن الهبولة قد اصاب في عسكر حجر تمرًا كثيراً . فضرب قبابه وأجج ناره ونثر التمر بين يديه فن جاء بحطب اعطاه تمرًا . فاحتطب سدوس وصليع ثم اتيا به ابن الهبولة فطرحاه بين يديه . فناولهما من التمر . وجلسا قريباً من القبة . فاما صليع فقال : هذه آية وعلم ما يريد فانصرف الى حجر فاعلمه بعسكره واره التمر . واما سدوس فقال : لا ابرح حتى آتية بأمر جلي . فلما ذهب هزيع من الليل اقبل ناس من اصحابه يجرسونه . وقد تفرّق اهل العسكر في كل ناحية . فضرب سدوس بيده الى جليس له فقال له : من انت . مخافة ان يستنكر . فقال : انا فلان بن فلان . قال : نعم . ودنا سدوس من القبة فكان حيث يسمع الكلام . فسمع ابن الهبولة يقول لهند فيما

يقول : ما ظنك الآن بحجر . قالت : ظني به والله انه لن يدع طلبك حتى يطالع القصور الحمر وكأني انظر اليه في فوارس من بني شيان يذمرهم ويذمرونه . وهو شديد الكلب سريع الطلب يُزبد شدقاہ كانه بعير آكل مرار^(١) . فسني حجراً آكل المرار يومئذ^(٢) (قال) فرفع يده فلطمها ثم قال : ما قلت هذا إلا من عجبك به وحبك له . فقالت : والله ما ابغضت ذا نسة قط بغضي له ولا رأيت رجلاً قط احزم منه نائماً ومستيقظاً . إن كان أتنام عيناه وبعض أعضائه حي لا ينام . وكان اذا اراد النوم امرني ان اجعل عنده عساً^(٣) مملوءاً لبناً . فبينما هو ذات ليلة نائم وانا قريبة منه انظر اليه اذ اقبل اسود سالخ^(٤) الى رأسه . ففتح رأسه . فقال الى يديه واحداهما مقبوضة والاخرى مبسوطة فاهوى اليها فقبضها . فقال الى رجليه وقد قبض واحدة وبسط الاخرى فاهوى اليها فقبضها . فقال الى العن شربة ثم مجّه . فقلت : يستيقظ فيشرب فيموت فاستريح منه . فانتبه من نومه فقال : علي بالانا . فتاولته . فشتمه

(١) المرار شجر مر اذا اكلته الابل قلصت عنه مشاقرها

(٢) وقد روي ان حجراً ليس يأكل المرار وانما ابوه الحرث آكل المرار . وروي ايضاً انه سمي آكل المرار لان سدوساً لما اتاه بنجر ابن الهبولة وحدثه بقول هند وقوله فجعل يسمع ذلك وهو يبيت بالمرار وهو نبت شديد المرارة وكان جالساً في موضع فيه منه شيء كثير فجعل يأكل من ذلك المرار غضباً وهو يسمع من سدوس ولا يعلم انه يأكله من شدة الغضب حتى انتهى سدوس الى آخر الحديث فعلم حينئذ بذلك ووجد طعمه فسمي يومئذ آكل المرار (٣) عس انا كبير (٤) اسود سالخ الشديد السواد من الحيات ويقال سالخ لانه يسلم جلوده كل عام

فاضطربت يدها حتى سقط الاناء فأهريق . وذلك كله بأذن سدوس .
فلما نامت الاحراس خرج يسري ليلته حتى صبح حجراً فقال :

اتاك المرجفون برجم^(١) غيب على دهش وجتتك باليقين

فمن يك قد اتاك بأمر لبس فقد آتى بأمر مستبين

ثم قص عليه جميع ما سمع . فأسف ونادى في الناس الرحيل .
فساروا حتى انتهوا الى عسكر ابن الهبولة فاقتتلوا قتالاً شديداً . فانهمز
اصحاب ابن الهبولة . وعرفه سدوس فحمل عليه فاعتنقه وصرعه فقتله .
وبصر به عمرو بن معاوية فشد عليه فأخذ رأسه منه . واخذ سدوس
سلبه . وأخذ حجر هندا فربطها بين فرسين ثم ركضا بها حتى قطعها
قطعاً

وقال ابو عبيدة في خبر ابن الهبولة ان سدوساً اسره وان عمرو بن
معاوية لما رآه معه حسده فطعنه فقتله . فغضب سدوس لذلك وقال :
قتلت أسيري وديته دية الملوك . وتحاكما الى حجر . فحكم لسدوس على
عمرو وقومه بدية ملك وأعانهم في ذلك بماله . وقال سدوس في ذلك
يعاتب بني شيان :

ما بعدكم عيش ولا معكم عيش لذي أنف ولا حسب

لولا بنو ذهل وجمع بني قيس وما جتعت من نسب

ما ستموني خطة غبناً وعلى ضرية رمت غلي

وقال حجر في هند :

لمن النار أوقدت بجفير لم ينم عند مُصطلٍ مقررٍ

(١) المرجفون الذين يولّدون الاخبار الكاذبة والرجم التكلم بالظن

اوقدتها احدى الهنود وقالت انت ذا موثق وثاق الاسير
 ان من غره النساء شيء بعد هند جاهل مغرور
 حلوه القول واللسان ومر كل شيء اجن منها الضير
 كل انثى وان بدا لك منها آية الحب حبا خيتور^(١)

المنذر بن ماء السماء وعبيد بن الابرص

كان من حديث عبيد بن الابرص وقتله ان المنذر بن ماء السماء
 بنى الغريين . فقيل له : ما تريد اليهما . وكان بناهما على قبري رجلين من
 بني اسد كانا ندييه احدهما خالد بن المظلل النقصي والآخر عمرو بن
 مسعود . فقال : ما انا بملك ان خالف الناس امري لا يمرن احد من وفود
 العرب الا بينهما . وكان له يومان يوم يستيه يوم النعيم ويوم يستيه يوم
 البؤس . فاذا كان في يوم نعيمه اتي باول من يطلع عليه فجاه وكساه
 ونادمه يومه وحمله . فاذا كان يوم بؤسه اتي باول من يطلع عليه فاعطاه
 رأس ظربان^(٢) أسود ثم امر به فذبح وغري بدمه الغريان . فبينا هو
 جالس في يوم بؤسه اذ أشرف عليه عبيد . فقال لرجل كان معه : من كان
 هذا الشقي . فقال له : هذا عبيد بن الابرص الاسدي الشاعر . فأتي به .
 فقال له الرجل الذي كان معه : اتركه ابيت اللعن اظن ان عنده من
 حسن القريض افضل مما تدرك في قتله فأسمع منه فان سمعت حسناً

(١) خيتور كل شيء يتلون ولا يدوم على حال

(٢) ظربان دويبة كالهرّة مننته

استردتُهُ وان لم يعجبك فما اقدرك على قتله فاذا تزلت فادعُ به . (قال)
 فتزل وطعم وشرب وبينه وبين الناس حجاب ستر يراهم منه ولا يرونه .
 فدعا بعبيد من وراء الستر فقال له رديفه : هَلَّا كان الذبح لغيرك يا عبيد .
 فقال : أئتتكَ مجائنٍ رجلاه . فارسلها مثلاً . فقال : ما ترى يا عبيد . فقال :
 ارى الحوايا^(١) عليها المنايا . فقال : فهل قلت شيئاً . فقال : حال الجريض^(٢)
 دون القريض . فقال : انشدني « أقفر من اهلِهِ ملحوب » . فقال :
 أقفر من اهلِهِ عبيدُ اصبح يُبدي ولا يعيدُ
 عنتُ له خطَّةٌ نكودُ وحن منها له ورودُ
 فقال : انشدنا :

هي الخمر تكني بامّ الطلاب كما الذئب يدعى ابا جعده
 وأبي ان ينشدهم شيئاً مما ارادوا . فأمر به فقتل
 ومما يغنى به من شعر عبيد :

طافَ الحَيَالُ علينا ليلة الوادي من امّ عمرو ولم يُليم لميعادِ
 أتى اهتديتِ لوكبٍ طال سيرهم في سبب بين دكداك وأعقادِ^(٣)
 اذهب اليك فاني من بني اسد اهل القباب واهل الجرد والنادي
 وفي هذه القصيدة يقول يخاطب حجر بن الحرث ابا امرئ القيس .
 وكان حجر يتوَعَّدُه في شيء . بلغه عنه تم استصلحه . فقال يخاطبه :

(١) الحوية كساء مشوّ حول سنام البعير . والمعنى ان النية قد تأتي الشجاع
 وهو على سرجه (٢) الجريض الفصص
 (٣) السبب ما استوى من الارض . والدكداك السهولة . والاعقاد رمال
 متراكمة

ابلغ أبا كبرٍ عني واخوتهُ
 لأعرفنك بعد الموت تندبني
 قولاً سيذهب غوراً بعد إنجادٍ^(١)
 وفي حياتي ما زودتني زادي
 لا حاضرٌ مُفلتٌ منه ولا بادي
 إنَّ أمامك يوماً انت مُدرکه
 فانظر الى ظلِّ مُلكِ انت تارکه
 هل تُرسینَ اواخيه بأوتادِ
 والشرَّ اخبث ما اوعيت من زادِ
 اخبِر ببقی وان طال الزمان به

حَبَلَةٌ وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ

قال ابو عمرو الشيباني : لما اسلم جيلة بن الأيهم النساني وكان من ملوك آل جفنة كتب الى عمر رضي الله عنه يستأذنه في القدوم عليه . فأذن له عمر . فخرج اليه في خمسمائة من اهل بيته من عكٍّ وغسان حتى اذا كان على مرحلتين كتب الى عمر يُعلمه بقدومه . فسرَّ عمر رضوان الله عليه وأمر الناس باستقباله وبعث اليه بأتزال . وأمر جيلة مائتي رجل من اصحابه فلبسوا السلاح والحريز وركبوا الخيول معقودة اذناها وألبسوها قلائد الذهب والفضة . ولبس جيلة تاجه وفيه قرطاً مارية وهي جدته ودخل المدينة . فلم يبقَ بها بكر ولا عانس الا تبرجت وخرجت تنظر اليه والى زيه . فلما انتهى الى عمر رحب به وألطفه وادنى مجلسه . ثم اراد عمر الحج فخرج معه جيلة . فيينا هو يطوف بالبيت وكان مشهوراً بالموسم اذ وطئ ازاره رجل من بني فزارة فأنحل . فرفع جيلة يده فهشم انف الفزاري . فاستعدى عليه عمر رضوان الله عليه . فبعث الى جيلة

(١) والمعنى ان القول سينشر في غور تمامة وفي نجد

قاتاه . فقال : ما هذا . قال : نعم يا امير المؤمنين انه تعمد حل ازارى
 ولولا حرمة الكعبة لضربت بين عينيه بالسيف . فقال له عمر : قد اقررت
 فإمّا أن تُرضي الرجل واما ان أُقيد منك . قال جبلة : ماذا تصنع بي .
 قال : أمر بهشم انفك كما فعلت . قال : وكيف ذلك يا امير المؤمنين وهو
 سوقة وانا ملك . قال : ان الاسلام جمعك واياه فليس تفضله بشي . ألا
 بالتقى والعافية . قال جبلة : قد ظننت يا امير المؤمنين اني اكون في الاسلام
 اعز مني في الجاهلية . قال عمر : دع عنك هذا فانك ان لم تُرضِ الرجل
 أقدته منك . قال : اذا اتنصر . قال : ان تنصرت ضربت عنقك لانك قد
 اسلمت فان ارتددت قتلتك . فلما رأى جبلة الصدق من عمر قال : انا
 ناظر في هذا ايلتي هذه . وقد اجتمع بباب عمر من حيّ هذا وحيّ هذا
 خلق كثير حتى كادت تكون بينهم فتنة . فلما أمسوا أذن له عمر في
 الانصراف حتى اذا نام الناس وهدأوا حمل جبلة بجيئه ورواحله الى
 الشام فاصبحت مكة وهي منهم بلاقع . فلما انتهى الى الشام تحمل في
 خمسمائة رجل من قومه حتى اتى القسطنطينية فدخل الى هرقل فتنصر هو
 وقومه . فسُرَّ هرقل بذلك جداً وظنَّ انه فتح من الفتوح عظيم . وأقطعه
 حيث شاء وأجرى عليه من النزل ما شاء وجعله من محدثيه وسنّاره . ثم
 ان عمر رضي الله عنه بدا له ان يكتب الى هرقل يدعوه الى الله جلّ
 وعزّ والى الاسلام ووجه اليه رجلاً من اصحابه وهو جثامة بن مساحق
 الكناني . فلما انتهى اليه الرجل بكتاب عمر اجاب الى كل شي . سوى
 الاسلام . فلما اراد الرسول الانصراف قال له هرقل : هل رأيت ابن عمك
 هذا الذي جاءنا راغباً في ديننا . قال : لا . قال : فالقه (قال الرجل) فتوجهت

اليه فلما انتهيت الى بابه رأيت من البهجة والحسن والسرور ما لم أرَ بيباب
هرقل مثله . فلما أدخلت عليه اذا هو في بهو عظيم وفيه من التصاوير ما
لا أحسن وصفه . واذا هو جالس على سرير من قوارير^(١) قوائمه أربعة
أمد من ذهب . واذا هو رجل اصهب ذو سبال وعُشون وقد أمر
بجلسه فاستقبل به وجه الشمس فما بين يديه من آنية الذهب والفضة
يلوح فما رأيت احسن منه . فلما سلمت ردَّ السلام ورحب بي والطفني
ولامني على تركي النزول عنده . ثم أقعدني على شيء لم أثبتة فاذا هو كرسي
من ذهب فأنحدرت عنه . فقال : ما لك . فقلت : ان رسول الله (صلى الله
عليه وسلم) نهى عن هذا . فقال جبلة ايضاً مثل قولي في النبي (صلى الله
عليه وسلم) : انك يا هذا اذا طهرت قلبك لم يضرَّك ما لبسته
ولا ما جلست عليه . ثم سألتني عن الناس وألحف في السؤال عن عمر . ثم
جعل يفكر حتى رأيت الحزن في وجهه . فقلت : ما يمنعك من الرجوع الى
قومك والاسلام . قال : أبعد الذي قد كان . قلت : قد ارتدَّ الاشعث بن
قيس ومنعهم الزكاة وضرهم بالسيف ثم رجع الى الاسلام . فتمحدثنا
ملياً . ثم أوماً الى غلام على رأسه . فوالى يحضر . فما كان الأهنئية حتى
اقبلت الأخونة يحملها الرجال فوضعت . وجيء بخوان من ذهب فوضع
أمامي . فاستعفيت منه . فوضع امامي خوان خليج^(٢) وجامات قوارير .
وادبرت الخمر فاستعفيت منها فلما فرغنا دعا بكأس من ذهب فشرب
منه خمساً عدداً . ثم أوماً الى غلام . فوالى يحضر . فما شعرت إلا بعشر جوار
يتكسرن في الخلي . فقعد خمس عن يمينه وخمس عن شماله . ثم سمعت

(١) القوارير شجر يشبه الدلب تعمل منه الرحال والموائد (٢) الخليج الجفنة

وسوسة من ورائي . فاذا انا بعشر افضل من الأول عليهن الوشي والحلي .
 فعد خمس عن يمينه وخمس عن شماله . واقبلت جارية على رأسها طائر
 ابيض كأنه لؤلؤة مؤدب وفي يدها اليسنى جام فيه مسك وعند قد خلطا
 وأنعم سحقها وفي اليسرى جام فيه ماء . ورد . فألقت الطائر في ماء الورد
 فتمعك بين جناحيه وظهره وبطنه . ثم اخرجته فألقته في جام المسك
 والعنبر فتمعك فيها حتى لم يدع فيها شيئاً . ثم نقرته فطار فسقط على تاج
 جبلة ثم رفرق ونفض ريشه فما بقي عليه شيء . الأسقط على رأس جبلة .
 ثم قال للجواري : أطربني . فخطفن بعيدانهن يغنين :

لله دَرُّ عِصَابَةٍ نَادِمْتَهُمْ يَوْمًا مَجَلَّتْ فِي الزَّمَانِ الْاَوَّلِ

بيض الوجوه كريمة احسابهم شم الانوف من الطراز الاول

يُفْشُونَ حَتَّى مَا تَهَرَ كَلَابِهِمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْقَبْلِ

فاستهل واستبشر وطرب . ثم قال : زدني . فاندفعن يغنين :

لمن الدار اقفرت بعمان بين شاطي اليرموك فالحمآن

فحسى جاسم فاودية الصقر م معنى قبائل وهجان

فالقريات من بلاس فدارياً م فسكاً . فالقصور الدواني

ذاك معنى لآل جفنة في الدهر م وحق تعب الازمان

قد دنا الفصح فالولائد ينظمن م سراعاً أكلة المرجان

لم يُعلَنَ بالمغافير والصنع م ولا نقف حنظل الشريان

قد أراني هناك حتماً مكيناً عند ذي التاج مقعدي ومكاني

فقال : أتعرف هذه المنازل . قلت : لا . قال : هذه منازلنا في ملكنا

باكناف دمشق . وهذا شعر ابن الفريعة حسان بن ثابت شاعر رسول الله

(صلعم) . قلت : أما انه مضرور البصر كبير السن . قال : يا جارية هاتِ فأتتهُ بخمسة دینار وخمسة اُثواب من الدیاج . فقال : ادفع هذا الى حسان واقراءه مني السلام . ثم راودني على مثلها . فأبيت . فبكى وبكيت معه حتى رأيت دموعه تجول على لحيته كأنها اللؤلؤ . ثم سلمتُ عليه وانصرفت . فلما قدمت على عمر سألتني عن هرقل وجبله . فقصت عليه القصة من اولها الى آخرها . فقال : أورايتَ جبله يشرب الخمر . قلت : نعم . قال : ابعد الله تعجل فانية اشتراها بباقية فما ربحت تجارتها . فهل سرّح معك شيئاً . قلت : سرّح الى حسان خمسمائة دینار وخمسة اُثواب ديباج . فقال : هايتها . وبعث الى حسان فأقبل يقوده قائده حتى دنا فسلم وقال : يا امير المؤمنين اني لأجد ارواح آل جفنة . فقال عمر رضي الله عنه : قد نزع الله تبارك وتعالى لك منه على رغم انفه وأتاك بمونة . فانصرف عنه وهو يقول :

ان ابن جفنة من بقية معشر
لم ينسني بالشام اذ هو ربها
يعطي الجزيل ولا يراه عنده
وأتيته يوماً فقرب مجلسي
لم يَغْذُهُمْ آبَاؤُهُمْ بِاللُّومِ
كَلَّا وَلَا مَتَنَصِرًا بِالرُّومِ
الْأَكْبَعُضُ عَطِيَّةَ الْمَذْمُومِ
وَسَقَى فِرَوَانِي مِنَ الْخَرْطُومِ

فقال له رجل : أتذكر قوماً كانوا ملوكاً فأبادهم الله وأقناهم . فقال : ممن الرجل . قال : مُزَنِي . قال : اما والله لولا سوابق قومك مع رسول الله (صلعم) لطوّقتك طوق الحمامة . وقال : ما كان خليلي ليخل بي . فما قال لك . قال : قال ان وجدته حياً فادفعها اليه وان وجدته ميتاً فاطرح الشيا ب على قبره وابتع بهذه الدنانير بُدناً فانحرها على قبره . فقال حسان :

ليتك وجدتنى ميتاً ففعلت ذلك بي
 وذكر الزبير بن بكار ان معاوية لما ولي بعث الى جبلة فدعاه الى
 الرجوع الى الاسلام ووعده اقطاع الغوطة بأسرها فأبى ولم يقبل

الْحَطِيئَةُ

الخطيئة لقبٌ أُتِّبَ بهِ واسمه جَرُولُ بنِ أوسٍ . وهو من فحول
 الشعراء ، ومتقدميهم وفصحائهم متصرف في جميع فنون الشعر من
 المديح والهجاء ، والفخر والنسيب مجيد في ذلك أجمع . وكان ذا شراً
 وسفه ، ونسبه مُتدافِع بين قبائل العرب . وكان ينتسب الى كل واحدة
 منها اذا غضب على الآخرين . وهو مُخضرم أدرك الجاهلية والاسلام
 فأسلم ثم ارتدَّ وقال في ذلك :

اطعنا رسول الله اذ كان بيننا فيا لعباد الله ما لأبي بكر
 أيورثها بكر اذا مات بعده وتلك لعمر الله قاصمة الظهر
 ويكنى الخطيئة أبا مليكة . وقيل ان الخطيئة غلب عليه ولتَّب به
 لقصره وقربه من الارض

قال الاصمعي : كان الخطيئة جشماً سوؤلاً ملحفاً دنيء النفس كثير
 الشر قليل الخير نجياً قبيح المنظر رث الهيئة مغموز النسب فاسد الدين
 وما تشاء ان تقول في شعر شاعر من عيب الأ وجدته وقلما تجد ذلك
 في شعره . قال ابو عبيدة : بخلاء العرب اربعة الخطيئة وحَمِيد الأرقط
 وأبو الاسود الدؤلي وخالد بن صفوان . وكان الخطيئة بذياً هجاء

فالتمس ذات يوم انساناً يهجوهُ فلم يجده وضاقت عليه ذلك فانشأ يقول :
 ابت شفتاي اليوم الا تكلماً بشرٍ فما ادري لمن انا قائله
 وجعل يدهور هذا البيت في اشدائه ولا يرى انساناً اذ اطلع في ركي
 او حوض فرأى وجهه فقال :

أرى لي وجهاً شوّه الله خلقه ففتح من وجهه وفتح حامله
 وقدم الحطيئة المدينة وقد ارصدت له قريش العطايا والناس في سنة
 مجدبة وسخطة من خليفة . فمشى اشراف اهل المدينة بعضهم الى بعض
 فقالوا : قد قدم علينا هذا الرجل وهو شاعر والشاعر يظن فيحقق وهو
 يأتي الرجل من اشرافكم يسأله فان أعطاه جهد نفسه بهرها وان حرمه
 هجاه . فأجمع رأيهم على ان يعملوا له شيئاً معداً يجمعونه بينهم له . فكان
 اهل البيت من قريش والانصار يجمعون له العشرة والعشرين والثلاثين
 ديناراً حتى جمعوا له اربعمائة دينار وظنوا انهم قد أغنوه فأتوه فقالوا له :
 هذه صلة آل فلان وهذه صلة آل فلان وهذه صلة آل فلان . فأخذها .
 فظنوا انهم قد كفّوه عن المسئلة . فاذا هو يوم الجمعة قد استقبل الامام
 مائلاً ينادي : من يحملني على بغلين وقاه الله كربة جهنم^١

قال حماد : سمعت أبي يقول وقد انشد قول الحطيئة :

وفتيان صدق من عدي عليهم صفائح بصرى علقت بالعواتق
 اذا ما دُعوا لم يسألوا من دعاهم ولم يمسكوا فوق القلوب الخوافق
 وطاروا الى الجرد العتاق فألجموا وشدوا على أوساطهم بالمناطق

اولئك آباء الغريب وغائة م الصريخ وماوى الأرملة الدرّادق^(١)
 أحلوا حياض المجد فوق جباههم مكان النواصي من وجوه السوابق
 ثم قال : أما انى ما أزعهم أن أحداً بعد زهير أشعر من الحطيئة . قال
 عبد الرحمن بن أبى بكر : لقيت الحطيئة بذات عرقٍ فقلت له : يا أبا
 مليكة من أشعر الناس . فأخرج لسانه كأنه لسان الحية ثم قال : هذا
 اذا طبع

قال أبو عدنان : لما حضرت عبيد الله بن شداد الوفاة دعا ابنه محمداً
 فأوصاه وقال له : يا بني أرى داعي الموت لا يُقلع . ويحق أن من مضى لا
 يرجع . ومن بقي فاليه يتزع . يا بني ليكن اولى الامور بك تقوى الله
 فى السرّ والعلانية والشكر لله وصدق الحديث والنية فان المشكر
 مزيداً والتقوى خير زاد كما قال الحطيئة :

ولست أرى السعادة جمع مال ولكن التقى هو السعيد
 وتقوى الله خير الزاد ذخراً وعند الله للاتقى مزيد
 وما لا بدّ ان ياتي قريب ولكن الذي يمضي بعيد

قال المدائني : مرّ ابن الحمامة بالحطيئة وهو جالس بفناء بيته فقال :
 السلام عليكم . فقال : قلت ما لا ينكر . قال : انى خرجت من عند اهلى
 بغير زاد . فقال : ما ضمنت لاهلك قراك . قال : أفتأذن لي ان آتى ظلّ
 بيتك فاتفياً به . قال : دونك الجبل يُفنى عليك . قال : أنا ابن الحمامة .
 قال : انصرف وكن ابن اى طائر شئت

ولما حضرت الحطيئة الوفاة اجتمع اليه قومه فقالوا : يا أبا مليكة

(١) ارملة القوم نفد زادهم . والدرادق جمع دردق وهو الصغير من كل شيء .

أوص . فقال : ويل للشعر من الرؤاة السوء . قالوا : أوص رحمك الله يا حطية . قال : من الذي يقول :

إذا أنبضَ الرامون عنها ترنمت ترنمَ ثكلي اوجعتها الجنائزُ
قالوا : الشماخ . قال : ابلغوا غطفان انه أشعر العرب . قالوا : ويحك أهذه وصية أوص يا ينفعك . قال : أبلغوا أهل ضابئ انه شاعر حيث يقول :
لكل جديد نذة غير اني رأيت جديد الموت غيراً لذيد
قالوا : أوص ويحك بغير ذا . قال : أبلغوا أهل امرئ القيس انه أشعر العرب حيث يقول :

فيا لك من ليل كأن نجومه بكل مفار القتل شدت بيدبل
قالوا : اتق الله ودع عنك هذا . قال : أبلغوا الانصار ان صاحبهم أشعر العرب حيث يقول :

يُغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل

قالوا : هذا لا يعني عنك شيئاً فقل غير ما أنت فيه . فقال :

الشعر صعب وطويل سلمه اذا ارتقى فيه الذي لا يعلفه
زلت به الى الحضيض قدمه يريد ان يعربه فيعجمه

قالوا : هذا مثل الذي كنت فيه . فقال :

قد كنت احياناً شديد المعتد وكنت ذا غرب على الخصم ألد
فوردت نفسي وما كادت ترد

قالوا : يا أبا مليكة ألك حاجة . قال : لا والله ولكن اجزع على

المديح الجيد يمدح به من ليس له اهلاً . قالوا : فمن اشعر الناس . فأوماً بيده الى فيه وقال : هذا الجعير اذا طمع في خير . يعني فمه . واستعبر

باكياً . فقالوا له قل : لا اله الا الله . فقال :

قالت وفيها حيدة وذعُرُ عُوذي برني منكم وُحجر^(١)

فقيل له : ما تقول في عبيدك وإمائك . فقال : هم عبيد قن^(٢) ما

عاقب الليل النهار . قالوا : فأوصِ للفقراء بشي . قال : أوصيهم بالالاح

في المسئلة فأنما تجارة لا تبور . قالوا : فما تقول في مالك . قال : للانثى

من ولدي مثلاً حظّ الذكر . قالوا : ليس هكذا قضى الله عز وجل لهن .

قال : لكني هكذا قضيت . قالوا : فما توصي لليتامى . قال : كلوا اموالهم .

قالوا : فهل شي . تعهد فيه غير هذا . قال : نعم تحملونني على اتان

وتتركونني راكبها حتى أموت فإنّ الكريم لا يموت على فراشه والاتان

سركب لم يميت عليه كريم قط . فحملوه على اتان وجعلوا يذهبون به

ويجيئون عليها حتى مات وهو يقول :

لا أحد الأم من حطينه هجا بنيه وهجا المريه

من لومه مات على فريه^(٣)

الخطيئة والزبرقان

قدم الزبرقان على عمر في سنة مجدبة ليؤدي صدقات قومهِ فلقية

(١) العرب تقول عند الامر تنكره حُجراً له اي دفعا وهو استعارة من

الامر (٢) القن العبد الذي كان ابوه مملوكاً لمواليه فاذا لم يكن كذلك

فهو عبد مملكة . وهو مأخوذ من القنية وهي الملك . يقال عبد قن وعبدان

قن وعبيد قن . والانثى بغير هاء . وحكي عبيد قن بالاضافة

(٣) مريّة تصغير المرأة . والفريّة الاتان تصغير الفراء

الخطيئة بقرقرى ومعه ابناه أوس وسواده وبناته وامراته . فقال له
الزبرقان وقد عرفه ولم يعرفه الخطيئة : اين تريد . قال : العرق فقد حطمتنا
هذه السنة . قال : وتصنع ماذا . قال : وددت ان اصادف بها رجلاً
يكفيني مائة عيالي وأصفيه مدحي ابداً . فقال له الزبرقان : قد أصبت .
فهل لك فيه يوسعك لبناً وتمراً ويجاورك احسن جوار واكمه . فقال
الخطيئة : هذا وأبيك العيش وما كنت ارجو هذا كله . قال : فقد أصبت .
قال : عند من . قال : عندي . قال : ومن انت . قال : الزبرقان بن بدر .
قال : وأين محلك . قال : اركب هذه الابل واستقبل مطلع الشمس وسل
عن القمر حتى تاتي منزلي . (وقال ابو عبيدة في خبره) فقال له : سر الى
ام حزرة وهي ام الزبرقان وهي ايضاً عمّة الفرزدق . وكتب اليها ان :
أحسني اليه واكثري له من التمر واللبن . وقال آخرون : بل وكله الى
زوجته هنيئة وذلك في عام صعب مجديب . فآكرمته المرأة واحسنت اليه .
فبلغ ذلك بغيض بن عامر بن شماس بن لأي بن جعفر وهو انف الناقة^(١)
ابن قريع وبلغ اخوته وبني عمه فاغتنموها (وفي خبر اليزيدي عن
عمه) : قال ابن حبيب عن ابن الاعرابي : وكانوا يغضبون من انف الناقة
وكانوا يثأزعون الزبرقان الشرف يعني بغيضاً واخوته واهله وكانوا

(١) اذا سمي جعفر انف الناقة لان اياه قريباً نحر ناقة فسمها بين نسائه .
فبشت جعفرًا هذا أمه وهي الشموس من وائل ثم من سعد هذيم . فأتى اياه ولم
يبق من الناقة الا رأسها وعنقها . فقال : شأنك بهذا . فادخل يده في انفها وجر
ما اعطاه . فسمي انف الناقة . وكان ذلك كاللقب لهم حتى مدحهم الخطيئة فقال :
قوم هم الانف والاذناب غيرهم ومن يسوي بأنف الناقة الذنبا
فصار بعد ذلك فخراً لهم ومدحاً

اشرف من الزبرقان الا انه قد كان استعلاهم بنفسه
وقال ابو عبيدة في خبره : كان الخطيئة دميماً سيء الخلق لا تأخذه
العين ومعه عيال كذلك . فلما رأت ام حزره حالة هان عليها وقصرت
به . ونظر بغيض وبنو انف الناقة الى ما تصنع به ام حزره فأرسلوا اليه
أن : ائتنا . فأبى عليهم وقال : ان من شأن النساء التقصير والغفلة ولست
بالذي احيل على صاحبها ذنبها . فلما ألح عليه بنو انف الناقة وكان
رسولهم اليه شماس بن لآي وعلقمة بن هوذة وبغيض بن شماس والمخبل
الشاعر قال لهم : لست بجامل على الرجل ذنب غيره فان تركت وجفيت
تحولت اليكم . فأطمعوه ووعدوه وعداً عظيماً . وقال ابن سلام في
خبره : فلما لم يجيبهم دسوا الى هنيذة زوجة الزبرقان ان الزبرقان انما يريد
ان يتزوج ابنته مليكة وكانت جميلة كاملة . فظهرت من المرأة للخطيئة
جفوة وهي في ذاك تداريه . ثم ارادوا النجعة . قال ابو عبيدة : فقالت له
ام حزره (وقال ابن سلام فقالت له هنيذة) : قد حضرت النجعة
فاركب انت واهلك هذا الظهر الى مكان كذا وكذا ثم اردده الينا
حتى نلحقك فانه لا يسعنا جميعاً . فأرسل اليها : بل تقدمي انت فأنت
احق بذلك . ففعلت وتناقلت عن ردها اليه وتركته يومين او ثلاثة .
والح بنو انف الناقة عليه وقالوا له : قد تركت بمضيعة^(١) . وكان
اشدهم في ذلك قولاً بغيض بن شماس وعلقمة بن هوذة . وكان
الزبرقان قد قال في علقمة :

لي ابن عم لا يزا ل يعيني ويعين عائب

(١) ترك بمضيعة ومضيعة اي . مطرح غير مفقَد

وأعينه في الناب ت ولا يعين على النواب
تسري عقاربه الي م ولا تدب له عقارب
لاه ابن عمك^(١) لا يخاف المجرنات من العواقب

(قال) فكان علقمة ممتلئاً غيظاً عليه . فلما ألحوا على الحطيئة
اجابهم فقال : اما الآن فنعم انا صائر معكم . فتحمّل معهم فضربوا له
قبة وربطوا بكل طنّب من اطنابها جلة^(٢) هجرية واراخوا عليه ابلهم
واكثروا له من التمر واللبن وأعطوه لقاحاً وكسوة . (قال) فلما قدم
الزبرقان سأل عنه فأخبر بقصته . فنادى في بني بهدلة بن عوف . فركب
الزبرقان فرسه واخذ رمحه وسار حتى وقف على نادي بني شماس القريعيين
فقال : ردّوا عليّ جاري . فقالوا : ما هو لك بجار وقد أطرحته وضيعته .
فألم ان يكون^(٣) بين الحين حرب . فحضر اهل الحجبى من قومهم
فلاموا بغيضاً وقالوا : اردد على الرجل جاره . فقال : لست مخرجه وقد
آويته وهو رجل حرّ مالك لأمره فخيروه فان اختارني لم أخرجهُ وان
اختاره لم أكرههُ . فخيروا الحطيئة فاختر بغيضاً ورهطه . فجاء الزبرقان
ووقف عليه وقال له : أبا مليكة افارقت جوارى عن سخط وذم . قال :
لا . فانصرف وتركهُ . هذه رواية ابن سلام . واما ابو عبيدة فانه ذكر انه
كان بين الزبرقان ومن معه من القريعيين تلاح وتشاح^(٤) . وزعم
غيرهما ان الزبرقان استعدى عمر بن الخطاب على بغيض . فحكم عمر بان
يُخرج الحطيئة حتى يُقام في موضع خال بين الحين وحده^(٥) ويحلّى سبيله

(١) لاه ابن عمك اي عمك (٢) الجلة وعاء من خوص يوضع فيه التمر
(٣) ألم ان يكون اي اوشك (٤) تلاح تشاح . تشاح مما حكة

ويكون جاراً أيهما اختار . ففعل ذلك به فاختار القريعيين . (قال)
وجعل الحطيئة يمدحهم من غير ان يهجو الزبرقان وهم يحضونه على ذلك
ويحرضونه فيأبى ويقول : لا ذنب للرجل عندي . حتى ارسل الزبرقان الى
رجل من النمر بن قاسط يقال له دثار بن شيان فهجا بغيضاً فقال :

أرى إبلي بجوف الماء حلت واعوزها به الماء الرواء^(١)
وقد وردت مياه بني قريع فما وصلوا القرابة مذ اساءوا
تحلاً يوم ورد الناس إبلي وتصدر وهي محنقة^(٢) ظماء
ألم اك جار شماس بن لاي فأسلمني وقد نزل البلاء
فقلت تحولي يا أم بكر الى حيث المكارم والعلاء
وجدنا بيت بهدلة بن عوف تعالى سكة ودحا^(٣) الفناء
وما اضحي لشماس بن لاي قديم في الفعال ولا رباء
سوى أن الحطيئة قال قولاً فهذا من مقاته جزاء

فحينئذ قال الحطيئة يهجو الزبرقان ويناضل عن بغيض قصيدته التي
يقول فيها :

والله ما معشر لاموا امرءاً جنباً^(٤) في آل لاي بن شماس باكياس
ما كان ذنب بغيض لا أبا لكم في بانس جاء يحدو آخر الناس
لقد مريتكم لو ان درتكم يوماً يجيء بها مسحي وابساي^(٥)
وقد مدحتكم عمداً لأرشدكم كما يكون لكم متحي وإمراسي^(٦)

(١) الرواء الماء الكثير المروي (٢) المحنق الضامر (٣) دحا اتسع

(٤) الجنب الغريب (٥) الابساس تسكين الناقة عند الحلب

والعق : مدحتكم لتدروا علي بخير فأيتم (٦) الماتح المستقى الذي

لما بدا لي منكم عيب انفسكم
 ازمعتُ ياساً مبيئاً من نوالكم
 جارٌ لقوم اطالوا هونَ منزله
 ملوا قِراهُ وهرتُهُ كلابهم
 دَعِ المكارمَ لا ترحل لبغيتها
 من يفعل الخير لا يعدم جوازيه
 ما كان ذنبي أن فلت معاواكم
 قد ناضلوك فسلوا من كنانتهم
 فاستعدى عليه الزبرقانُ عمرَ بن الخطاب فرفعه عمر اليه واستنشده .
 فانشده . فقال عمر لحسان : اتراه هجاه . قال : نعم وسلح عليه . فحبسه
 عمر . فقال وهو اول ما قاله في الحبس :

اعوذُ بجدك اني امرؤ
 سقتني الاعادي اليك السجالات
 فانك خيرٌ من الزبرقان
 اشدُّ نكالاً وأرجى نوالاً
 تحنُّ عليَّ هداك المليكُ
 فان لكل مقام مقالاً
 ولا تأخذني بقول الوشاة
 فان كان ما زعموا صادقاً
 حواسراً لا يشكين الوجاه
 فسيقت اليك نسائي رجالاً^(١)
 يخفضن آلاً ويرفعن آلاً^(٢)

فلم يلتفت عمر اليه حتى قال اياته التي اولها :

يجذب الجبل من فوق . والامراس ان يقع الجبل في جانب البكرة فيخرجه .
 والمعنى : اردت ان يكون لكم مدحي لتخليصكم اياي فأيتم
 (١) جمع رجلة اي راجلة (٢) اراد يرفعن الآل اي السراب ويخفضهن فقلب

ماذا تقول لأفراخِ بذي مرخ^(١) زُغِبِ الحواصل لا ماء ولا شجرُ
 أتيتَ كاسِبَهُم في قعرِ مُظْلِمَةٍ فأغفِرْ عليك سلامُ الله يا عمرُ
 أنت الامام الذي من بعدِ صاحبه ألقى اليك مقاليدَ النهي الشرِّ
 لم يوثروك بها اذ قدموك لها لكن لانفسهم كانت بك الأثر^(٢)
 فامنن على صبية بالرومل مسكنهم بين الاباطح تغشاهم بها القِرْر^(٣)
 اهلي فداؤك كم بيني وبينهم من عَرَضِ داوِيَّةِ تَعَمَى بها الخبرُ
 (قال) فبكى حين قال « ماذا تقول لافراخِ بذي مرخ ». فقال عمرو بن
 العاص : ما اظلت الحضراء ولا اقلت الغبراء اعدل من رجل يبكي على
 تركه الحطيثة . فقال عمر : علي بالكروسي . فأتي به . فجلس عليه ثم قال :
 اشيروا علي في الشاعر فانه يقول الهجو وينسب بالحرم ويمدح الناس
 ويذمهم بغير ما فيهم . ما أراني الا قاطعاً لسانه . ثم قال : علي بطست .
 فأتي بها . ثم قال : علي بالخصف^(٤) علي بالسكين لا بل علي بالموسى
 فهو اوحى^(٥) . فقالوا : لا يعود يا امير المؤمنين . فاشاروا اليه أن : قل لا
 اعود . فقال : لا اعود يا امير المؤمنين . فقال : له النجاء . (قال) فلما ولى
 قال له عمر : يا حطيثة كأنني بك عند فتى من قريش قد بسط لك غمرقة
 وكسر لك اخرى وقال غننا يا حطيثة فطقت تغنيه بأعراض الناس .
 قال ابن اسلم : فما انقضت الدنيا حتى رأيت الحطيثة عند عبيدالله بن
 عمر قد بسط له غمرقة وكسر له اخرى وقال : غننا يا حطيثة . فجعل يغنيه .
 فقلت له : يا حطيثة اذكر قول عمر . ففرع وقال : يرحم الله ذلك المرة

(١) ذومرخ وادٍ قرب فدك خضرٌ نضرٌ كثير الشجر (٢) أثر جمع اثره اي المكرومة
 (٣) القِرْر جمع قِررة اي البَرْد (٤) المخصف مثقب الاسكاف (٥) اوحى اي اسرع

أما أنه لو كان حياً ما فعلت . ورؤي عن عبدالله بن المبارك ان عمر رضي الله عنه لما اطلق الخطيئة اراد ان يؤكد عليه الحجة فاشترى منه أعراض المسلمين جميعاً بثلاثة آلاف درهم . فقال الخطيئة في ذلك :
واخذت اطراف الكلام فلم تدع شتماً يضرب ولا مديحاً ينفع
وحيتي عرض اللئيم فلم ينف ذمي واصبح آمناً لا يفرغ

شريح بن ضبيعة الحطيم في حرب الردة

هو شريح بن ضبيعة وأمه هند بنت حسان بن عمرو بن مرثد . قال ابو عبيدة : كان شريح بن ضبيعة غزاة اليمن في جموع جمعها من ربيعة فغنم وسبي بعد حرب كانت بينه وبين كندة أسرف فيها فرعان بن مهدي ابن معدي كرب عم الأشعث بن قيس . وأخذ على طريق مفازة فضل بهم دليلهم . ثم هرب منهم . ومات فرعان في ايديهم عطشاً . وهلك منهم ناس كثير بالعطش . وجعل الحطيم يسوق باصحابه سوقاً عنيماً حتى نجوا ووردوا الماء . فقال فيه رشيد :

هذا اوان الشدا فاشتدي زيم^(١) لست براعي ابل ولا غنم
ولا بجزار على ظهر وضم^(٢) نام الحداة وابن هند لم ينم
باتت يقاسيها غلام كالزلم^(٣) خدلج^(٤) الساقين خفاف القدم
قد لفها الليل بسواق حطم^(٥)

(١) زيم اسم فرس (٢) الوضم كل شيء يوضع عليه اللحم
(٣) الزلم القدح لا ريش عايه . خدلج ضخم (٤) سواق حطم اي شديد السوق . يريد انه داهية متصرف

فلقب يومئذ الحطيم لقول رشيد هذا فيه . وادرك الحطيم الاسلام
فاسلم ثم ارتدَّ

حدث محمد بن جوير قال : لما مات رسول الله (صلعم) خرج الحطيم
ابن ضبيعة في بني قيس بن ثعلبة ومن اتبعه من بكر بن وائل على
الردة ومن تأشب^(١) من غير المرتدين ممن لم يزل كافراً حتى نزل القطيف
وهجر واستغوى من كان بهما من الزط والسباجة^(٢) . وبعث بعضاً الى
دارين فأقاله^(٣) ليجعل عبد القيس بينهم وبينه وكانوا مخالفين له يدون
المسلمين . وارسل الى الغرور بن سويد بن المنذر ابن اخي النعمان بن
المنذر فقال له : اثبت فاني ان ظفرت مآكتك البحرين حتى تكون
كالنعمان بالحيرة . وبعث الى جوثي فحاصرهم والح عليهم فاشتد الحصار
على المحصورين من المسلمين وفيهم رجل من صالحى المسلمين يقال له
عبدالله بن حذف احد بني ابي بكر بن كلاب فاشتد عليه وعليهم
الجوع حتى كادوا يهلكون . فقال عبد الله بن حذف :

ألا ابلغ ابا بكر رسولا وقتيان المدينة اجمعينا
فهل لكم الى قوم كرام . قعود في جوثي محصرينا
كان دماءهم في كل فج . شعاع الشمس يغشى الناظرينا
توكلنا على الرحمن انا وجدنا النصر للمتوكلينا

قال منجاب بن راشد : بعث ابو بكر العلاء بن الحضرمي على قتال

(١) تأشب اي انضم اليه والتف عليه (٢) الزط قوم سود من السند
وكذلك السباجة كانوا بالبصرة جلاوزة وحراس السجن (٣) دارين فرضة
بالبحرين . وعوض « فاقاله » يروى « فاقاموا له » ويروى « فاقاموا به »

اهل الردة بالبحرين . فتلاحق به من لم يرتد من المسلمين . فسرنا حتى
 تولنا هجر . فأرسل العلاء الى الجارود ورجل آخر أن : انضمنا في عبد
 القيس حتى تنزلا على الحطم مما يليكما . وخرج هو فيمن معه وفيمن
 قدر عليه حتى ينزل مما يلي هجر . وتجمع المسلمون كلهم الى العلاء بن
 الحضرمي . ثم خندق المسلمون والمشركون فكانوا يتراوحن القتال
 ويرجعون الى خندقهم فكانوا كذلك شهراً . فبينما الناس ليلة كذلك
 اذ سمع المسلمون في عسكر المشركين ضوضاء شديدة فكأنها ضوضاء
 هزيمة . فقال العلاء : من يأتينا بنجر القوم . فقال عبدالله بن حذاف : انا
 آتيكم بنجر القوم . وكانت امه عجيبة . فخرج حتى اذا دنا من خندقهم
 اخذوه فقالوا له : من انت . فانتسب لهم وجعل ينادي : يا أبجراه . فجاء
 ابجر بن بجير فعرفه فقال : ما شأنك . فقال : لا اضيعن الليلة بين اللهازم .
 علام اقتل وحوالي عساكر من عجل وتيم اللات وعزة وقيس . ابتلاع
 بي الحطم ونزاع القبائل وانتم شهود . فتخلصه وقال : والله اني لأظنك
 بنس ابن الاخت لأخوالك الليلة . قال : دعني من هذا وأطعمني فقد مت
 جوعاً . فقرب اليه طعاماً . فأكل ثم قال : زودني واحملي وجوزني انطلق
 الى طيتي . ويقول ذلك لرجل قد غلب عليه الشراب . ففعل وحمله على
 بعير وزوده وجوزه . وخرج عبدالله حتى دخل عسكر المسلمين
 فاخبرهم ان القوم سُكاري . فخرج القوم عليهم حتى اقتحموا عسكرهم
 فوضعوا فيهم السيوف حيث شاءوا واقتحموا الخندق هراًباً فترد وناج
 ودهش ومقتول ومأسور . واستولى المسلمون على ما في العسكر ولم يُفلت
 رجل الا بتا عليه . فأما ابجر فافلت . واما الحطم فانه بعيل ودهش وطار

فَوَادَهُ . فقام الى فرسه والمسلمون خِلالهم يجوسونهم^(١) ليركبه فلما
 وضع رجله في الركاب انقطع . فر به عفيف بن المنذر احد بني عمرو بن
 تميم والحطيم يستفيث ويقول : ألا رجل من بني قيس بن ثعلبة يعقلني .
 فرفع صوته فعرفه عفيف فقال : ابن ضبيعة . قال : نعم . قال : اعطني
 رجلك اعقلك . فاعطاه رجله يعقلها فنفحها فأطنها^(٢) من الفخذ وتركه .
 فقال : أجهز عليّ . فقال : اني لأحب ان لا تموت حتى امضك . وكان
 مع عفيف عدة من ولد ابيه فأصيبوا ليلتئذ . وجعل الحطيم يقول ذلك
 لمن لا يعرفه حتى مر به قيس بن عاصم . فقال له ذلك . فعرفه فصلت
 عليه فقتله . فلما رأى فخذهُ نادراً قال : واسوءتاه لو عرفت الذي به لم
 احركه . وخرج المسلمون بعد ما احرزوا الخندق على القوم يطلبونهم
 فاتبعوهم . فلحق قيس بن عاصم البحر وكان فرس البحر اقوى من فرس
 قيس . فلما خشي ان يفوته طعنه في العرقوب فقطع العصب وسلم النساء .
 فقال عفيف بن المنذر في ذلك :

فان يرقيا العرقوب لا يرقيا النساء وما كل من تلقى بذلك عالم
 ألم تر انا قد فللنا حمايتهم بأسرة عمرو والرباب الاكارم
 وأسر عفيف بن المنذر الغرور ابن اخي النعمان بن المنذر . فكلمته
 الرباب فيه وكان ابن اختهم وسألوه ان يُجيره . فجاء به الى العلاء
 وقال : اني اجرتة . قال : ومن هو . قال : الغرور . قال العلاء : انت غررت
 هؤلاء . قال : ايها الملك اني لست بالغرور ولكني المغرور . قال : أسلم .

(١) اي ترددوا وطافوا خِلالهم ينظرون هل بقي احد لم يُقتل

(٢) اي ضربا فقطعها

فأسلم وبقي بهجر . وكان الغرور اسمه ليس بلقب . وكان العفيف بن المنذر بن سويد اخا الغرور لأمه وكان له يومئذ بلاء عظيم . فاصبح الغلاء يقسم الانفال ونقل رجالاً من اهل البلاد ثياباً فيها خيصة ذات اعلام وكان الحطم يباهي فيها . وباع الباقي

مقتل حُجر بن عدي

ان المغيرة بن شعبة لما ولي الكوفة كان يقوم على المنبر فيذم علي بن ابي طالب وشيعته وينال منهم ويلعن قتلة عثمان ويستغفر له عثمان ويذمهم . فيقوم حُجر بن عدي فيقول : يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم . واني اشهد ان من تدمون أحق بالفضل ممن تُطرون^(١) . ومن تركون أحق بالدم ممن تعيبون . فيقول له المغيرة : يا حُجر ويحك اكف من هذا واتق غضبة السلطان وسطوته فانها كثيراً ما تقتل مثلك . ثم يكف عنه . فلم يزل كذلك حتى كان المغيرة يوماً في آخر ايامه يحطّب على المنبر فنال من علي بن ابي طالب عليه السلام ولعنه ولعن شيعته . فوثب حُجر فنعر نغرة اسمعت كل من كان في المسجد وخارجه فقال له : انك لا تدري ايها الانسان بمن توأع^(٢) او همرمت^(٣) لنا بأعطيائنا وأرزاقنا فانك قد حبستها عنا ولم يكن ذلك لك ولا لمن كان قبلك وقد اصبحت مولعاً بدم امير المؤمنين وتقريظ المجرمين . فقام معه اكثر من ثلاثين رجلاً يقولون : صدق والله حُجر^(٤) لنا بأعطيائنا فاننا لا ننتفع بقولك هذا ولا يُجدي علينا .

(١) أطراه إذا مدحه بما ليس فيه

واكثروا في ذلك . فنزّل المغيرة ودخل القصر . فاستأذن عليه قومه ودخلوا
ولاموه في احتماله حجراً . فقال لهم : اني قد قتله . قالوا : وكيف ذلك .
قال : انه سيأتي امير بعدي فيحسبه مثلي فيصنع به شبيهاً بما ترونه .
فياخذه عند اول وهلة فيقتله شرقتله . انه قد اقترب اجلى وضعف
عملي وما أحب ان أبتدى اهل هذا المصر بقتل خيارهم وسفك دمائهم
فيسعدوا بذلك وأشقى ويعز معاوية في الدنيا ويذل المغيرة في الآخرة .
سيد كروني لو قد جربوا العمّال . قال الحسن بن عتبة : فسمعت شيخاً
من الحمي يقول : قد والله جربناهم فوجدناه خيرهم

(قال) ثم هلك المغيرة سنة خمسين فجمعت الكوفة والبصرة لزيد
فدخلها ووجه الى حجر فجاءه وكان له قبل ذلك صديقاً . فقال له :
قد بلغني ما كنت تفعله بالمغيرة فيحتمله منك . واني والله لا احتملك
على مثل ذلك ابداً . ارأيت ما كنت تعرفني به من حب علي ووده فان
الله قد سلخه من صدري فصيره بغضاً وعداوة . وما كنت تعرفني به من
بغض معاوية وعداوته فان الله قد سلخه من صدري وحوّله حباً ومودة .
واني اخوك الذي تعهد . اذا اتيتني وانا جالس للناس فاجلس معي على
مجلسي . واذا اتيت ولم اجلس للناس فاجلس حتى أخرج اليك . ولك
عندي في كل يوم حاجتان حاجة غدوة وحاجة عشية . انك ان تستقم
تسلم لك دنياك ودينك وان تأخذ عينا وشمالاً تهلك نفسك وتضط
عندي دمك^(١) اني لا احب التنكيل قبل التقدمة ولا آخذ بغير حجة .

(١) تشيبت دمك اي عملت في هلاكك وعرضت ذاتك للقتل . واصل

اللهم أشهد . فقال حجر : لن يرى الامير مني الا ما يجب وقد نصح وانا قابل نصيحتة . ثم خرج من عنده . فكان يتقيه ويهابه

وكان زياد يُدنيه ويُكرمه ويفضله . والشيعه تختلف الى حجر وتسمع منه . وكان زياد يشتر بالبصرة ويصيف بالكوفة ويستخلف على البصرة سئرة بن جندب وعلى الكوفة عمرو بن حريث . فقال له عمارة ابن عتبة : ان الشيعة تختلف الى حجر وتسمع منه ولا اراه عند خروجك الا ثائراً . فدعا زياد فحذره ووعظه وخرج الى البصرة . واستعمل عمرو ابن حريث . فجعل الشيعة تختلف الى حجر . ويحيى حتى يجلس في المسجد فتجتمع اليه الشيعة حتى يأخذوا ثلث المسجد او نصفه وتطيف بهم النظارة ثم يتلى المسجد . ثم كثروا وكثر لفظهم وارتفعت اصواتهم بدم معاوية وشتمه ونقص زياد . وبلغ ذلك عمرو بن حريث فصعد المنبر واجتمع اليه اشراف اهل المصر . فحثهم على الطاعة والجماعة وحذّروهم الخلاف . فوثب اليه عئق من اصحاب حجر يكبرون ويشتمون حتى دنوا منه فحصبوه وشتموه حتى نزل ودخل القصر وأغلق عليه بابه وكتب الى زياد بالخبر . فلما اتاه انشد يتمثل بقول كعب بن مالك :

فلما غدوا بالعرض قال سراتنا علام اذا لم تمنع العرض تورع
ما انا بشي . ان لم امنع الكوفة من حجر وادعه نكالا لمن بعده . ويل
آلك حجر لقد سقط بك العشاء على سرحان . ثم اقبل حتى اتى الكوفة
فدخل القدر . ثم خرج وعليه قباء سندس ومطرف خز اخضر . وحجر
جالس في المسجد وحوله اصحابه ما كانوا . فصعد المنبر فخطب وحذّر
الناس ثم قال لشداد بن المهيم الهلالي امير الشرط : اذهب فائتني بحجر .

فذهب اليه فدعاه . فقال اصحابه : لا يأتيه ولا كرامة فسبوا الشرط .
فرجعوا الى زياد فاخبروه . فقال : يا اشراف اهل الكوفة أتشجون بيد
وتأسون بأخرى . ابدانكم عندي وأهواؤكم مع هذا الهجاجة
المذبوب^(١) . انتم معي واخوتكم وابناؤكم وعشيرتكم مع حجر .
فوثبوا الى زياد فقالوا : معاذ الله ان يكون لنا فيما ههنا رأي الا طاعتك
وطاعة امير المؤمنين . وكل ما ظننت ان يكون فيه رضاك فمرنا به .
قال : ليقم كل امرئ منكم الى هذه الجماعة التي حول حجر فليدع
الرجل اخاه وابنه وذا قرابته ومن يطيعه من عشيرته حتى تقيموا عنه
كل من استطعتم . ففعلوا وجعلوا يقيمون عنه اصحابه . حتى تفرق
اكثرهم وبقي اقلهم . فلما رأى زياد خفة اصحابه قال لصاحب شرطته :
اذهب فائتني بحجر . فان تبعك والآفر من معك ان ينتزعوا عمد
السوق^(٢) ثم يشدوا عليه حتى يأتوا به ويضربوا من حال دونه . فلما اتاه
شداد قال له : أجب الامير . فقال اصحاب حجر : لا والله ولا نعمة عين
لا يجيبه . فقال لاصحابه : علي بعمد السوق فاشتدوا اليها فأقبلوا بها .
فقال عمير بن يزيد الكلبي ابو العمرطة : انه ليس معك رجل معه سيف
غيري فما يغني سيفي . قال : فما ترى . قال : قم من هذا المكان فالحق
باهلك يمتعك قومك . فقام وزياد ينظر على المنبر اليهم . ففعلوا حجراً
بالعمد . فضرب رجل من الحمراء يقال له بكر بن عبيد رأس عمرو بن
الحمق بعمود فوق . واتاه ابو سفيان بن العويمر والعجلان بن ربيعة وهما

(١) رجل هجاجة ومهجاجة احق لا عقل له ولا رأي . مذبوب اصابه

(٢) في الاصل « السوف »

رجلان من الازد فحملاه فأتيا به دار رجل من الازد يقال له عبيد الله ابن موعد . فلم يزل بها متوارياً حتى خرج منها^(١)

(قال) فقال زياد وهو على المنبر : لتقم همدان وتميم وهو ازن وابناء بغيض ومدحج واسد وغطفان فليأتوا جبانة كندة وليمضوا من ثم إلى حجر فليأتوني به . ثم كره ان تسير مضر مع اليمن فيقع شغب واختلاف أو تنشب الحمية فيما بينهم فقال : لتقم تميم وهو ازن وابناء بغيض واسد وغطفان . ولتمض مدحج وهمدان إلى جبانة كندة ثم ليمضوا إلى حجر فليأتوني به . وليسر أهل اليمن حتى يتزلوا جبانة الصيداويين وليمضوا إلى صاحبهم فليأتوني به . فخرجت الازد وبجيلة وخنعم والانصار

(١) قال ابو مخنف : فحدثني يوسف بن زياد عن عبيد الله بن عون قال : لما انصرفنا عن غزوة باجمل اقبل قتل عبد الملك مصعباً بعام فاذا انا بالاحمري الذي ضرب عمرو بن الحمق يسايرني ولا والله ما رأيته منذ ذلك اليوم وما كنت أرى لو رأيته ان اعرفه . فلما رأيته ظننته هو هو وذلك حين نظرنا إلى آيات الكوفة . فكرهت ان اسأله : انت ضارب عمرو بن الحمق فيكابرني . فقلت له : ما رأيته منذ اليوم الذي ضربت فيه رأس عمرو بن الحمق بالعمود في المسجد فصرعته حتى يومي . ولقد عرفتك الان حين رأيته . فقال لي : لا تعدم بصرك ما أثبت نظرك . كان ذلك امر الشيطان . اما والله لقد بلغني انه قد كان امرأ صالحاً ولقد ندمت على تلك الضربة فاستغفر الله . فقلت له : الان ترى لا والله لا افترق انا وانت حتى اضربك في رأسك مثل الضربة التي ضربتها عمرو ابن الحمق او اموت او تموت . (قال) فناشدني وسألني بالله . فأبيت عليه ودعوت غلاماً يدعى بشيراً من بني اصبهان معه قنائة له صلبة . فاخذتها منه ثم احمل عليه . فترل عن دابته . فالحقه حين استوت قدماه على الارض فاصفق بها هامته . فخر لوجه وتركته فضيت . فبرأ بعد ذلك فلقبته مرتين من دهري كل ذلك يقول لي : الله بيني وبينك . فاقول له : الله بينك وبين عمرو بن الحمق

وَقُضَاعَةٌ وَخُزَاعَةٌ فَذَلُّوا جِبَانَةَ الصِّدَاوِيِّينَ . وَلَمْ تَخْرُجْ حَضْرَمَوْتُ مَعَ
الْيَمَنِ لِمَكَانِهِمْ مِنْ كَنْدَةَ

قال ابو مخنف : فحدثني سعيد بن يحيى بن مخنف عن محمد بن
مخنف قال : فاني لمع اهل اليمن وهم يتشاورون في امر حجر . فقال لهم
عبد الرحمن بن مخنف : انا مشير عليكم برأيي فان قبلتموه رجوت ان
تسلموا من اللائمة والاثم ان تلبثوا قليلاً حتى تكفيكم عجلة في شباب
مذحج وهمدان ما تكرهون ان يكون من مساءة قومكم في
صاحبكم . فأجمع رأيهم على ذلك . فلا والله ما كان الا كلاً ولا
حتى اتينا فقيلاً لنا : ان شباب مذحج وهمدان قد دخلوا فاخذوا كل ما
وجدوا في بني بجيلة . (قال) فرأى اهل اليمن على نواحي دور كندة
مُعذِّرين . فبلغ ذلك زياداً فاثني على مذحج وهمدان وذمَّ اهل اليمن .
فلما انتهى حجر الى داره ورأى قلة من معه قال لاصحابه : انصرفوا
فوالله ما لكم طاقة بمن اجتمع عليكم من قومكم وما أحب ان
أعرضكم للهلاك . فذهبوا لينصرفوا فلحقهم أوائل خيل مذحج
وهمدان . فعطف عليهم عمير بن يزيد وقيس بن يزيد وعبيدة بن عمرو
وجاعة فتقاتلوا معهم . فقاتلوا عنه ساعة فجرحوا وأسر قيس بن يزيد
وأفلت سائر القوم . فقال لهم حجر : لا ابا لكم تفرقوا لا تُقتلوا فاني
أخذ في بعض هذه الطرق . ثم اخذ نحو طريق بني حرب من كندة حتى
اتي دار رجل منهم يقال له سليمان بن يزيد فدخل داره . وجاء القوم
في طلبه . ثم انتهوا الى تلك الدار فأخذ سليمان بن يزيد سيفه ثم ذهب

ليخرج اليهم . فبكت بناته . فقال له حجر : ما تريد لا أبا لك . فقال له : اريد والله ان ينصرفوا عنك فان فعلوا والآضاربتهم بسيفي هذا ما ثبت قائمه في يدي دونك . فقال له حجر : بشر والله اذن ما دخلتُ به على بناتك . أما في دارك هذه حائط أقتحمه او خوخة أخرج منها عسى الله ان يسلمني منهم ويسامك فان القوم ان لم يقدرُوا عليَّ في دارك لم يضرَك امرهم . قال : بلى هذه خوخة تُخرجك الى دور بني العنبر من كندة . فخرج معه فتية من الخي يفتنون له الطريق ويسلكون به الأزقة حتى افضى الى النَّع .^(١) فقال عند ذلك : انصرفوا يرحمكم الله . فانصرفوا عنه . وأقبل الى دار عبدالله بن الحرث اخي الاشتر فدخلها . فانه لكذلك قد ألقى له عبدالله الفرش وبسط له البسط وتلقاه ببسط الوجه وحسن البشر اذ أتى فقيل له : ان الشرط تسأل عنك في النع . وذلك ان أمة سوداء يقال لها ادما . لقيتهم فقالت لهم : من تطلبون . قالوا : نطلب حجراً . فقالت : هوذا قد رأيتُه في النَّع . فانصرفوا نحو النع . فخرج متنكراً . وركب معه عبدالله ليلاً حتى اتى الى دار ربيعة بن ناجذ الازدي فزل بها . فمكث يوماً وليلة

فلما اعجزهم ان يقدرُوا عليه دعا زياد محمد بن الاشعث فقال : أما والله لتأتيني بحجر او لا أدعُ لك نخلة إلا قطعتها ولا داراً إلا هدمتها . ثم لا تسلم مني بذلك حتى أقطعك إرباً إرباً^(٢) . فقال له : امهني اطلبه . قال : قد امهنتك ثلاثاً فان جنت به والآ فاعد نفسك من الملكى .

(١) النع قبيلة من اليمن وهم من مذحج

(٢) اي عضواً عضواً

وأخرج محمد نحو السجن وهو منتقع اللون يَثُلُ تَلًّا^(١) عنيقًا . فقال حجر
ابن يزيد الكندي من بني مرة لزيد : ضنيتي وخل سبيله ليطلب صاحبه
فانه مخلى سربه^(٢) اخرى ان يقدر عليه منه اذا كان مجبوساً . قال :
أتضمنه لي . قال : نعم . قال : أما والله لئن حاص^(٣) عنك لاوردنك
شعوب^(٤) وان كنت الآن علي كرمياً . قال : انه لا يفعل . فخلى سبيله
ثم ان حجر بن يزيد كلمه في قيس بن يزيد وقد أتى به اسيراً .
فقال : ما عليه من بأس قد عرفنا رأيه في عثمان رضي الله عنه وبلاءه مع
امير المؤمنين بصفين . ثم أرسل اليه فأتي به فقال : قد علمت انك لم
تقاتل مع حجر أنك ترى رأيه ولكن قاتلت معه حمية وقد غفرنا لك
لما نعلمه من حسن رأيك . ولكن لا ادعك حتى تأتيني بأخيك عمير .
قال : آتيك به ان شاء الله . قال : هات ما يضمنه معك . قال : هذا حجر
ابن يزيد . قال حجر : نعم علي ان تؤمنه على ماله ودمه . قال : ذلك لك .
فانطلقا فأتيا به . فأمر به فأوقر حديداً ثم اخذته الرجال ترفعه حتى اذا
بلغ سررها ألقوه فوق على الارض . ثم رفعوه فألقوه . ففعل به ذلك
مراراً . فقام اليه حجر بن يزيد فقال : او لم تؤمنه . قال : بلى لست أهريق
له دماً ولا آخذ له مالاً . فقال : هذا يشفي به على الموت^(٥) . وقام كل
من كان عنده من اهل اليمن فكلّموه فيه . فقال : أتضمنونه لي بنفسه
متى احدث حدثاً ايتيموني به . قالوا : نعم . فخلى سبيله

(١) تلّ تصرّع وسقط (٢) اي مخلى سبيله (٣) حاص حاد
وهرب (٤) شعوب المنبئة وهو غير منصرف (٥) اشفى به
اشرف . ولا يكاد يقال اشفى الا في الشر : مرض مرضاً اشفى به على الموت

ومكث حجر في منزل ربيعة بن ناجذ يوماً وليلة . ثم بعث الى ابن
الاشعث غلاماً يدعى رشيداً من سبي اصبهان فقال له : انه قد بلغني ما
استقبلك به هذا الجبار العنيد فلا يهولنك شيء من امره فاني خارج اليك
فاجمع نفراً من قومك وادخل عليه واسئله ان يؤمنني حتى يبعثني الى
معاوية فيرى في رأيه . فخرج محمد الى حجر بن يزيد وجريور بن عبدالله
وعبدالله اخي الاشر . فدخلوا الى زياد فطلبوا اليه فيما سأله حجر .
فاجاب . فبعثوا اليه رسولا يعلمونه بذلك . فاقبل حتى دخل على زياد .
فقال له : مرحباً يا ابا عبد الرحمن حرب في ايام الحرب او حرب وقد سالم
الناس . على نفسها تجني براقش^(١) . فقال له : ما خلعت يداً عن طاعة ولا
فارقت جماعة واني لعلى بيعتي . فقال : هيات يا حجر أتشج بيد وتأسو
باخرى وتريد اذا امكنا الله منك ان نرضى . هيات والله . فقال : ألم تؤمني
حتى آتي معاوية فيرى في رأيه . قال : بلي انطلقوا به الى السجن . فلما
مضي به قال : أما والله لولا امانه ما برح حتى يلقط عصبه^(٢) . فأخرج
وعليه برنس في غداة باردة فحبس عشر ليال . وزياد ما له عمل غير الطلب
لرؤوس اصحاب حجر

فخرج عمرو بن الحقيق ورفاعة بن شداد حتى نزلا المدائن ثم ارتحلا
حتى اتيا الموصل فاتيا جبلاً . فكينا فيه . وبلغ عامل ذلك الرستاق
وهو رجل من همدان يقال له عبيد الله بن ابي بلتعة خبرهما فسار اليهما
في الخيل ومعه اهل البلد . فلما انتهى اليهما خرجا . فأما عمرو فكان بطنه

(١) براقش اسم كلبة دلّت العدو بنياحها على اهلها فجلبت عليهم الشر

(٢) وبروى : ما برح او يلفظ مهجته

قد استسقى فلم يكن عنده امتناع . واما رفاة فكان شاباً قوياً فوثب على فرس له جواد وقال لعمر : أقاتل عنك . قال : وما ينفعني ان تُقتل . انجُ بنفسك . فحمل عليهم فأفرجوا له حتى أخرجوه فرسه . وخرجت الخيل في طلبه . وكان رامياً فلم يلحقه فارس إلا رماه فجرحه او عقره . فانصرفوا عنه . وأخذ عمرو بن الحقيق فسأله : من انت . فقال : من إن تركتموه كان أسلم لكم وان قتلتموه كان أضرب عليكم . فسأله فأبى ان يخبرهم . فبعثوا به الى عبد الرحمن بن عثمان وهو ابن ام الحكم الثقفي . فلما رأى عمراً عرفه فكتب الى معاوية بخبره . فكتب اليه معاوية : انه زعم انه طعن عثمان تسع طعنات وانه لا يتعدى عليه فاطعنه تسع طعنات كما طعن عثمان . فأخرج فطعن تسع طعنات فبات في الاولى منهن او في الثانية . وبعث برأسه الى معاوية فكان رأسه اول راس حمل في الاسلام

وجد زياد في طلب اصحاب حجر وهم يهربون منه ويأخذ من قدر عليه منهم . فجاء قيس بن عباد الشيباني الى زياد فقال له : ان امرءاً منا يقال له صيفي بن فسيل من رؤوس اصحاب حجر وهو اشد الناس عليك . فبعث اليه فأبى به . فقال له زياد : يا عدو الله ما تقول في ابى تراب . فقال : ما أعرف أبا تراب . قال : ما أعرفك به اما تعرف علي بن ابى طالب . قال : بلى . قال : فذاك ابو تراب . قال : كلاً ذاك ابو الحسن والحسين . فقال له صاحب الشرطة : أيقول لك الامير هو ابو تراب وتقول انت لا . قال : أفان كذب الامير أردت أن اكذب واشهد له بالباطل كما شهد . قال له زياد : وهذا ايضاً مع ذنبك . علي بالعصي .

فأتى بها . فقال : ما قولك في علي . قال : احسن قول انا قائله في عبد من عبيد الله ا قوله في امير المؤمنين . قال : اضربوا عاتقه بالعصي حتى يلصق بالارض . فضرب حتى لصق بالارض . ثم قال : اقلعوا عنه . ما قولك فيه . قال : والله لو شرحتني بالمدى والمواسي ما زلت عمّا سمعت . قال : لتلعنته أو لأضربنّ عنقك . قال : اذا والله تضربها قبل ذلك فأسعد وتشفى ان شاء الله . قال : أو قروه حديدًا واطرحوه في السجن

وجمع زياد من اصحاب حجر بن عدي اثني عشر رجلًا في السجن وبعث الى رؤوس الارباع فاشخصهم فحضروا . وقال : اشهدوا على حجر بما رأيتموه . فشهدوا ان حجرًا جمع اليه الجموع وأظهر شتم الخليفة وعيب زيادًا وأظهر عذر ابي تراب والتّرحم عليه والبراءة من عدوه واهل حربه وان هؤلاء الذين معه رؤوس اصحابه وعلي مثل رأيه . فنظر زياد في الشهادة فقال : ما اظنّ هذه شهادة قاطعة وأحب ان يكون الشهود اكثر من اربعة . فكتب ابو بردة بن ابي موسى : بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما شهد عليه ابو بردة بن ابي موسى لله رب العالمين . شهد ان حجر بن عدي خلع الطاعة وفارق الجماعة ولعن الخليفة ودعا الى الحرب والفتنة وجمع اليه الجموع يدعوهم الى نكث البيعة وخلع امير المؤمنين معاوية وكفر بالله كفرة صلحاء^(١) . فقال زياد : على مثل هذه الشهادة فاشهدوا . والله لأجهدنّ في قطع عنق الخائن الاحمق . فشهد رؤوس الارباع الثلاثة الآخرون على مثل ذلك . ثم دعا الناس فقال : اشهدوا على مثل ما شهد عليه رؤوس الارباع . فقام عثمان بن شرحبيل

التي هي أول الناس فقال : اكتبوا اسمي . فقال زياد : ابدأوا بقريش ثم اكتبوا اسم من نعرفه ويعرفه أمير المؤمنين بالصحة والاستقامة . فشهد اسحق وموسى واسماعيل بنو طلحة بن عبيد الله وغيرهم . ودعا المختار ابن ابي عبيد وعروة بن المغيرة بن شعبة الى الشهادة . فراغا . وشهد سبعون رجلاً . ودفع ذلك الى وائل بن حجر وكثير بن شهاب وبعضهما عليهم وأمرهما ان يخرجوهم . وكتب في الشهود شريح بن الحرث وشريح بن هاني . فاما شريح بن الحرث فقال : سألتني عنه فقلت : أما إنه كان صواماً قواماً . واما شريح بن هاني فقال : بلغني ان شهادتي كتبت فاكذبتة وأنته

وجاء وائل بن حجر وكثير بن شهاب فأخرجوا القوم عشية وسار معهم اصحاب الشرط حتى اخرجوهم فلما انتهوا الى جبانة عرزم نظر قبيصة بن ضبيعة العبسي الى داره في جبانة عرزم فاذا بناته مشرفات . فقال لوائل وكثير : أدنياي أوص اهلتي . فأدنياه . فلما دنا منهم بكين فسكت عنهن ساعة . ثم قال : أسكتن فسكتن . فقال : اتقين الله واصبرن فاني ارجو من ربي في وجهي هذا خيراً احدى الحسينين إماما الشهادة فنعم السعادة واما الانصراف اليكن في عافية . فان الذي كان يرزقكن ويكفيني مؤونتككن هو الله تبارك وتعالى وهو حي لا يموت وارجو ان لا يضيعكن وان يحفظني فيكن . ثم انصرف . فجعل قومه يدعون له بالعافية . وجاء شريح بن هاني بكتاب فقال : بلغوا هذا عني أمير المؤمنين . فتحمله وائل بن حجر . ومضوا بهم حتى انتهوا الى مرج عذراء فحُبسوا به وهم على اميال من دمشق . وهم حجر بن عدي

الكندي والارقم بن عبدالله الكندي وشريك بن شداد الحضرمي
وصيفي بن قسيل الشيباني وقبيصة بن ضبيعة العبسي وكريم بن عفيف
اختصمي وعادم بن عوف البجلي وورقاء بن سمي البجلي وكدام بن
حيان وعبد الرحمن بن حسان العزريان ومحرز بن شهاب المنقري وعبدالله
ابن جوية التميمي . واتبعهم زياد برجلين وهما عتبة بن الاخنس السعدي
وسعيد بن ثمران الهمداني الناعطي . فكانوا اربعة عشر . فبعث معاوية
الى وائل بن حجر وكثير فأدخلهما وفض كتابهما وقرأه على اهل الشام :
بسم الله الرحمن الرحيم . لعبدالله معاوية بن ابي سفيان امير المؤمنين من
زياد بن ابي سفيان . اما بعد فان الله قد احسن عند امير المؤمنين البلاء
فأداله^(١) من عدوه وكفاه مؤونة من بغى عليه . ان طواغيت الترابية
السبائية^(٢) رأسهم حجر بن عدي خلعوا امير المؤمنين وفارقوا جماعة
المسلمين ونصبوا لنا حرباً فأطفاها الله عليهم وامكننا منهم . وقد دعوت
خيار اهل المصر واشرافهم وذوي النهى والدين فشهدوا عليهم بما رأوا
وعلموا وقد بعثت بهم الى امير المؤمنين وكتبت شهادة صلحاء اهل
المصر وخيارهم في اسفل كتابي هذا . فلما قرأ الكتاب . قال : ما ترون
في هؤلاء . فقال يزيد بن اسد البجلي : ارى ان تفرقهم في قرى الشام
فتكفيكم طواغيتها . ودفع وائل كتاب شريح اليه . فقرأه وهو :
بسم الله الرحمن الرحيم . لعبدالله معاوية امير المؤمنين من شريح بن هاني

(١) اداله من عدوه نصره عليه (٢) الترابية في ايام بني أمية من

يعيل الى امير المؤمنين علي بن ابي طالب وكنيته ابو تراب والسبائية الغلاة
نسبة الى عبدالله بن سبا

اما بعد فقد بلغني ان زياداً كتب اليك بشهادتي على حجر . انه ممن يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويأمر بالمعروف وينهي عن المنكر حرام المال والدم^(١) فان شئت فاقتله . وان شئت فدعه . فقرأ كتابه على وائل وقال : ما ارى هذا الا قد اخرج نفسه من شهادتكم . فحبس القوم بعد هذا . وكتب الى زياد : فهت ما اقصت من امر حجر واصحابه والشهادة عليهم . فأحياناً ارى ان قتلهم افضل واحياناً ارى ان العفر افضل من قتلهم . فكتب زياد اليه مع يزيد بن حجة التيمي : قد عجبت لاشتباه الامر عليك فيهم مع شهادة اهل مصرهم عليهم وهم اعلم بهم . فان كانت لك حاجة في هذا المصر فلا تردن حجراً واصحابه اليه . فمر يزيد بحجر واصحابه فاخبرهم بما كتب به زياد . فقال له حجر : ابلغ امير المؤمنين انا على بيعته لا نقيها ولا نستقيها وانما شهد علينا الاعداء والاطنأ . فقدم يزيد بن حجة على معاوية بالكتاب واخبره بقول حجر . فقال معاوية : زياد اصدق عندنا من حجر

وكتب جرير بن عبدالله في أمر الرجلين اللذين من بجيلة . فوهبهما له وليزيد بن اسد . وطلب وائل بن حجر في الارم الكندي فتركه . وطلب ابو الاور في عتبة بن الاخنس فوهبه له . وطلب حمزة بن مالك الهمداني في سعيد بن غران فوهبه له . وطلب حبيب بن مسلمة في ابن عبدالله بن جوية التيمي فخلى سيده فقام مالك بن هيرة فسأله في حجر فلم يشفعه . فغضب وجلس في بيته . وبعث معاوية هذبة بن فياض القضاعي والحصين بن عبدالله الكلابي وآخر معها يقال له ابو صريف البدري

(١) حرامُ المال والدم اي لا يستحل سفك الدم واخذ المال ظلماً

فاتوهم عند المساء . فقال الحشمي حين رأى الاعور : يُقتل نصفنا وينجو نصفنا . فقال سعيد بن غرّان : اللهم اجعلني ممن ينجو وأنت عني راض .
فقال عبد الرحمن بن حسان العنزي : اللهم اجعلني ممن تكرم بهوانهم وانت عني راض . فظالما عرضت نفسي للقتل . فأبى الله إلا ما أراد . فجاء رسول معاوية اليهم . فانه لهم اذ جاء رجول بتخلية ستة منهم . وبقي ثمانية . فقال لهم رسل معاوية : انا قد أمرنا أن نعرض عليكم البراءة من علي واللعن له فان فعلتم هذا تركناكم وان أبيتم قتلناكم . وامير المؤمنين يزعم ان دماءكم قد حلت بشهادة اهل مصرم عليكم . غير انه قد عفا عن ذلك . فابراؤوا من هذا الرجل يخل سبيلكم . قالوا : لستنا فاعلين . فأمرؤا بقيودهم فحلت . وأتي باكفانهم فقاموا الليل كله يصلون . فلما اصبحوا قال اصحاب معاوية : يا هؤلاء . قد رأيناكم البارحة اطلتم الصلاة واحسنتم الدعاء . فأخبرونا ما قولكم في عثمان . قالوا : هو اول من جار في الحكم وعمل بغير الحق . فقالوا : امير المؤمنين كان أعرف بكم . ثم قاموا اليهم وقالوا : تبراؤن من هذا الرجل . قالوا : بل نتولاه . فأخذ كل رجل منهم رجلاً يقتله . فوقع قبضة في يدي ابي صريف البدري . فقال له قبضة : ان الشر بين قومي وقومك آمن اي آمن فليقتلني غيرك . فقال : برتك رجم . فاخذه الحضرمي فقتله . وقتل القضاعي صاحبه . ثم قال لهم حجر : دعوني اصلي ركعتين فاني والله ما توضأت قط الا صليت . فقالوا له : صل . فصلى ثم انصرف فقال : والله ما صليت صلاة قط أقصر منها ولولا ان يروا أن ما بي جزع من الموت لأحببت ان استكثر منها . ثم قال : اللهم انا نستعديك على امتنا فان اهل الكوفة قد شهدوا علينا

وان اهل الشام يقتلوننا . اما والله لئن قتلتمونا فاني اول فارس من المسلمين سلك^١ في واديهما واول رجل من المسلمين نبحته كلابها . فشى اليه هذبة بن الفياض الاعور بالسيف . فأرعدت فصائله . فقال : كلاً زعمت انك لا تجزع من الموت . فاناً ندعك فابراً من صاحبك . فقال : ما لي لا اجزع وانا ارى قبراً محفوراً وكفنأ منشوراً وسيفاً مشهوراً . واني والله ان جزعت لا اقول ما يُسخط الرب . فقتله . واقبلوا يقتلونهم واحداً واحداً حتى قتلوا ستة نفر . فقال عبد الرحمن بن حسان وكريم ابن عفيف : ابشوا بنا الى امير المؤمنين فنحن نقول في هذا الرجل مثل مقالته . فبعثوا الى معاوية فاخبروه . فبعث : اتوني بها . فالتفتا الى حجر فقال له العزري : لا تبعد يا حجر ولا يبعد مثواك فنعم اخو الاسلام كنت . وقال الحثمي نحو ذلك . ثم مضى بها . فقال العزري متمثلاً :

كفى بشقاء القبر بعداً لهالك وبالموت قطعاً لحبل القرائن

فلما دخل عليه الحثمي قال له : الله الله يا معاوية انك منقول من هذه الدار الزائلة الى الدار الآخرة الدائمة ومسؤول عم اردت بقتلنا وفيهم سفكت دماءنا . فقال : ما تقول في علي . قال : اقول فيه قولك . أتبرأ من دين علي الذي كان يدين الله به . وقام سير بن عبد الله الحثمي فاستوهبه . فقال : هو لك غير اني حابسه شهراً . فحبسه ثم اطلقه على ان لا يدخل الكوفة ما دام له سلطان . فترل الموصل فكان ينتظر موت معاوية ليعود الى الكوفة فبات قبل معاوية بشهر . واقبل على عبد الرحمن بن حسان فقال له : يا اخا ربعة ما تقول في علي . قال : اشهد انه

من الذاكرين الله كثيراً والآخرين بالمعروف والناهين عن المنكر والعافين
 عن الناس . قال : فما تقول في عثمان . قال : هو أول من فتح ابواب الظلم
 وأرتج ابواب الحق . قال : قتلت نفسك . قال : بل اياك قتلت . لا ربيعة
 بالوادي يعني انه ليس ثم احد من قومه فيتكلم فيه . بعث به معاوية
 الى زياد وكتب اليه : ان هذا شر من بعثت به فعاقبه بالعقوبة التي هو
 اهلها واقتله شر قتلة . فلما قدم به على زياد بعث به الى قيس الناظف
 فدفنه حياً . قال ابو مخنف عن رجاله : فكان من قتل منهم سبعة نفر . . .
 وبعث معاوية الى مالك بن هبيرة لما غضب بسبب حجر مائة الف درهم
 فرضي . قال ابو مخنف : فحدثني ابن ابي زائدة عن ابي اسحق قال :
 ادركت الناس يقولون اول ذل دخل الكوفة قتل حجر بن عدي
 ودعوة زياد^(١) وقتل الحسين . وحدثني عبد الملك بن نوفل : ان عائشة
 بعثت عبد الرحمن بن الحرث بن هشام الى معاوية في حجر واصحابه .
 فقدم عليه وقد قتلهم فقال له : اين غاب عنك حلم ابي سفيان . فقال :
 حين غاب عني مثلك من حلما . قومي وحلمي ابن سمية^(٢) فاحتملت .
 وقالت امرأة من كندة تربي حجراً :

ترفع ايها القمر المنير	لعلك ان ترى حجراً يسير
يسير الى معاوية بن حرب	ليقتله كما زعم الامير
ألا ياليت حجراً مات موتاً	ولم ينحصر كما نحصر البعير
تربعت الجبابر بعد حجر	وطاب لها الخورنق والسدير

(١) دعوة زياد اي ادعاء معاوية ان زياداً اخوه وإلحاقه بولد ابي سفيان

(٢) ابن سمية هو زياد

واصبحت البلاد له محولاً كأن لم يجيها وزن مطير
 ألا يا حجر حجر بني عدي تلقتك السلامة والسرور
 اخاف عليك سطوة آل حرب وشيخاً في دمشق له زبير
 يرى قتل الخيار عليه حقاً له من شر أمته وزير
 فان تهلك فكل زعيم قوم الى هلك من الدنيا يصير



اهل الكوفة وسعيد بن العاص

كانت ولاية ابي موسى الكوفة بعد ان اخرج أهلها سعيد بن العاص
 عنها وتحالفوا ان لا يولوا عليها الا من يريدون . أخبر بالسبب في ذلك
 احمد بن العزيز الجوهري قال :

كان قوم من وجوه اهل الكوفة من القراء يختلفون الى سعيد بن
 العاص ويسألونه . فتذاكروا يوماً السهل والجبل فقال حسان بن محدوج :
 سهلنا خير من جبلنا . اكثر بُراً وشعيراً . فيه أنهار مطردة ونخل باسقات .
 وقلت فاكهة يُنبثها الجبل الا والسهل يُنبث مثلها . فقال له عبد الرحمن
 ابن حبيش : صدقتم . وددتُ انها للامير وان لكما افضل منه . فقال
 الاشتر : تمن للامير افضل ولا تتقرب اليه بأموالنا . فقال : ما ضرك ذلك
 والله لو يشاء ان يكون له لكان . قال : لقد كذبت . والله لو أراد
 ذلك ما قدر عليه . فقال سعيد : والله ما السواد الا بستان لغريش ما
 شئنا اخذنا منه وما شئنا تركنا . فقال له الاشتر : وانت تقول هذا
 اصلحك الله وهذا من مركز رماحنا وفيثنا . ثم ضربوا عبد الرحمن بن

حبيش حتى سقط . قال المدائني : فحدثني علي بن مجاهد قال : بينا القراء عند سعيد بن العاص وهم يأكلون تمرًا وزبدًا اذ قال سعيد : السواد بستان قريش فما شئنا اخذنا منه وما شئنا تركنا . فقال له عبد الرحمن بن حبيش وكان على شرطة سعيد : صدق الامير . فوثب عليه القراء فضربوه وقالوا له : يا عدو الله يقول الباطل وتصدقهُ . قال سعيد : اخرجوا من داري . فخرجوا . فلما اصبحوا أتوا المسجد فداروا على الخلق فقالوا : ان اميركم زعم ان السواد بستان له ولقومه وهو فيئنا وصر كز رماحنا . فوالله ما على هذا بايعنا ولا عليه أسلمنا . فكتب سعيد الى عثمان رضي الله عنه : ان قبلي قوماً يُدعون القراء وهم السفهاء وثبوا على صاحب شرطتي فضربوه واستخفوا بي . منهم عمرو بن زُرارة وكَيْل المكف وزيد وصعصة ابنا صوحان وجندب بن عبدالله . فكتب اليهم عثمان رضي الله عنه يأمرهم ان يخرجوا الى الشام ويفزوا مغازيهم . وكتب الى سعيد : قد كفيتك الذي اردت فأقرأهم كتابي فاني لا اراهم يخالفون ان شاء الله واثق الله جلَّ وعزَّ وأحسن السيرة . فأقرأهم الكتاب فخرجوا الى دمشق فآكرمهم معاوية وقال : انكم قدمتم بلداً لا يعرف اهله الا الطاعة فلا تجادلوهم فتدخلوا الشك قلوبهم . فقال له الاشتر : ان الله جلَّ وعزَّ قد أخذ على العلماء في علمهم ميثاقاً ان يبينوه للناس ولا يكتبوه . فان سألنا سائل عن شيء نعلمه لم نكتمه . فقال : قد خفت ان تكونوا مُرصدين للفتنة فاتقوا الله ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات . فقال عمرو بن زُرارة : نحن

الذين هدى الله . فأمر معاوية بجلبهم . فقال له زيد بن صوحان : ان الذين اشخصونا اليك لم يعجزوا عن حبسنا لو أرادوا . فأحسنوا جوارنا . وان كنا ظالمين فنستغفر الله وان كنا مظلومين فنسأل الله العافية . فقال له معاوية : اني لا ارى حبسك امراً صالحاً فان احببت ان آذن لك فترجع الى مصرك وأكتب الى امير المؤمنين بإذنك فعلت . قال : فحسبي ان تأذن لي وتكتب الى سعيد . فكتب اليه . فأذن له . فلما أراد زيد الشخص كلفه في الاشر وعمر بن زرارة فاخرجها . واقام القوم بدمشق لا يرون امراً يكرهونه . ثم اشخصهم معاوية الى حمص فكانوا بها حتى اجمع اهل الكوفة على اخراج سعيد فكتبوا اليهم فقدموا . (قال ابو زيد) قال المدائني : حدثني الواقصي عن الزهري ان اهل الكوفة لما قدموا على عثمان يشكون سعيداً قال لهم : أكتب اليه فأجمع بينكم وبينه . ففعل . فلم يحققوا عليه الا قوله السواد بستان قريش واثني الآخرون عليه . فقال عثمان : ارى اصحابكم يسألون إقراره ولم يُثبتوا عليه الا كلمة واحدة ولم ينتهك بها لاحد حرمة . ولا ارى عزله الا ان تُثبتوا عليه ما لا يحل لاحد تركه معه . فأنصرفوا الى مصركم . فرجع سعيد والفريقان معه وتقدمهم علي بن الهيثم السدوسي حتى دخل رجة المسجد فقال : يا اهل الكوفة انا اتينا خليفتنا فشكونا اليه عامِلنا ونحن نرى انه سيصرفه عنا فردّه الينا وهو يزعم ان السواد بستان له . وانا امرؤ منكم ارضى اذ رضيتم . فقالوا : لا نرضى . وجاء الاشر فصعد المنبر فخطب خطبة ذكر فيها النبي (صلعم) وأبا بكر وعمر رضي الله عنها وذكر عثمان رضي الله عنه فحرّض عليه . ثم قال : من كان يرى ان

الله جلَّ وعزَّ حقاً فليصبح بالجرعة^(١) . ثم قال الكميل بن زياد : انطلق
فأخرج ثابت بن قيس بن الحظيم . فأخرجه واستعمل اهل الكوفة أبا
موسى الأشعري رضي الله عنه

حبس ابن مفرغ

هو يزيد بن ربيعة بن مفرغ ولقب جده مفرغاً لأنه راهن على سقاء
لبن ان يشربه كله فشربه حتى فرغ فلقب مفرغاً ويكنى ابا عثمان وهو
من حمير فيما يزعم اهله . وكان شاعراً غزلاً محسناً والسيد من ولده
حدث احمد بن الهيثم قال : حدثنا العمري عن لقيط بن بكير
قالوا جميعاً : لما ولي سعيد بن عثمان بن عفان خراسان استصحب يزيد بن
ربيعة بن مفرغ واجتهد به ان يصحبه . فأبى عليه وصحب عبّاد بن زياد .
فقال له سعيد بن عثمان : اما اذ أبيت ان تصحبني وآثرت عبّاداً فاحفظ
ما أوصيك به . ان عبّاداً رجل لثيم فإياك والدلالة عليه . وان دعاك اليها
من نفسه فانها خدعة منه لك عن نفسك . وأقلل زيارته فانه طرف
ملول . ولا تفاخره وان فاخره فانه لا يحتمل لك ما كنت احتمله . ثم
دعا سعيد بال فدفعه الى ابن مفرغ وقال : استعن به على سفرك فان
صح لك مكانك من عبّاد والأفكانك عندي ممهد فائتني . ثم سار
سعيد الى خراسان وتحلف ابن مفرغ عنه وخرج مع عبّاد . قال ابن دريد
في خبره عن مسلمة بن محارب : فلما بلغ عبّاد الله بن زياد صحبة ابن

(١) الجرعة وورد أيضاً الجرعة بسكون الراء . مكان قرب القادسية

مفرغ اخاه عبّاداً شقّ عليه . فلما سار اخوه عباد شيعة وشيعة الناس معه وجعلوا يودعون ويودع الخارجون مع عباد عبيد الله بن زياد . فلما أراد عبيد الله ان يودع اخاه دعا ابن مفرغ فقال له : انك سألت عبّاداً ان تصحبه وأجابك الى ذلك وقد شقّ عليّ . فقال له ابن مفرغ : ولم أصلحك الله . قال : لان الشاعر لا يقنعه من الناس ما يقنع بعضهم من بعض لانه يظن فيجعل الظن يقيناً ولا يعذر في موضع وان عبّاداً يقدم على ارض حرب فيشتغل بجروبه وخواجه عنك فلا تعذره انت وتكسبنا شراً وعاراً . فقال له : لست كما ظن الامير وان لمعروفه عندي لشكراً كثيراً وان عندي ان اغفل امري عذراً ممهداً . قال : لا ولكن تضمن لي ان ابطأ عنك ما تحبه ان لا تعجل عليه حتى تكتب اليّ . قال : نعم .

قال : امض اذا على الطائر الميمون . (قال) فقدم عباد خراسان واشتغل بجروبه وخواجه فاستبطأه ابن مفرغ ولم يكتب الي عبيد الله بن زياد يشكوه كما ضمن له ولكنه بسط لسانه فذمه وهجاه . وكان عباد عظيم اللحية كأنها جوارق . فسار يزيد بن مفرغ مع عباد فدخلت الريح فنفتها فضحك ابن مفرغ وقال لرجل من لحم كان الى جنبه قوله :

الاي لئ اللحي كانت حشيشاً فتعلفها خيول المسلمينا

فسعى به اللخمي الى عباد فغضب من ذلك غضباً شديداً وقال :

لا يحمل بي عقوبته في هذه السرعة مع الصحبة لي وما اوخرها الا
لأشفي نفسي منه لانه كان يقوم فيشتم أبي في عدة مواطن . وبلغ الخبر
ابن مفرغ فقال : اني لأجد ريح الموت من عباد . ثم دخل عليه فقال
له : ايها الامير اني كنت مع سعيد بن عثمان وقد بلغك رأيه في وجيل

اثره عليّ واني اخترتك عليه فلم أحلّ منك بطائل وأريد أن تأذن لي
 في الرجوع فلا حاجة لي في صحبتك . فقال له : امّا اختيارك اياي فاني
 اخترتك كما اخترتني واستصحبتك حين سألتني وقد اعجلتني عن بلوغ
 محبتي فيك . وطلبت الآن لترجع الى قومك فتفضحني فيهم . وانت علي
 الاذن قادر بعد ان أقضي حَقَّكَ . وبلغ عباداً انه يسبه ويذكوه وينال
 من عرضه . وأجرى عباد الخيل فجاء سابقاً . فقال ابن مفرغ : سبق عباد
 وصلحت لحيتة . وطلب عليه العللّ ودسّ الى قوم . كان لهم عليه دينٌ
 فأمرهم ان يقدموه اليه . ففعلوا . فحبسه وأضرّ به فبعث اليه أن : بعني
 الاراكة وبردًا . وكانت الاراكة قينة لابن مفرغ وبرد غلامه ربّاهما
 وكان شديد الضنّ بها . فبعث اليه ابن مفرغ مع الرسول : أبيع المرء
 نفسه او ولده . فأضرّ به عباد حتى اخذهما منه . هذه رواية مسلمة .
 واما لقيط وعمر بن شبة فانها ذكرا انه باعها عليه فاشتراها رجل من
 اهل خراسان . قال لقيط : فلما دخلا منزله قال له برد وكان داهية اديباً :
 أتدري ما اشتريت . قال : اشتريتك وهذه الجارية . قال : لا والله ما
 اشتريت إلا العار والدمار والفضيحة ابداً ما حينت . فخرج الرجل وقال
 له : كيف ذلك ويملك . قال : نحن ليزيد بن ربيعة بن مفرغ . والله ما
 أصاره الى هذه الحال إلا لسانه وشره . أفتراه يهجو ابن زياد وهو امير
 خراسان وأخوه امير العراقين وعمّه الخليفة في ان استبطأه ويُمسك عنك
 وقد ابتعتني وابتعت هذه الجارية وهي نفسة التي بين جنبيه . والله ما
 اري احداً أدخل الى بيته أسأم على نفسه واهله ممّا ادخلته منزلك .
 فقال : فاشهد انك واياها له فان شئنا ان تمضيا اليه فامضيا . على أني

اخاف على نفسي ان بلغ ذلك ابن زياد وان شئت ان تكونا عندي
 فافعلوا . قال : فاكتب اليه بذلك . فكتب الرجل الى ابن مفرغ في
 الحبس بما فعله فكتب اليه يشكر فعله وسأله ان يكونا عنده حتى
 يفرج الله عنه . (قال) وقال عباد لحاجبه : ما ارى هذا يعني ابن مفرغ
 يبالي بالمقام في الحبس . فبع فرسه وسلاحه واثاثه واقسم ثمنها بين غرمائه
 ففعل ذلك وقسم الثمن بينهم وبقيت عليه بقية حبسه بها
 (قالوا) وعلم ابن مفرغ انه ان اقام على ذم عباد وهجائه وهو في
 حبسه زاد نفسه شراً . فكان يقول للناس اذا سألوه عن حبسه ما سئبه :
 رجل ادبه اميره ليقوم من اوده او يكف من غربه . وهذا لعمرى
 خير من جر الامير ذيله على مدهنة صاحبه . فلما بلغ ذلك عباداً من
 قوله رق له وأخرجه من السجن . فهرب حتى اتى البصرة . ثم خرج منها
 الى الشام وجعل ينتقل في مدنها هارباً ويهجو زياداً وولده . وقال المدائني
 في خبره : لما بلغ عباد بن زياد ان ابن المفرغ قال « سبق عباد وصلحت
 لحيته » دعا ابنه والمجلس حافل فقال له : انشدني هجاء ابيك الذي
 هجى به . فقال : ايها الامير ما كلف احد قط ما كلفني . فأمر غلاماً
 له اعجبياً وقال له : قم على رأسه فان انشد ما أمرته به والافصب
 السوط على رأسه ابداً او ينشده . فانشده ابياتاً هجى بها ابوه اولها :
 قبح الاله ولا يقبح غيره وجه الحمار ربيعة بن مفرغ
 وجعل عباد يتضحك به . فخرج ابن ابن مفرغ من عنده وهو
 يقول : والله لا يذهب شتم شيخني باطلاً . وقال يهجو به بقوله :

اصرمتَ جبلكَ من امامه من بعد ايام برامه
 فالريح تبكي شجوها والبرق يضحك في الغمامه^(١)
 لهفي على الرأي^(٢) الذي كانت عواقبه ندامه
 تركي سعيداً ذا الندى والبيت ترفعه الدعامة
 فتحت سمرقنداً له وبني بعرضتها خيامه
 وتبعتُ عبدُ بني علاج م تلك اشراط القيامة
 جاءت به حبشية سكاء^(٣) تحسبها نعامه
 وشريت برداً ليتني من بعد برد كنت هامه
 او بومة^(٤) تدعو صدى بين المشتر واليامه
 فالهول يركبه الفتى حذر المخازي والسامة
 والعبد يُقرع بالعصا والحر تكفيه الملامه

(قال) ثم لج في هجاء بني زياد حتى تغنى اهل البصرة في اشعاره .
 فطلبه عبيدالله طلباً شديداً حتى كاد يؤخذ فلقح بالشام

(قال) فلم يزل ينتقل في قرى الشام ونواحيها ويهجو بني زياد
 واشعاره فيهم ترد البصرة وتنتشر وتبلغهم . فكتب عبيدالله بن زياد
 الى يزيد يقول له : ان ابن مفرغ هجا زياداً وبني زياد بما هتكه في قبره
 وفضح بنيه طول الدهر وتعدى ذلك الى ابي سفيان فقذفه بالزنا وسب
 ولده فهرب من خراسان الى البصرة وطلبته حتى لفظته الارض فلجأ
 الى الشام يتمضغ لحومنا بها ويهتك اعراضنا وقد بعثت اليك بما هجانا به
 لتتصف لنا منه . ثم بعث بجميع ما قاله ابن مفرغ فيهم . فأمر يزيد بطلبه .

فجعل ينتقل من بلد الى بلد . فاذا شاع خبره انتقل حتى لفظته الشام فأتى البصرة وتزل على الاحنف بن قيس فالتجأ به واستجار . فقال له الاحنف : اني لا أجير على ابن سميّة فأعزل . وانما يجير الرجل على عشيرته فاما على سلطانه فلا . فان سئت اجرتك من بني سعد وشعرانهم فلا يريبك منهم ريب . فقال له ابن مفرغ : بأستاه بني سعد وما عساهم ان يقولوا في هذا ما لا حاجة لي فيه . ثم أتى خالد بن عبدالله بن خالد بن أسيد فاستجار به . فأبى ان يجيره . فأتى عمر بن عبيدالله بن معمر . فوعده . وأتى طلحة الطلحات . فوعده . وأتى المنذر بن الجارود العدي . فأجاره . وكانت بحرية بنت المنذر تحت عبيدالله . وكان المنذر من اكرم الناس عليه فاغتر بذلك وادل بموضعه منه . وطلبه عبيدالله وقد بلغه وروده البصرة . فقيل له : اجاره المنذر بن الجارود . فبعث عبيدالله الى المنذر فأتاه . فلما دخل عليه بعث عبيدالله بالشرط فكبسوا داره وأتوه بابن مفرغ . فلم يشعر المنذر الا بابن مفرغ قد أقيم على رأسه . فقام المنذر الى عبيدالله فكلّمه فيه فقال : اذكرك الله ايها الامير ان لا تُخفّر^(١) جوارى فاني قد اجرتك . فقال عبيدالله : يا منذر ليمدحن اباك وليمدحنك وقد هجاني وهجا ابي ثم تجيره^(٢) علي . لاها الله لا يكون ذلك ابدا ولا أغفرها له . فغضب المنذر . فقال له : لعلك تدل بكريمتك عندي ان سئت والله لأبينها بتطبيق^(٣) البتة . فخرج المنذر من عنده . وأقبل عبيدالله على ابن مفرغ فقال له : بنما صحبت به عبادا . قال : بنما صحبتني به عباد

(١) خفر الرجل اجاره ومنعه وامنه . واخفر الجوار انتهكه والهمزة

للإزالة اي ازلت خفارته (٢) اي لأفصلها عني بطلاق

اخترته على سعيد وأنفقت على صحبته كل ما أفدته وكل ما أملاكه
ثم قابلني بكل قبيح وتناولني بكل مكروه من حبس وغوم وشتم وضرب
فكنت كمن شام بوقاً خلباً في سحاب جهام^(١) فأراق ماءه طبعاً فيه
فمات عطشاً . وما هربت من اخيك إلا لما خفت من ان يجري في الى ما
يندم عليه . وقد صرت الآن في يدك فشأنك فاصنع بي ما أحببت .
فأمر بجسسه . وكتب الى يزيد بن معاوية يسأله ان يأذن له في قتله .
فكتب اليه : اياك وقتله ولكن عاقبه بما ينكله ويشد سلطانك ولا تبلغ
نفسه . فان له عشيرة هي جندي وبطانتي ولا ترضى بقتله مني ولا تقنع
إلا بالقود منك فاحذر ذلك واعلم انه الجد منهم ومني وانك مرتهن
بنفسه ولك في دون تلفها مندوحة^(٢) تشفي من الغيظ . فورد الكتاب
على عبيدالله بن زياد فامر بابتن مفرغ فسقي نبيذاً حلواً قد خلط معه
الشبرم^(٣) فأسهل بطنه وطيف به وهو في تلك الحال . وقرن بهرة
وختزيرة والصبيان يتبعونه . وجعل كلما يجر الخنزيرة ضفت . فجعل يقول :
ضجّت سمية^(٤) لما لزمها قرني لا تجزعي ان شر الشيمة الجزع
فجعل يطاف به في اسواق البصرة والصبيان خلفه يصيحون به .
وألح عليه ما يخرج منه حتى اضعفه فسقط . فعرف ابن زياد ذلك فقيل :
انه لما به لا نأمن ان يموت . فأمر به ان يغسل . ففعلوا ذلك به . فلما
اغتسل قال :

يَغْسِلُ الْمَاءُ مَا فَعَلْتُ وَقَوْلِي رَاسِخٌ مِنْكَ فِي الْعِظَامِ الْبَوَالِي

(١) الجهم السحاب لا ماء فيه قد هراق ماءه

(٢) الشبرم نبت (٣) سمية اسم زياد فخص هذا الاسم بالخنزيرة

فردّه عبيد الله الى الحبس وامر بان يسلم محبباً . وقدّموا له علوجاً
وأمر بان يحجمهم وقامت الشرط على رأسه تصب عليه السيّاط ويقولون
له : احجمهم . فكان يأخذ المشارط فيقطع بها رقابهم فيتوارون منه .
فترك وردّه الى محبسه . فقال :

وما كنت حجّاماً ولكن أحلّني بمثلة الحجّام نأبي عن الأهل

وقال ايضاً يذكر ما فعل به ابن زياد :

دار سلمى بالحبّ ذى الأطلال . كيف نومُ الأسير في الاغلال
ابن منى السلام من بعد نأبي . فارجمي لي تحيتي وسوّالي
ابن منى نجائي وحيادي . وغزالي سقى الاله غزالي
ابن لا أين جنّتي وسلاحي . ومطايا سيرتها لارتحالي
هدم الدهر عرشنا فتداعى . فبلينا اذ كلُّ عيش بال
اذ دعانا زواله فاجبنا . كلُّ دنيا ونعمة لزوال
أم قضينا حاجتنا فالى المو . ت مصيرُ الملوك والاقبال
لا وصومي لربنا وزكاتي . وصلاتي ادعو بها وابتهالي
ما أتيت الفداة امرأ دنياً . ولدى الله كابرُ الأعمال
ايها المالك المرهب بالقتل م . بلغت النكال كلّ النكال
فاخشن ناراً تشوي الوجوه ويوماً . يقذفُ الناس بالدواهي الثقال
قد تعدّيت في القصاص وادركت م . ذُحولا لمعشرٍ اقبال^(١)
وكسرت السنّ الصّحيحة مني . لا تُذلّني^(٢) فنكرُ إذلالي
وقرنتم مع الخنازير هراً . ويميني مغولةٌ وشالي

وَكِلَابًا يَنْهَشْنِي مِنْ وَرَائِي
 وَأَطَلْتُمْ مَعَ الْعُقُوبَةِ سِجْنًا
 يَغْلُ الْمَاءَ مَا صَنَعْتُ وَقَوْلِي
 لَوْ قَبِلْتَ الْفِدَاءَ أَوْ رُمْتَ مَالِي
 لَوْ بَغِيرِي مِنْ مَعْشَرِ لَبِّ الدَّهْرِ م
 كَمْ بَكَانِي مِنْ صَاحِبٍ وَخَلِيلٍ
 لَيْتَ إِنِّي كُنْتُ الْخَلِيفَ لِلْخَمِ
 بَدَلًا مِنْ عِصَابَةٍ مِنْ قَرِيشٍ
 الْبِهَالِيلِ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ
 وَبَنِي التَّمِيمِ تَمِيمٌ مَرَّةً لَمَّا
 مَنَعُوا الْبَيْتَ بَيْتَ مَكَّةَ ذَا الْحَجَرِ م
 وَالْبِهَالِيلِ خَالِدٌ وَسَعِيدٌ
 فِي الْأُرُومَاتِ وَالذَّرَى مِنْ بَنِي الْعَيْصِ م
 كُنْتُ مِنْهُمْ مَا حَرَمُوا فَحْرَامًا
 وَذَوْرَ الْمَجْدِ مِنْ خُرَاعَةٍ كَانُوا
 خَذَلُونِي وَهُمْ لَذَاكَ دَعَوْنِي
 لَا تَدْعَنِي فَذَاكَ أَهْلِي وَمَالِي
 حَسْرَتًا إِذَا أَطَعْتُ أَمْرًا غَوَاتِي

وقال يهجو عبادة بن زياد ويذكر سعيد بن عثمان :

أَيُّهَا الشَّامُ جَهْلًا سَعِيدًا
 مَا أَبُوكُمْ مُشْبَهًا لِأَبِيهِ
 وَسَعِيدٌ فِي الْحَوَادِثِ نَابٌ
 فَاسْأَلُوا النَّاسَ بِذَاكُمْ تَجَابُوا

ساد عبادُ ومالاً جيشاً سبَّحت من ذاك صم صلابُ
 انَّ عاماً صرتَ فيه اميراً تملكُ الناسَ لعامٌ عجابُ
 (قال) واتصل هجاؤه زياداً وولدهُ وهو في الحبس فردهُ
 عبيد الله الى اخيه عباد بسجستان ووكل به رجالاً ووجههم معه . وكان
 لما هرب من عباد يهجوهُ ويكتب كل ما هجاه به على حيطان الخانات .
 وأمر عبيدُ الله الموكلين به ان يأخذوه بمحو ما كتبه على الحيطان
 باظافيره . وامرهم ان لا يتركوه يصلي الا الى قبلة النصارى الى المشرق .
 فكانوا اذا دخلوا بعض الخانات التي تزلها فراوا فيها شيئاً مما كتبه من
 الهجاء اخذوه بان يحوه باظافره . فكان يفعل ذلك ويحكهُ حتى ذهبت
 اظافره فكان يحوه بعظام اصابعه ودمه . حتى سلّموه الى عباد فحبسهُ
 وضيق عليه . وقال ابن مفرغ :

اصاب عراقي اللون فاللون ساحبُ
 قرنتُ بجزيرٍ وهرٍ وكلبة
 وجرعتها صهباء من غير لذة
 وأطعمت ما لا ان يحلُّ لأكلٍ
 من الطّف^(٢) مجلوباً الى ارض كابلٍ
 فلو ان لحمي اذ هوى لعبت به
 لهونٌ وجدي او لزادت بصيرتي
 كما الرأسُ من هول المنية اشيبُ
 زماناً وشان الجلد ضربٌ مشدبٌ^(١)
 تُصعدُ في الجئان ثم تصوبُ
 وصلت شرقاً بيت مكة مغربُ
 فقلوا وما ملّ الاسير المعربُ
 كرام الملوك او أسودٌ وأذوبُ
 ولكننا أودت بلحمي أكلبُ

(١) شذب الشجر قطع ما عليه من الاغصان استماره لاعضاء الجسد

(٢) الطّف لغة ساحل البحر وجانب البرّ . وهو هنا اسم موضع بناحية

الكوفة سمي بالطّف لانه طرف البرّ مما يلي الفرات

أَعْبَادُ مَا لِلَّوْمِ عَنْكَ مُحَوَّلٌ وَلَا لَكَ أُمَّ فِي قُرَيْشٍ وَلَا أَبٌ
سَيْنَصْرُئِي مَنْ لَيْسَ تَنْفَعُ عِنْدَهُ رُقَاكَ وَقَرْمٌ مِنْ أُمَّةٍ مُصْعَبٌ
فَلَمَّا طَالَ مَقَامُ ابْنِ مَفْرَعٍ فِي السِّجْنِ اسْتَأْجَرَ رَسُولًا إِلَى دِمَشْقٍ وَقَالَ
لَهُ : إِذَا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَتَفَّ عَلَى دَرَجِ جَامِعِ دِمَشْقٍ ثُمَّ اقْرَأْ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ
بِأَرْفَعِ مَا يَمَكِّنُكَ مِنْ صَوْتِكَ . وَكُتِبَ فِي رَقْعَةٍ وَهُمَا :

أَضْحَى دَعْيُ زِيَادٍ فَتَعَّ قَرَقَرَةً^(١) يَا لِلْعَجَائِبِ يَلْهُو بَابِنِ ذِي يُونِ
وَالْحِمِيرِيِّ طَرِيحٌ وَسَطَ مَزْبَلَةٍ هَذَا لِعَمْرِكُمْ غَبْنٌ مِنَ الْغَبْنِ

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ فِي رِوَايَتِهِ عَنْ لَقِيْطٍ : أَنَّ ابْنَ مَفْرَعٍ لَمَّا طَالَ
حَبْسُهُ وَبَلَاؤُهُ رَكِبَ طَلْحَةَ الطَّلِحَاتِ إِلَى الْحِجَازِ وَلَقِيَ قُرَيْشًا . وَكَانَ ابْنُ
مَفْرَعٍ حَلِيفًا لِنَبِيِّ أُمَّةٍ . فَقَالَ لَهُمْ طَلْحَةُ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشِ أَنْ أَخَاكُمْ وَحَلِيفَتَكُمْ
ابْنُ مَفْرَعٍ قَدْ ابْتَلَى بِهَذِهِ الْأَعْبُدِ مِنْ بَنِي زِيَادٍ وَهُوَ عَدِيدُكُمْ وَحَلِيفَتَكُمْ
وَرَجُلٌ مِنْكُمْ وَوَاللَّهِ لَا أَحَبُّ أَنْ يُجْرِيَ اللَّهُ عَاقِبَتَهُ عَلَى يَدَيْ دُونِكُمْ وَلَا
أَفْوَزٌ بِالْمَكْرُمَةِ فِي أَمْرِهِ وَتَحَلُّوا مِنْهَا . فَانْهَضُوا مَعِيَ بِجَمَاعَتِكُمْ إِلَى يَزِيدِ
ابْنِ مَعَاوِيَةَ فَإِنَّ أَهْلَ الْيَمَنِ قَدْ تَحَرَّكُوا بِالشَّامِ . فَرَكِبَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
ابْنَ خَالِدِ بْنِ أَسِيدٍ وَأُمَّةٌ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ أَخُوهُ وَعَمْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ فِي
وَجْهِ خُزَاعَةَ وَكِنَانَةَ وَخَرَجُوا إِلَى يَزِيدٍ . فَبَيْنَمَا هُمْ يَسْتُرُونَ ذَاتَ لَيْلَةٍ
إِذْ سَمِعُوا رَاكِبًا يَتَغَنَّى فِي سَوَادِ اللَّيْلِ بِقَوْلِ ابْنِ مَفْرَعٍ وَيَقُولُ :

أَنَّ تَرْكِي نَدَى سَعِيدِ بْنِ عَثْمَانَ مِ بِنِ عَثْمَانَ نَاصِرِي وَعَدِيدِي
وَأَتْبَاعِي أَخَا الضَّرَاعَةَ وَاللَّوْمِ مِ لِنَقْصِ وَفَوْتُ شَاوِ بَعِيدِ

(١) الفقع نبت يطلع من الارض وهو ايض وهو رديء يشبه به الرجل الذليل
لان الدواب تنجله بارجلها فيقال فقع قرقر وفقع قرقره . وخبر اضحى « يلهو »

قلتُ والليلُ مُطبقٌ بعراهُ
ليتني متُّ قبلَ تركي انخا النجدة م
عشمي ابوهُ عبدُ منافٍ
ثم جودٌ لو قيل فيه مزيدٌ
قل لِقومي لدى الابطاح من آل م
سامني بعدكم دعي زيادٍ
كان ما كان في الاراكة واجتب م
اوغل العبدُ في العقوبة والشم م
فأرحلوا في حليفكم وانحيكم
فاطلبوا النصفَ من دعي زيادٍ
ليتني متُّ قبلَ تركِ سيدي
واخزم والنعالِ الشديدِ
فاز منها بتاجها المعقودِ
قلتُ للسائلين ما من مزيدِ
لوئي بن غالبِ ذي الجودِ
خطَّة القادر اللئيم الزهيدِ
بُردٍ^١ سنام عيشي وجيدي
وأودي بطارفي وتليدي
نحو غوث المستصرخين يزيدِ
وسألوني بما ادَّعيتُ سُهودي

(قال) فدعا القوم بالراكب فقالوا له : ما هذا الذي سمعناه منك
تغني به . فقال : هذا قول رجل والله ان امره لعجب . رجل ضائع بين
قريش واليمن وهو رجلُ الناس . قالوا : ومن هو . قال ابن مفرغ . قالوا :
والله ما رحلنا الا فيه . وانتسبوا له . فضحك وقال : أفلا أسمعكم من
قوله ايضاً . قالوا : بلى . فانشداهم قوله :

لعمرى لو كان الاسيرُ ابنَ معمرٍ
ولو انهم نالوا اميَّة اُرقلت^٢
فأبلغتُ عُذراً في لوئي بن غالبِ
فان لم يغيرها الامام بجثها
فناديتُ فيهم دعوةً ينيَّةً
وصاحبه او شكله ابن اسيد
براحكها الوجناء نحو يزيدِ
وأُتلفَ فيهم طسارفي وتليدي
عدلتُ الى شَمِ شوامخِ صيدِ
كما كان آباي دَعوا وجدودي

ودافعتُ حتى أبلغَ الجهدَ عنهمُ دِفَاعَ امرئٍ في أخيرِ غيرِ زهيدِ
 فإن لم تكونوا عند ظني بنصركم فليس لها غيرِ الاغرِ سميدِ
 بنفسي وأهلي ذاك حياً وميتاً نضارٌ وعودُ المرءِ احكرمِ عودِ
 فكم من مقام في قریش كفيتهُ ويومِ يُثيبُ الكاعباتِ شديدِ
 وخصمِ تحاماهُ لويُّ بنِ غالبِ سَيِّتٌ له ناري فهابِ وقودي
 وخيرِ كثيرٍ قد افأتُ عليكمُ وانتم رُقودٌ او شيبهُ رُقودِ
 (قال) فاسترجع القوم لقوله وقالوا : والله لا نغسل رؤوسنا في العرب
 ان لم نغسلها بفكهِ . فاغذَّ القوم السيرَ^(١) حتى قدموا الشام وبعث اليها
 ابن مفرغ رجلاً من بني الحرث بن كعب . فقام على سور حمص فنادى
 بأعلى صوته الحصين بن غير وكان والي حمص بهذه الابيات وكان
 عظيم الجبهة :

امسى دعى زيادٍ فقعُ قرقره يا للعجائب يلهو باين ذي يزنِ
 والحميريُّ طريحٌ وسطَ مزبلةِ هذا لعمركم غيبٌ من الغبنِ
 قوموا فقولوا اميرَ المؤمنين لنا حقٌ عليكِ ومنٌ ليس كاللنِ
 فاكفف دعى زيادٍ عن اكارمنا ماذا تريدُ الى الأحقادِ والإحنِ
 فاجتمعت اليمانية الى حصين فعيروه بما قاله ابن مفرغ . فقال الحصين :
 ليس لي رأي دون يزيد بن اسد ومخرمة بن شرحبيل . فأرسل اليها
 فاجتمعوا في منزل الحصين . فقال لها حصين : اسمعا ما اهدى الي شاعركم
 وقاله لكم في اخيكم يعني نفسه وأنشدهم . فقال له يزيد بن اسد : قد
 جنتكم باعظم من هذا وهو قوله :

وما كنت حجّاماً ولكن احلني بمنزلة الحجّام نأبي عن الاصل .
فقال الحصين : والله لقد اساء الينا امير المؤمنين في صاحبنا مرتين احدهما
هرب اليه فلم يُجره . والأخرى انه امر بعذابه غير مراقب لنا فيه .
وقال يزيد بن اسد : اني لأظن ان طاعتنا ستفسد ويمحوها ما فعلَ بـابن
مفرغ واقد تطلع من نفسي شيء للموت^(١) احب اليّ منه . وقال مخزّمة
ابن شرحبيل : ايها الرجلان اعقلا فانه لا معاوية لكما واعرفا ان صاحبكما
لا تقدح فيه الغلظة فاقصدا التضرّع . فركب القوم الى دمشق وقدموا
على يزيد بن معاوية وقد سبقهم الرجل فنادى بذلك الشعر على درج
دمشق . فثارت اليمانية وتكلموا ومشى بعضهم الى بعض . وقدم وفد
القرشيين في امره مع طلحة الطلحات . فسبقوا القرشيين ودخلوا على
يزيد بن معاوية . فتكلم الحصين بن غير فذكر بلائه وبلاء قومه وطاعتهم
وقال : يا امير المؤمنين ان الذي اتاه ابن زياد الى صاحبنا لا قرار عليه وقد
سامنا عبيدُ الله وعباد خطة خسف وقلدانا قِلادة عار . فأزيف كميننا
من صاحبه . فوالله لئن قدرنا لننصفون^(٢) ولئن ظلمنا لنتصرن . وقال يزيد
ابن اسد : يا امير المؤمنين انا لو رضينا بُمثلة^(٣) ابن زياد بصاحبنا وعظيم
ما انتهك منه لم يرض الله عز ذكره بذلك . ولئن تقربنا اليك بما
يُسخط الله لبياعدتنا الله منك . وان يانيتك قد نفرت لصاحبها نفرة
طار غرابها وما ادري متى يقع . وكل نائرة^(٤) تقدح في الملك وان

(١) المعنى : الموت احب اليّ من ان ارى ما يعمل بـابن مفرغ

(٢) مثل بالرجل ومثل نكل وهي المثلة والمثلة

(٣) النائرة انتشار الفتنة

صغرت لم يؤمن أن تكبر وإطفاؤها خير من إضرارها . لاسيا اذا
كانت في أنف لا يُجدع ويد لا تُقطع . فأنصفنا من ابني زياد . وقال
مخرمة بن شرحبيل وكان متأهلاً " عظيم الطاعة في اهل اليمن : انه
لا يد تحجزك عن هوائك دون الله . ولو مثلت بأخينا وتوليت ذلك منه
بنفسك لم يقم فيه قائم ولم يعاتبك فيه معاتب . ولكن ابني زياد استخفنا
بما يشغل عليك من حمتنا وتهاونا بما تُكرمه منا . وانت بيننا وبين الله
فأنصفنا من صاحبك ولينفعنا بلاؤنا عندك . فقال يزيد : ان صاحبكم
اتي عظيم نفى زياداً من ابي سفيان ونفى عبداً وعبيد الله بن زياد
وقلدهم طوق الحمامة وما شجعه على ذلك إلا نسبة فيكم وحلفه في
قريش . فاما اذا بلغ الامر ما أرى وأشفى بكم على ما أشفى فهو لكم
وعلي رضاكم . (قال) وانتهى القرشيون الى الحاجب فاستأذن لهم
وقال لليمانيين : قد أتتكم برى الذهب من اهل العراق . فدخلوا
وسلموا والغضب يتبين في وجوههم . فظن يزيد الظنون وقال لهم :
ما لكم أنفتق فتق أو حدث حدث فيكم . قالوا : لا . فسكن . فقال
طلحة الطلحات : يا امير المؤمنين أما كفى العرب ما لقيت من زياد حتى
استعملت عليها ولده يستكثرون لك أحقادها ويبغضونك اليها . ان
عبيد الله وأخاه اتيا الى ابن مفرغ ما قد بلغك فأنصفنا منها إنصافاً
تعلم العرب ان لنا منك خلفاً من أبيك . فوالله لقد خبا لك فعلهما خبياً
عند اهل اليمن لا نحمده لك ولا نحمده لنفسك . وتكلم خالد بن
عبدالله بن خالد بن اسيد فقال : يا امير المؤمنين ان زياداً ربي في شر

حُجْر ونشأ في أخبث نَشْرٍ فَأَثِمَ نِصَابَهُ فِي قَرِيشٍ وَحَمَلْتُمُوهُ عَلَى رِقَابِ
 النَّاسِ فَوَثِبَ ابْنَاهُ عَلَى أَخِينَا وَحَلِيفِنَا وَحَلِيفِكَ ففَعَلَا بِهِ الْإِفَاعِيلُ الَّتِي
 بَلَعْتِكَ وَقَدْ غَضِبْتَ لَهُ قَرِيشُ الْحِجَازِ وَيَمِينُ الشَّامِ مَنْ لَا أَحَبُّ وَاللَّهِ لَكَ
 غَضَبُهُ فَأَنْصَفْنَا مِنْ ابْنِي زِيَادٍ . وَتَكَلَّمُ أَخُوهُ أُمِيَّةُ بِنَحْوِ مَا تَكَلَّمُ أَخُوهُ
 وَقَالَ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا أَحَطُّ رَحْلِي وَلَا أَخْلَعُ ثِيَابَ سَفَرِي أَوْ
 تُنْصَفْنَا مِنْ ابْنِي زِيَادٍ أَوْ تَعْلَمُ الْعَرَبُ أَنَّكَ قَدْ قَطَعْتَ أَرْحَامَنَا وَوَصَلْتَ
 ابْنِي زِيَادٍ بِقَطِيعَتِنَا وَحَكَمْتَ لَهُمْ بِغَيْرِ الْحَقِّ عَلَيْنَا . وَقَالَ ابْنُ مَعْمَرٍ :
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ ابْنَ مَفْرَعٍ ظَالِمًا نَاضِلًا عَنْ عَرْضِكَ وَعَرْضِ أَبِيكَ
 وَأَعْرَاضِ قَوْمِكَ وَرَمَى عَنْ جَمْرَةٍ^(١) أَهْلَكَ وَقَدْ أَتَى بَنُو زِيَادٍ فِيهِ مَا لَوْ
 كَانَ مَعَاوِيَةَ حَيًّا لَمْ يَرْضَ بِهِ . وَهَذَا رَجُلٌ لَهُ شَرَفٌ فِي قَوْمِهِ وَقَدْ تَفَرَّوْا لَهُ
 نَفْرَةً لَهَا مَا بَعْدَهَا . فَأَعْتَبْتَهُمْ^(٢) وَأَنْصَفَ الرَّجُلَ وَلَا تُؤَثِّرُ مَرْضَاةُ ابْنِي
 زِيَادٍ عَلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . فَقَالَ يَزِيدٌ : مَرْحَبًا بِكُمْ وَأَهْلًا وَاللَّهِ لَوْ
 أَصَابَهُ خَالِدُ ابْنِي بَا ذَكَرْتُمْ لِأَنْصَفْتُهُ مِنْهُ وَلَوْ رَحَلْتُمْ فِي جَمِيعِ مَا تَحِيطُ بِهِ
 الْعِرَاقَ لَوَهَبْتُهُ لَكُمْ وَمَا عِنْدِي إِلَّا أَنْصَافُ الْمَظْلُومِ . وَلَكِنْ صَاحِبُكُمْ
 أَسْرَفَ عَلَى الْقَوْمِ . وَكَتَبَ يَزِيدٌ بِنَاءَ دَارِهِ وَرَدَّ مَالَهُ وَتَحْلِيَةَ سَبِيلِهِ وَلَا
 لِأَمْرَةٍ لِأَحَدٍ مِنْ بَنِي زِيَادٍ عَلَيْهِ . وَقَالَ : لَوْلَا أَنَّ فِي الْقَوَدِ بَعْدَ مَا جَرَى فِسَادًا
 فِي الْمَلِكِ لِأَقْدَتِهِ مِنْ عَبَادٍ وَسَرَّحَ يَزِيدٌ رَجُلًا مِنْ بَنِي حَمِيرٍ يُقَالُ لَهُ خَمَخَامٌ
 وَكَتَبَ مَعَهُ إِلَى عَبَادِ بْنِ زِيَادٍ : نَفْسَكَ نَفْسَكَ وَأَنْ تَسْقُطَ مِنْ ابْنِ مَفْرَعٍ
 شَعْرَةٌ فَأَقِيدَكَ وَاللَّهِ بِهِ . وَلَا سُلْطَانَ لَكَ وَلَا لِأَخِيكَ وَلَا لِأَحَدٍ غَيْرِي

(١) الجمرة كل قوم انضموا فصاروا يداً واحدة

(٢) اعتبهم أرضهم وأزل عتبتهم وسخطهم

عليه . فجاء خمخام حتى انتزعه جهاراً من المجلس بمحضر الناس واخرجه .
(قالوا) فلما دخل على يزيد قال له : يا امير المؤمنين اختروني خصلة
من ثلاث خصال في كلها لي فرج . إما أن تُقيدني من ابن زياد واما
ان تحلي بيني وبينه واما ان تُقدمني فتضرب عنقي . فقال له يزيد :
قبح الله ما اخترته وخيرتني . أما القود من ابن زياد فما كنت لأقيدك
من عامل كان عليك ظلمته وشتمت عرضه وعرضي معه . واما التخلية
بينك وبينه فلا ولا كرامة ما كنت لاخلّي بينك وبين اهلي تقطع
اعراضهم . واما ضرب عنقك فما كنت لأضرب عنق مسلم من غير ان
يستحق ذلك . ولكني افعل ما هو خير لك مما اخترته لنفسك أعطيك
ديتك فانهم كانوا قد عرضوك للقتل . واكف عن ولد زياد فلا يبلغني
انك ذكرتهم . واتزل أي البلاد شئت . وأمر له بعشرة آلاف درهم .
فخرج حتى أتى الموصل وأقام بها ما شاء الله . ثم خرج ذات يوم يتصيد
فلقي دهقاناً على حمار له فقال : من اين اقبلت . قال : من العراق . قال :
من ايها . قال : من البصرة ثم من الايوان . قال : فما فعل المسرقان^١
قال : علي حاله . قال : اتعرف أناهيد بنت أعتق . قال : نعم . قال :
ما فعلت . قال : علي احسن ما عهدت . فضرب برذونه وسار حتى أتى
الاهواز ولم يعلم اهله ولا غيرهم بمسيره . ثم اتى عبيدالله بن زياد واعتذر
اليه . وسأله الامان فأمنه . ثم سأله ان يكتب له الى شريك بن
الاعور . فكتب له ووصله . وخرج فأقام بكرمان حتى غلب ابن الزبير
على العراق وهرب ابن زياد وكان اهل البصرة قد اجمعوا على قتله فخرج

عن البصرة هارباً . فعاد ابن مفرغ الى البصرة وعاود هجاء بني زياد .
فقال يذكر هرب عبيد الله وتركه امه بقوله :

أُعْبِدُ هَلَّا كُنْتُ أَوَّلَ فَارِسٍ يَوْمَ الْهِيَاجِ دَعَا بِحُتْفِكَ دَاعٍ
أَسْلَمْتَ أَمَكَ وَالرِّمَاحُ تُنَوِّشُهَا يَا لَيْتَنِي لَكَ لَيْلَةَ الْأَفْزَاعِ
إِذْ تَسْتَعِيثُ وَمَا لِنَفْسِكَ مَانِعٌ عَبْدٌ تَرَدَّدَهُ بَدَارُ ضِيَاعِ
هَلَّا عَجُوزُكَ إِذْ تَمَدُّ بِشَدِيهَا وَتَصِيحُ أَنْ لَا تَتَزَعَنَّ قِنَاعِي
أَنْقَذْتَ مِنْ أَيْدِي الْعُلُوجِ كَأَنِّي رِبْدَاءٌ^(١) مَجْفَلَةٌ بِيْطْنِ الْقَاعِ
فَرَكَبْتَ رَأْسَكَ ثُمَّ قَلْتَ أَرَى الْعِدَا كَثُرُوا وَأَخْلَفَ مَوْعِدِي أَشْيَاعِي
فَانْجِي بِنَفْسِكَ وَابْتَغِي نَهَقًا فَمَا لِي طَاقَةٌ بِكَ وَالسَّلَامُ وَدَاعِي
لَيْسَ الْكَرِيمُ بِنِ مَخْلَفِ أُمِّهِ وَفَتَاتُهُ فِي الْمَنْزِلِ الْجَمْعَاجِ
حَذِرَ الْمَنِيَّةَ وَالرِّمَاحُ تُنَوِّشُهُ لَمْ يَرَمِ دُونَ نِسَائِهِ بَكَرَاعٍ^(٢)
مَتَأَبْطَأَ سَيْفًا عَلَيْهِ يَلْمَقُ^(٣) مِثْلَ الْحِمَارِ اثْرَتُهُ بِيْفَاعِ
لَا خَيْرَ فِي هَذِرٍ يَهْزُ لِسَانَهُ بِكَلَامِهِ وَالْقَلْبُ غَيْرُ شُجَاعِ
لَأَبْنُ الزُّبَيْرِ غَدَاةٌ يَذْمُرُ مَبْدَرًا أَوْلَى بِنَايَةِ كُلِّ يَوْمٍ وَقَاعِ
وَأَحَقُّ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ مِنْ أَمْرِي كَذَرِ أَنْامُلِهِ قَصِيرِ الْبَاعِ
جَعَدَ الْيَدَيْنِ عَلَى السَّمَاحَةِ وَالنَّدَى وَعَنْ الضَّرِيَّةِ فَاحِشٍ مَنَاعِ
كَمْ يَا عُبَيْدَ اللَّهِ عِنْدَكَ مِنْ دَمٍ يَسْعَى لِيُدْرِكَهُ بِقَتْلِكَ سَاعِ

(١) نعامه ربداء ورمداء لوخا كلون الرماد فيشبهه بما أم عبيد الله

(٢) الكراع مستدق الساق من البقر والغنم العاري من اللحم وهو بمنزلة
الوظائف من الخيل والابل والحمر

(٣) اليلق القباء المحشو واللفظة فارسية يلمه

فرقتهم من بعد طول جماع
وبني عقيل فارس المربع

ومعاشر أنف أنجت حريمهم
اذكر حسينا وابن عروة هائنا
وقال ايضاً يذكر هربه :

دعته فولاهها أسته وهو يهرب
كما كنت او موتي فذلك اقرب
أين لي وحدثني الى أين أذهب
وبكر فما لي عنهم متجنب
ونيران اعدائي علي تلهب
كان لم يكن والدهر بالناس قلب
عليه فقبور وعان يعذب
تبكي قتيلاً او صدى يتأوب
يقاسي الامور المستعد المجرب
لعبت بهم اذ انت بالناس تلعب
الى أي قوم والدماء تصب
عطفت على هند وهند تسحب^(١)
بسيفك في القوم الذين تحزبوا
وان كثر الاعداء حام مذنب
وعرق لكم في آل ميسان يضرب

أقر بعيني انه عاق أمه
وقال عليك الصبر كوني سيئة
وقد هتفت هند باذا امرتني
فقال اقصدي الازد في عرصاتها
أخاف تيماً والمسالح دونها
وولي وماء العين يغسل وجهها
فكم من كريم قد جرت جريرة
ومن حرة زهراء قامت بسحرة
فصبراً عبيد بن العبيد فائنا
وذق كالذي قد ذاق منك معاشر
با قدمت كفاك لا لك مهرب
فلو كنت حراً او حفظت وصية
وقاتلت حتى لا ترى لك مطعماً
وقلت لام العبد امك اني
ولكن أبي قلب أطيرت بناته^(٢)

وقال يهجو عبيد الله وعباداً وهذا من قصيدة له طويلة يقول فيها :

(٢) بنات القلب طوائفه . وفي

(١) كتب في الاصل « تشحب »

الاصل كتب « ثيابه »

وما لاقيت من ايام يونس
ولم تكُ شيمتي عجزاً ولو ماً
سوى يوم الهجين ومن يُصاحب
حلفتُ بربِّ مكة لو سلاحي
لباشر امَّ رأسك مشرفي
أفي احسابنا توري علينا
فيا اسفي على تركي سعيداً
ثنايا الوبر عبد بني علاج
اذا ما راية رُفعت لمجد
فلا بلت سماؤك من امير
ألم ترَ اذ تحالف حلف حرب
وكدت تموت ان صاح ابن آوى
ويوم فتحت سيفك^(١) من بعيد
اذا اودى معاوية بن حرب
وانشد ابو عبيدة لابن مفرغ يهجو ابن زيادة

ابلع قريشاً قضاها وقضيضها^(٢) اهل الساحة والحلوم الراجعه

(١) هبت اي ثكلتك أمك

(٢) كان عباد في حروبه ذات ليلة نائماً في عسكره . فصاحت بنات آوى
فثارت الكلاب ونقر بعض الدواب . ففرغ عباد وقتلها كبة من العدو
فركب فرسه ودهش فقال : افتحوا سيفي . فبصره بذلك ابن مفرغ

(٣) قضا وقضيضها اي جميعهم فالقضى الحصى والقضيض ما تكسر منه ودق

اني ابتليتُ بحجة ساورتهم بيدِ امري لم تكن لي رابحة
 صفق المبخلُ صفقة ملعونة جرت عليه من البلايا فادحة
 شتان من بطحاء مكة داره وبنو المضاف الى السباخ المالمحة
 جعدت انامله ولام نجاره وبذاك تُخبرنا الظباء السانحة
 فاذا اُمية صلصت احسابها فبنو زياد في الكلاب النابحة
 وحدث شعيب عن سيف قال : لما قُتل عبيد الله بن زياد يوم الزاب قتله
 اصحاب المختار بن أبي عبيد . وقال ان ابراهيم بن الاشر حمل على
 كتيبه فانهزموا فلقى عبيد الله قتله وجاء الى اصحابه فقال : اني
 ضربت رجلاً فقددته نصفين فشرقت يدها وغربت رجلاه وقاح منه
 المسك واطنه ابن مرجانة . وأوما لهم الى موضعه . فجاؤوا اليه وقتلوا
 عليه فوجدوه كما ذكر . واذا هو ابن زياد . فقال ابن مفرغ يهجوهُ :
 ان الذي عاش ختاراً بذمته وعاش عبداً قتيل الله بالزاب
 العبد بالعبد لا اصل ولا طرف ألوت به ذات اظفار وانياب
 ان المنايا اذا ما زرن طاغية هتكن عنه ستورا بين ابواب
 هلا جموع نزار اذ لقيتهم كنت امرءاً من نزار غير مرتاب
 لا أنت زاحمت عن ملك قتمنعه ولا مددت الى قوم باسباب
 ما شق جيب ولا ناحتك نائحة ولا بكتك جياذ عند اسلاب
 لا يترك الله أنفاً تعطسون بها بني العبيد شهوداً غير غياب
 أقول بعداً وسحقاً عند مصرعه لابن الحبيثة وابن الكودن الكابي
 حدث محمد بن الحكم عن عوانة ان عبيد الله بن أبي بكره كتب الى

يزيد بن مفرغ : اني قد توجهت الى سجستان فالحق بي فلعلك ان قدمت علي ان لا تندم ولا يُذم رأيك . فتجهز ابن مفرغ وخرج حتى قدم سجستان ممسياً فدخل عليه . فشفله بالحديث وامر له بنزل وفرش وخدم وجعل يطاوله حتى علم انه قد استتم له ما امر له به . ثم صرفه الى المنزل الذي قد هيء له . ثم دعا به في اليوم الثاني فقال له : يا ابن مفرغ انك قد تجشمت الي شقة بعيدة واتسع لك الامل رحلت الي لا قضي عنك دينك ولا غنيك عن الناس وقلت : ابو حاتم بسجستان فمن لي بالغنى بعده . فقال : والله ما اخطأت ايها الامير ما كان في نفسي . فقال عبيدالله : اما والله لأفعلن . ولاقيم لبثك عندي ولأحسن صلتك . وأمر له بمائة الف درهم ومائة وصيفة ومائة نجبية وأمر له بما ينفق الى بلده سوى المائة الالف وبين يكفيه الخدمة من غلمانه واعوانه وقال له : ان من خفة السفر أن لا تهتم بجنب ولا حافر . وكان مقامه عنده سبعة ايام . ثم ارتحل وشيعه عبيدالله الى قرية على اربع فراسخ يقال لها زالتق ثم قال له : يا ابن مفرغ انه ينبغي للمودع ان ينصرف وللمستكلم ان يسكت وأنا من قد عرفت فأبقى على الأمل وحسن ظنك بي ورجائك في واذا بدا لك ان تعود فعد والسلام . (قال) وسار ابن مفرغ حتى أتى رامهرمز فزل بقرية أبحر

ثم اقام بالاهواز ودعا ندماء كانوا له من فتيان العرب . فلم يبق ظريف ولا مغن . الا آتاه . واستأخه جماعة قصدوه من أهل البصرة والكوفة والشام فأعطاهم . وجعل القوم يسألونه عن عبيدالله بن أبي بكره وكيف هو وأخلاقه وجوده . فقال :

يسألني اهل العراق عن الندى
فتى حاتمى في سجستان رحله
سما لينال الكرمات فناها
وحلم اذا ما سورة الحقد اطلت
وان له في كل حي صنيعه
دعاني اليه جوده ووقاؤه
فلم ابق الا جمعة في جواره
الى ان دعاني زانه الله بالعللا
وقال اذا ما شئت يا ابن مفرغ
فقلت له لا يُعبد الله داره
وأحمدت وِردي اذ وردت حياضه
فأصبح لا يرجو العراق وأهله
وان عبيد الله هنا رفته
وحدث القحذمي قال : لزم يزيد بن مفرغ غرماؤه بدين . فقال لهم :
انطلقوا نجلس على باب الامير عسى ان يخرج الأشراف من عنده فيروني
فيقضوا عني . فانطلقوا به . فكان اول من خرج إماما عمر بن عبيد الله بن
معمر وإماما طلحة الطلحات . فلما رآه قال : أبا عثمان ما أقعدك ههنا . قال :
غرمائي هؤلاء لزموني بدين لهم علي . قال : وكم هو . قال : سبعون الفاً .
قال : علي منها عشرة آلاف درهم . ثم خرج الآخر على الاثر . فسأله كما
سأل صاحبه . فقال : هل خرج احد قبلي . قالوا : نعم فلان . قال : فما صنع .
قالوا : ضمن عشرة آلاف درهم . قال : فعلي مثلها . (قال) ثم جعل

فقلت عبيد الله حلف المكارم
وحسبك جوداً ان يكون كحاتم
بشدة ضرغام وبذل الدراهم
حبا القوم عند الفادح المتفام
يحدثها الركبان اهل المواسم
ومن دون مسراه عداة الاعاجم
ويومين حلاً من آية آثم
فأنت ريشي من صميم القوادم
فعد عودة ليست كأضغاث حالم
أعود اذا ما جئتكم غير حاشم
وكل كريم نُهزة للاكارم
سواه لنفع او لدفع العظامم
سراحاً واعطى رفته غير غامم

الناس يخرجون فمنهم من يضمن الالف الى اكثر من ذلك حتى ضمنوا
 اربعين الفاً . وكان يأمل عبيد الله ابن أبي بكره . فلم يخرج حتى غربت
 الشمس . فخرج مبادراً . فلم يره يخرج حتى كاد يبلغ بيته . فقيل له : انك
 مررت بابن مفرغ ملزوماً وقد مر به الاشراف فضمنوا عنه . فقال :
 و اسواتاه اني لخائف ان يظن اني تغافلت عنه . ففكر راجعاً فوجده قاعداً
 فقال له : ابا عثمان ما يجلسك ههنا . قال : غرما في هولاء يلزمونني . قال :
 كم عليك . قال : سبعون الفاً . قال : و كم ضمن عنك . قال : اربعون
 الفاً . قال : فاستمتع بها وعلي دينك أجمع . فقال فيه :

لو شئت لم تُعْن ولم تنصب	عشت بأسباب أبي حاتم
عشت بأسباب الجواد الذي	لا يختم الاموال بالحاتم
من كف بهلول له غرة ^(١)	ما إن لمن عاداه من عاصم
المطعم الناس اذا حاربت	نكباؤها في الرمن العارم ^(٢)
والفاصل الخطّة يوم اللجا	للامر عند الكربة اللازم
جاورته حيناً فأحمدته	أثني وما الحامد كاللائم
كم من عدو شامت كاشح	اخزيته يوماً ومن ظالم
أذقته الموت على غرة	بأبيض ذي رونق صارم

(١) البهلول السيد العزيز الجامع لكل خير . والغرة بياض الوجه
 (٢) النكباء الريح تنكب عن صب الرياح فتهب بين ريمين بين الصبا مثلاً
 والشال . ومعنى حاربت انقطعت البانها يقال عن الابل . ولا يقال عن الارياح .
 ما لم تتأول تأولاً بعيداً ان الارض املت مع النكباء ومن ثم انقطعت البان
 الابل . والعارم الشديد

ومات ابن مفرغ في الطاعون في ايام مُصَبِّ بن الزُّبَيْرِ

—

مقتل جرجير

كان أبو ذؤيب الهذلي خرج في جند عبدالله بن سعد بن أبي سرح احد بني عامر بن لؤي الى افريقية سنة ست وعشرين غازياً افرنجة في زمن عثمان . فلما فتح عبدالله بن سعد افريقية وما والاها بعث عبدالله بن الزبير وكان في جنده بشيراً الى عثمان بن عفان وبعث معه نفراً فيهم أبو ذؤيب . فلما قدموا مصر مات ابو ذؤيب بها^(١) . وقدم ابن الزبير على عثمان وهو يومئذ في قول ابن الزبير ابن ست وعشرين سنة وفي قول

(١) حدث عبدالله بن الحرث الهذلي قال : خرج ابو ذؤيب ففزا ارض الروم مع المسلمين . فلما قفلوا اخذه الموت . فاراد ابنه وابن اخيه ان يتخلفا عليه جميعاً . فتمهما صاحب الساقة وقال : ليتخلف عليه احدكما وليعلم انه مقتول . فقال لهما ابو ذؤيب : اقتربا . فطارت القرعة لابي عبيد . فتخلف عليه . ومضى ابنه مع الناس . فكان ابو عبيد يحدث قال : قال لي ابو ذؤيب : يا ابا عبيد احفر ذلك الجرف برمحك ثم اعمد من الشجر بسيفك ثم اجررني الى هذا النهر فانك لا تفرغ حتى افرغ فاغسلني وكفني ثم اجعلني في حفيري وانثل علي الجرف برمحك والقي علي الفصون والشجر ثم اتبع الناس فان لهم رهجة تراها في الافق اذا مشيت كأنها جهامة . (قال) فما اخطأ مما قال شيئاً ولولا نفته لم اهتد لائر الجيش . وقال وهو يجود بنفسه :

ابا عبيد رُفِعَ الكتابُ واقترِبَ الموعد والحسابُ
وعند رحلي جمل نجابُ أحمر في حاركهِ انصبابُ

ثم مضيت حتى لحقت الناس . فكان يقال ان اهل الاسلام ابعدوا الاثر في بلد الروم فما كان وراء قبر ابي ذؤيب قبر يُعرف لاحد من المسلمين

الواقدي ابن اربع وعشرين سنة . قال مصعب : فسمعت ابي يقول : قال
عبدالله بن الزبير : احاط بنا جرجير صاحب افريقية وهو ملك افرنجة
في عشرين الفاً ومائة الف ونحن في عشرين الفاً . فضاقت بالمسلمين امرهم
واختلفوا في الرأي . فدخل عبدالله بن سعد فسطاطه يخلو ويفكر . قال
عبدالله بن الزبير : فرأيت عورة من جرجير والناس على مصافهم رأيت
على بردون أشهب خلف أصحابه منقطعاً منهم معه جاريتان له تظلاله
من الشمس بريش الطواويس . فجئت فسطاط عبدالله فطلبت الاذن
عليه من حاجبه . فقال : انه في شأنكم وانه قد أمرني ان امسك الناس
عنه . (قال) فدرت فأنتيت مؤخر فسطاطه فرفعته ودخلت عليه . فاذا
هو مستلق على فراشه . ففزع وقال : ما الذي أدخلك علي يا ابن الزبير .
فقلت : ايه وايه كل أذب نفور اني رأيت عورة من عدونا فرجوت
الفرصة فيه وخشيت قوتها . فاخرج فأندب الناس الي . قال : وما هي .
فاخبرته . فقال : عورة لعمرى . ثم خرج فرأى ما رأيت . فقال : أيها
الناس انتدبوا مع ابن الزبير الى عدوكم . فاخترت ثلاثين فارساً وقلت :
اني حامل فاضربوا عن ظهري فاني سأكفيكم من ألقى ان شاء الله
تعالى . فحملت في الوجه الذي هو فيه وحملوا فذبوا عني حتى خرقتهم^(١)
الى ارض خالية وتبينته . فصمدت صمده^(٢) فوالله ما حسب إلا اني
رسول ولا ظن أكثر اصحابه إلا ذاك حتى رأى ما بي من اثر السلاح
فثنى بردونه هارباً . فادركته فطعنته فسقط ورميت بنفسي عليه . واتقت
جاريتاه عنه السيف فقطعت يداً احدهما وأجهزت عليه . ثم رفعت رأسه

(١) في الاصل كتب « حتى خرقتهم » (٢) صمد صمده قصده

في رمحي . وجمال اصحابه . وحمل المسلمون في ناحيتي وكثروا فقتلواهم
كيف شاوروا وكانت الهزيمة . فقال لي عبدالله بن سعد : ما احد اُحق
بالبشارة منك فبعثني الى عثمان

خبر مقتل ابني عبيد الله بن العباس

أخبر بالسبب في ذلك محمد بن احمد الطلاس قال : حدثنا احمد بن
الحريث الخزاز قال : ان معاوية بن ابي سفيان بعث الى بسر بن أرطاة احد
بني عامر بن لؤمي بعد تحكيم الحكّمين . وعلي بن ابي طالب رضي الله عنه
يومئذ حيّ وبعث معه جيشاً آخر . وتوجه برجل من عامر ضمّ اليه جيشاً
آخر . ووجه الضحّاك بن قيس الفهري في جيش آخر . وأمرهم ان يسيروا في
البلاد فيقتلوا كل من وجدوه من شيعة علي بن ابي طالب عليه السلام
وأصحابه وان يُغيروا على سائر اعماله ويقتلوا اصحابه ولا يكفوا ايديهم عن
النساء والصبيان . فمرّ بسر لذلك على وجهه حتى انتهى الى المدينة فقتل بها
ناساً من اصحاب علي عليه السلام وأهل هواه وهدم بها دوراً ومضى الى
مكة فقتل نفراً من آل أبي لهب ثم اتى السراة فقتل من بها من اصحابه .
واتى نجران فقتل عبدالله بن عبد المدان الحارثي وابنه وكانا من اصهار بني
العباس عامل علي عليه السلام . ثم اتى اليمن وعليها عبيدالله بن العباس
عامل علي بن ابي طالب وكان غائباً . وقيل بل هرب لما بلغه خبر بسر فلم
يصادفه بسر . ووجد ابنين له صبيّين فاخذهما بسر لعنه الله وذبحهما بيده
بمديّة كانت معه . ثم انكفأ راجعاً الى معاوية . وفعل مثل ذلك سائر من

بعث به . فقصد العامري الى الانبار فقتل ابن حسان البكري وقتل رجالاً
ونساء من الشيعة

ثم ان بسر بن ارطاة كراً راجعاً وانتهى خبره الى علي عليه السلام
انه قتل عبد الرحمن وقثم ابني عبيدالله بن العباس فسرح جارية بن قدامة
السعدي في طلبه وامره ان يجد السير . فخرج مسرعاً . فلما وصل الى المدينة
وانتهى اليه قتل علي بن أبي طالب عليه السلام ومعه الحسن رضي الله
تعالى عنه ركب في السلاح ودعا أهل المدينة الى البيعة للحسن . فامتنعوا .
فقال : والله لتبأينن . فلما رأى أهل المدينة بايعوا الحسن عليه السلام
كراً راجعاً الى الكوفة . فاصاب أم حكيم بنت قارظ وله علي ابنيها فكانت
لا تعقل ولا تصفي الا الى قول من اعلمها انهما قد قُتلا ولا تزال
تطوف في المواسم تنشد الناس ابنيها بهذه الابيات :

يا من أحسن بابني اللذين هما	كالدريتين تشظى عنهما الصدف
يا من أحسن بابني اللذين هما	سعي وقلبي فقلبي اليوم مُرْدَهْف ^(١)
يا من أحسن بابني اللذين هما	منع العظام فمخي اليوم مختطف
نبتت بسراً وما صدقت ما زعموا	من قولهم ومن الإفك الذي اقترفوا
أنحى على ودجي ^(٢) ابني مرهفة	مشعوذة وكذاك الإفك يُقترف
حتى لقيت رجالاً من ارومتيه	ثم الانوف لهم في قومهم شرف
فالآن ألعن بسراً حق لعنتيه	هذا لعمر أبي بسر هو السرف
من دل والهة حرى مؤهفة	على صبيين ضلاً اذا غدا السلف

(١) الازدهاف استطارة القلب من جزع او حزن

(٢) الودجان

عرقان في العنق

(قالوا) ولما بلغ علي بن أبي طالب عليه السلام قتلُ بسر الصبيّين
 جَزَعٌ لذلك جَزَعاً شديداً ودعا على بسر لعنه الله فقال : اللهم أسلبه دينه ولا
 تخرجه من الدنيا حتى تسلبه عقله . فاصابه ذلك وفقد عقله . وكان يهذي
 بالسيف ويطلبه فيوثق بسيف من خشب ويُجعل بين يديه زق منفوخ فلا
 يزال يضربه حتى يسأم . ثم مات لعنه الله . ولما كانت الجماعة واستقر الأمر
 على معاوية دخل عليه عبيد الله بن العباس وعنده بسر بن ارطاة . فقال له
 عبيد الله : أنت قاتل الصبيّين أيها الشيخ . قال بسر : نعم انا قاتلها . فقال
 عبيد الله : أما والله لو ددتُ ان الارض كانت أذبتني عندك . فقال بسر :
 فقد انبتك الآن عندي . فقال عبيد الله : ألا سيف . فقال له بسر : هاك
 سيفي . فلما أهوى عبيد الله الى السيف ليتناوله اخذه معاوية ثم قال لبسر :
 أخزأك الله شيخاً قد كبرت وذهب عقلك وذاك رجل من بني هاشم قد
 وتوته وقتلت ابنيه تدفع اليه سيفك . انك لغافل عن قلوب بني هاشم .
 والله لو تمكن منه لبدأ بي قبلك . فقال عبيد الله : أجل والله وكنتُ
 أُثني به

قال الاصمعي : وسمع رجل من اهل اليمن وقد قدم مكة امرأة
 عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب تندب ابنيها اللذين قتلها بسر بن
 ارطاة بقولها :

يا من احسّ بابني اللذين هما كالدرتين تشظى عنها الصدفُ
 فرق لها واتصل ببسر حتى وثق به . ثم احتال لقتل ابنيه فخرج بهما الى
 وادي اوطاس^١ فقتلها وهرب وقال :

يا بُسرُ بُسرَ بني ارطاة ما طلعت
 خير من الهاشميين الذين هم
 ماذا اردت الى طفلي مولهة
 إما قتلتها ظلماً فقد شرقت
 فاشرب بكأسها ثكلاً كما شربت
 شمس النهار ولا غابت على الناس
 عين الهدى وسام الاسوق القاسي
 تبكي وتنشد من انكلت في الناس
 من صاحبك قناتي يوم او طاس
 أم الصبيّين او ذاق ابن عباس

مقتل توبة بن الحمير

أخبر بالسبب في مقتل توبة محمد بن الحسن بن دريد إجازة عن أبي حاتم السجستاني عن أبي عبيدة . قال أبو عبيدة : كان الذي هاج مقتل توبة ابن الحمير بن حزم بن كعب بن خفاجة انه كان بينه وبين بني عامر بن عوف بن عقيل حاء . ثم ان توبة شهد بني خفاجة وبني عوف وهم يختصمون عند همام بن مطرف العقيلي في بعض امورهم . (قال) وكان مروان بن الحكم يومئذ اميراً على المدينة في خلافة معاوية بن ابي سفيان فاستعمله على صدقات بني عامر . (قال) فوثب ثور بن ابي سمعان بن كعب بن عامر بن عوف بن عقيل على توبة بن الحمير فضربه بجُرُزٍ وعلى توبة الدرع والبيضة . فجرح انف البيضة وجه توبة . فامر همام بثور بن ابي سمعان فأقعد بين يدي توبة فقال : خذ بحقك يا توبة . فقال له توبة : ما كان هذا إلا عن امرك وما كان لي جترى على عند غيرك . وأم همام صوبانة

بنت جون بن عامر بن عوف بن عقيل . فاتهمه توبة لذلك . فانصرف
ولم يقتص منه . فكشوا غير كثير

وان توبة بلغه ان ثور بن ابي سمعان خرج في نفر من رهطه الى ماء
من مياه قومه يقال له قوباء . يريدون ماء لهم بوضع يقال له جوير بتثليث .
(قال) وبينها فلاة . فاتبعه توبة في ناس من اصحابه . فسأل عنه وبجث حتى
ذكر له انه عند رجل من بني عامر بن عقيل يقال له سارية بن عمير بن ابي
عدي وكان صديقاً لتوبة . فقال توبة : والله لا انظرنهم عند سارية الليلة حتى
يخرجوا عنه . فارادوا ان يخرجوا حين يصبحون فقال لهم سارية : ادرعوا
الليلة فاني لا آمن توبة عليكم الليلة فانه لا ينام عن طلبكم . (قال)
فلما تعشوا ادرعوا الليل^(١) في الفلاة . واقعد له توبة رجلين . ففعل صاحبه
توبة . فلما ذهب الليل فرع توبة وقال : لقد اغتررت الى رجلين ما صنعا
شيئاً واني لأعلم انهم لم يُصبحوا بهذه البلاد . فاقتص آثارهم فاذا هو
بأثر القوم قد خرجوا . فبعث الى صاحبيه فأتياه . فقال : دونكما هذا
الجمل فأوقراه^(٢) من الماء مزادتيه ثم اتبعنا اثرى فان خفي عليكما ان
تدركاني فاني سأنور لكما ان امسيما دوني . وخرج توبة في اثر القوم
مسرعا حتى اذا انتصف النهار جاوز علماً يقال له أفيح في الغائط فقال
لاصحابه : هل ترون سترات الى جنب قرون بقر^(٣) فان ذلك مقيل
القوم لم يتجاوزوه فليس وراءه ظل . فنظروا فقال قائل : نرى رجلاً يقود
بعيراً له كأنه يقوده لصيده^(٤) . قال توبة : ذلك ابن الحبتية وذلك من

(١) اي استنروا بظلمة الليل كاستنار الفارس بالدرع (٢) قرون بقر مكان
هنالك (٣) الصيد رفع البعير راسه لداه به ويستعار للرجل يرفع رأسه كبيراً

ارمى من رمى . فمن له يختلج^(١) دون القوم فلا يندرون بنا . (قال)
 فقال عبدالله اخو توبة : أنا له . قال : فاحذر لا يضربنك وان استطعت
 ان تحول بينه وبين اصحابه فافعل . فخلّى طريق فرسه في غمض من
 الارض . ثم دنا منه فحمل عليه فرماه ابن الحبتية . (قال) وبنو الحبتية
 ناس من مذحج في بني عقيل . فعقروا فرس عبد الله اخي توبة واختلّ
 السهم ساق عبدالله . فالحاز الرجل حتى اتى اصحابه فأنذروهم . فجمعوا
 ركابهم وكانت متفرقة . (قال) وغشيم توبة ومن معه . فلما رأوا
 ذلك صفوا رجالهم وجعلوا السمرات^(٢) في نحورهم واخذوا سلاحهم
 ودرّقهم^(٣) وزحف اليهم توبة . فارتمى القوم لا يغني احد منهم شيئاً
 في احد . ثم ان توبة وكان يترس له اخوه عبدالله قال : يا اخي لا تترس
 لي فاني رأيت ثوراً كثيراً ما يرفع الترس عسى ان اوافق منه عند رميه
 مرّى فأرميه . (قال) ففعل فرماه توبة على حلّمة ثديه فصرعه . وجاء
 القوم فغشيم توبة واصحابه فوضعوا فيهم السلاح حتى تركوهم
 صرعى . وهم سبعة نفر . ثم ان ثوراً قال : اتزعوا هذا السهم عني . قال
 توبة : ما وضعناه لنزعه . فقال اصحاب توبة : انج بنا فقد أخذنا نارنا
 ونلقى راويتنا فقد متنا عطشاً . قال توبة : كيف بهؤلاء القوم الذين لا
 يمتنعون ولا يمتنعون . فقالوا : ابعدهم الله . قال توبة : ما انا بفاعل وما هم
 الا عشيرتكم ولكن تجي : الراوية فأضع لهم ماء وأغسل عنهم دماءهم
 وأخيل عليهم من السباع والطيور لا تأكلهم حتى أودن قومهم بهم

(١) اختلج انتزعه (٢) السمرة من شجر الطلح

(٣) الدرقي جمع الدرقة وهي الترس من جلد

بَعَثُوا . فاقام توبة حتى اتته الراوية قبل الليل فسقاهاهم من الماء . وغسل
 عنهم الدماء . وجعل في أساقهم^(١) ماءً ثم خيل لهم بالثياب على الشجر .
 ثم مضى حتى طرقت من الليل سارية بن عويمر بن ابي عدي العقبلي فقال :
 انا قد تركنا رهطاً من قومكم بسمرات من قرون بقر فأدركوهم
 فمن كان حياً فداووه ومن كان ميتاً فادفنوه . ثم انصرف فلحق بقومه .
 وصبح سارية القوم فاحتملهم وقد مات ثور بن ابي سمعان ولم يمت
 غيره . فلم يزل توبة خائفاً

وكان السليل بن ثور المقتول رامياً كثير البغي والشر . وأخبر بغيره
 من توبة وهم بقنة^(٢) من قنان الشرف يقال لها قنة بني الحمير فركب
 في نحو ثلاثين فارساً حتى طرقه . فترقى توبة ورحل من اخوته في الجبل .
 فاحاطوا بالبيوت . فناداهم وهو في الجبل : هذا من تبغون فأجيبوا .
 فقالوا : انكم لن تستطيعوه وهو في الجبل ولكن أخذوا ما استدنى
 لكم من ماله . فأخذوا افراساً له ولاخوته وانصرفوا . ثم ان توبة غزاهاهم
 فمر على قلب بن حزن بن معاوية بن خفاجة يبطن نفسه^(٣) . فقال :
 يا توبة اين تريد . قال : اريد الصبيان من بني عوف بن عقيل . قال : لا
 تفعل فان القوم قاتلوك فهلاً . قال : لا أقاع عنهم ما عشت . ثم ضرب
 بطن فرسه فاستمر به يخطر ويرتجز ويقول :

ينجو اذا قيل لهم معاط^(٤) ينجو بهم من خلل الامشاط

(١) أساقى واسقية واسقيات جمع سقاء . (٢) الفنة الجبل الصغير .
 وايضاً قلعة الجبل اي اعلاه وقبته (٣) يبطن نفسه اي متخفياً
 (٤) المعط ان يمد قوائمه ويتحطى في جريه

حتى انتهى الى مكان يقال له حجر الراشدة ظليل اسفله كالعمود
واعلاه منتشر . فاستظل فيه واصحابه حتى اذا كان بالهاجرة مرت عليه ابل
هبيرة بن السمين اخي بني عوف بن عقيل وارده ماء لهم يقال له طلوب
فاخذها وخلقى طريق راعيها وقال له : اذا اتيت صدغ البقرة مولاك
فأخبره ان توبة اخذ الابل . ثم انصرف توبة . (قال) فلما ورد العبد
على مولاه فاخبره نادى في بني عوف وقال : حَتَّامَ هذا . فتعاقدوا بينهم
نحواً من ثلاثين فارساً ثم اتبعوه . ونهضت امرأة من بني خثعم من بني
الهرة كانت في بني عوف وكانت تُؤخَذُ^(١) لهم فقالت : أروني اثره .
فخرجوا بها فأروها اثره . فأخذت من ترابه فقاسته فقالت : اطلبوه فانه
عليكم . فطلبوه فسبقهم . فتلاوموا وقالوا : ما نرى له اثرًا وما نراه الا
وقد سبقكم

(قال) وخرج توبة حتى اذا كان بالمضجع من ارض بني كلاب
جعل نذارة^(٢) وحبس اصحابه حتى اذا كان بشعب من هضبة يقال لها
هند من كبد المضجع جعل ابن عمه له يقال له قابض بن عبدالله ريثة
على رأس الهضبة فقال : انظر فان شخص لك شيء . فأعلمنا . فقال عبدالله
ابن جسوسا بن الحمير : يا توبة انك حائر اذ كرك الله فوالله ما رأيت يوماً
اشبه بسمرات بني عوف يوم ادركناهم في ساعتهم التي اتيناهم فيها
منه . فانج ان كان بك نجاة . قال : دَعْنِي فقد جعلت ريثة ينظر لنا .
(قال) ويوجد بنو عوف بن عقيل حين لم يجدوا اثر توبة فيلقون رجلاً
من غني . فقالوا له : هل أحسست في مجيئك اثر خيل او اثر ابل . قال :

لا والله . قالوا : كذبت . وضربوه . فقال : يا قوم لا تضربوني فاني لم اجد
اثراً ولقد رأيت زها . كذا وكذا ابلاً شخصاً في هاتيك الهضبة وما
ادري ما هو . فبعثوا رجلاً منهم يقال له يزيد بن روية لينظر ما في
الهضبة . فاشرف على القوم فلما رآهم ألوى بثوبه لأصحابه حتى جاءوا
وقد كان توبة اسرى يومه وائلته فاستظل برؤديه وألقى عنه درعه
وخلّى عن فرسه الخوصاء . تتردد قريباً منه وجعل قابضاً ربيته له ونام .
فاقبلت بنو عوف بن عامر متقاطرين^(١) لئلا يفطن لهم احد . فنظر قابض
فأبصر رجلاً منهم فأقبل الى توبة فأنبهه . فقال توبة : ما رأيت . قال :
رأيت شخصاً رجل واحد . فنام ولم يكثر له . وعاد قابض الى مكانه
فغلبته عيناه فنام . (قال) فاقبل القوم على تلك الحال فلم يشعروهم
قابض حتى غشوه . فلما رآهم طار على فرسه . واقبل القوم الى توبة .
وكان اول من تقدّم غلام امرد على فرس عربي وهو يزيد بن روية ثم
تلاه ابن عمه عبدالله بن سالم . ثم تتابعوا . فلما سمع توبة وقع الخيل
نهض وهو وسنان . وكان لا يضع السيف . فصبّ الدرع على السيف
متقلده وهلاً . ثم صوتت بفرسه الخوصاء . فأنته . فلما اراد ان يركبها اهوت
ترمحه ثلاث مرات . فلما رأى ذلك لطم وجهها فأدبرت . وحال القوم بينه
وبينها . فطلب قائم السيف فلم يقدر عليه تحت الدرع فلم يستطع سله .
فطار الى الرمح فأخذه فاهوى به طعناً الى يزيد بن روية وقد كان يزيد
عاهد الله ليقتله او ليأخذته . فأنفذ فخذ يزيد . واعتنقه يزيد فعضّ
بوجنتيه . واستدبره عبدالله بالسيف ففلق رأس توبة . وهيب^(٢) توبة

حين اعتوره الرجالن بقابض : يا قابض . فلم يلور عليه وفر قابض الكلابي . وذب عبدالله بن حمير عن اخيه . فأهوى له معاوية بن عبدالله بالسيف فاصاب ركبته فاختمت^(١) . فلما وقع بالارض اشرع سيفه وحده ثم جثا على ركبتيه وجعل يقول : هلموا . ولم يشعر القوم بما اصابه وانصرف بنو عوف بن عقيل . وواى قابض منزهماً حتى لحق بعبد العزيز ابن زرارة الكلابي فقال : قُتل توبة : فنادى في قومه فجاءه ابوه زرارة فقال : اين تريد . فقال : قُتل توبة . فقال ابوه طوط : سحقا لك أتطلب بدم توبة ان قتلته بنو عقيل ظالماً لها باغياً عادياً عليها . قال : لكني أجنه اذا . قال ابوه : اما هذه فنعم . فألقى السلاح وانطلق حتى اجنّه وحمل اخاه عبدالله بن حمير . فلما رجع عبدالله بعد ذلك الى قومه لاموه وقالوا له : فررت عن اخيك . فقال عبدالله بن الحمير في ذلك :

تأوبني بغازية الهموم	كما يعتاد ذا الدين الغريم
كأنّ الهم ليس يريد غيري	ولو امسى له نبط وروم
علام تقوم عاذلتي تلوم	توثبني وما انجاب الصروم
فقلت لها رويداً كي تجلى	غواشي النوم والليل البهيم
المأ تعلمي اني قديماً	اذا ما شئت أعصي من يلوم
وان المرء لا يدري اذا ما	يهمّ علام تحمله الهموم
وقد تُعدي على الحاجات حرف	كركب الرعن دعبة عقيم ^(٢)
مداخلة الفقار وذات لوث ^(٣)	على الحرات مقحمة غشوم

(١) اختمت سقطت (٢) تُعدي تنصّر والحرف (الناقة الصلبة شُبّهت بحرف الجبل . والرعن انف الجبل ودِعبل ودعبة ناقة شديدة (٣) ذات لوث اي

كانَ الرِّحْلَ مِنْهَا فَوْقَ جَانِبٍ^(١) بِذَاتِ الْحَادِ مَعْتَلَةً الصَّرِيمُ
 طِبَاهُ^(٢) بِرِجْلَةِ الْبِقَارِ^(٣) بَرَقُ فَبَاتَ اللَّيْلَ مُنْتَصِبًا يَشِيمُ
 فَبَيْنَا ذَلِكَ إِذْ هَبَّتْ عَلَيْهِ دَلُوحُ الْمَزْنِ وَاهِيَةً هَزِيمٌ^(٤)
 تَهَبُّ لَهَا الشَّمَالُ فَتَمْتَرِيهَا وَيَعْقِبُهَا بِنَافِحَةٍ نَسِيمٌ
 يُلِثُ إِذَا الرَّبَابُ جَرَى عَلَيْهِ^(٥) كَمَا يُصْعِقِي إِلَى الْأَسِي الْأَمِيمُ
 إِذَا مَا قَالَ أَشْعَعَ جَانِبَاهُ نَشَتْ^(٦) مِنْ كُلِّ نَاحِيَةِ غَيُومُ
 فَأَشْعَرَ لَيْلَهُ قَلْقًا وَقُرًا يُسَهَرُهُ كَمَا أَرِقُ السَّلِيمُ
 أَلَا مَنْ يَشْتَرِي رِجْلًا بِرِجْلِ تَخُونَهَا السِّلَاحُ فَمَا تَسُومُ
 تَلُومُكَ فِي الْقِتَالِ بَنُو عَقِيلٍ وَكَيْفَ قِتَالُ أَعْرَجٍ لَا يَقُومُ
 وَلَوْ كُنْتُ الْقَتِيلَ وَكَانَ حَيًّا لِقَاتِلٍ لَا أَلْفُ وَلَا سَوْومُ
 وَلَا جَنَامَةٌ وَرَعٌ هَيُوبُ^(٧) وَلَا ضَرَعٌ^(٨) إِذَا يَشِي جُثُومُ

(قال) ثم ان خفاجة رهط توبة جمعوا لبني عوف بن عامر بن عقييل الذين قتلوا توبة . فلما بلغهم الخبر لحقوا ببني الحرث بن كعب . ثم افتردت بنو خفاجة . فلما بلغ ذلك بني عوف رجعوا . فجمعت لهم بنو خفاجة ايضاً قبائل عقييل . فلما رأت ذلك بنو عوف بن عامر بن عقييل لحقوا بالجزيرة فنزلوها . ثم ان بني عامر بن صعصعة صاروا الى مروان بن الحكم وهو والي المدينة لمعاوية بن ابي سفيان فقالوا : ننشدك الله ان

ذات قوّة (١) الجأب الغليظ من حمر الوحش (٢) طباه دعاه ورجلة مسيل
 الماء والبقار موضع (٣) سحابة دلوح مثقلة بالماء . هزيم سحاب منشفق بالمطر
 (٤) ألت المطر دام اياماً لا يقلع وكذلك السحابة والرباب السحاب
 (٥) نشت لغة في نشأت (٦) ورع جبان . والضرع الصغير السن الفسر الضعيف

تفرق جماعتنا . فعقل توبة وعقل الآخريين معاقل العرب مائة من الابل .
فأدتها بنو عامر . (قال) فخرجت بنو عوف بن عامر قتلة توبة فلحقوا
بالجزيرة فلم يبق بالعالية منهم أحد . واقامت بنو ربيعة بن عقيل وعروة
ابن عقيل وعبادة بن معقل بمكانهم بالبادية
وقالت ليلي تعير قابضاً :

جزى الله شراً قابضاً بصنيعه وكل امرئ يجزي بما كان ساعياً
دعا قابضاً والمرهفات يُردنه فقبحت مدعواً ولئيك داعياً
وقالت لقابض وتعذر عبدالله اخا توبة :

دعا قابضاً والموت مخفق ظله وما قابضٌ اذ لم يُجب بنجيب
وآسى عبيد الله ثم ابن أمه ولو شاء نجى يوم ذاك حبيبي
وقالت ايضاً توثي توبة عن ام حمير . وامها ابنة اخي توبة من امها :

أيا عين بكغي توبة ابن حمير بسح كفيض الجدول المتفجر
لتبك عليه من خفاجة نسوة بآء شؤون العبرة المتحدر
سمن بهيجا ارهقت فذكرته ولا يبعث الاخران مثل التذكر
كان فتى الفتيان توبة لم يسر بنجد ولم يطلع من المتغور
ولم يرد الماء السدام^(١) اذا بدا سنا الصبح في بادي الحواشي منور
ولم يغلب الخصم الضجاج^(٢) ويملا م الجفان سديفاً يوم نكباء صرصر^(٣)
ولم يعل بالجرد الجياد يقودها بسرة بين الاشمسات فأبسر^(٤)

(١) الشؤون عروق . مجاري الدموع . وخفاجة بن عقيل (٢) سدام مندفن
(٣) الضجاج المشاغب وصف بالمصدر . والسديف شقق السنام . والنكباء الريح
بين هب ريحين وهي عبارة عن المحل . والصرصر الشديدة الصوت (٤) اشمسات

وصحراء موماة يحار بها القطا
يقودون قبا كالسراحين لاحها
فلما بدت ارض العدو سقيتها
ولما اهابوا بالنهاب حويتها
مبر ككر الاندري مئاب
فالوت بأعناق طوال وراعها
لم تر ان العبد يقتل ربه
قتلم فتى لا يسقط الروح رمحه
فيا توب للهيجا ويا توب للندي
الا رب مكروب اجبت ونائل

قطعت على هول الجنان بنسر
سراهم وسير الراكب المتهجر
مجاج بقيات الزاد المغبر
بخاظمي البضيع كره غير اعسر
اذا ما ونين ملهب الشد محضر
صلاصل بيض سابغ وسنور
فيظهر جد العبد من غير مظهر
اذا الخيل جالت في قنأ متكثير
ويا توب للمستنبح المتنور
بذلت ومعروف لديك ومُنكر

اخذ الثار من هلال

هو فيما يذكر خالد بن كلثوم هلال بن الاسمر شاعر اسلامي من شعراء الدولة الاموية وأظنه قد ادرك الدولة العباسية
كان هلال بن الاسمر ضربه رجل من بني عترة ثم من بني جلان يقال له عبيد بن جري في شي . كان بينها فشجة وخمشة خاشة . فأتى

جمع اشمس بفتح الميم وضمها جبل في شق بلاد بني عقيل . يراد الجبل وما يليه من البقاع . كتب في الاصل « فياسر » وهو تصحيف مخالف لقواعد العروض . وروى البكري (٦٣) « فأبسر » وقال انه « موضع محدد مذكور في رسم أشمس » . وفي رسم أشمس روى « فأبصر » وفي رسم ابصر (١٣٤) قال « وقد تقدم ذكره في رسم أشمس » . ومن ثم نختار ولا نعلم ماذا نختار . وكتب ايضا في الاصل « بسبرة » وفي البكري « بسرة »

هلال بني جلان فقال : ان صاحبكم قد فعل بي ما ترون فخذوا لي
 بجقي . فأوعدوه وزبروه^(١) . فخرج من عندهم وهو يقول : عسى ان
 يكون لهذا جزاء . حتى أتى بلاد قومه . فمضى لذلك زمن طويل حتى
 دَرَسَ ذِكْرَهُ . ثم ان عبيد بن جُرَيِّ قدم الوَقْبِي وهو موضع من بلاد بني
 مالك . فلما قدمها ذكر هلالاً وما كان بينه وبينه فتخوفه . فسأل عن اعز
 اهل الماء . فقيل له : معاذ بن جعدة . فأتاه فوجده غائباً عن الماء فعقد
 عبيد بن جُرَيِّ طرف ثيابه الى جانب طُنب بيت معاذ^(٢) . وكان يوم
 فعل ذلك غائباً عن الماء . فقيل : رجل استجار بآل معاذ بن جعدة . ثم
 خرج عبيد بن جُرَيِّ ليستقي فوافق قدوم هلال بابله يوم وروده وكان
 اتما يقدمها في الايام . فلما نظر هلال الى ابن جُرَيِّ ذكر ما كان بينه وبينه
 ولم يعلم باستجارته بمعاذ بن جعدة فطلب شيئاً يضربه به فلم يجده
 فانتزع المجرور من السانية فعلاه به ضربة على رأسه فصرع وقيذاً^(٣)
 وقيل : قتل هلال بن الاسعرجار معاذ بن جعدة

فلما سمع ذلك هلال تحوف بني جعدة الرزاميين وهم بنو عمه فأتى
 راحلته ليركبها . فقال هلال : فأنتني خولة بنت يزيد بن ثابت اخي بني
 جعدة بن ثابت وهي جدّة ابي السفاح زهيد بن عبدالله بن مالك أم
 ابيه . فتعلقت بثوب هلال ثم قالت : اي عدو الله قتلت جارنا والله لا
 تفارقني حتى يأتيتك رجالنا . قال هلال : والمجور في يدي لم اضعه . (قال)
 فهمت ان أعلو به رأس خولة . ثم قلت في نفسي : عجوز لها سن وقراية .

(١) زبره انتهره (٢) كانت العرب اذا فعلت ذلك وجب على المعقود بطنب
 بيته للمستجير به ان يجيره وان يطلب له بظلامته (٣) الوقيذ المشرف على الموت

(قول) فضربتُها برجلي ضربة رميت بها من بعيد . ثم اتيت ناقتي فأركبها ثم اضربها هارباً . وجاء معاذ بن جعدة واخوته وهم يومئذ تسعة اخوة وعبدالله بن مالك . . . فجاءوا من آخر النهار فسمعوا الواعية^(١) على الجلاني وهو دَيف لم يمت . فسألوا عن تلك الواعية فأخبروا بما كان من استجارة الجلاني بمعاذ بن جعدة وضرب هلال له من بعد ذلك . فركب الاخوة التسعة وعبدالله بن مالك عاشرهم . وكانوا أمثال الجبال في شدة خلقهم مع نجدتهم وركبوا معهم بعشرة غلّة لهم أشد منهم خلقاً لا يقع لأحد منهم سهم في غير موضع يريد من رميته حتى تبعوا هلالاً وقد نسل^(٢) هلال من الهرب يومه ذلك كله وليلته . فلما أصبح أمّنهم وظنّ ان قد ابعده في الارض ونجا منهم . وتبعوه . فلما اصبحوا من تلك الليلة قصّوا اثره وكان لا يخفى اثره على احد لعظم قدمه . فلاحقوه من بعد الغد فلما ادركوه وهم عشرون ومعهم النبل والقيسي والسيوف والترسة ناداهم : يا بني جعدة اني انشدكم الله ان اكون قتلت رجلاً غريباً طلبته بتره تقتلونني وانا ابن عمكم . وظنّ ان الجلاني قد مات ولم يكن مات الى ان تبعوه واخذوه . فقال معاذ : والله لو أيقنا انه قد مات ما ناظرنا بك القتل من ساعتنا ولكننا تركناه ولم يمُت ولسنا نحب قتلك الا ان تمتنع منا ولا نُقدّم عليك حتى نعلم ما يصنع جارنا . فقاتلهم وامتنع منهم . فجعل معاذ يقول لاصحابه وغلّياته : لا ترموه بالنبل ولا تضربوه بالسيوف ولكن ارموه بالحجارة واضربوه بالعصي حتى تأخذوه . ففعلوا ذلك فما قدروا على اخذه حتى كسروا من احدى يديه ثلاث اصابع

(٢) نسل امرع

(١) الواعية الصراخ على الميت

ومن الاخرى اصبعين ودقوا ضلعين من اضلاعِه واكثرُوا الشِّجَاجِ فِي رَاسِهِ ثُمَّ اخذوه وما كادوا يقدرُونَ على اخذِهِ فوضَعُوا فِي رِجْلِهِ اَدْهَمًا^(١) ثُمَّ جَاؤُوا بِهِ وَهُوَ مَعْرُوضٌ عَلَى بَعِيرٍ حَتَّى انْتَهَرُوا بِهِ إِلَى الرَّقْبِيِّ فَدَفَعُوهُ إِلَى الْجَلَانِيِّ وَلَمْ يَمِتْ بَعْدُ . فَقَالُوا : انْطَلِقُوا بِهِ مَعَكُمْ إِلَى بِلَادِكُمْ وَلَا تُحَدِّثُوا فِي امْرِهِ شَيْئًا حَتَّى تَنْظُرُوا مَا يُصْنَعُ بِصَاحِبِكُمْ فَإِنْ مَاتَ فَاقْتُلُوهُ وَإِنْ حَيًّا فَأَعْلَمُونَا حَتَّى نَحْمِلَ لَكُمْ أَرْشَ الْجَنَايَةِ^(٢) . فَقَالَ الْجَلَانِيُّونَ : وَفَتْ ذِمَّتِكُمْ يَا بَنِي جَعْدَةَ وَجَزَائِمَ اللَّهِ أَفْضَلَ مَا يُجْزِي بِهِ خِيَارَ الْجِيرَانِ . أَنَا نَتَخَوَّفُ أَنْ يَتْرَعَهُ مِنَّا قَوْمُكُمْ إِنْ خَلَيْتُمْ عَنَا وَعَنْهُمْ وَهُوَ فِي أَيْدِينَا . فَقَالَ لَهُمْ مَعَاذُ : فَإِنِّي أَجْمَلُهُ مَعَكُمْ وَأَشْتَعِكُمْ حَتَّى تَرُدُّوا بِلَادَكُمْ . ففَعَلُوا ذَلِكَ . فَحَمَلَ مَعْرُوضًا عَلَى بَعِيرٍ . وَرَكِبَتْ أُخْتُهُ جَمَاءَ بِنْتِ الْأَسْعَرِ مَعَهُ . وَجَعَلَ يَقُولُ : قَتَلْتَنِي بَنُو جَعْدَةَ . وَتَأْتِيهِ أُخْتُهُ بِالْمَغْرَةِ^(٣) فَيُشْرِبُهَا . فَيَقَالُ يُشْبِي^(٤) بِالْأَدَمِ لِأَنَّ بَنِي جَعْدَةَ فَرَّثُوا كَبِدَهُ^(٥) فِي جَوْفِهِ . فَلَمَّا بَلَغُوا أَدْنَى بِلَادِ بَنِي بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ قَالَ الْجَلَانِيُّونَ لِمَعَاذٍ وَأَصْحَابِهِ : أَدَامَ اللَّهُ عَزَّكُمْ قَدْ وَفَيْتُمْ فَأَنْصَرَفُوا . وَجَعَلَ هَلَالٌ يَرِيهِمْ أَنَّهُ يَشْبِي فِي اللَّيْلَةِ عَشْرِينَ مَرَّةً . فَلَمَّا ثَقُلَ الْجَلَانِيُّ وَتَخَوَّفَ هَلَالٌ أَنْ يَمُوتَ مِنْ لَيْلَتِهِ أَوْ يُصْبِحَ مَيِّتًا تَبَرَّزَ^(٦) هَلَالٌ كَمَا كَانَ يُصْنَعُ وَفِي رِجْلَيْهِ الْأَدَمِ كَأَنَّهُ يَقْضِي حَاجَةً وَوَضَعَ كِسَاءَهُ عَلَى عِصَاهُ فِي لَيْلَةِ ظُلْمَاءٍ ثُمَّ اعْتَمَدَ عَلَى الْأَدَمِ فَحَطَمَهُ ثُمَّ طَارَ تَحْتَ لَيْلَتِهِ عَلَى رِجْلَيْهِ وَكَانَ أَدَلَّ النَّاسَ فَتَنَكَّبَ^(٧) الطَّرِيقَ الَّتِي تُعْرَفُ وَيُطَلَّبُ فِيهَا وَجَعَلَ يَسْلُكُ الْمَسَالِكَ

(١) الأدم القيد لسواده (٢) الارش دية الجراحات (٣) المغرة بسكون الفين وفتحها المدر الاحمر الذي يصنع به (٤) أمشى الرجل انطلق بطنه (٥) فرث كبده ضربا فاتثرت (٦) تبرز خرج الى الفضاء (٧) تنكب تجنّب

التي لا يُطَمَع فيها حتى انتهى الى رجل من بني أثانة بن مازن يقال له
السَّعْر بن يزيد . فحملهُ السَّعْر على ناقة له يقال لها مَلُوءة . فركبها ثم
تجنب بها الطريقَ فأخذ نحو بلاد قيس بن عيلان تخوفاً من بني مازن
ان يتبعوه ايضاً فيأخذوه . فسار ثلاث ليالٍ واياها حتى نزل اليوم الرابع
فنحر الناقة فأكل لحمها كله إلا فضلة فضلت منها فاحتلمها ثم اتى بلاد
اليمن فوقع بها فلبث زماناً . وذلك عند مُقام الحجاج بالعراق

فبلغ إفلاته من بالبصرة من بكر بن وائل فانطلقوا الى الحجاج
فاستعدوه وأخبروه بقتله صاحبهم . فبعث الحجاج الى عبدالله بن شعبة
ابن العلقم وهو يومئذ عريف بني مازن حاضرتهم وباديتهم فقال له :
لتأتيني بهلال او لافعلن بك ولا فعلن . فقال له عبدالله بن شعبة : ان
اصحاب هلال وبني عمه قد صنعوا كذا وكذا . فاقصص عليه ما صنعوا
في طلبه واخذه ودفعه الى الجلانيين وتشديعهم اياه حتى وردوا بلاد
بكر بن وائل . (قال) فقال له الحجاج : ويملك ما تقول . (قال) فقال
بعض البكرين : صدق أصلح الله الامير . (قال) فقال الحجاج : فلا
يرغم الله إلا أنوفكم اشهدوا اني قد أمنت كل قريب لهلال وحميم
وعريف ومنعت من اخذ احديهم ومن طلبه حتى يظفر به البكريون
او يموت قبل ذلك . فلما وقع هلال الى بلاد اليمن بعث الى بني رزام
ابن مالك بشعريعاتهم فيه ويُعظم عليهم حقه ويذكر قرابته . وذلك
ان سائر بني مازن قاموا ليحملوا ذلك الدم . فقال معاذ : لا ارضى ان
يحمل لجاري دمٌ واحدٌ حتى يُحمل له دمٌ ولجواني دم آخر . وان اراد
هلال الامانَ وسطنا نُحمل له دمٌ ثالث . فقال هلال في ذلك :

اخوكم وان جرت جوارها يدي
 بترك اخيكم كاخليع المطرد
 بعيدا بفضاء يروح ويعتدي
 وكيف بقطع الكف من ساثر اليد
 وان شط عنكم فهو أبعد أبعد
 لكم حفظ راض عنكم غير موجد
 اغر اذا ما ريع لم يتبلد
 وكنت من الارض الغربية محتدي^(١)
 واني وان أوحدت لست باوحد
 منوا بجميع القلب غضب مهتدي^(٢)
 ولم يتوقف للعواقب في غد
 بافعالهم قالوا لجارهم قد
 ولم يك فيهم في العواقب مهتدي
 ولم يفعلوا فعل العزيز المؤيد
 منعت الكرى بالغيظ من متوعد
 وردت بفتيان الصباح ومورد
 رفعت بعجلى الرجل مواردة اليد
 قليل ثبات العزم عند التردد
 أخو الفتك ركاب قرى^(٣) المتهدد

بني مازن لا تطردوني فاني
 ولا تثلجوا اكباد بكر بن وائل
 ولا تجعلوا يحفظي بظهر وتحفظوا
 فان القريب حيث كان قريبكم
 وان البعيد ان دنا فهو جاركم
 واني وان أوجدتوني^(١) لحافظ
 سيحى حمام بي وان كنت غائبا
 وتعلم بكر انكم حيث كنتم
 واني ثقيل حيث كنت على العدا
 وانهم لما ارادوا هضيتي
 حسام متى يعزم على الامر يات
 وهم بدأوا بالبغي حتى اذا جزوا
 فلم يك منهم في البديهة منصف^(٢)
 ولم يفعلوا فعل الحليم فيحلموا
 فان ينس لي إبعاد بكر فربا
 ورب حمى قوم منعت ومورد
 وسجف دجوجي من الليل حالك
 سفينة خواض بجور هموم
 جسور على الامر المهيب اذا ونا

(١) اي ابغضتموني. ويروى اوحدتوني اي جعلتموني وحيدا منفردا (٢) المحتد
 الاصل (٣) الغضب القاطع. والمهتد السيف من عمل الهند (٤) القرى (الظهر

وقال وهو بارض اليمن :

اقول وقد جاوزتُ نُعمى وناقتي سقى الله يا ناقَ البلادَ التي بها
تحنُّ الى جنبي فليج^(١) مع الفجرِ فما عن قِلي منَّا لها خُمَّت النوى
هو الكِ وان عناً نأت سبَل القطرِ ولكنَّ صرْفَ الدهرِ فرَّق بيننا
بنا عن مراعيها وكُشبانها العُفرِ فسَهياً لصحراءِ الإهالةِ مربَعاً
وبين الاداني والفتى غرضُ الدهرِ وسقياً ورعياً حيثُ حلتُ لما زنِ
وللوقي من منزلِ ديمثِ مُثِرِ وأيامها العُمرِ المحجَّلةِ الزُهرِ

قال خالد بن كلثوم : ولما دُفع هلال الى اولياء الجلابي ليقتاوه بصاحبهم جاء رجل يقال له حنيد كان هلال قد وتره فقال : والله لا تينه ولا أصغرَنَّ اليه نفسه وهو في القيود مصفود للقتل . فاتاه فلم يدع له شيئاً مما يكره إلا عدَّه عليه . (قال) والى جنب هلال حجر يملأ الكف فاخذهُ هلال فأهوى به للرجل فأصاب جبينه فاجتلف جُلفة من وجهه ورأسه ثم رمى بها وقال : خذ القصاص مني الآن . وانشأ يقول :

انا ضربتُ كرباً وزيدا وثابتاً مشيتهم رويدا

كما أفأت حينه عبيداً وقد ضربت بعده حنيدا

(قال) وهؤلاء كلهم من بني رزام بن مازن وكلهم كان هلال قد نكأ فيهم . قال خالد بن كلثوم : ولما طال مقام هلال باليمن نهضت بنو مازن باجمعهم الى بني رزام بن مازن رهط هلال ورهط معاذ بن جعدة جار الجلابي المقتول فقالوا : انكم قد أسأتم بابن عمكم وجزتم الحد في الطلب بدم جاركم فنحن نحمل لكم ما اردتم . فحمل ديسم بن

(١) في الاصل « فليج » بالخاء . اما ياقوت والبكري فرويا فليج بالميم

المنهال الذي طلب معاذ بن جعدة ان يحمل لجاره افضل عزه موضعه
في عشيرته . وكان الذي طلب ثلاثاً بعير . فقال هلال في ذلك :

ان ابن كابية المرزاً ديسماً واري الزناد بعيد ضوء النار
من كان يحمل ما تحمّل ديسم^(١) من حائل فُنُق^(٢) وامر حواري
عيت بنو عمرو يحمل هنائد^(٣) فيها العشار ملائي^(٤) الابكار
حتى تلافها كريم سابق بالخير حلّ منازل الاخيار
حتى اذا وردت جميعاً ارزمت^(٥) جلان بعد تشمس ورفار
ترعى بصحراء الإهالة روبة^(٦) والعنظوان فنابت الجرجار^(٧)

حرب قيس و كلب وحرب قيس وتغلب

حدّث المدائني قال : كان بدو حرب قيس و كلب في فتنة ابن الزبير
ما كان من وقعة مرج راهط . وكان من قصة المرج ان مروان بن الحكم
ابن ابي العاص قدم بعد هلاك يزيد بن معاوية والناس يموجون . وكان
سعيد بن مجدل الكلبي على قنشرين . فوثب عليه زفر بن الحرث
فأخرجه منها وباع لابن الزبير . فلما قعد زفر على المنبر قال : الحمد لله
الذي اقعدي مقعد الغادر الفاجر . وحصر . فضحك الناس من قوله . وكان
النعمان بن بشير على حمص فباع لابن الزبير . وكان حسان بن مجدل على
فلسطين والاردن فاستعمل على فلسطين رّوح بن زنباع الجذامي وتول

(١) فنق جسيمة حسنة فتية منعمة (٢) هنائد جمع هنيذة وهي
اسم لكل مائة من الابل والعشار الملائي هي التي دنا نتاجها لان النبا وهو اول
الحليب وقع في ضرعها (٣) ارزمت حنت (٤) روبة ارض كثيرة النبات
والشجر (٥) العنظوان شجر يشبه الزمث . والجرجار عشبة لها زهرة صفراء

هو الاردن . فوثب نائل بن قيس الجذامي على رَوْح بن زِنْبَاع فاخرجه
من فلسطين وباع لابن الزبير . وكان الضحَّاک بن قيس الفهري عاملاً
ليزيد بن معاوية على دمشق حتى هلك . فجعل يقدم رجلاً ويؤخر اخرى .
اذا جاءتة اليانية وشيعة بني امية اخبرهم انه اموي واذا جاءتة القيسية
اخبرهم انه يدعو الى ابن الزبير . فلما قدم مروان قال له الضحَّاک : هل
لك ان تقدم على ابن الزبير ببيعة اهل الشام . قال : نعم . وخرج من
عنده فلقية عمرو بن سعيد بن العاص ومالك بن هبيرة وحصين بن نمير
الكِنديان وعبيدالله بن زياد فسألوه عما اخبره به الضحَّاک . فاخبرهم .
فقالوا له : أنت شيخ بني امية وانت عم الخليفة هلم نباعك . فلما فشا
ذلك ارسل الضحَّاک الى بني امية يعتذر اليهم ويذكر حسن بلائهم
عنده وانه لم يُرد شيئاً يكرهونه . فاجتمع مروان بن الحكم وعمرو
ابن سعيد بن العاص وخالد وعبدالله ابنا يزيد بن معاوية وقال لهم :
اكتبوا الى حسان بن مجدل فليسير من الاردن حتى يتزل الجابية ونسير
من هنا حتى نلقاه فيستخلف رجلاً ترضونه . فكتبوا الى حسان . فأقبل
في اهل الاردن . وسار الضحَّاک بن قيس وبنو امية في اهل دمشق . فلما
استقلت الرايات من جهة دمشق قالت القيسية للضحَّاک : دعوتنا لبيعة
ابن الزبير وهو رجل هذه الأمة فلما تابعتك خرجت تبعاً لهذا الاعرابي
من كلب تُباع لابن اخته تابعاً له . قال : فتقولون ماذا . قالوا : نقول ان
تنصرف وتظهر بيعة ابن الزبير ونظاها معك . فاجابهم الى ذلك
وسار حتى تزل مرج راهط . واقبل حسان حتى لقي مروان بن الحكم
فسار حتى دخل دمشق فاتته اليانية تشكر بلائ بني امية . فساروا مع

مروان حتى نزلوا المِرج على الضحاك وهم نحو سبعة آلاف والضحاك في نحو من ثلاثين الفاً . فلقوا الضحاك فقتل الضحاك وقتل معه اشراف من قيس . فاقبل زُفرُ هارباً من وجهه ذلك حتى دخل قرقيسيا . واقام عمير بن الحُباب شيئاً على طاعة بني مروان ثم اقبل حتى دخل قرقيسيا . على زفر فاقام معه وذلك بعد يوم خازر حين قُتل عبيدالله بن زياد . وَاقبل زفر يبكي قتلى المِرج ويقول :

لعمري لقد ابقت وقيعة راهطٍ
أتذهبُ كلبٌ لم تنلها رماحنا
فقد يئبُ المرعى على دمن الثرى
أبعد ابنِ صقرٍ وابنِ عمروٍ تتابعا
فقال ابن المخلاة الكلبي يجيبه :

لعمري لقد ابقت وقيعة راهطٍ
تبكي على قتلى سليمٍ وعامرٍ
أخبر ابن عطية الكلبي قال : أغار زفر بن الحرث على اهل المصبح وبه جماعة من الحاج وغيرهم وقد اصاب اول النهار اهل ماء يقال له خصيف وفيه سيد بني الجلاح مصاد بن المغيرة بن ابي جبلة . فأسره فأتى به قرقيساء ثم من عليه . وقتل عفيف حسان بن حصين من بني الجلاح . ثم مضى زفر الى المصبح فاجتمع من بها الى عمير بن حسان بن عمر بن جبلة فامتنعوا . فقال لهم زفر : اني لا اريد دماءكم فأعطوا بايديكم . فأبوا وقاموا . فقتلت منهم جماعة كثيرة وقتل معهم رجلان من تغلب يقال لاحدهما جساس والآخر غني وهو ابو جساس وقد قالت له امرأته :

يا ابا جساس هوّلاً . قومك فائتهم حين اجتمعوا وامتنعوا . فقال : اليوم
 نؤاري وامس كلبي ما انا بفارقهم . فقاتل حتى قُتل . فكانت القتلى يوم
 المصبح من كلب ثمانية عشر رجلاً والتغليين . وبقي الماء ليس فيه ألا
 النساء . فلما انصرف عنهم زفر اراد النساء ان يجررن القتلى الى بئر يقال
 لها كوكب . فلما اردن ان يجررن رجلاً قالت وليته من النساء : لا يكون
 فلان تحت رجالكن كلهم . فأنت أم عمير بن حسان وهي كيسة بنت
 أبي فأعلقت في رجله رداها ثم قالت : اجسر عمير ان اباك كان جسوراً .
 ثم ألت عليه التراب والخطب ليكون بينه وبين اصحابه شيء . ثم جعلن
 كلما ألقين رجلاً ألقين عليه التراب والخطب حتى وارتهن القلب . ولما
 بلغ حميد بن حريث بن بجدل ما لقي قومه اقبل حتى اتى تدمر ليجمع
 اصحابه وليغير على قيس . فلما وقعت الدماء نهض بنو نير وهم يومئذ
 ببطن الهيل وهو على مياه تميم الى حميد بن حريث بن بجدل حتى قدم
 ورأه يتهاياً للغارة واجتمعت اليه كلب وقالوا له : ان كنت تبرئنا
 ببراءتنا وتعرف جوارنا اقنا وان كنت تتخوف علينا من قومك شيئاً
 لحقنا بقومك . فقال : اريدون ان تكونوا ادلاءهم حتى تنجلي هذه
 الفينة . فاحتبسهم فيها . وخليفته في تدمر رجل من كلب يقال له مطر
 من بني عوص و كان فاتكاً فأراد حميداً على قتلهم فأبى وكره الدماء .
 فلما سار حميد وقد عاد زفر ايضاً مُغيراً ليرده عما يريد فترق قرية له
 وبلغه مسير زفر فاغتاظ واخذ في التعبية . فأتاه مطر وكان خرج معه
 مشياً له انتهاراً^١ لدماء الذين في يده من النميريين فقال : ما اصنع

بهؤلاء الاسارى الذين في يدي وقد قُتل اهل مصبح . فقال وهو لا يعقل من الوجد : اذهب فاقتلهم . فخرج مطري ركض الى تدمر تخوفاً لا يبدو له . فلما اتى تدمر قتلهم . وانتبه حميد بعد ذلك بساعة فقال : اين مطر حتى أوصيه . قالوا . انصرف . قال : ادركوا عدو الله فاني اخاف على من بيده من النيريين . وبعث فارساً يركض يمنع مطراً من قتلهم . فأتاه وقد قتل كل من كان في يده من الاسرى الا رجلين وكانوا ستين رجلاً . فلما بلغه الرسول رسالة حميد قال له النيريان الباقيان : خل عنا فقد أمرت بتخلىة سيلنا . فقال : أبعد اهل المصبح لا والله لا تخبران عنهم ثم قتلها . فلما بلغ زفر قتل النيريين بسط على كل من ادرك من كلب واستحل الدماء . واخذ في وادٍ يقال له وادي الجيوش وقد انتشر به كلب للصيد فلم يدرك به احداً الا قتله . فقتل اكثر من خمسمائة ولم يلقه حميد ثم انصرف الى قرقيسا^١

واقبل عمير يخطر فخرج من قرقيسا يتطرف بوادي كلب فيغير عليها وعلى من اصاب من قضاة واهل اليمن ويخص^٢ كلباً ومعه تغلب قبل ان تقع الحرب بين قيس وتغلب . فجعل اهل البادية ينتصفون من اهل القرى كلهم

ثم انصرفت قيس في بعض ما كانت تنصرف من غزو كلب وهم مع عمير فنزلوا بشي من اثناء الفرات بين منازل بني تغلب وفي تغلب امرأة من قيس يقال لها أم دوبرل ناكحة في بني مالك بن جشم بن بكر

(١) يقال قرقيساء بالمد وقرقيسيا بياء واحدة

(٢) في الاصل « يحض » بحاء مهملة وضاد معجمة

وكان دوبل من فرسان بني تغلب وكانت لها أعتز بمجنبة . فاخذوا من اعزها اخذها غلام من بني الحريش . فشكروا ذلك الى عمير فلم يشكهم^(١) وقال : مَعْرَةَ الْجُنْدِ . فلما رأى اصحابه انه لم يُقرعهم وثبوا على بقية اعزها فأخذوها وأكلوها . فلما اتاها دوبل اخبرته بما لقيت . فجمع جمعا ثم سار فأغار على بني الحريش فلقى جماعة منهم فقاتلوه . فخرج رجل من بني الحريش زعمت تغلب انه مات بعد ذلك وأخذ ذود المرأة من بني الحريش يقال لها أم الهيثم . فبلغ الاخطل الواقعة فلم يدر ما هي وقال وهو براذان :

أَتَانِي وَدُونِي الزَّابِيَانِ^(٢) كِلَاهِمَا وَدَجَلَةُ أَنْبَاءِ أَمْرٍ مِنَ الصَّبْرِ
أَتَانِي بَانَ ابْنِي تَزَارٍ تَهَادِيَا وَتَغْلِبُ أَوْلَى بِالْوَفَاءِ وَبِالْقَدْرِ
فَلَمَّا تَبَيَّنَ الْخَبْرُ قَالَ :

وجاؤوا بجمع نصري أم هيثم . فما رجعوا من ذودها بغير فلما بلغ ذلك قيساً أغارت على بني تغلب بازاء الخابور^(٣) فقتلوا منهم ثلاثة نفر واستاقوا خمسة وثلاثين بعيراً . فخرجت جماعة من تغلب فأتوا زفر بن الحرث وذكروا له القرابة والجوار وهو بقرقيسا وقالوا : اثبتنا برجالنا ورد علينا نعمنا . فقال : اما النعم فتردها عليكم او ما قدرنا لكم عليه ونكتمل لكم نعمكم من نعمنا ان لم نصبها كلها ونندي لكم القتلى . قالوا له : فدع لنا قربات الخابور ورجل قيساً عنها فان هذه الحروب

(١) لم يشكهم لم يقبل شكواهم

(٢) الزابيان نهران بالعراق الزاب الاعلى والزاب الاسفل

(٣) الخابور نهر بالجزيرة بين راس عين والفرات

لن تطفأ ما داموا مجاورينا . فأبى ذلك زفر . وأبوا هم ان يرضوا إلا
 بذلك . فناشدهم الله وألح عليهم . فقال لهم رجل من النمر كان معهم :
 والله ما يسرني انه وقاني حرب قيس كلب أبقع تركته في غنمي
 اليوم . وألح عليهم زفر يطلب اليهم ويناشدهم . فأبوا . فقال عمير : لا
 عليك لا تكثير فوالله اني لأرى عيون قوم ما يريدون إلا محاربتك .
 فانصرفوا من عنده . ثم جمعوا جمعاً واغاروا على ما قرب من قرقيسا من
 قري القيسية . فلقبهم عمير بن الحباب فكان النمرى الذي تكلم عند
 زفر اول قتيل . وهزم التغليين . فأعظم ذلك الحيان جميعاً قيس وتغلب
 وكهوا الحرب وشماتة العدو . فذكر سليمان بن عبدالله بن الاصم ان
 إياس بن الحراز احد بني عتيبة بن سعد بن زهير وكان شريفاً من عيون
 تغلب دخل قرقيسا لينظر وينظر زفر فيما كان بينهم . فشد عليه يزيد
 ابن مجزن القرشي فقتله . فتقدم زفر من ذلك وكان كريماً مجتمعا لا
 يحب الفرقة فأرسل الى الامير ابن قرشة فقال له : هل لك ان تسود
 ابني نزار فتقبل مني الدية عن ابن عمك . فاجابه الى ذلك . وكان قرشة
 من اشراف بني تغلب . فتلافي زفر ما بين الحين وأصلح بينهم وفي
 الصدور ما فيها . فوفد عمير على الأصعب بن الزبير فأعلمه انه قد اولج
 قضاة بدائن الشام وانه لم يبق إلا حي من ربيعة اكثرهم نصارى فسأله
 ان يوأيه عليهم . فقال : أكتب الى زفر فان هو اراد ذلك والآ ولاك
 فلما قدم على زفر ذكر له ذلك . فشق عليه ذلك وكره ان يليهم عمير
 فيحيف بهم ويكون ذلك داعية الى منافرتهم فوجه اليهم قوماً وامرهم
 ان يرفقوا بهم . فأتوا اخلاطاً من بني تغلب في مشارق الخابور فأعلموهم

الذي وجَّهوا به . فأبوا عليهم . فانصرفوا الى زفر . فردَّهم واعلمهم ان
المصعب كتب اليه بذلك ولا يجد بداً من اخذ ذلك منهم او محاربتهم
فقتلوا بعض الرسل . وذكر ابن الاصم ان زفر لما اتاه ذلك اشتدَّ عليه
وكره استفساد بني تغلب . فصار اليهم عمير بن الحباب فلقبهم قريباً من
ماكسين^(١) على شاطئ اخابور بينه وبين قرقيسا مسيرة يوم فأعظم فيها
القتل . وذكر زياد بن يزيد بن عمير بن الحباب ان القتل استحرَّ بني
عتاب بن سعد والنَّير وفيهم اخلاط تغلب ولكن هولاء . معظم الناس
فقتلوهم بها قتلاً شديداً . وكان زفر بن يزيد اخو الحرث بن جشم له
عشرون ذكراً لصلبه وأصيب يومئذ اكثرهم وأسر القطامي الشاعر
وأخذت ابلة^(٢) . فاصاب عمير واصحابه شيئاً كثيراً من النعم . ورئيس
تغلب يومئذ عبد الله بن شريح فقتل وقتل اخوه وقتل مجاشع بن
الاجلح وعمرو بن معاوية من بني خالد وعبد الحرث بن عبد المسيح
الاوسي وسعدان بن عبد يسوع بن حرب وسعدود بن اوس من بني جشم
ابن زهير . وجعل عمير يصيح بهم : ويلكم لا تسبقوا احداً . ونادى رجل
من بني قشير يقال له الندار : انا جار لكل حامل اتني فهي آمنة .
فأنته الجبالي . فبلغني ان المرأة كانت تشدَّ على بطنها الجفنة من تحت
ثوبها تشدُّها بالجلبى با جعل هن . فلما اجتمعن له بقر بطونهن . فافطع
ذلك زفر واصحابه ولا م زفر عميراً فيمن بقر من النساء . فقال : ما

(١) في الاصل « ماكس » . وماكسين قرية لبني تغلب على شاطئ الفرات

(٢) لما أسر القطامي التغلبي الى زفر بقرقيسيا فخلَّى سبيله وردَّ عليه مائة

ناقة . فهذا ما جعل القطامي يمدح في شعره زفر وان كان من الداء اعداء تغلب

فعلته ولا أمرتُ به . فقال زفر بن الحرث يعاتب عميراً بما كان منه في
الخابور :

ألا من مُبلغٌ عني عميراً رسالةً عاتبٍ وعليك زارٍ
أترك حيّ ذي كلعٍ وكلبٍ وتجعل حدّ نابتك في تزارٍ
كعتمدٍ على إحدى يديه فخانته بوهي وانكسارٍ

فجمع لهم حميد بن الحرث بن مجدل ثم خرج يريد الغارة على بوادي
قيس . فأنتهى الى ماء لبني تغلب فاذا النساء والصبيان يبكون . فقالت
لهم النساء وهنّ يحسبنهم قيساً : ويحكم ما ردكم الينا فقد فعلتم بنا
بالامس ما فعلتم . فقالت لهم كلب : وما لكم . قالوا : أغار علينا بالامس
عمير بن الحباب فقتل رجالنا واستاق اموالنا . ولم يشككن ان الخيل
خيل قيس وان عميراً عاد اليهنّ . فقال بعضُ كلب لحميد : ما تريد من
نسوة قد أغير عليهنّ وحرين وصبية يتامى وتدع عميراً . فاتبعوه . فيينا
هم يسيرون اذ اخذوا ربيثة للقوم فسألوه . فقال لهم : هذا الجيش ههنا
والاموال وقد خرج عمير في فوارس يريد الغارة على اهل بيت من بني
زهير بن جناب اخبر عنهم مُخبر . فاقام حميد حتى جنّ عليه الليل ثم بيّت
القوم بيّاتاً . وقال حميد لاصحابه : شعاركم نحن عباد الله حقاً . فأصابوا
عامّة ذلك العسكر . ونجا فيمن نجا رجلُ عريان قذف ثوبه وجلس على
فرس عري . فلما انتهى الى عمير قال عمير : قد كنتُ اسمع بالمدينة
بلاء نذيره العريان فلم أره فهو هذا . ويملك ما لك . قال : لا ادري غير
انه لقينا قومٌ قتلوا من قتلوا واخذوا العسكر . فقال : أفتعرفهم . قال :
لا . فقصد عمير القوم وقال لاصحابه : ان كانت الاعاريب فسيسارعون

الينا اذا رأونا وان كانت خيول اهل الشام فستقف . واقبل عمير فقال
حميد لاصحابه : لا يتحركنَّ منكم احد وأنصبوا القنا . فحمل عمير حملة
لم تحركهم . ثم حمل . فلم يتحركوا . فنادى مراراً : ويحكم من اتم .
فلم يتكلموا . فنادى عمير اصحابه : ويلكم خيل بني بجدل والامانة
وانصرف على حاميته . فحمل عليه فوارس من كلب يطلبونه ولحقة
مولى الكلب يقال له شقرون فاطمنا فجرح عمير وهرب حتى دخل قرقيسا
الى زفر . ورجع حميد الى من ظفربه من الاسرى والقتلى فقطع سباهم
وأنفهم فجعلها في خيط ثم ذهب بها الى الشام . وقال قائل : بل بعث
بها الى عمير وقال : كيف ترى أوقعي ام وقعك . فقال في ذلك سنان بن
جابر الجهني :

لقد طار في الآفاق ان ابن بجدل	حميداً شفى كلباً فقرت عيونها
وعير قيساً بالقوافي ولم تكن	لتنزع إلا عند امر يهينها
فقلت له قيس بن عيلان انه	سريع اذا ما عصت الحرب لينها
سما بالعتاق الجرد من مرج راهط	وتدمر تنزى بزها ^(١) لا يصونها
فكان لها عرض السماوة ليلة	سواء عليها سهلها وحزونها
فمن يجتمل في شأن كلب ضغينة	علينا اذا ما حان في الحرب حينها
فاناً و كلباً كاليدين متي تضع	شمالك في شيء تُعنها عيينها
لقد تركت قتلى حميد بن بجدل	كثيراً ضواحيها ^(٢) قليلاً دفينها
وقيسية قد طلقته رماحنا	تلقت كالصيداء ^(٣) أودى جنينها

(١) بُزل جمع بازل وهو الذي فطر نابيه وهذا دليل على استكمال قوته
(٢) الضواحي القتلى البارزة للشمس لانها لم تدفن (٣) الصيداء

وقال سنان ايضاً في هذا الامر بعد ما اوقع ببني فزارة :

ياخت قيس سلي عنأ علانيةً كي تخبري من بيان العلم تبيانا
انا ذوو حسب مال ومكرمة يوم الفخار وخير الناس فرسانا
منأ ابن مرة عمرو قد سمعت به غيث الارامل لا يردن ما كانا
والبجلي الذي اردت فوارسه قيساً غداة اللوا من رمل عدنانا
فغادرت حلبساً منها بمعترك والجد^(١) منعيراً لم يكس اكفانا
كان^(٢) تركنا غداة الفاه من جزر للطير منهم ومن تكلى وتكلانا
ومن غوان تبكي لاهم لها بالفاه تبكي بني عم وإخوانا
فلما انتهى الخبر الى عبد الملك بن مروان وعبدالله ومصعب يومئذ حيان
وعند عبد الملك حسان بن مالك بن مجدل وعبدالله بن مسعدة بن حكم
القراري وجيء بالطعام فقال عبد الملك لابن مسعدة : ادن . فقال ابن
مسعدة : لا والله لقد اوقع حميداً بسليم وعامر وقعة لا ينفعني بعدها
طعام حتى يكون لها غير . فقال له حسان : أجزعت ان كان بيني
وبينكم في الحاضرة على الطاعة والمعصية فأصبنا منكم يوم المرج
وأغار اهل قرقيسا بالحاضرة على البادية بغير ذنب . فلما رأى حميد ذلك
طلب بثأر قومه فاصاب بعض ما اصابهم فجزعت من ذلك . وبلغ

مؤنث الاصيد . والصيد دا . يصيب الابل في رؤوسها فترفع رؤوسها ولا تقدر
معه ان تلوي اعناقها

(١) الجعد ابن عمران بن عينة وقتل يومئذ (٢) كان لغة في كآين
واصل كآين أي وكاف التشبيه ومعناها رب تقول كآين من قرية . وقالوا كآين
رجلاً قد رأيت وكآين قد اتاني رجلاً . الا ان أكثر العرب انما يستعملونها مع من

حميداً قول ابن مسعدة فقال : والله لأشغلنَّه بن هو اقرب اليه من سليم وعامر . فخرج حميد في نحو من مائتي فارس ومعه رجلان من كلب ديلان حتى انتهى الى بني فزارة اهل العمود خمس عشرة مضت من شهر رمضان فقال : بعثني عبد الملك بن مروان مصداً . فابصروا الي كل من يطيق ان يلقانا . ففعلوا فقتلهم او من استطاع منهم واخذ اموالهم . فبلغ قتلهم نحواً من مائة ونيف . فقال عوف القوافي :

منى الله أن ألقى حميد بن مجدل
لكيا نعاطيه ونبلو بيننا
ألا ليت أني صادفتني منيتي
ولم أر قتلي لم تدع لي بعدها
وأقيم ما ليث بخفان خادر^(١)
فلم أر قتلي مصعب لحقه اسماء بن خارجة
بالنخيلة^(٢) فكله فيما اتى حميد به الى اهل العمود من فزارة وقال :

حدثنا انه مصدقك وعاملك فأجبتك وبك عذنا . فعليك وفي ذمتك ما
على الحر في ذمته فأقيدنا من قضاعي سكير . فأبى عبد الملك وقال : أنظر
في ذلك واستشير . وحميد يجحد وليست لهم بيثة . فوداهم الف الف
ومائتي الف وقال : اني حاسبها في أعطيات قضاة . فقال في ذلك عمرو
ابن مخلاة الكلبي :

- (١) سُريجة سيوف منسوبة الى قبيل اسمه سُريج
(٢) اجذم مقطوع اليد (٣) خفان موضع قرب الكوفة وهو مأسدة
(٤) نخيلة موضع قرب الكوفة

خذوها يا بني ذُبيانَ عَقلاً^(١) على الاجياد وأعتقدوا اِحْداما
 دراهمَ من بني مروانَ بيضاً ينجمها لكم عاماً فعاماً
 وأيقن انه يوم طويل على قيس يُذيقهم السِماما
 ومختبِ امام القوم يسعى كسرحان التنوفة حين ساما
 رأى شخصاً على بلدٍ بعيدٍ فكبر حين ابصره وقاماً
 وأقبل يسأل البشري النيا فقال رأيتُ إنساً او نعاماً
 وقال لخياله سيري حميدٌ فان لكل ذي أجلٍ حماماً
 فما لاقيت من سجعٍ وبدرٍ ومرةً فاتركي حطباً حطاماً
 بكلٍ مُقلصٍ عبلٍ شواهٍ يدقُ بوقع ناييه اللجاما
 وكلٍ طيرةٍ مرطى^(٢) سُبوحٍ اذا ما شدَّ فارسها الحزاما
 وقائلة على دهشٍ وحزنٍ وقد بلت مدامعها اللثاماً
 كانَ بني فزارةٍ لم يكونوا ولم يرعوا بأرضهم الثماما
 ولم أرَ حاضراً منهم بشاءٍ ولا من يملك النعمَ الرُكاما^(٣)

(قال) فلما اخذوا الدية انطلقت فزارة فاشتتت خيلاً وسلاحاً . ثم
 استتبت سائر قبائل قيس ثم اغارت على ماء يدعى بنات قين^(٤) يجمع
 بطوناً من بطون كلب كثيرة واكثر من عليه بنو عبدود وبنو عليم
 ابن جناب وعلى قيس يومئذ سعيد بن عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر
 وطلحة بن قيس بن الاشيم بن يسار احد بني العسراء . فلما اغاروا

(١) العقل الدية (٢) فرس مرطى سريعة

(٣) الركام الضخم كانه ركم بعضه على بعض

(٤) بنات قين موضع

في الشام في بادية كلب بالساوة وهي عيون عدّة

نادوا بني عليم : انا لا نطلبكم بشي ، وانما نطلب بني عبدود بما صنع
الدليان اللذان حملاُ حميداً وهما المأمور ورجل آخر اسمه ابو ايوب .
فقتل من العبديين تسعة عشر رجلاً . ثم مالوا على العليميين فقتلوا منهم
خمسین رجلاً وساقوا اموالاً . فبلغ الخبر عبد الملك فأهل حتى اذا ولي
الحجاج العراق كتب اليه يبعث اليه سعيد بن عينه وحلحلة بن قيس
معها نفر من الحرس . فلما قدم بهما عليه قذفهما في السجن وقال لكلب :
والله لئن قتلتهم رجلاً لأهريقن دماءكم . فقدم عليه من بني عبدود
عياض ومعاوية ابنا ورد ونعمان بن سويد وكان سويد ابوه ابن مالك
يومئذ أشرف من قتل يوم بنات قين وكان شيخ بني عبدود . فقال له
النعمان : دماءنا يا امير المؤمنين . فقال له عبد الملك : انا قتل منكم
الصبي الصغير والشيخ الفاني . فقال النعمان : قتل منا والله من لو كان اخاً
لابيك لاختر عليك في الخلافة . فغضب عبد الملك غضباً شديداً . فقال
له معاوية وعياض : يا امير المؤمنين شيخ كبير موتور . فأعرض عنه عبد
الملك وعرض الدية . وجعل خالد بن يزيد بن معاوية ومن ولدته كلب
يقولون : القتل . ومن كانت أمه قيسية من بني امية يقولون : لا بل الدية
كما فعل بالقوم . حتى ارتفع الكلام بينهم بالمقصورة . فاخرجهم عبد الملك
ودفع حلحلة الى بعض بني عبدود ودفع سعيد بن عينه الى بعض
بني عليم . واقبل عليهما عبد الملك فقال : ألم تأتياني تستعديانى فأعديتكما
وأعطيتكما الدية ثم انطلقتما فأخفرتما ذمتي وصنعتما ما صنعتما . فكلمه
سعيد بكلام يستعطفه به ويرققه . فضرب حلحلة صدره وقال : أترى
خضوعك لابن الزرقاء نافعك عنده . فغضب عبد الملك وقال : اصبر حلحلة .

فقال له : أصبرُ من عودِ بجنيهِ جَلَبٌ^(١) . فقتلوا وشقَّ ذلك على قيس
وأعظمه أهل البادية منهم والحاضرة . فقال في ذلك علي بن الغدير
الغنوي :

لحلحلة القليل ولا بن بدر
فبعد اليوم أيام طوال
وكل صنيعه رصدٌ ليوم
خليفة أمة قسرت عليه
فقد اتيا حميد ابن المنايا
وأهل دمشق انجبة تبين
وبعد نخودٍ فتتكم قتون
تحل به لصاحبها الزبون
تحمط واستخف بن يدين
وكل فتى ستشبهه المنون

وقالت عميرة بنت حسان الكلبية تفخر بفعل حميد بقيس :

سنت كلبٌ الى قيس بجمع
بذي لب يدق الأرض حتى
نفين الى الجزيرة قل قيس
وألفينا هجين بنى سليم
فلولا عدوة المهر المفدى
وتجاه حيث الركض منا
وآض كأنه يطلى بورس
حمدت الله اذ لقي سليمان
تركن الروق^(٢) من فتيات قيس
فهن اذا ذكن حميد كلب

يهد مناكب الأم الصعاب
تضايق من دعا بهلا وهاب
الى بق بها والى ذباب
يفدى المهر من حب الاياب
لأبت وانت منخرق الإهاب
أصيلانا ولون الوجه كاب
ودق هوي كاسرة عقاب
على دهمان صقر بني جناب
أيامى قد ينسن من الحضاب
نعن برنة بعد انتحاب

(١) جَلَب جمع جُلبة وهي القشرة تملو الجرح عند البرء اي انه اصبر من

جل مُسن في جنيهِ قروح (٢) الروق الجماعة

متى تذكر فتى كلبٍ حميداً ترأى القيسيَّ يشرقُ بالشرابِ

حَدَّثَنَا

الحرب بين عبد الملك ومُصعب بن الزبير

اخبر المدائني قال : لما كان سنة اثنتين وسبعين استشار عبد الملك ابن مروان عبد الرحمن بن الحُكَم في المسير الى العراق ومناجزة مصعب . فقال : يا امير المؤمنين قد واليت بين عامين تغزو فيها وقد خسرت خيلك ورجالك . وعامك هذا عامٌ حارِدٌ فأريح نفسك ورجلك ثم ترى رأيك . فقال : اني أبادر ثلاثة اشياء . الشام ارض المال بها قليل فاخاف ان ينفد ما عندي . وأشرف اهل العراق قد كاتبوني فدعوني الى انفسهم . وثلاثة من اصحاب رسول الله (صلعم) قد كبروا ونفدت اعمارهم وانا أبادر بهم الموت أحبُّ ان يحضروا معي . ثم دعا يحيى بن الحُكَم . وكان يقول : من أراد أمراً فليشاور يحيى بن الحُكَم فاذا اشار عليه بامرٍ فليعمل بخلافه . فقال : ما ترى في المسير الى العراق : قال : ارى ان ترضى بالشام وتقيم بها وتدع مصعباً بالعراق فلن الله العراق . فضحك عبد الملك . ودعا عبدالله بن خالد بن أسيد فشاوره . فقال : يا امير المؤمنين قد غزوت مرةً فنصرك الله ثم غزوت ثانية فزادك الله بها عزاً . فأقم عامك هذا . فقال لمحمد بن مروان : ما ترى . قال : ارجو ان ينصرك الله ائت ام غزوت فشمير فان الله ناصرك . فأمر الناس فاستعدوا للمسير . فلما أجمع عليه قالت عاتكة بنت يزيد بن معاوية

زوجته : يا امير المؤمنين وجه الجنود وأقم فليس الرأي ان يباشر الخليفة الحرب بنفسه . فقال : لو وجهت أهل الشام كلهم فعلم مصعب اني لست معهم لهلك الجيش كله . ثم تمثل :

ومستخبرٌ عنَّا يُريدُ بنا الرّدىّ ومستخبراتٌ والعيونُ سواكب
ثم قدم محمد بن مروان ومعه عبدالله بن خالد بن أسيد وبشر بن مروان . ونادى مناديه : ان امير المؤمنين قد استعمل عليكم سيّد الناس محمد ابن مروان . وبلغ مصعب بن الزبير مسيرُ عبد الملك فاراد الخروج . فأبى عليه أهل البصرة وقالوا : عدونا مطلق علينا . يعنون الخوارج . فارسل اليهم المهلب وهو بالموصل وكان عاملة عليها فولاه قتال الخوارج . وخرج مصعب . فقال بعض الشعراء :

أكلَ عام لك يا جَمبِيرا تغزو بنا ولا تفيدُ خيرا

(قال) وكان مصعب كثيراً ما يخرج الى باب جديرا يريد الشام ثم يرجع . فاقبل عبد الملك حتى نزل الاحوفية . ونزل مصعب بمسكن الى جنب أوانا وخذق . ثم تحوّل ونزل دير الجائليق وهو بمسكن وبين العسكرين ثلاثة فراسخ ويقال فرسخان . فقدم عبد الملك محمداً وبشراً اخويه كل واحد منها على جيش والاميرُ محمد . وقدم مصعب ابراهيم ابن الاشر . ثم كتب عبد الملك الى اشراف اهل الكوفة والبصرة يدعوهم الى نفسه ويمنيهم . فاجابوا وشرطوا عليه شروطاً وسألوه ولايات . وسأله ولاية اصبهان اربعون رجلاً منهم . فقال عبد الملك لمن حضره : ويلكم ما اصبهان هذه . تعجباً ممن يطلبها . وكتب الى ابراهيم بن الاشر : لك ولاية ما سقى الفرات ان تبعني . فجاء ابراهيم بالكتاب

الى مصعب فقال : هذا كتاب عبد الملك ولم يخصني بهذا دون غيري
من نظرائي فأطعني فيهم . قال : أصنعُ ماذا . قال : تدعوهم فتضرب
اعناقهم . قال : أقتلهم على ظنٍ ظننته . قال : فأوقرهم حديدًا وابعث
بهم الى ارض المدائن حتى ينقضي الحرب . قال : اذا تفسد قلوبُ
عشائرتهم ويقول الناس عبثُ مصعبٍ باصحابه . قال : فان لم تفعل فلا
تمدني بهم فانهم كالمومسة تريد كل يوم خليلاً وهم يريدون كل يوم
اميراً . فارسل عبد الملك الى مصعب رجلاً يدعوهُ الى ان يجعل الامرَ
شورى في الخلافة . فأبى مصعب . فقدم عبد الملك اخاهُ محمداً ثم قال :
اللهم أنصر محمداً اللهم انصر اصحابنا وخيرنا لهذه الأمة . (قال)
وقدم مصعب ابراهيم بن الاشر . فالتقت المقدمتان وبين عسكر
مصعب وعسكر ابن الاشر فرسخ . ودنا عبد الملك حتى قرب من
عسكر محمد . فتناوشوا فقتل رجل على مقدمة محمد يقال له فراس
وقُتل صاحبُ لواء بشر يقال له اسيد . فارسل محمد الى عبد الملك : ان
بشراً قد ضيع لواءه . فصرف عبد الملك الامر كله الى محمد . وكف
الناس وتواقفوا . وجعل اصحاب ابن الاشر يهتفون بالحرب ومحمد بن
مروان يكف أصحابه فارسل عبد الملك الى محمد : ناجزهم . فأبى .
فأوفد اليه رسولا آخر وشمته . فأمر محمد رجلاً فقال : قف خلفي في
ناس من اصحابك فلا تدعن احداً يأتيني من قبل عبد الملك . وكان قد
دبر تديراً سديداً في تأخير المناجزة الى وقتٍ رآه . فكره ان يُفسد
عبدُ الملك تديره عليه . فوجه اليه عبدُ الملك عبدالله بن خالد بن أسيد .
فلما رأوه ارسلوا الى محمد بن مروان : هذا عبدالله بن خالد بن أسيد .

فقال : ردوه بأشد ما رددتم من جاء قبله . فلما قرب المساء أمر محمد بن مروان اصحابه بالحرب وقال : حرّكوهم قليلاً . فتهايج الناس . ووجه مصعب ابن ابراهيم بن عتاب بن ورقاء الرياحي بعجز ابراهيم . فقال : قد قلت له لا تمدني بأحد من اهل العراق فلم يقبل . واقتتلوا . وارسل ابراهيم ابن الاشر الى اصحابه بجصرة الرسول ليرى خلاف اهل العراق عليه في رأيه ان : لا تنصرفوا عن الحرب حتى ينصرف اهل الشام عنكم . فقالوا : فلم لا ننصرف . فانصرفوا وانهمز الناس حتى اتوا مصعباً . وصبر ابراهيم بن الاشر فقاتل حتى قُتل . فلما اصبحوا أمر محمد بن مروان رجلاً فقال : انطلق الى عسكر مصعب فانظر كيف تراهم بعد قتل ابن الاشر . قال : لا اعرف موضع عسكرهم . فقال له ابراهيم بن عدي الكناني : انطلق فاذا أنت رأيت النخل فاجعله منك موضع سيفك . [يعني يساره] وأنطلق حتى تطلع على العسكر . فضى الرجل حتى اتى عسكر مصعب^١ ثم رجع الى محمد فقال : رأيتهم منكسرين . واصبح مصعب فدنا ودنا منه محمد بن مروان حتى التقوا . فترك قوم من اصحاب مصعب مصعباً وأتوا محمد بن مروان . فدنا الى مصعب ثم ناداه : فداك أبي وأمي ان القوم خاذلوك ولك الامان . فأبى قبول ذلك . فدعا محمد بن مروان ابنه عيسى ابن مصعب . فقال له ابوه : انظر ما يريد محمد . فدنا . فقال له : اني لكم ناصح ان القوم خاذلوكم ولك ولائيك الامان . وناشده . فرجع الى ابيه فأخبره . فقال : اني اظن القوم سبقونا فان أحببت ان تأتيهم . فقال : والله

(١) ان ما احطناه بمكفين لا وجود له في الاصل فروينا عن النسخة

لا تتحدث نساء قريش اني خذلتك ورغبت بنفسي عنك . قال : فتقدم حتى احتسبك . فتقدم وتقدم ناس معه . فقتل وقتلوا . وترك اهل العراق مصعباً حتى بقي في سبعة . وجاء رجل من اهل الشام ليحتر رأس عيسى فشد عليه مصعب فقتله . ثم شد على الناس فانفرجوا ثم رجع فقعده على مرفقة ديباج . ثم جعل يقوم عنها ويحمل على اهل الشام فيفرجون عنه ثم يرجع ويقعد على المرفقة . حتى فعل ذلك مراراً . وأتاه عبيد الله بن زياد ابن ظبيان فدعاه الى المبارزة . فقال له : اعزب يا كلب . وشد عليه مصعب فضربه على البيضة فشمها وجرحه . فرجع عبيد الله فعصب رأسه . وجاء ابن ابي فروة كاتب مصعب فقال : جعلت فداك قد تركك القوم وعندني خيل فاركبها وانج بنفسك . فدفع في صدره وقال : ليس اخوك بالبعد . ورجع ابن ظبيان الى مصعب فحمل عليه وزرق^١ زائدة بن قدامة مصعباً ونادى : يا لثارات المختار فدمرعه . وقال عبيد الله لغلام له [ديلمي] : احتر رأسه . فترل فاحتر رأسه . فحمله الى عبد الملك ابن مروان . فيقال وليس ذلك في الخبر^٢ انه لما وضعه بين يديه سجد . قال ابن ظبيان : فهمت والله ان اقتله فأكون افتك العرب فقتلت ملكين من قريش في يوم واحد . ثم وجدت نفسي تنازعني الى الحياة فأمسكت . فقال عبيد الله بن قيس الرقياتي يرثي مصعباً :

(١) زرقة رماه (٢) ان ما اثبتناه بين معكفين هو ناقص في الاصل فرويناه عن النسخة الخطية الاميركانية البيروتية . وبروي أيضاً في تاريخ الكامل لابن الاثير (٥ : ١٢٧) : « واخذ عبيد الله بن زياد رأسه وحمله الى عبد الملك والقاء بين يديه فلما رأى عبد الملك الرأس سجد . قال ابن ظبيان : فهمت الخ »

انَّ الرِّزِيَّةَ يَوْمَ مَسْكَنَ مِ وَالْمَصِيبَةَ وَالْفَجِيحَةَ
بِأَبْنِ الْخَوَارِيِّ الَّذِي لَمْ يَعُدَّهُ يَوْمَ الْوَقِيعَةِ
غَدَرْتُ بِهِ مَضَرَ الْعَرَاءِ قِ وَأَمَكَنْتُ مِنْهُ رِبِيعَةَ
تَاللهُ لَوْ كَانَتْ لَهُ بِالْدِينِ يَوْمَ الْدَيْرِ شِيعَةٌ
لَوَجَدْتَهُ حِينَ يَدْلُجُ مِ لَا يَعْزِسُ بِالْمَضِيعَةِ

وَقَالَ ابْنُ قَيْسٍ يَرِثِي مَصْعَبًا :

لَقَدْ أَوْرَثَ الْمَصْرَيْنِ خَزِيًّا وَذَلَّةً قَتِيلٌ بِدَيْرِ الْجَائِلِقِ مَقِيمٌ
فَمَا قَاتَلْتُ فِي اللهِ بَكْرَ بْنِ وَائِلٍ وَلَا صَبَرْتُ عِنْدَ الْلِقَاءِ تَمِيمٌ
وَلَكِنَّهُ رَامَ الْقِيَامَ وَلَمْ يَكُنْ لَهَا مُضْرِيٌّ يَوْمَ ذَاكَ كَرِيمٌ

وَحَدَّثَ الْمَدَائِنِيُّ عَنْ عَوَانَةَ وَالشَّرْقِيُّ ابْنَ الْقَطَامِيِّ عَنْ أَبِي جَنَابٍ قَالَ :
حَدَّثَنِي شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ قَالَ : فَلَمَّا أَتَى عَبْدُ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ قَتْلُ مَصْعَبِ
أَضْرَبَ عَنْ ذِكْرِهِ أَيَّامًا حَتَّى تَحَدَّثْتُ بِهِ إِمَاءَ مَكَّةَ فِي الطَّرِيقِ . ثُمَّ صَعِدَ
الْمَنْبَرِ فَجَلَسَ عَلَيْهِ مَلِيًّا لَا يَتَكَلَّمُ . فَانْظَرْتُ إِلَيْهِ وَالْكَتَابَةَ عَلَى وَجْهِهِ
وَجَبِينَهُ يَرْشَحُ عِرْقًا فَقُلْتُ لِأَخِي جَنْبِي : مَا لَهُ لَا يَتَكَلَّمُ أَتَرَاهُ يَهَابُ
الْمَنْطِقِ فَوَاللهِ أَنَّهُ لَخَطِيبٌ فَمَا تَرَاهُ يَهَابُ . قَالَ : إِرَاءُ يُوْرِدُ أَنْ يَذْكَرَ قَتْلَ
الْمَصْعَبِ سَيِّدِ الْعَرَبِ وَهُوَ بِفِطْيَعٍ تَذْكَرُهُ غَيْرَ مَلُومٍ . فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ وَمَلِكُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ يُعَزُّ مَنْ يَشَاءُ وَيُنْزِلُ مَنْ
يَشَاءُ . أَلَا أَنَّهُ لَمْ يَنْزِلْ وَاللهُ مِنْ كَانَ الْخَلْقُ مَعَهُ وَإِنْ كَانَ مُفْرَدًا ضَعِيفًا .
وَلَمْ يَعْزَمْ مَنْ كَانَ الْبَاطِلُ مَعَهُ وَإِنْ كَانَ فِي الْعُدَّةِ وَالْعُدَدِ وَالْكَثْرَةِ . ثُمَّ
قَالَ : أَنَّهُ قَدْ أَتَانَا خَبْرٌ مِنَ الْعِرَاقِ . بَلَدُ الْغَدْرِ وَالشِّقَاقِ . فَسَاءَ مَا وَسَّرْنَا .
أَتَانَا أَنَّ مَصْعَبًا قُتِلَ رَحْمَةً مِنَ اللهِ عَلَيْهِ وَمَغْفَرَةً . فَمَا الَّذِي أَحْزَنَنَا مِنْ ذَلِكَ

فانَّ لفراقِ الحميمِ لدعةٌ يجذُّها حميمه عند المصيبة . ثمَّ يرعوي من بعدُ
ذو الرأي والدين الى جميل الصبر . واما الذي سرَّنا منه فانَّا قد علمنا ان
قتله شهادةٌ له وانه عزَّ وجلَّ جاعلٌ ذلك لنا وله خيرة ان شاء الله تعالى .
ان اهل العراق اسلموه وباعوه باقل ثمن . لقد قُتِل ابوه وعمه وأخوه وكانوا
خيار الصالحين . انا والله ما نموت حتف انوفنا ما نموت الا قتلاً قعصاً بالرماح
وتحت ظلال السيوف وايس كما يموت بنو مروان والله ما قُتل منهم
رجل في جاهلية ولا اسلام قط . واما الدنيا عارية^(١) من الملك القهار
الذي لا يزال سلطانُه ولا يبيد ملكُه . فان تُقبِل الدنيا علي لا آخذها
اخذ الأيسر البطر . وان تُدبر عني لا ابكي بكاء الحرف المهتر^(٢) .
ثم نزل . وقال رجل من بني اسد بن عبد العزى يرثي مصعباً :

لعمرك انَّ الموت منا لمولع^(٣) بكل فتى رَحِبِ الذراعِ اريب
فان يكُ امسى مصعبٌ نال حتفه لقد كان صلبَ العودِ غيرَ هَيوبِ
جميل المحيَّاً يوهنُ القرنُ غربُه وان عَضَّه دهرٌ فغيرَ رُهوبِ
اتاه حِمام الموت وسطَ جنودِه فطاروا شلالاً^(٤) واستقى بذنوبِ
ولو صبروا نالوا حِباً وكرامةً ولكنهم ولّوا بغيرِ قلوبِ
(قال) وقال عبد الملك يوماً جلسائه : من اشجع الناس . فاكثروا في
هذا المعنى . فقال : أشجع الناس مصعب بن الزبير جمع بين عائشة بنت
طلحة وسكينة بنت الحسين وابنة الحميد بنت عبدالله بن عاصم وولي
العراقين ثم زحف الى الحرب فبذلت له الامان والحباء والولاية والعفو

(١) العارية المنيحة (٢) المهتر الذي فقد عقله من الكبر او المرض او
الجزن . كتب في الاصل « المهتمر » (٣) شلالاً متفرقين . في الاصل « سلالاً »

عما خلع في يده فأبى قبول ذلك وأطرح كل ما كان مشغوقاً به من
ماله واهله وراء ظهره . وأقبل بسيفه قداماً يقاتل وما بقي معه إلا سبعة
نفر حتى قتل كريماً

وقعة دُولَاب (*)

أخبر بنجر هذه الحرب أحمد بن عبد العزيز الجوهري أن نافع بن الأزرق
لما تفرقت آراء الخوارج ومذاهبهم في أصول مقاتلهم أقام بسوق الأهواز
وأعمالها لا يعترض الناس وقد كان متشككاً في ذلك . فقالت له امرأته :
إن كنت قد كفرت بعد إيمانك وشككت فيه فدع نحلكت ودعوتك .
وإن كنت قد خرجت من الكفر إلى الإيمان فاقتل الكفار حيث لقيتهم
وأثخن في النساء والصبيان كما قال نوح : لا تذر على الأرض من الكافرين
دياراً . فقبل قولها واستعرض الناس وبسط سيفه فقتل الرجال والنساء
والولدان وجعل يقول : إن هؤلاء إذا كبروا كانوا مثل آبائهم . وإذا وطئ
بلداً فعل مثل هذا به إلى أن يجيبه أهله جميعاً ويدخلوا في ملته فيرفع
السيف ويضع الجباية فيجبي الخراج . فعظم أمره واشتدت شوكتة وفشا
عماله في السواد . فارتاع لذلك أهل البصرة ومشوا إلى الأحنف بن قيس
فشكروا إليه أمرهم وقالوا له : ليس بيننا وبين القوم إلا ليلتان وسيرتهم كما

(*) دُولَاب ويروى دُولَاب بضم الدال قرية من عمل الأهواز بينها وبين
الأهواز نحو من أربعة فراسخ وكانت جاحرب بين الأزارقة وبين مسلم بن
عيسى ابن كُرَيْز خليفة عبدالله بن الحرث بن نوفل بن عبد المطلب وذلك في
أيام ابن الزبير

ترى . فقال لهم الاحنف : ان سيرتهم في مصر كم ان ظفروا به مثل سيرتهم في سوادكم فخذوا في جهاد عدوكم . وحرصهم الاحنف فاجتمع اليه عشرة آلاف رجل في السلاح . فأتاه عبدالله بن الحرث بن نوفل وسأله ان يوامر عليهم اميراً . فاختر لهم مسلم بن عيسى بن كزيو بن ربيعة وكان فارساً شجاعاً ديناً . فأمره عليهم وشيعه . فلما نفذ من جسر البصرة اقبل على الناس وقال : اني ما خرجت لامتيار ذهب ولا فضة . واني لأحارب قوماً ان ظفرت بهم فما وراهم إلا سيوفهم ورماحهم فمن كان من شأنه الجهاد فلينهض ومن احب الحياة فليرجع . فرجع نفر يسير ومضى الباقون معه . فلما صاروا بدولاب خرج اليهم نافع بن الازرق فاقتلوا قتالاً شديداً حتى تكسرت الرماح وعقرت الخيل وكثرت الجراح والقتلى وتضاربوا بالسيوف والعمد . فقتل في المعركة ابن عيس وهو على اهل البصرة وذلك في جمادى الآخرة سنة خمس وستين . وقتل نافع بن الازرق يومئذ ايضاً . فعجب الناس من ذلك . وان الفريقين تصابروا حتى قتل منهم خلق كثير وقتل رئيسا العسكريين والشراة^(١) يومئذ ستمائة رجل . فكانت الحدة يومئذ وبأس الشراة واقماً ببني تميم وبني سدوس وأتي بابن عيسى وهو يجود بنفسه فاستخلف على الناس الربيع بن عمرو الغداني وكان يقال له الاجزم كانت يده أصيبت بكابل مع عبد الرحمن بن سمرة . واستخلف نافع بن الازرق عبدالله بن بشير بن الماحوز احد بني سليط بن يربوع . فكان رئيس المسلمين والخوارج جميعاً من بني يربوع رئيس المسلمين من بني غدانة بن يربوع ورئيس الشراة من بني سليط

(١) الشراة الخوارج سموا انفسهم شراة لانهم قالوا انهم باعوا انفسهم لله

ابن يربوع . فاتصلت الحرب بينهم عشرين يوماً . قال المدائني في خبره :
 وادعى قتل نافع بن الازرق رجل من باهلة يقال له سلامة وتحدث بعد
 ذلك قال : كنت لما قتلتُه على بردون ورد فاذا انا برجل ينادي وانا
 واقف في خميس بني تميم . فاذا به يعرض علي المبارزة . فتناقلت عنه .
 وجعل يطلبني وانا انتقل من خميس الى خميس وليس يزايلني . فصرت الى
 رحلي ثم رجعت فدعاني الى المبارزة . فلما اكثر خرجت اليه . فاختلفنا
 ضربتين فضربته فصرعته وتزلت فأخذت رأسه وسلبته . فاذا هي امرأته
 قد رأته حين قتلت نافعاً فخرجت لتشار به . قالوا : فلما قتل نافع وابن
 عُبَيْس وولي الجيش الى ربيع بن عمرو لم يزل يقاتل الشراة نيفاً وعشرين
 يوماً . ثم اصبح ذات يوم فقال لاصحابه : اني مقتول لائمة . قالوا :
 وكيف ذلك . قال : اني رأيت البارحة كأن يدي التي أصيبت بكابل
 انحطت من السماء فاستشلتني^١ . فلما كان الغد قاتل الى الليل ثم عاد
 فقتل يومئذ . (قال) فلما قتل الربيع تدافع اهل البصرة الراية حتى
 خافوا العطب اذ لم يكن لهم رئيس . ثم اجمعوا على الحجاج بن باب
 الحميري وقد اقتتل الناس يومئذ وقبله بيومين قتالاً شديداً لم يقتلوا
 مثله تطاعنوا بالرماح حتى تقصفت ثم تضاربوا بالسيوف والعمد حتى لم
 يبق لأحد منهم قوة وحتى كان الرجل منهم يضرب الرجل فلا يُغني شيئاً
 من الإعياء وحتى كانوا يترامون بالحجارة ويتكادمون بالأفواه . فلما
 تدافع القوم الراية وأبوها واتفقوا على الحجاج بن باب امتنع من اخذها .
 فقال له كُريب بن عبد الرحمن : خذها فانها مكرمة . فقال : انها لراية

(١) استلاه اخذه اليه . يقال استلاه واشتلاه

مشؤومة ما اخذها احد الا قُتل . فقال له كريب : يا اعور تقارعت العرب على امرها ثم صيروها اليك فتأبى خوف القتل . خذ اللواء ويحك فان حضر اجلك قُتلت ان كانت معك او لم تكن . فاخذ اللواء وناهضهم فاقتتلوا حتى انتقضت الصفوف وصاروا كراديس^(١) والحوارج اقوى عدة بالدروع والجواشن^(٢) . وجعل الحجاج يُغِيض عينيه ويحمل حتى يغيب في الشراة ويطن فيهم ويقتل حتى يُظن انه قد قُتل . ثم يرفع رأسه وسيفه يقطر دماً ويفتح عينيه فيرى الناس كراديس يقاتل كل قوم في ناحية . ثم التقى الحجاج بن باب وعمران بن الحرث الراسي فاختلفا ضربتين كل واحد منها قتل صاحبه . وجال الناس بينها جولة . ثم تجاوزوا واصبح اهل البصرة وقد هرب عامتهم وولوا حارثة بن بدر الغداني أمرهم وليس بهم طَرق^(٣) ولا بالحوارج . فقالت امرأة من الشراة وهي ام عمران قاتل الحجاج بن باب وقتيله تري ابنها عمران :

الله ايد عمراناً وطهره^(٤) وكان عمران يدعو الله في السحر
يدعوه سرّاً وإعلاناً ليرزقه^(٥) شهادة بيدي ملحادة غدر^(٦)
ولى صحابته عن حر ملحمة^(٧) وشدّ عمران كالضرغامة الذكر
(قال) فلما عقدوا حارثة بن بدر الرئاسة وسلموا اليه الراية نادى فيهم
بان يثبتوا . فاذا فتح الله عليهم فللعرب زيادة فريضتين وللموالي زيادة

(١) كراديس جماعات (٢) الجوشن الدرع وزرد يلبسه الصدر والخيروم

(٣) طَرق اي قُوّة

(٤) الملحادة الكثير الالحاد وهو العدول عن الحق . وغدر معدول عن

غادر للمبالغة واكثر ما يستعمل في النداء في الشتم يقال يا غدر

فريضة . فندب الناس فالتقوا وليس بأحد منهم طرُق وقد فشت فيهم الجراحات فلهم أنين وما تطأ الخيل الألى القتلى . فبيناهم كذلك اذ اقبل من اليامة جمعٌ من الشراة يقول المكثّر انهم مائتان والمقتل انهم اربعون . فاجتمعوا وهم مُرمجون مع أصحّانهم واجتمعوا كبكبة واحدة فحملوا على المسلمين . فلما رأهم حارثة بن بدر نكص برأيته وانهمز وقال :

كُرِّبُوا وَدَوَّلُوا^(١) وحيث شتم فاذهبوا

وتتابع الناس على اثره منهزمين . وتبعتهم الخوارج فألقوا انفسهم في دُجَيْل ففرق منهم خلقٌ كثير وسلمت بقيتهم . ولحقت قطعة من الشراة خيلَ عبد القيس فاكبوا عليهم . فعطفت عليهم خيل من بني تميم فعاونوهم وقاتلوا الشراة حتى كشفوهم وانصرفوا الى اصحابهم . وعبرت بقية الناس فصار حارثة ومن معه بنهر تيرا والشراة بالاهواز . فاقاموا ثلاثة ايام وكان على الازد يومئذ قبصة بن ابي صُفرة اخو المهلب وهو جد هزارة مُرد . (قال) وغرق يومئذ من الازد عدد كثير . فقال شاعر الازارقة :

يرى مَنْ جاءَ ينظر من دُجَيْل . شيوخ الازد طافيةً لحاها
قال شاعر آخر منهم :

سُميتَ ابنُ بدرٍ والحوادثُ جَمَّةٌ^(٢) والظالمونَ بنافعِ بن الازرقِ
والموتُ حتمٌ لا محالةً واقِعٌ من لا يُصْبِحُه نهاراً يَطْرُقِ
فلان امير المؤمنين اصابه ريبُ المنونِ فمن تُصِبُه يغلق^(٣)

(١) اي توجهوا الى كرنبا وهي موضع قريب من الاهواز والى دولاب

(٢) يغلق اي لزمه الموت من قولك غلق الرهن اي وجب

قال قَطْرِي بن الفجاءة فيما ذكر المبرد:

لعمرك اني في الحياة لزامد
لعمرك اني يوم أَلِطِم وجهها
ولو شهدتني يوم دولاب ابصرت
غداة طفت غلمان^(١) بكر بن وائل
ومال الحجازيون نحو بلادهم
وكان لعبد القيس اولُ جدِها
فلم أر يوماً كان اكثرُ مُقَصَّصاً
وضاربة خدًا كريمًا على فتى
أصيب بدولاب ولم يك موطناً
فلو شهدتنا يوم ذاك وخيلنا
رأت فتية باعوا الاله نفوسهم

وفي العيش ما لم ألق أمَّ حكيم
على نائبات الدهر غير حلِيم^(٢)
طعان فتى في الحرب غير لثيم
وألافها من حمير وسليم
وعجنا صدور الخيل نحو تميم
وولت شيوخ الأزد فهي تعوم
يمحُّ دماً من فائظ وكليم
أغرَّ نجيب الأمهات كريم
له أرض دولاب ودير حميم
تبيح من الكفار كل حريم
بجنات عدن عنده ونعيم

الوليد بن يزيد

كان الوليد بن يزيد من فتيان بني أمية وظرفائهم وشعرائهم
وأجوادهم واشدائهم . وكان فاسقاً خليعاً متهماً في دينه مرمياً بالزندقة .
وشاع ذلك من أمره وظهر حتى انكره الناس فقتل . وله اشعار كثيرة
تدل على خبثه وكفره . ومن الناس من ينفي ذلك عنه وينكره ويقول
انه نُحِلُّهُ وألصق اليه . والاعلأب الأشهر غير ذلك

(١) جيد لثيم (الكامل للمبرد ٦١٨) (٢) ويروى علماء اي على الماء

اخبر احمد بن الحرث الخراز ان يزيد بن عبد الملك لما وجه الجيوش
 الى يزيد بن المهلب وعقد لمسلمة بن عبد الملك على الجيش وبعث العباس
 ابن الوليد بن عبد الملك وعقد له على اهل دمشق قال له العباس : يا امير
 المؤمنين ان اهل العراق اهل غدر وإرجاف وقد وجهتنا محاربين
 والأحداث تحدث ولا آمن ان يرجف اهل العراق ويقولوا مات امير
 المؤمنين ولم يعهد فيقت ذلك في أعضاد^(١) اهل الشام فلو عهدت عهداً
 لعبد العزيز بن الوليد . قال : غداً . وبلغ ذلك مسلمة بن عبد الملك فأتى
 يزيد فقال : يا امير المؤمنين انما أحب اليك واد عبد الملك أو ولد الوليد .
 فقال : بل ولد عبد الملك . قال : أفأخوك احق بالخلافة أم ابن اخيك .
 قال : اذا لم تكن في ولدي فأخي احق بها من ابن اخي . قال : فأبنتك لم
 يبلغ فبايع لهشام ثم لابنتك بعد هشام . (قال) والوليد يومئذ ابن احدى
 عشرة سنة . قال : غداً اباع له . فلما أصبح فعل ذلك وبايع لهشام واخذ
 العهد عليه ان لا يخلع الوليد بعده ولا يُغير عهده ولا يحتال عليه . فلما
 أدرك الوليد ندم أبوه فكان ينظر اليه ويقول : الله بيني وبين من جعل
 هشاماً بيني وبينك . وتوفي يزيد سنة خمس ومائة وابنه الوليد ابن خمس
 عشرة سنة . (قال) فلم يزل الوليد مكرماً عند هشام رفيع المنزلة
 مدّة . ثم طمع في خلعهِ وعقد العهد بعده لابنه مسلمة بن هشام فجعل
 يذكر الوليد بن يزيد وتهتكهُ وإدمانه على الشراب ويذكر ذلك في
 مجلسهِ ويقوم ويقعد به . وولاه الحج ليظهر ذلك منه بالحرمين فيسقط
 [فصح وظهر منه فعل كثير مذموم وتشاغل بالمعتين والشراب وأمر

مولى له ففجج بالناس^(١) . فلما حجَّ طالبة هشام بان يخلع نفسه . فأبى ذلك فحرمة العطاء . وحرم سائر مواليه وأتسبائه وجفاهُ جفاهُ شديداً . فخرج متبدياً^(٢) وخرج معه عبد الصمد بن عبد الاعلى مؤدبه وكان يرعى بالزندقة . ودعا هشامُ الناسَ الى خلعه والبيعة لمسلمة بن هشام . وكان مسلمة يكنى أبا شاعر كنى بذلك لمولى كان لمروان يكنى أبا شاعر كان ذا رأي وفضل وكانوا يعظونه ويتبركون به . فأجابهُ الى خلع الوليد والبيعة لمسلمة بن هشام قوم من خاصة هشام . وكتب الى الوليد : ما تدع شيئاً من المنكر إلا أتيتهُ وارتكبتهُ غير متحاشٍ ولا مستتر فليت شعري ما دينك أعلى الاسلام أنت أم لا . فكتب اليه الوليد بن يزيد (ويقال بل قال له ذلك عبد الصمد بن عبد الاعلى ونحله اياه) :

يا أيها السائلُ عن ديننا نحن على دين أبي شاعر
نشرها صرماً وممزوجة بالسُّخن احياناً وبالفتارِ
فغضب هشام على ابنه مسلمة وقال : يعيرني بك الوليد وانا أرتشحك
للخلافة . فالزم الادب واحضر الصلوات . وولاهُ الموسم سنة سبع عشرة
ومائة . فآظهر النُّسك وقسم بمكة والمدينة اموالاً . فقال رجل من موالى
أهل المدينة :

يا أيها السائلُ عن ديننا نحن على دين أبي شاعر
الواهب البزل بأرسانها ليس بزنديق ولا كافر

(١) ان ما وضعناه بين معكفين هو ناقص في الاصل فرويناه عن النسخة
المخطبة الاميركانية البيروتية

(٢) خرج متبدياً اي خرج الى البادية . اما في الاصل فروي « متبدياً »

قال المدائني : وبلغ خالدًا القسري ما عزم عليه هشام فقال : انا بري من خليفة يُكنى أباشاكر . فبلغت هشاماً عنه فكان ذلك سبب إيقاعه به

أخبر سيّار قال : رأيت هشام بن عبد الملك وأنا في عسكره يوم توفي مسلمة بن عبد الملك وهشام في شرطته اذ طلع الوليد بن يزيد على الناس وهو نشوان يجرُّ مطرف خزي عليه . فوقف على هشام فقال : يا امير المؤمنين ان عقي من بقي لُحوق من مضى . وقد اقرر بعد مسلمة الصيد لمن يرى . واختل الثغر فوهى . وعلى اثر من سلف يمضي من خلف فترودوا فان خير الزاد التقوى . فأعرض عنه هشام ولم يُجر جواباً . ووجم الناس فما همس احد بشي . (قال) فضى الوليد وهو يقول :

أهينةٌ حديث القوم أم هم
عزيرٌ كان بينهم نبياً
كاناً بعد مسلمة الأرجى
أو آلاف هجان في قيود
فليتك لم تمت وفداك قوم
سقيم الصدر أو شكس نكيد
سكوتٌ بعد ما متع النهار^(١)
فقول القوم وحي لا يحار
شروب طوحت بهم عقار
تلقتُ كلما حنت ظوار^(٢)
تريح غيهم عنها الديار
وآخر لا يزور ولا يزار^(٣)

قال الزبير : وحدثني محمد بن الضحّاك عن ابيه قال : اراد هشام ان يخلع

(١) الهينة الكلام الخفي الذي لا يفهم . متع النهار ارتفع وبلغ غاية ارتفاعه

(٢) ظوار جمع ظئر وهي العاطفة على غير ولدها من الناس والابل

(٣) يعني بالسقيم الصدر يزيد بن الوليد . ويعني بالشكس هشاماً . والذي لا

الوليد ويجعل العهد لولده . فقال الوليد :

كفرت يداً من منعم لو شكرتها جزاك بها الرحمن ذو الفضل والمن
رأيتك تبني جاهداً في قطيعتي ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبني
أراك على الباقيين تجني ضغينة فيا ويحهم ان مت من شر ما تجني
كأني بهم يوماً وأكثر قولهم أيا ليت أنا حين ياليت لا تُغني

وأخبر المدائني قال : عتب هشام على الوليد وخاصته . فخرج الوليد ومعه قوم من خاصته ومواليه فنزل بالابرق بين أرض بلقين وفزارة على ماء . يقال له الاغدف . وخلف بالرصافة كاتبه عياض بن مسلم مولى عبد الملك ليكاتبه بما يحدث . وخرج معه عبد الصمد بن عبد الاعلى . فشربوا يوماً فقال له الوليد : يا أبا وهب قل أبياتاً نغني فيها . فقال أبياتاً وأمر عمر الوادي فغنى فيها وهي :

ألم ترَ للنجمِ اذ سبعا يُبادر في بُرجهِ المرجمِ
تخيّر عن قصد مجراته ألقى النور والتمس المطلعا
فقلتُ وأعجبتني شأنه وقد لاح اذ لاح لي مُطبعها
لعلّ الواليدَ دنا ملكه فأمسى اليه قد أستجمعا
وكنّا نؤمل في ملكه كتأميل ذي الجذب أن يُمرعا
عقدنا له محكمات الامور رطوعاً وكان لها موضعها

فروي هذا الشعر وبلغ هشاماً فقطع عن الوليد ما كان يُجري عليه وعلى أصحابه وحرّمهم وكتب الى الوليد : قد بلغني انك اتخذت عبد الصمد خدناً ومحدثاً وندياً وقد حقق ذلك ما بلغني عنك . ولن أبرئك من سوء . فأخرج عبد الصمد مذموماً . (قال) فأخرجه وقال :

تقد قذفوا أبا وهبٍ بأمرٍ كبيرٍ بل يزيدُ على الكبيرِ
وأشهدُ انهم كذبوا عليه شهادة عالمٍ بهم خبيرٍ

فكتب الوليد الى هشام بانه قد اخرج عبد الصمد . واعتذر اليه من منادمته
وسأله ان يأذن لابن سهيل في الخروج اليه وكان من خاصة الوليد .
فضرب هشام ابن سهيل ونفاه وسيّره . وكان ابن سهيل من اهل النباهة
وقد ولي الولايات وولي دمشق مراراً وولي غيرها . واخذ عياض بن مسلم
كاتب الوليد فضربه ضرباً مُبرحاً^(١) وألبسه المسوح وقيدته وحبسه .
فغم ذلك الوليد فقال : من يثق بالناس ومن يصنع المعروف . هذا
الاحول المشؤوم قدّمه أبي علي ولده وأهل بيته وولاه وهو يصنع بي
ما ترون ولا يعلم ان لي في احد هوى إلا أضرب به كتب الي بان اخرج
عبد الصمد فأخرجته وكتبت اليه في ان يأذن لابن سهيل في الخروج الي
فضربه وطرده . وقد علم رأبي فيه وعرف مكان عياض مني وانقطاعه
الي فضربه وحبسه يضارني بذلك . اللهم أجري منه . ثم قال الوليد :
انا النذير أسدي نعمة ابداً الى المقاريف لما يجبر الدخلا
إن أنت اكرمتهم ألفتهم بطروا وان اهنتهم ألفتهم ذللاً
اتشمخون ومثا رأس نعمتكم ستعلمون اذا ابصرتم الدولاً
أنظر فان انت لم تقدر على مثل لهم سوى الكلب فاضربه لهم مثلاً
بيننا يُسمنه للصيد صاحبُه حتى اذا ما استوى من بعد ما هزلاً
عدا عليه فلم تضرره عدوته ولو أطاق له أكلاً لقد أصكلاً
وقال ايضاً يفتخر على هشام :

(١) مبرحاً اي شديداً شاقاً . ولا تغل مبرحاً بفتح الراء

انا الوليد ابو العباس قد علمت
 اني لفي الذروة العليا اذا انتسبوا
 بنى لي المجد بان لم يكن وكلاً
 حلت من جوهر الأعياص قد علموا
 صعب المرام يسامي النجم مطلعه
 (قال) وبعث الوليد بن يزيد الى هشام بن عبد الملك راويته فأنشده
 قولهُ :

انا الوليد ابو العباس قد علمت
 فقال هشام : والله ما علمت معدة كراً ولا إقداماً إلا انه شرب مرة
 مع عته بكار بن عبد الملك فعربد عليه وعلى جواريه . فان كان يعني
 ذلك بكرهه واقدامه فعسى

حدث المنهال بن عبد الملك قال : كتب الوليد الى هشام قال : قد
 بلغني ما أحدث امير المؤمنين من قطع ما قطع عني ومحو من محاي من
 اصحابي وانه حرمني وأهلي ولم اكن اخاف ان يبتلي الله امير المؤمنين
 بذلك في ولا ينالني مثله منه . ولم يبلغ استصحابي لابن سهيل ومثلي
 في امره ان يجري علي ما جرى وان كان ابن سهيل على ما ذكره امير
 المؤمنين فبحسب العير ان يقرب من الذئب . وعلى ذلك فقد عقد الله لي
 من العهد وكتب لي من العمر وسبب لي من الرزق ما لا يقدر احد دونه
 تبارك وتعالى على قطعه عني دون مدته ولا صرفه عن مواقعه المحتومة
 له . فقدّر الله يجري على ما قدره فيما أحب الناس وكرهوا لا تعجيل

لأجله ولا تأخير لعاجله . والناس بعد ذلك يحتسبون الاوزار ويعترفون
 الآثام على انفسهم من الله بما يستوجبون العقوبة عليه . وأمير المؤمنين
 احق بالنظر في ذلك والحفظ له . والله يوفق امير المؤمنين لطاعته ويحسن
 القضاء له في الامور بقدرته . وكتب اليه الوليد في آخر كتابه :

أليس عظيماً ان أرى كل واردٍ حياضك يوماً صادراً بالنوافلِ
 فأرجعُ محمودَ الرجاءِ مُصرِّداً بتحطئةٍ عن وِردِ تلكِ الأناهلِ
 فأصبحتُ ممَّا كنتُ آمِلُ منكمُ وليس بلاقٍ ما رجا كلُّ آمِلِ
 كقتبضِ يوماً على عرضِ هبوةٍ يشدُّ عليها كفه بالاناملِ

فكتب اليه هشام : قد فهم امير المؤمنين ما كتبت به من قطع ما قطع
 وغير ذلك . وامير المؤمنين يستغفر الله من اجرائه ما كان يُجري عليك ولا
 يتخوف على نفسه اقتراف المآثم في الذي احدث من قطع ما قطع ومحو
 من محامد صحابتك لأمرين . أما احدهما فان امير المؤمنين يعلم
 مواضعك التي كنت تصرف اليها ما يُجريه عليك . وأما الآخر فاثبات
 صحابتك وارزاقهم دائرة عليهم لا ينالهم ما ينال المسلمين عند قطع
 البعوث عليهم وهم معك تجول بهم في سفهك . وامير المؤمنين يوجب ان
 يكفر الله عنه ما سلف من إعطائه اياك باستثنائه قطعه عنك . واما ابن
 سهيل فلعمري لئن كان نزل منك بحيث يسوءك ما جرى عليه لما جعله
 الله لذلك اهلاً . وهل زاد ابن سهيل لله ابوك على ان كان زفاناً^(١) مغنياً
 قد بلغ في السفه غايته . وليس مع ذلك ابن سهيل بشراً ممن كنت
 تستصحبه في الامور التي يُنزه امير المؤمنين نفسه عنها مما كنت أعمرى

(١) الزفان الرقاص . وفي الاصل كُتب « زفاناً »

اهلاً للتوبيخ فيه . وأما ما ذكرته مما سببه الله لك فإن الله قد ابتدأ أمير المؤمنين بذلك واصطفاه له والله بالغ أمره ولقد أصبح أمير المؤمنين وهو على يقين من رأيه إلا أنه لا يملك لنفسه مما أعطاه الله من كرامته ضراً ولا نفعاً وإن الله ولي ذلك منه وإنه لا بد له من مفارقتة وإن الله أراف بعباده وارحم من أن يوتى أمرهم غير من يرتضيه لهم منهم . وإن أمير المؤمنين مع حسن ظنه بربه لعلی احسن الرجاء بان يوليه بسبب ذلك لمن هو اهله في الرضا به لهم فان بلاء الله عند أمير المؤمنين اعظم من أن يبلغه ذكره أو يوازيه شكره إلا بعون منه . ولئن كان قد قدر الله لامير المؤمنين وفاة تعجيل فان في الذي هو مفض وصائر اليه من كرامة الله خلفاً من الدنيا . ولعمري ان كتابك الى أمير المؤمنين بما كتبت به أعير مستنكر من سفهك وحمقك فأبق على نفسك وقصر من غلوائها واربع على ظلمك^(١) فان الله سطوات وغيراً يُصيب بها من يشاء من عباده . وأمير المؤمنين يسأل الله العصمة والتوفيق لأحب الامور اليه وارضاهاً له . وكتب في اسفل الكتاب :

اذا انت ساحت الهوى قادك الهوى الى بعض ما فيه عليك مقال
والسلام

أخبر أبو الزبير المنذر بن عمرو وكان كاتباً للوليد بن يزيد قال :
أرسل الي الوليد صبيحة اليوم الذي أتته فيه اخلافة فأتيته . فقال لي :
يا ابا الزبير ما انت علي ليلة اطول من هذه الليلة عرضتني امور وحدثت
نفسى فيها بأمر . وهذا الرجل قد أوقع بي فاركب بنا نتنفس . فركب

وسرتُ معه . فسار ميلين ووقف على تل فجعل يشكو هشاماً اذ نظر الى رهج^(١) قد اقبل . قال عمر بن شبة في حديثه : وسمع قعقة البريد فتعوذ بالله من شر هشام وقال : ان هذا البريد قد اقبل بموت وحي^(٢) . أو بملك عاجل . فقلت : لا يسوءك الله ايها الامير بل يسرك وبييقك . اذ بدا رجلان على البريد يُقبلان احدهما مولى لآل ابي سُفيان بن حرب . فلما قربا رأيا الوليد فتزلا يعدوان حتى دنوا فسلما عليه بالخلافة . فوجم^(٣) وجعلا يكرران عليه التسليم بالخلافة . فقال : ويحكم ما الخبر أمات هشام . قالوا : نعم . قال : فرحباً بكما . ما معكما . قالوا : كتاب مولاك سالم بن عبد الرحمن . فقرأ الكتاب . وانصرفنا . وسأل عن عياض بن مُسلم كاتبه الذي كان هشام ضربه وجسه . فقالوا : يا امير المؤمنين لم يزل محبوساً حتى نزل بهشام امرُ الله . فلما صار الى حال لا تُرجى الحياة لمثله معها ارسل عياض الى الخُزّان : احتفظوا بنا في ايديكم فلا يصلن احد الى شي . . وأفاق هشام افاقة فطلب شيئاً فمُنِعهُ . فقال : أرانا كنا خُزّاناً للوليد . وقضى من ساعته . فخرج عياض من السجن ساعة قضى هشام فتحتم الابواب والخزائن وأمر بهشام فأُتزل عن فراشه ومنعهم ان يكفّنوه من الخزائن فكفّنهُ غالب مولى هشام ولم يجدوا ققماً حتى استعاروه . وأمر الوليد بأخذ ابني هشام بن اسمعيل المخزومي . فأخذوا بعد ان عاذ ابرهيم بن هشام بقبر يزيد بن عبد الملك . فقال الوليد : ما أراه الا قد نجا . فقال له يحيى بن عروة بن الزبير وأخوه عبد الله : ان الله لم

(١) الرَّهَجُ وَالرَّهَجُ مَا أَثِيرُ مِنَ الْغَبَارِ (٢) مَوْتُ وَحْيٍ أَيْ سَرِيعٍ عَجَلٍ (٣) وَجَمُ سَكَتٍ لَغِيظٍ أَوْ حَزْنٍ أَوْ أَمْرِ جَمٍ

يجعل قبراً ابيك معاذاً للظالمين فخذهُ برداً ما في يده من مال الله . فقال :
 صدقت . وأخذها فبعث بها الى يوسف بن عمر وكتب اليه ان يبسط
 عليهما العذاب حتى يتلقا . فعُعل ذلك بهما وماتا جميعاً في العذاب بعد ان
 أقيم ابراهيم بن هشام للناس حتى اقتضوا منه المظالم . وقال عمر بن شبة
 في خبره : انه لما نعي له هشام قال : والله لأتلهنَّ هذه النعمة بسكرة
 قبل الظهر . ثم أنشأ يقول :

طاب يومي ولذَّ شربُ السُّلافه اذا اتاني نعيُّ من الرُّصافه
 واتانا البريدُ ينعي هِشاماً وأتانا بنجاً تم للخلِلافه
 فاصطبحنا من خمر عانةٍ صرفاً وهونا بقينةٍ عزافه
 ثم حلف ان لا يبرح موضعه حتى يُغنى في هذا الشعر ويشرب عليه .
 فقُني له فيه وشرب وسكر . ثم دخل فبويع له بالخلافة . (قال) وسمع
 ضياعاً فسأل عنه . فقيل له : هذا من دار هشام يبكيه بناته . فقال :

اني سمعت بليلٍ ورا المصلى برقه
 اذا بنات هشام يندبن والدهنه
 يندبن قرماً جليلاً قد كان يعضدهنه

وللوليد اشعار جواد . فمنها وهو ما يبرز فيه وجوده وتبعه الناس جميعاً
 فيه وأخذه منه قوله في صفة الخمر أنشدته الحسن بن علي . (قال)
 وكان ابو غسان يكاد يرقص اذا انشدها :

إصدع نجيَّ الهموم بالطربِ وانعم على الدهر بأبنة العنبِ
 واستقبل العيش في غضارتِه لا تقفُ منه آثارُ معتقبِ
 من قهوة زانها تقادُما فهي عجوزٌ تعلو على الحقبِ

فقد تجلت ورقاً جوهرها حتى تبدت في منظرٍ عجبٍ
 فهي بغير المزاج من شررٍ وهي لدى المزج سائل الذهب
 كأنها في زجاجها قبسٌ تذكو ضياء في عينٍ مرتقبٍ
 في فتية من بني أمية أهل م المجد والمآثر والحب
 ما في الوردى مثلهم ولا فيهم مثلي ولا منتمٍ لمثل أبي

قال المدائني في خبره : وقال الوليد حين اتاه نعي هشام :

طال لي فبت أسقى الداما اذا اتاني البريد ينعي هشاماً
 وأتاني بجلعة وقضيبٍ واتاني بنحاتم ثم قاما
 فجعلت الولي من بعد فتدي بفضل الناس ناشئاً وغلماً
 ذلك ابني وذاك قرم قريش خير قرم وخيرهم أعماماً

ومن نادر شعره قوله لهشام :

فان تك قد ملكت القرب مني فسوف ترى بجانبتي وبعدي
 وسوف تلوم نفسك ان بقينا وتبلو الناس والاحوال بعدي
 فتندم في الذي فرطت فيه اذا قايت في ذمي وحمدي

وحدث ابن عياش قال : دخل ابن الاقرع على الوليد بن يزيد . فقال له :
 انشدني قولك في الخمر . فأنشده قوله :

كيت اذا شجبت وفي الكأس وردة لها في عظام الشاربين ديب
 تريك القدي من دونها وهي دونه لوجه اخيها في الاناء قطوب

فقال الوليد : شربتها يا ابن الاقرع ورب الكعبة . فقال : يا امير
 المؤمنين لئن كان نعتي لها رابك لقد رابني معرفتك بها

وأخبر العتيبي . قال : لما ظهرت المسوِّدة^(١) بخراسان كتب نصر بن
سيار الى الوليد يستمده . فتشاغل عنه . فكتب اليه كتاباً وكتب في
أسفله يقول :

أرى خلل الرَّمادِ وميضَ جمرٍ وأحرِبُ بأن يكونَ لها ضرامُ
فإنَّ النارَ بالعودين تُذكي وإنَّ الحربَ مبدؤها الكلامُ
فقلتُ من التعجبِ ليت شعري أأيقاظُ أميةَ أم نيامُ
فكتب اليه الوليد : قد اقطعتك خراسان فاعمل لنفسك او دَع فاني
مشغول عنك بابتِ سريج ومَعبد والغريض

حدَّث العلاء البندار قال : كان الوليد زنديقاً . وكان رجل من كلب
يقول بقالته مقالة الشنوية . فدخلت على الوليد يوماً وذلك الكلبي
عنده . واذا بينهما سَفَط قد رفع رأسه عنه فاذا ما يبدو لي منه حير
اخضر . فقال : ادنُ يا علاء . فدنوت . فرفع الحريرة فاذا في السفط صورة
انسان واذا الزئبق والنوشادر قد جُعلا في جفنه فجفنه يطرف كأنه
يتحرك . فقال : يا علاء . هذا ما نبي لم يبعث الله نبياً قبله ولا يبعث نبياً
بعده . فقلت : يا امير المؤمنين اتق الله ولا يغرِّتك هذا الذي ترى عن
دينك . فقال له الكلبي : يا امير المؤمنين ألم اقل لك ان العلاء لا يَحتمل
هذا الحديث . (قال العلاء) . ومكثتُ اياماً . ثم جلست مع الوليد على
بناء كان بناه في عسكره يُشرف به والكلبي عنده اذ نزل من عنده
وقد كان الوليد حمله على برذون هملاج اشقر من أفره^(٢) ما سَجَّر .

(١) المُسوِّدة اصحاب الدولة العباسية سُموا هكذا للبهم السواد
(٢) هملاج حسن السير في سرعة . والأفره النسيط الحاد القوي يقال للبغل

فخرج علي بردونه ذلك فمضى به في الصحراء حتى غاب عن العسكر .
 فما شعر الأعراب قد جاؤوا به يحملونه منفسخة عنقه ميتاً وبرذونه
 يقاد حتى اسلموه . فبلغني ذلك فخرجت معتمداً حتى أتيت أولئك
 الأعراب وقد كانت لهم آيات بالقرب منه في أرض البخراء^(١) لا حجر
 فيها ولا مدر . فقلت لهم : كيف كانت قصة هذا الرجل . قالوا : اقبل
 علينا على بردون فوالله لكانه دهنٌ يسيلُ على صفاة من فرائته فعجبنا
 لذلك . اذ انقضَّ رجل من السماء عليه ثياب بيض فأخذ بضبعيه فاحتمله
 ثم نكسه وضرب برأسه الأرض فدقَّ عنقه ثم غاب عن عيوننا .
 فاحتملناه فجبنا به

أخبر يحيى بن سليم قال : دعا الوليد بن يزيد ذات ليلة بمُصحف .
 فلما فتحه وافق ورقة فيها : واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد من ورائه
 جهنم ويستقى من ماء صديد^(٢) . فقال : أسجماً سجماً . علقوه . ثم اخذ
 القوس والنبيل فرماه حتى مزَّقه . ثم قال :

أتوعدُّ كلَّ جبارٍ عنيدٍ فها أنا ذاك جبارٍ عنيدٍ

إذا لاقيتَ ربَّك يومَ حشرٍ فقلْ للهٍ مزَّقني الوليدُ

(قال) فما لبث بعد ذلك ألا يسيراً حتى قُتل

أخبر المدائني قال : لما أكثر الوليد بن يزيد التهتك وانهمك في اللذات
 وشرب الخمر وبسط المكروه على ولد هشام والوليد وافرط في امره
 وغية مل الناس أيامه وكهوه . وكان عقد لابنيه بعده ولم يكونا بلغا .

والحمار ولا يقال للفرس بل يقال له جواد (١) البخراء موضع وفي الاصل
 رُوي البخراء (٢) الصديد ما يسيل من اهل النار من الدم والقيح

فمضى الناس بعضهم الى بعض في خلعه . وكان اقواهم في ذلك يزيد
الناقص بن الوليد بن عبد الملك بن مروان فمضى الى اخيه العباس وكان
امراً صدق ولم يكن في بني امية مثله كان يتشبه بعمر بن عبد العزيز .
فشكا اليه ما يجري على الناس من الوليد . فقال له : يا اخي ان الناس
قد ملوا بني مروان وان مشى بعضكم في اثر بعض اكلتم . والله اجل
لا بد ان يبلغه فانتظره . فخرج من عنده ومشى الى غيره . فبايعه جماعة
من اليانية الوجوه . فعاد الى اخيه ومعه مولى له واعاد عليه القول وعرض
له بانه قد دعي الى الخلافة . فقال له : والله لولا اني لا آمنه عليك من تحامله
لوجهت بك اليه مشدوداً . فشدتك الله ان لا تسمى في شيء من هذا

وأخبر جويرية بن أسماء [بن بشر] قال : دخل ابي بشر بن الوليد
على عمي العباس بن الوليد وأنا معه . فجعل يكلم عمي في ان يخلع الوليد
ابن يزيد ومعه عمي يزيد بن الوليد . فكان العباس ينهأ وأبي يرد عليه .
فكنت افرح واقول في نفسي : أرى أبي يجترئ ان يكلم عمي ويرد
عليه . فقال العباس : يا بني مروان اظن ان الله قد أذن في هلاككم .

ثم قال العباس :

اني أعينكم بالله من فتنة	مثل الجبال تسامى ثم تندفع
ان البرية قد ملت سياستكم	فاستمسكوا بعمود الدين وأرتدعوا
لا تلحمن ^(١) ذئاب الناس أنفسكم	ان الذئاب اذا ما ألحمت رتعوا
لا تبقرن بايديكم بطونكم	فشم لا فدية تُغني ولا جزع ^(٢)

(٢) في الاصل « جذع »

(١) اي لا تطعموا لحومكم ذئاب الناس

وروى الطبري : لا حصرة تُغني ولا جزع

فانصرف من عنده وجعل يدعو الناس الى نفسه . وبلغ الوليد ذلك فقال يذكر قومه ومشى بعضهم الى بعض في خلعه :

سَلَّ هَمَّ النَّفْسِ عَنْهَا بَعَلْنَدَاتٍ عَعَلَاتٍ^(١)
تَتَّقِي الْاَرْضَ وَتَهْوِي بِخَفَافٍ مُدْمَجَاتٍ^(٢)
ذَاكَ اَمْ مَا بِالْ قَوْمِي كَسَرُوا سِنَّ قَنَايِ
وَاسْتَخَفُّوا بِي وَصَارُوا كَكُرُودٍ خَاسَنَاتٍ

وفي هذه القصيدة يقول الوليد بن يزيد :

اصبح اليومَ وليد هاتماً بالفتيات
عندهُ راح و ابريق م وكأس بالفلاة
ابشوا خيلاً خيل ورُماةً لرماة

قال المدائني عن رجائه : فلما استجمع ليزيد امره وهو متبدياً^(٣) أقبل الى دمشق وبين مكانه الذي كان متبدياً فيه وبين دمشق اربع ليال . فأقبل الى دمشق متنكراً في سبعة انفس على حُرٍ وقد بايع له اكثر اهل دمشق وباع له اكثر اهل المِزَّة . فقال مولى لعباد بن زياد : اني لبعجود (وبين جرود ودمشق مرحلة) اذ طلع علينا سبعة معتمين على حمر فزلوا وفيهم رجل طويل جسيم . فرمى بنفسه ونام . فألقوا عليه ثوباً وقالوا لي : هل عندك شي . نشتره من طعام . فقلت : أما بيع^(٤) فلا وعندي من قراكم ما يُشبعكم . فقالوا : فمجله . فذبحت لهم دجاجاً وفراخاً وأتيتهم بما حضر

(١) العَلْدَاة انثى العَلْدَى وهو البعير الضخم الطويل . وَعَعَلَات جمع عِلَاة اي صُلْبَة تشبيهاً بالعِلَاة اي السَّنْدَان (٢) خَفَاف جمع خُفَّ . ومدمج مجتمع (٣) متبدياً مقيم في البادية

من غسل وسمن وشوانيز وقلت : أيقظوا صاحبكم للغداء فقالوا : هو محوم لا يأكل . فسفروا للغداء . فعرفت بعضهم . وسفر النائم فاذا هو يزيد بن الوليد فعرفته . فلم يكلمني . ومضوا ليدخلوا دمشق ليلاً في نفر من اصحابه مُشاة الى معاوية بن معاذ وهو بالمرزة وبينها وبين دمشق ميل فأصابهم مطر شديد . فأتوا منزل معاوية فضربوا بابه وقالوا : يزيد بن الوليد . فقال له معاوية الفراش : ادخل أصلحك الله . قال : في رجلي طين واكره أن أفسد عليك بساطك . فقال : ما تريد بي أفسد عليه . فثنى على البساط وجلس على الفراش . ثم كلم معاوية فبايعه . وخرج الى دمشق فنزل دار ثابت بن سليمان الحسني مستخفياً وعلى دمشق عبد الملك ابن محمد بن الحجاج بن يوسف . فخاف عبد الملك الوباء . فخرج فنزل قطناً^(١) واستخلف ابنه على دمشق وعلى شرطته أبو العاج كثير بن عبد الله السلمي . وتمَّ ليزيد أمره فأجمع على الظهور . وقيل لعامل دمشق : انَّ يزيد خارج . فلم يصدق . وأرسل يزيد الى اصحابه بين المغرب والعشاء في ليلة الجمعة من جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين ومائة . فكمنوا في ميضأة^(٢) عند باب الفراديس حتى اذا اذتوا العتمة دخلوا المسجد مع الناس فصلوا . وللمسجد حرسٌ قد وُكلوا باخراج الناس من المسجد بالليل فاذا خرج الناس خرج الحرس وأغلق صاحب المسجد الابواب ودخل من باب المقصورة فيدفع المفاتيح الى من يحفظها ويخرج . فلما صلى الناس العتمة صاح الحرس بالناس فخرجوا . وتباطأ أصحاب يزيد الناقص . فجعلوا يُخرجونهم من باب ويدخلون من باب حتى لم يبق في المسجد الا الحرس

واصحاب يزيد فأخذوا الحرس . ومضى عنبة الى يزيد فأخبره وأخذ بيده وقال : قم يا امير المؤمنين وأبشر بعون الله ونصره . فأقبل واقبلنا ونحن اثنا عشر رجلاً . فلما كنا عند سوق القمح لقيهم فيها مائتا رجل من اصحابهم . فمضوا حتى دخلوا المسجد وأتوا باب المقصورة وقالوا : نحن رسل الوليد . ففتح لهم خادم الباب ودخلوا فأخذوا الخادم واذا ابو العاج سكران . فأخذوه وأخذوا خزان البيت وصاحب البريد . وأرسل الى كل من كان يحدّره فأخذه . وأرسل من ليلته الى محمد بن عبيدة مولى سعيد بن العاص وهو على بعلبك والى عبد الملك بن محمد بن الحجاج فأخذهما . وبعث اصحابه الى الخشبية فأتوه . وقال للبوابين : لا تفتحوا الابواب غدوةً الا لمن أخبركم بشعار كذا وكذا . (قال) فتركوا الابواب في السلاسل . وكان في المسجد سلاح كثير قدم به سليمان بن هشام من الجزيرة فلم يكن الخزان قبضوه . فأصابوا سلاحاً كثيراً فأخذوه واصبحوا . وجاء اهل المزة مع حريث بن ابي الجهم . فما اتصف النهار حتى بايع الناس يزيد وهو يتمثل قول النابغة :

اذا استنزلوا عنهنّ للطعن أرقلوا الى الموت إرقال الجبال المصاعير
فجعل اصحابه يتعجبون ويقولون : انظروا الى هذا كان قبيل [الصبح]
يستبح وهو الآن ينشد الشعر . (قال) وأمر يزيد عبد العزيز بن الحجاج
ابن عبد الملك بن مروان فوقف بباب الجابية فنادى : ألا كل من كان له
عطاء فله اربعون ديناراً في العطاء ومعونة الف درهم . فبايع له الناس وأمر
بالعطاء . (قال) وندب يزيد بن الوليد الناس الى قتال الوليد بن يزيد
مع عبد العزيز وقال : من انتدب معه فله ألفان . فانتدب الف رجل .

فأعطاهم وقال : موعدهم دنية . فوافى دنية الف ومائتا رجل . فقال
مَوعدهم مصنعة بالبرية وهي لبني عبد العزيز بن الوليد . فوافاه ثمانمائة رجل
فسار فوافاهم ثقلُ الوليد فأخذوه ومع عبد العزيز فرسان . فاقبلوا
فتزلوا قريباً من الوليد . فقال الوليد : أخرجوا إلى سريراً . فأخرجوه فصعد
عليه . واتاه خبر العباس بن الوليد : اني اجيئك . واتى الوليد بفُرسين
الزابد^(١) والسندي وقال : أعلي يتوائب الرجال وأنا أثب على الاسد
وأعضُ الافاعي . وهم ينتظرون العباس ان يأتيهم ولم يكن بينهم كبير
قتال . فقتل يزيد بن عثمان الخشي وكان من اولاد الخشية الذين كانوا
مع المختار . وبلغ عبد العزيز بن الحجاج ان العباس بن الوليد يأتي الوليد
فأرسل منصور بن جمهور في جريدة خيل وقال : انكم تلقون العباس بن
الوليد ومعه بنوه في الشعب فخذوه . وخرج منصور في تلك الخيل
وتقدموا الى الشعب واذا العباس ومعه بنوه قد تقدموا اصحابه . فقال
له : اعدل الى عبد العزيز . فشتهم . فقال له منصور : والله لئن تقدمت
لا نقتل فخذيك بالرمح . فقال : انا لله . فاقبلوا به يسوقونه الى عبد العزيز
فقال له عبد العزيز : بايع لي زيد . فبايع ووقف ونصب راية . وقالوا : هذا
العباس قد بايع . ونادى منادي عبد العزيز : من لحق بالعباس بن الوليد
فهو آمن . فقال العباس : انا لله . خذعة من خدع الشيطان . هلك والله بنو
حروان . فتفرق الناس عن الوليد واتوا العباس . وظاهر الوليد في درعين^(٢)
وقاتلهم . وقال الوليد : من جاء برأس فله خمسمائة درهم . فجاء جماعة

(٢) اي لبس درعين الواحدة

(١) ويروى «الزائد»

فوق الاخرى فكأنه من التظاهر اي التعاون والتساعد

بعدة رؤوس . فقال : اكتبوا اسماءهم . فقال له رجل من مواليه : ليس هذا يا امير المؤمنين يوماً يعاملُ فيه بالنسيئة^(١) . وناداهم رجال : اقتلوا اللوطني قِتلة قوم لوط . فرموه بالحجارة . فلما سمع ذلك دخل القصر وأغلق الباب وقال :

دَعُوا لِي سَلِيمِي وَالطَّلَاءَ وَفَتِيئَةً وَكَأْساً أَلَا حَسْبِي بِذَلِكَ مَا لَا
خَذُوا مَلِكَكُمْ لَا ثَبَّتَ اللَّهُ مَلِكَكُمْ ثَبَاتاً يَسَاوِي مَا حَيْثُ عَقَالَا
وَخَأُوا عِنَانِي قَبْلَ عَيْرِي وَمَا جَرِي وَلَا تَحْسُدُونِي إِنْ أَمُوتَ هُزَالَا
ثُمَّ قَالَ لِعَمْرٍ الْوَادِي : يَا جَامِعَ لَدَّتِي غَنِّي بِهَذَا الشَّعْرُ . وَقَدْ أَحَاطَ الْجُنْدُ
بِالْقَصْرِ . فَقَالَ لَهُمُ الْوَلِيدُ مِنْ وَرَاءِ الْبَابِ : أَمَا فِيكُمْ رَجُلٌ شَرِيفٌ لَهُ
حَسَبٌ وَحَيَاءٌ أَكَلِمُهُ . فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ بْنُ عَبَّاسَةَ السَّكَّاسِكِيِّ : كَلِّمْنِي .
فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ : يَا أَخَا السَّكَّاسِكِ مَا تَنْقَمُونَ مِنِّي . أَلَمْ أُرِدْ فِي أُعْطِيَاتِكُمْ
وَأُعْطِيَةِ فَقَرَائِكُمْ وَأَخْدَمْتُ زَمَنًاكُمْ وَدَفَعْتُ عَنْكُمْ الْمُونُ . فَقَالَ : مَا
نَنْقَمُ عَلَيْكَ فِي أَنْفُسِنَا شَيْئاً وَلَكِنْ نَنْقَمُ عَلَيْكَ أَنْتَهَاكَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَشُرِبَ
الْخُمُورَ وَاسْتَخْفَاكَ بِأَمْرِ اللَّهِ . قَالَ : حَسْبُكَ يَا أَخَا السَّكَّاسِكِ فَلَعَمْرِي
لَقَدْ اغْرَقْتَ فَأَكْثَرْتَ وَإِنَّ فِيمَا أَحَلَّ اللَّهُ لَسَعَةً فِيمَا ذَكَرْتَ . وَرَجَعَ إِلَى
الِدَارِ فَجَلَسَ وَاخَذَ الْمُصْحَفَ وَقَالَ : يَوْمَ كَيَوْمِ عَثْمَانَ . وَنَشَرَ الْمُصْحَفَ يَقْرَأُ .
فَعَلَّوْا الْحَائِطَ . فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ عَلَا الْحَائِطَ يَزِيدُ بْنُ عَبَّاسَةَ فَتَزَلَّ وَسِيفُ
الْوَلِيدِ إِلَى جَنْبِهِ . فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ : نَحْ سَيْفِكَ . فَقَالَ الْوَلِيدُ : لَوْ أُرِدْتُ السَّيْفَ
لَكَانَتْ لِي وَلَكَ حَالَةٌ غَيْرُ هَذِهِ . فَأَخَذَ بِيَدِهِ وَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يُدْخِلَهُ بَيْنَنَا
وَيُؤَامِرُ فِيهِ . فَتَزَلَّ مِنَ الْحَائِطِ عَشْرَةٌ فِيهِمْ مَنْصُورٌ بِنِ جَهْوَرٍ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ

وقيس مولى يزيد بن عبد الملك والسري بن زياد بن أبي كنيشة . فضربه
عبد الرحمن السلمي على رأسه ضربة وضربة السري على وجهه وجروه
بين خمسة ليخرجه . فصاحت امرأة كانت معه في الدار فكفوا عنه فلم
يخرجه . واحترأ رأسه ابو علاقة القضاعي وخاط الضربة التي في وجهه
بالعقب . وقدم بالرأس على يزيد قدم به روح بن مقبل وقال : أبشر يا امير
المؤمنين بقتل الفاسق . فاستتم الامر له

قال عمر الوادي : كنت اغتبي الوليد اقول :

كذبتك نفسك أم رأيت بواسطة غلس الظلام من الوباب خيالاً
قال : فما اتمت الصوت حتى رأيت رأسه قد فارق بدنه ورأيت يشحط^(١)
في دمه . (قالوا) وكان عثمان والحكم ابنا الوليد قد بايعها بالعهد بعده
فتفياً . فأخذها يزيد بعد ذلك فحبسها في الخضراء . ودخل عليها يزيد
الاققم بن هشام فجعل يشتم اباهما الوليد وكان قد ضربه وخلعه . فبكى
الحكم . فقال عثمان اخوه : اسكت يا اخي . وأقبل على يزيد فقال : اتشتم
ابي . قال : نعم . قال : لكني لا اشتم عتي هشاماً . ووالله لو كنت من بني
مروان ما شتمت احداً منهم فانظر الى وجهك فان كنت رأيت
حكماً يشبهك او له مثل وجهك فأنت منهم . لا والله ما في الارض
حكماً يشبهك

ثم كان من خلع يزيد بعد ذلك ما ليس هذا موضع ذكره



خروج عبدالله بن يحيى وابي حمزة المختار ومقتلهما

اخبر بذلك الحسن بن علي الخفاف قال : حدثنا احمد بن الحرث الخراز عن المدائني ان عبدالله بن يحيى الكندي احد بني عمر بن معاوية كان من حضر موت وكان مجتهداً عابداً وكان يقول قبل ان يخرج : تقيني رجل فاطال النظر اليّ وقال : ممن انت . فقلت : من كندة . فقال : من ايهم . فقلت : من بني شيطان . قال : والله اتملكنّ وتبلعنّ خيلك وادي القرى وذلك بعد ان تذهب احدي عينيك . فذهبت الخوف ما قال وأستخير الله . فرأيت باليمن جوراً ظاهراً وعسفاً شديداً وسيرةً في الناس قبيحة . فقال لاصحابه : ما يحلّ لنا المقام على ما نرى ولا يسعنا الصبر عليه . وكتب الى ابي عبيدة ومسلمة بن ابي كريمة الذي يقال له كودين مولى بني تميم وكان يتزل في الازد والى غيره من الإباضية^(١) بالبصرة يشاورهم في الخروج . فكتبوا اليه : ان استطعت ان لا تقم يوماً واحداً فافعل . فان المبادرة بالعمل الصالح افضل . ولست تدري متى يأتي عليك اجلك . والله خيرة من عباده يعثمهم اذا شاء لئلا تنصره دينه ويخص بالشهادة منهم من يشاء .

وشخص اليه ابو حمزة المختار بن عوف الازدي احد بني سليمة وبلج بن عقبة السقوري في رجال من الاباضية فقدموا عليه حضر موت فحشروه على الخروج وأتوه بكتب اصحابه : اذا خرجتم فلا تغلّوا^(٢) ولا

(١) الإباضية فرقة من الخوارج اصحاب عبدالله بن إباض (التسيمي)

(٢) غلّ حاد عن الصواب . ويروى في النسخة الاميركانية : لا تغلّوا

تعدروا واقتدوا بسلفكم الصالحين وسيروا سيرتهم فقد علمتم ان
الذي اخرجهم على السلطان العيث لأعمالهم . فدعا اصحابه فبايعوه
فقصدوا دار الامارة . وعلى حضرموت ابراهيم بن جبلة بن مخزومة
الكندي . فاخذوه فحبسوه يوماً ثم اطلقوه . فأتى صنعاء . وأقام عبدالله بن
يحيى بحضرموت وكثر جمعه وستره طالب الحق . فكتب الى من كان
من اصحابه بصنعاء : اني قادم عليكم . ثم استخلف على حضرموت
عبدالله بن سعيد الحضرمي وتوجه الى صنعاء . سنة تسع وعشرين ومائة
في ألفين . وبلغ القاسم بن عمر أخا يوسف بن عمر وهو عامل مروان بن
محمد على صنعاء مسير عبدالله بن يحيى فاستخلف على صنعاء الضحاك
ابن زمل وخرج يريد الاباضية في سلاح ظاهر وعدة وجمع كثير .
فعسكر على مسيرة يوم من أبين^(١) وخلف فيها الانتقال وتقدمت
المقاتلة . فلقه عبدالله بن يحيى بلحج قرية من بين قريباً من الليل . فقال
الناس للقاسم : ايها الامير لا تقا تل الخوارج ليلاً . فأبى وقتلهم . فقتلوا
من اصحابه بشراً كثيراً وانهمزوا ليلاً . فمر بعسكره فأمرهم بالرحيل
ومضى الى صنعاء . فأقام يوماً . ثم خرج فعسكر قريباً من صنعاء . وخذق
وخلف بصنعاء الضحاك بن زمل

فاقبل عبدالله بن يحيى فذل جوين على ميلين من عسكر القاسم .
فوجه القاسم يزيد بن الفيض في ثلاثة آلاف من اهل الشام واهل اليمن
فكانت بينهم مناوشة ثم تحاجزوا . فرجع يزيد الى القاسم فاستأذنه في
بياتهم فأبى ان يأذن له . فقال له يزيد : والله لئن لم تبيتهم ليغمنك .

(١) أبين بفتح الاول ويروى بكسره مخلاف باليمن عند عدن

فَأَبَى أَنْ يَأْذَنَ لَهُ وَأَقَامَا يَوْمَيْنِ لَا يَلْتَقُونَ . فَلَمَّا كَانَ فِي اللَّيْلَةِ الثَّلَاثَةِ أَقْبَلَ
عَبْدَ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى فَوَافَاهُ مَعَ طُلُوعِ الْفَجْرِ فَقَاتَلَهُمُ النَّاسُ عَلَى الْخَنْدَقِ .
فَقَلَبْتَهُمُ الْخَوَارِجَ عَلَيْهِ وَدَخَلُوا عَسْكَرَهُمْ وَالْقَاسِمُ يَصْلِي . فَرَكِبَ وَقَاتَلَهُمُ
الصَّلْتُ بْنُ يُوْسُفَ فَقُتِلَ فِي الْمَعْرَكَةِ . وَقَامَ بِأَمْرِ النَّاسِ يُزَيْدُ بْنُ الْفَيْضِ
فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى ارْتَفَعَ النَّهَارُ ثُمَّ انْهَزَمَ أَهْلُ صَنْعَاءَ . فَارَادَ اِبْرَهَةَ بْنَ الصَّبَاحِ
اتِّبَاعَهُمْ . فَفَنَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَحْيَى وَاتَّبَعَ يُزَيْدُ بْنُ الْفَيْضِ الْقَاسِمُ بْنُ عَمْرِ
فَأَخْبَرَهُ الْخَبْرُ فَقَالَ الْقَاسِمُ :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَذُودَنَّ بِالْقَنَى وَبِالْهِنْدِوَانِيَّاتِ قَبْلَ مِمَّا تِي
وَهَلْ أَصْبَحَنَّ الْخَارِثِيْنَ كِلَيْهِمَا بَطْنُ وَضْرِبٍ يَقْطَعُ اللَّهْوَاتِ
(قَالَ) وَدَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَحْيَى صَنْعَاءَ فَخَذَ الضَّحَّاكَ بْنَ زَمَلٍ وَابْرَاهِيمَ
ابْنَ جَبَلَةَ بْنَ مَخْرَمَةَ فَجَبَسَهُمَا وَجَمَعَ الْخَرَائِثَ وَالْأَمْوَالَ فَحَرَزَهَا ثُمَّ أَرْسَلَ
إِلَى الضَّحَّاكَ وَابْرَاهِيمَ فَأَرْسَلَهُمَا وَقَالَ لَهُمَا : حَبَسْتُكُمَا خَوْفًا عَلَيْكُمَا مِنَ
الْعَامَّةِ وَلَيْسَ عَلَيْكُمَا مَكْرُوهٌ فَأَقْبِيَا أَنْ شِئْتُمَا أَوْ اشْخَصَا . فَخَرَجَا

(قَالُوا) وَأَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَحْيَى بِصَنْعَاءَ أَشْهُرًا يُحْسِنُ السِّيْرَةَ فِيهِمْ
وَيَلِينُ جَانِبَهُ لَهُمْ وَيَكْفَى عَنِ النَّاسِ . فَكَثُرَ جَمْعُهُ وَأَتَتْهُ الشَّرَاةُ مِنْ كُلِّ
جَانِبٍ . فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ الْحَجِّ وَجَهَ أَبُو حَمْزَةَ الْمُخْتَارُ بْنُ عَوْفٍ وَبَلِجُ بْنُ عَقْبَةَ
وَابْرَهَةَ بْنَ الصَّبَاحِ إِلَى مَكَّةَ فِي تِسْعِمَائَةَ (وَقِيلَ بَلْ فِي الْفِ وَمِائَةَ)
وَأَمْرُهُ أَنْ يَقِيمَ بِمَكَّةَ إِذَا صَدَرَ النَّاسُ وَيُوجِّهَ بَلِجًا إِلَى الشَّامِ . وَأَقْبَلَ الْمُخْتَارُ
إِلَى مَكَّةَ فَقَدِمَهَا يَوْمَ التَّرْوِيَةِ وَعَلَيْهَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ
وَأُمُّهُ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أَسِيدٍ . فَكَرِهَ قِتَالَهُمْ
وَحَدَّثَ بِنَجْرِ أَبِي حَمْزَةَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَيْسَى

العقيلي قال : كان أول امر ابي حمزة وهو المختار بن عوف الازدي ثم السلمي من اهل البصرة انه كان يوافي في كل سنة يدعو الى خلاف مروان بن محمد وآل مروان . فلم يزل يختلف كل سنة حتى وافى عبدالله ابن يحيى في آخر سنة وذلك في سنة ثمان وعشرين ومائة فقال له : يا رجل اني اسمع كلاماً حسناً واراك تدعو الى حق فأنتلقُ معي فاني رجل مطاع في قومي . فخرج به حتى ورد حضرموت . فبايعه ابو حمزة على الخلافة . (قال) وقد كان مرّ ابو حمزة بـعدن بني سليم وكثير بن عبدالله عامل على المـعدن فسمع بعض كلامه فأمر به فيجلد اربعين سوطاً . فلما ظهر ابو حمزة بمكة تغيب كثير حتى كان من امره ما كان ثم رجع الى موضعه

(قال) فلما كان في العام المقبل قام سنة تسع وعشرين لم يعلم الناس بعرفة الا وقد طلعت اعلام عمائم سود حرمية في رؤوس الرماح وهم سبعمائة . ففرع الناس حين رأوهم وقالوا لهم : ما لكم وما حالكم . فاخبروهم بخلافهم مروان وآل مروان والتبرؤ منهم . فراسلهم عبد الواحد بن سليمان وهو يومئذ على المدينة ومكة والموسم ودعاهم الى الهدنة . فقالوا : نحن بـجنا اذنٌ وعليه اشح . فصالحهم على انهم جميعهم آمنون بعضهم من بعض حتى ينفر الناس النفر الاخير . واصبحوا من غد فوقفوا على حدة بعرفة ودفع عبد الواحد بالناس . فلما كانوا بيني قالوا لعبد الواحد : انك قد اخطأت فيهم ولو حملت عليهم الحاج ما كانوا الا اكلة رأس . فتنزل ابو حمزة بقرن الثعالب من منى . ومنزل عبد الواحد منزل السلطان . فبعث عبد الواحد الى ابي حمزة عبدالله بن حسن بن علي عليهم

السلام ومحمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن ابي بكر وعبيد الله بن عمرو بن حفص العمري وربيعه بن عبد الرحمن في رجال من امثالهم . فلما دنوا من قرن الثعالب لقيتهم مسالحو ابي حمزة فاخذوهم . فدخل بهم على ابي حمزة فوجدوه جالسا وعليه ازار قَطَوَانِي^(١) قد ربطه الحورة في قفاه . فلما دنوا تقدم اليه عبد الله بن حسن ومحمد بن عبدالله بن عمرو فنسبهما . فلما انتسبا له عبس في وجوههما وبسر^(٢) واظهر الكراهة لهما . ثم تقدم اليه بعدهما البكري والعمري فنسبهما . فلما انتسبا له هس اليهما وتبسم في وجوههما وقال : والله ما خرجنا الا لنسير بسيرة ابيكما . فقال له عبد الله بن حسن : والله ما جتناك لتفاضل بين آبائنا ولكن بعثنا اليك الامير برسالة . وهذا ربيعة يُخبركها . فلما ذكر ربيعة نقض العهد قال بلج و ابراهيم وكانا قائدین له : الساعة . فأقبل عليها ابو حمزة وقال : معاذ الله ان ننقض العهد او نخيس به والله لا افعل ولو قطعت رقبتى هذه ولكن تنقضي هذه الهدنة بيننا وبينكم . فلما ابي عليهم خرجوا فأبلغوا عبد الواحد . فلما كان التفر الاول نفر عبد الواحد وخلقى مكة لابي حمزة . فدخلها بغير قتال

ثم مضى عبد الواحد حتى دخل المدينة فدعا بالديوان وضرب على الناس البعث وزادهم في العطاء عشرة عشرة . واستعمل عبد العزيز بن عبدالله بن عمرو بن عثمان على الناس فخرجوا . فلما كان بالحرّة لقيتهم جُزُر

(٢) بسر نظر بكراهة

(١) القَطَوَانِي ازار ايض قصير الحسل

شديدة وكلاح وجهه وقطب

منحورة فمضوا . فلما كانوا بالعقيق تعلق نواوهم بسمره^(١) فانكسر
الرمح وتشاءم الناس بالخروج . ثم ساروا حتى نزلوا قديداً فذلوا ليلاً
وكانت قرية قديد من ناحية القصر والمنبر اليوم^(٢) وكانت الحياض
هناك . فذل قوم مفترقون ليسوا باصحاب حرب فلم يرعهم إلا القوم قد
خرجوا عليهم من الفصل^(٣) . فزعم بعض الناس ان خزاعة دلت ابا
حمزة على عورتهم وأدخلوهم عليهم فقتلوهم وكانت المقتلة على قريش
وهم كانوا اكثر الناس وبهم كانت الشوكة فأصيب منهم عدد كثير .
قال هرون : فأخبرني بعض اصحابنا ان رجلاً من قريش نظر الى رجل
من اهل اليمن يقول : الحمد لله الذي اقر عيني بقتل قريش . فقال له
ابنه : الحمد لله الذي اذلهم بأيدينا . فبا كانت قريش تظن ان من نزل
على عمان من الازد عربي . (قال) وكان هذان الرجلان مع اهل المدينة .
فقال القرشي لابنه : هلم نبدأ بهذين الرجلين . قال : نعم يا أبت . فحملا
عليها فقتلاهما . ثم قال لابنه : أي بني تقدم . فقاتلا حتى قتلا . (قال)
ثم ورد فلأل الجيش المدينة وبكى الناس قتلاهم . فكانت المرأة تقيم
على حميها النواح فلا تزال المرأة يأتيها الخبر بقتل حميها فتندرف حتى
ما يبقى عندها امرأة . فأنشدني ابو حمزة هذه الايات في قتلى قديد الذين
أصيبوا من قومه لبعض اصحابهم :
يا لهف نفسي ولهف غير نافعة
على فوارس بالبطحاء أنجاد
عمر وعمر وعبد الله بينهما
وأبناهما خامس والحارث السادس^(٤)

(١) السمره من اشجار الطلح (٢) ويروي «القصر المنى اليوم» (طبري)
(٣) الفصل (طبري ٢: ٢٠٠٧) (٤) السادس اي السادس

قال المدائني في خبره : كتب عبد الواحد بن سليمان الى مروان يعتذر من إخراجِه عن مكة . فكتب مروان الى عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وهو عاملة على المدينة يأمره بتوجيه الجيش الى مكة . فوجه ثمانية آلاف رجل من قريش والانصار والتجار اغماراً لا يعلم لهم بالحرب . فخرجوا في المصبتات والثياب الناعمة واللهم لا يظنون ان الخوارج شوكة ولا يشكون انهم في ايديهم . وقال رجل من قريش : لو شاء اهل الطائف لكَفَوْنَا امرَ هولاء . ولكنهم داهنوا في امر الله تعالى . والله لئن ظَفَرْنَا نَسِيرَنَّ الى اهل الطائف فلنسيئَنَّهُمْ . ثم قال : من يشتري مني سبي اهل الطائف . فلما انهزم الناس رجع ذلك الرجل القائل من يشتري مني سبي اهل الطائف في اول المنهزمين فدخل منزله وأراد ان يقول لجاريتِه : أغلِقي الباب . فقال لها : غاق باق . دَهْشاً . ولم تفهم الجارية قوله حتى اوماً اليها بيده فأغلقت الباب . فلقبهُ اهل المدينة بعد ذلك غاق باق . (قال) وكان عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز يعرض الجيش بذي الحليفة^(١) . فمر به أمية بن عنبسة بن سعيد بن العاصي فرحب به وضحك اليه . ومر به حمزة بن مُصعب بن الزبير فلم يكلمهُ ولم يلتفت اليه . فقال له عمر ابن عبد الله بن مطيع وكان ابن خالته : سبحان الله مر بك شيخ من شيوخ قريش فلم تنظر اليه ولم تُكلمهُ ومر بك غلام من بني امية فضحكت اليه ولاطفته . أما والله لو قد التقى الجمعان لعلمت ايهما أصبر . (قال) فكان أمية بن عنبسة اول من انهزم ونكب فرسه ومضى وقال لغلامه : يا مجيب أما والله لئن أجزرت نفسي هذه

الكلب^(١) من الشراة اني لعاجز . وقاتل يومئذ حمزة بن مصعب حتى قتل وتمثل :

واني اذا ضنَّ الاميرُ بإذنه على الإذن من نفسي اذا شئتُ قادرُ
وما بلغ حمزة إقبال اهل المدينة اليه استخلف على مكة ابراهيم بن
الصباح وشخص اليهم وعلى مقدمته بلج بن عقبة . فلما كان في الليلة التي
واقاهم في صبيحتها واهل المدينة تزول بقديد قال لاصحابه : انكم
لا ترو قومكم غداً واميرهم فيما بلغني ابن عثمان اول من خالف سيرة
الخلفاء وبدل سنة رسول الله (صلعم) وقد وضع الصبح لذي عينين
فأكثرُوا ذكرَ الله تعالى وتلاوة القرآن ووطنوا انفسكم على الصبر .
وصبَّحهم غداة الخميس لتسع او لسبع خاون من صفر سنة ثلاثين
ومائة . فقال عبد العزيز لعلامه : أينما علقاً . قال : هو غال . قال : ويحك
البواكي علينا غداً أغلى . وارسل اليهم ابو حمزة بلج بن عقبة ليدعوهم .
فأتاهم في ثلاثين ركباً فذكرهم الله وسألهم ان يكفوا عنهم وقالوا
لهم : خلوا سبيلنا لنسير الى من ظلمكم وجار في الحكم عليكم ولا
تجعلوا حدنا بكم فاننا لا نريد قتالكم . فشتهم اهل المدينة وقالوا :
يا اعداء الله أنحنُ نخليكم وندعكم تُفسدون في الارض . فقالت
الخوارج : يا اعداء الله أنحنُ نفسد في الارض انما خرجنا لنكف اهل
الفساد ونقاتل من قاتلنا واستأسرَ بالفيء . فانظروا لانفسكم واخلعوا
من لم يجعل الله له طاعة فانه لا طاعة لمن عصى الله وادخلوا في السلم
وعاونوا اهل الحق . فقال له عبد العزيز : ما تقول في عثمان . قال : قد

(١) اجزرت نفسي اي لئن سلمت ذاتي الى هؤلاء الكلاب وتركتهم يذبحوني

برئ المسلمون منه قبلي وأنا مشع آثارهم ومقتد بهم . قال : فارجع الى اصحابك فليس بيننا وبينهم الا السيف

فرجع الى ابي حمزة فاخبره . فقال : كفوا عنهم ولا تقاتلوهم حتى يبدأوكم بالقتال . فواقفوهم ولم يقاتلوهم . فرمى رجل من اهل المدينة في عسكر ابي حمزة بسهم فجرح رجلاً . فقال ابو حمزة : شأنكم الآن فقد حل قتالهم . فحملوا عليهم وثبت بعضهم لبعض وراية قريش مع ابراهيم بن عبد الله بن مطيع . ثم انكشف اهل المدينة فلم يتبعوه وكان على مجنبتهم صخير بن صخر بن ابي الجهم بن حذيفة فكر وكرو الناس معه فقاتلوا قليلاً ثم انهزموا فلم يبعدوا حتى كروا ثلاثة . وقاتلهم ابو حمزة فهزمهم هزيمة لم تبق منهم باقية . فقال له علي بن الحصين : اتبع القوم او دعني اتبعهم فأقتل المدير وأذف^(١) على الجريح فان هولا . شر علينا من اهل الشام فلو قد جاؤوك غدا لرأيت من هولا . ما تكره . فقال : لا أفعل ولا أخالف سيرة اسلافنا . وأخذ جماعة منهم أسرا . فأراد إطلاقهم . فمنعه علي بن الحصين وقال له : ان لأهل كل زمان سيرة وهولا . لم يؤسروا وهم هراب وانما أسروا وهم يقاتلون ولو قتلوا في ذلك الوقت لم يُجرم قتلهم وكذلك الآن قتلهم حلال . فدعا بهم فكان اذا رأى رجلاً من الانصار أطلقه . فأتى بمحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان فنسبه . فقال : أنا رجل من الانصار . فسأل الانصار عنه فشهدوا له فأطلقه فلما ولى قال : والله اني لأعلم انه قرشي وما حداوة هذا حداوة أنصاري ولكن قد أطلقتة . (قال) وبلغت قتلى

(١) ذف على الجريح أجهز عليه وأماته

قُدِيدُ أَلْفَيْنِ وَمِائَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ أَرْبَعًا مِائَةً وَخَمْسُونَ رَجُلًا وَمِنَ الْأَنْصَارِ ثَمَانُونَ وَمِنَ الْقَبَائِلِ وَالْمَوَالِي أَلْفٌ وَسَبْعُمِائَةً . (قَالَ) وَكَانَ فِي قَتْلِ قُرَيْشٍ مِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزْمِيِّ أَرْبَعُونَ رَجُلًا . وَوُقُتِلَ يَوْمَئِذٍ أُمَيَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَثْمَانَ خَرَجَ يَوْمَئِذٍ مُقْتَنًا^(١) فَمَا كَلَّمَ أَحَدًا وَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ . وَوُقُتِلَ يَوْمَئِذٍ سَمِيُّ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ الَّذِي يَرُوي عَنْهُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ . وَدَخَلَ بَلَجَ الْمَدِينَةِ بِغَيْرِ حَرْبٍ فَدَخَلُوا فِي طَاعَتِهِ وَكَفَّ عَنْهُمْ . وَرَجَعَ أَبُو حَمْزَةَ إِلَى مَكَّةَ وَكَانَ عَلَى شَرْطَتِهِ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو مِنْ آلِ سَرِاقَةَ مِنْ بَنِي عَدِيِّ . فَكَانَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَقُولُونَ :

لَعَنَ اللَّهُ السَّرَاقِيَّ وَلَعَنَ بَلِجًا الْعِرَاقِيَّ . وَقَالَتْ نَائِمَةُ أَهْلُ الْمَدِينَةِ تَبْكِيهِمْ :

مَا لِلزَّمَانِ وَمَا لِي بِهِ أَفْنَتُ قُدَيْدُ رِجَالِيهِ
فَلَا بَكِينَ سَرِيرَةً وَلَا بَكِينَ عَلَانِيَهُ
وَلَا بَكِينَ إِذَا خَلَوْتُ مَعَ الْكِلَابِ الْعَاوِيَهُ
وَلَا ثَنِينَ عَلَى قُدَيْدٍ مِ بَسْوَةٍ مَا أَبْلَانِيَهُ

وَقَالَ عَمْرٍو بْنُ الْحَصِينِ الْكُوفِيُّ مَوْلَى بَنِي تَيْمِمْ يَذْكَرُ وَقْعَةَ قُدَيْدٍ وَأَمْرَ مَكَّةَ وَدُخُولَهُمْ إِيَّاهَا وَأَنْشَدْنِيهَا الْأَخْفَشُ عَنِ السَّكْرِيِّ وَالْأَحْوَلِ وَتَعَلَّبَ لِعَمْرٍو هَذَا وَكَانَ يَسْتَجِيدُهَا وَيُفْضِلُهَا :

مَا بَالُ هَمِّكَ لَيْسَ عَنْكَ بِعَازِبٍ عَمْرِي سَوَابِقَ دَمْعِكَ الْمُتَسَاكِبِ
وَتَبَيْتُ تَكْتَلِي النُّجُومَ بِمَقْلَةٍ عَمْرِي تُسَرُّ بِكُلِّ نَجْمٍ دَائِبِ
حَذَرَ الْمُنِيَةِ إِنْ تَجِيءُ بِدَاهِيَةٍ لَمْ أَقْضِ مِنْ تَبَعِ الشَّرَاةِ مَا رَبِي
فَأَقْوَدُ فِيهِمُ لِلْعِدَا شَنِجَ^(٢) الْأَنَسَا عَمِلَ الشَّوَى أَسْوَانَ ضَمْرًا الْحَالِبِ

(٢) فِي الْأَصْلِ « شَبِيحٌ » وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(١١) مُقْتَنٌ مَفْطًى بِالسَّلَاحِ

متحدراً كالسيد اخلص لونه
 ارمي به من جمع قومي معشراً
 في فتية صبر الفهم به
 فندور نحن وهم وفيما بيننا
 فنظا نسقيهم ونشرب من قني
 بينا كذلك نحن جالت طعنة
 جوفاء منهرة ترى تامورها
 أهوي لها شق الشمال كاني
 يارب أوجنها ولا تتعلقن
 كم من أولي تيه صحبتهم شرؤا^(١)
 متأوهين كأن في اجواقهم
 تلقاهم فتراهم من راع
 يتلو قوارع تمري عبراته
 سبر جائفة الامور اطفة
 ومبرئين من المعايب احرزوا

ماء الحسيك مع الجلال اللاتب^(١)
 بوراً الى جبرية^(٢) ومعايب
 لف القداح يد المفيض الضارب
 كأس المنون تقول هل من شارب
 سمر ومرفهة التصول قواضب
 نجلاء بين لها^(٣) وبين ترائب
 ظبتا^(٤) سنان كالشهاب الثاقب
 حفص^(٥) لقي تحت العجاج العاصب^(٥)
 نفسي المنون لدى اكف قرائب
 فخذلتهم ولبس فعل صاحب
 ناراً تسعرها اكف حواطب
 أو ساجد متضرع أو ناحب
 فيجودها مري المري الخالب
 للصدع ذي النبا الجليل مدائب
 حصل المكارم اتقيا أطايب

شجع النساء متقبضه وهو مدح لانه اذا تقبض عرق النسالم تسترخ رجلاه
 (١) اللاتب المشدود على الفرس
 (٢) بور هلكى . والجبرية قيل
 لهم ذلك لانهم تسبوا الى القول بالجبر
 (٣) لها جمع لهاة وهي اللحمه المشرفة على الخلق في اقصى سف الفم . كتب
 في الاصل « رها » (٤) اخر الطعنة وسعها . والتامور الدم . وظبة السنان
 حده (٥) الحفض الشيء المطروح . العجاج الفبار . والعاصب المتجمع .
 عصب الفبار بالجبل وغيره اطاف (٦) شري به سخر

عدوا عوادهم للجلاد وياشروا
 تاطوا المودهم بأمر أخ لهم
 متسرطي خلق الحديد كأنهم
 قيبت من أعلى حضرموت قلم تزل
 تحمي أمتها وتحوي نهبها
 حتى وردت حياض مكة قطنا
 ما إن أتيت على أخي جديرة
 في كل معتزك لما من هامهم
 سائل بيوم قديد عن وقعاتها
 ثم دخل أبو حمزة المدينة سنة ثلاثين ومائة ومضى عبد الواحد بن سليمان
 إلى الشام . وأحسن أبو حمزة السيرة في أهل المدينة حتى استحل الناس .
 قال هرون : وحدثني داود بن عبدالله بن أبي الكرام أن أبا حمزة بلغه
 أن أهل المدينة يغيرون أصحابه لخدائهم اسنانهم وخذة أعلامهم فبلغه
 ذلك عنهم فصعد المنبر وعليه كساء غليظ وهو مستجب قوساً عربية
 فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه (صلعم) وآله ثم قال : يا أهل
 المدينة قد بلغتني مقالاتكم في أصحابي ولولا معرفتي بضعف رأيكم
 وقلة عقولكم لأحسنت أدابكم . ويحكمم وهل كان أصحاب رسول
 الله المذكورون في الخير إلا أحداثاً شباباً . والله مكتهلون في شبابهم .

(١) طريق لَحَب ولاحب واضح . وقحم الطريق ما صعب منها
 (٢) القارب طالب الماء
 (٣) فلق جمع فلقه وهي نصف الشيء .

المفلوق

عَاضِيَةٌ عَنِ الشَّرِّ أَعْيُنُهُمْ . ثَقِيلَةٌ عَنِ الْبَاطِلِ أَرْجُلُهُمْ . انْضَاءٌ^(١) عِبَادَةٌ
 قَدْ نَظَرَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ مُنْحَنِيَةً أَصْلَابَهُمْ عَلَى أَجْزَاءِ الْقُرْآنِ
 كُلَّمَا مَرَّ أَحَدُهُمْ بِآيَةٍ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ بِكَى شَوْقًا . وَكُلَّمَا مَرَّ بِآيَةٍ مِنْ ذِكْرِ
 اللَّهِ شَهَقَ خَوْفًا كَأَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ بَيْنَ أُذُنَيْهِ . قَدْ أَكَلَتِ الْأَرْضُ جِبَاهَهُمْ
 وَرُكْبَهُمْ . وَوَصَلُوا كَلَالَ اللَّيْلِ بِكَلَالِ النَّهَارِ . مَصْفَرَّةٌ أَلْوَانُهُمْ . نَاحِلَةٌ
 أَجْسَامُهُمْ مِنْ طَوْلِ الْقِيَامِ وَكَثْرَةِ الصِّيَامِ . انْضَاءٌ عِبَادَةٌ مُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ .
 مُتَنَجِّزُونَ لَوَعْدِ اللَّهِ . قَدْ شَرَوْا^(٢) أَنْفُسَهُمْ حَتَّى إِذَا التَّقَتِ الْكُتَيْبَتَانِ
 وَأَبْرَقَتِ سَيُوفُهَا وَفُوقَتِ سَهَامُهَا وَأَشْرَعَتِ رِمَاحُهَا لَقُوا شِبَا الْأَسِنَّةِ
 وَشَائَكَ السَّهَامِ وَظَلَبَا السُّيُوفِ بِنُحُورِهِمْ وَوَجُوهِهِمْ وَصُدُورِهِمْ . فَمَضَى
 الشَّابُّ مِنْهُمْ حَتَّى اخْتَلَفَتْ رِجْلَاهُ عَلَى عُنُقِ فَرَسِهِ وَاخْتَضَبَتْ مَحَاسِنُ
 وَجْهِهِ بِالدَّمَاءِ وَعُفَّرَ جَبِينُهُ بِالْثَرَى وَانْحَطَّتْ عَلَيْهِ الطَّيْرُ مِنَ السَّمَاءِ وَتَمَزَّقَتْهُ
 سِبَاعُ الْأَرْضِ . فَكَمْ مِنْ عَيْنٍ فِي مِيقَاتِ طَائِرٍ طَالَمَا بِكَى بِهَا صَاحِبُهَا فِي
 جَوْفِ اللَّيْلِ مِنْ خَوْفِ اللَّهِ . وَكَمْ مِنْ وَجْهِ رَقِيقٍ وَجَبِينِ عَتِيقٍ قَدْ فُلِقَ بِعُمْدِ
 الْحَدِيدِ . ثُمَّ بِكَى وَقَالَ : آهَ آهَ عَلَى فِرَاقِ الْأَخْوَانِ . رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى تِلْكَ
 الْأَبْدَانِ . وَأَدْخَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمُ الْجَنَانَ . ثُمَّ خَرَجَ وَخَلَّفَ بِالْمَدِينَةِ بَعْضَ
 أَصْحَابِهِ . فَسَارَ حَتَّى نَزَلَ الْوَادِي . ثُمَّ إِنَّ مَرْوَانَ انْتَخَبَ مِنْ عَسَاكِرِهِ
 أَرْبَعَةَ آلَافٍ اسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمُ ابْنَ عَطِيَّةٍ فَأَمَرَ بِالْحَدِّ فِي السَّيْرِ وَأَعْطَى كُلَّ
 رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ مِائَةَ دِينَارٍ وَفَرَسًا عَرَبِيًّا وَبَغْلًا ثَقِيلًا وَأَمْرَهُ أَنْ يَمْضِيَ
 فَيُقَاتِلَهُمْ وَكَانَ فِيهِمْ أَلْفٌ مِنْ أَهْلِ الْجَزِيرَةِ فَشَرَطُوا عَلَى مَرْوَانَ أَنَّهُمْ إِذَا
 قَتَلُوا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ يُحْيَى وَأَصْحَابَهُ رَجَعُوا إِلَى الْجَزِيرَةِ وَلَمْ يَقِيمُوا بِالْحِجَازِ .

فاجابهم الى ذلك . (قالوا) فخرج حتى اذا نزل بالمعلّى فكان رجل من
اهل المدينة يقال له العلاء . بن افلح مولى ابي النعيث يقول : لقيني وأنا
غلام في ذلك اليوم رجل من اصحاب ابن عطية فسألني : ما اسمك
يا غلام . فقلت : العلاء . فقال : ابن من . قلت : ابن افلح . قال : أعربي أم
مولى . قلت : بل مولى . قال : مولى من . قلت : مولى ابي النعيث . قال :
فأين نحن . قلت : بالمعلّى . قال : فأين نحن غداً . قلت : بغالب . (قال) فما
كلمني حتى اردفني خلفه ثم مضى بي حتى ادخلني على ابن عطية فقال :
سل هذا الغلام ما اسمه . فسألني فرددت عليه القول الذي قلت . فسرّ
بذلك ووهب لي دراهم . وقال ابو صخر الهذلي حين بلغه قدوم ابن
عطية :

قل للذين استضعفوا لا تعجلوا	اتاكم النصر وجيش جفضل
عشرون الفا كلهم مسرّبيل	يقدمهم جاد القوى مستبيل ^(١)
دونكم هذا بين فاقبلوا	وواجهوا القوم ولا تستخجلوا
عبد المليك القلبي الحول ^(٢)	أقسم لا يفلى ولا يرّجل
حتى يبيد الاعور المضلل ^(٣)	ويقتل الشباح والمفضل

قال المدائني : وبعث ابو حمزة بلج بن عقبة في ستمائة رجل ليقاتل
عبد الملك بن عطية . فلقية بوادي القرى لايام خلّت من جمادى الاولى
سنة ثلاثين ومائة فتواقفوا . ودعاهم بلج الى الكتاب والسنة وذكر

(١) مستبيل مستقتل وهو الذي يطرح نفسه في مخاطر الحرب يريد ان يقتل
او يقتل لا محالة (٢) اي هو محتال في اموره حسن القلب
(٣) الاعور عبدالله بن يحيى رئيس الخوارج

بني أمية وظلمتهم . فشتهم أهل الشام وقالوا : انتم يا اعداء الله احقُّ
 بهذا ممن ذكركم وقاتم . فحمل عليهم بلج واصحابه فانكشف طائفة
 من اهل الشام وثبت ابن عطية في الحفاظ وقال : ناضلوا عن دينكم
 وأميركم . فكروا واصبروا صبراً حسناً وقاتلوا قتالاً شديداً . فقتل بلج
 واكثر اصحابه وانحازت قطعة من اصحابه نحو المائة الى جبل اعتصموا
 به . فقاتلهم ابن عطية ثلاثة ايام فقتل منهم سبعين رجلاً . ونجا ثلاثون
 فرجعوا الى ابي حمزة . ونصب ابن عطية رأس بلج على رمح . (قال)
 واغتمَّ الدين رجعوا الى ابي حمزة من وادي القرى وهم الثلاثون
 ورجعوا وجزعوا من انهزامهم وقالوا : فررنا من الزحف . فقال
 لهم ابو حمزة : لا تجزعوا فانا لكم فيئة والي انصرفتم . قال المدائني :
 وخرج ابو حمزة من المدينة الى مكة واستخلف رجلاً يقال له المفضل
 عليها . فدعا عمر بن عبد الرحمن الناس الى قتاله . فلم يجد كبيراً احد
 لانَّ القتل قد كان شاع في الناس . وخرج وجوه اهل البلد عنه . فاجتمع
 الى عمر البربرُ والزنجُ وأهل السوقِ والعييدُ فقاتل بهم الشُّراة فقتل
 المفضلُ وعامة اصحابه وهرب الباقيون فلم يبق بالمدينة منهم احد . فقال
 في ذلك ابو البيضاء مولى زينب بنت الحكم بن العاصي :

ليت مروان رأنا يوم الاثنين عشيه
 اذ غسلنا العارَ عنا وانتضينا المشرفيه

(قال) فلما قدم ابن عطية المدينة أتاهُ عمر بن عبد الرحمن بن أسيد
 فقال له : اصلحك الله اني جمعت قضيي وقضيي فقاتلت هؤلاء . فقتلت
 من امتنع من الخروج عن المدينة واخرجنا الباقي فلقية اهل المدينة

بِقَضَائِهِمْ وَقَضِيضِهِمْ . (قال) وَأَقَامَ ابْنُ عَطِيَّةٍ بِالْمَدِينَةِ شَهْرًا وَابْنُ حَمْزَةَ مَقِيمٌ بِمَكَّةَ ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ حَصِينِ الْعَنْبَرِيِّ : إِنِّي قَدْ كُنْتُ اشْرَيْتُ عَلَيْكَ يَوْمَ قَدِيدٍ وَقَبْلَهُ أَنْ تَقْتُلَ هُوَلَاءَ . الْأَسْرَى كُلَّهُمْ فَلَمْ تَفْعَلْ وَعَرَفْتُكَ أَنَّهُمْ سَيَغْدُرُونَ فَلَمْ تَقْبَلْ حَتَّى قَتَلُوا الْمُفْضَلَ وَأَصْحَابَنَا الْمُقِيمِينَ بِالْمَدِينَةِ . وَأَنَا أُشِيرُ عَلَيْكَ الْيَوْمَ أَنْ تَضَعَ السِّيفَ فِي هُوَلَاءَ . فَانْتَهَمَ كَفْرَةَ فَجِرَّةٍ وَلَوْ قَدِمَ عَلَيْكَ ابْنُ عَطِيَّةٍ لَكَانُوا أَشَدَّ عَلَيْكَ مِنْهُ . فَقَالَ : لَا أَرَى ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ قَدْ دَخَلُوا فِي الطَّاعَةِ وَأَقْرَبُوا بِالْحُكْمِ وَوَجِبَ لَهُمْ حَقُّ الْوِلَايَةِ . قَالَ : أَنَّهُمْ سَيَغْدُرُونَ . فَقَالَ : أَبْعَدَهُمُ اللَّهُ . مَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ . (قال) وَقَدِمَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَطِيَّةٍ مَكَّةَ فَصَيَّرَ أَصْحَابَهُ فِرْقَتَيْنِ وَاقَى الْخَوَارِجَ مِنْ وَجْهَيْنِ فَصَيَّرَ طَائِفَةً بِالْأَبْطَحِ وَصَارَ هُوَ فِي الطَّائِفَةِ الْآخَرَى بِأَزَاءِ أَبِي حَمْزَةَ . فَصَارَ أَبُو حَمْزَةَ أَسْفَلَ مَكَّةَ وَصَيَّرَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الصَّبَاحِ بِالْأَبْطَحِ فِي ثَمَانِينَ قَارِسًا . فَقَاتَلَهُمْ إِبْرَاهِيمَ فَانْهَزَمَ أَهْلُ الشَّامِ إِلَى عَقْبَةَ مِثْنَى فَوْقَفُوا عَلَيْهَا ثُمَّ كَرُّوا وَقَاتَلُوهُمْ . فَقُتِلَ إِبْرَاهِيمَ كَمَا كَانَ لَهُ ابْنُ هَبَارِ الْقُرَشِيِّ وَهُوَ عَلَى خَيْلِ دِمَشْقَ عِنْدَ بَثْرَمِيُونَ فَقَتَلَهُ . وَتَفَرَّقَ الْخَوَارِجُ وَتَبِعَهُمْ أَهْلُ الشَّامِ يَقْتُلُونَهُمْ حَتَّى دَخَلُوا الْمَسْجِدَ . وَالتَّقَى أَبُو حَمْزَةَ وَابْنَ عَطِيَّةٍ بِأَسْفَلَ مَكَّةَ . فَخَرَجَ أَهْلُ مَكَّةَ مَعَ ابْنِ عَطِيَّةٍ . فَقُتِلَ أَبُو حَمْزَةَ عَلَى فَمِ الشَّيْبِ وَقُتِلَتْ مَعَهُ امْرَأَتُهُ وَهِيَ تَرْتَجِزُ وَتَقُولُ :

أَنَا الْجَعِيدَاءُ وَبِنْتُ الْأَعْلَمِ مِنْ سَأَلَ عَنِ إِسْمِي فَاسْمِي مَرْيَمُ
بَعْتُ سِوَارِيَّ بِسَيْفٍ بِمُخَدَّمِ

(قال) وَتَفَرَّقَتِ الْخَوَارِجُ فَأَسْرَأَ أَهْلُ الشَّامِ مِنْهُمْ أَرْبَعِمِائَةَ فِدَعَا بِهِمْ

ابْنُ عَطِيَّةٍ فَقَالَ : وَيْلَكُمْ مَا دَعَاكُمْ إِلَى الْخُرُوجِ مَعَ هَذَا . قَالُوا : ضَمِنَ لَنَا

الكنته يريدون الجنة وهي لغتهم . فقتلهم وصلب ابا حمزة وأبرهة بن الصباح ورجلين من اصحابهم على فم الشعب شُعب الخيف^(١) . ودخل علي بن الحسين داراً من دور قریش . فأحرق اهل الشام بالدار فأحرقوها . فلما رأى ذلك رمى بنفسه من الدار فقاتلهم وأسر فقتل وُصلب مع ابي حمزة . ولم يزلوا مصائب حتى افضى الامر الى بني العباس . وحج مهلهل الجهمي في خلافة ابي العباس فأترل ابا حمزة ليلاً فدفنه ودفن خشبته وأتى فل ابي حمزة الى عبد الله بن يحيى بصنعاء . فأقبل معه اصحابه وقد لقبوه طالب الحق يريد قتال ابن عطية . وبلغ ابن عطية خبره فشحص اليه فالتقوا بكنته . فأكثر اهل الشام القتل فيهم وأخذوا أثقالهم واموالهم وتشاغلوا بالنهب . فركب عبد الله بن يحيى فكشفهم فقتل منهم نحو مائة رجل وقتل قائداً من قوادهم يقال له يزيد بن حمل القشيري من اهل قنسرين . فذمرهم^(٢) ابن عطية فكروا وانضم بعضهم الى بعض وقاتلوا حتى امسوا . فكف بعضهم عن بعض . ثم التقوا من غد في موضع كثير الشجر والكرم والحيطان فطال القتال بينهم واستحرق القتلى في الشراة . فترجل عبد الله بن يحيى في الف فارس فقاتلوا حتى قتلوا جميعاً عن آخرهم . وانهمز الباكون فتفرقوا في كل وجه ولحق من نجا منهم بصنعاء وولوا عليهم حمامة . فقال ابو صخر الهذلي :
قتلنا دعيساً والذي يكتني الكنى ابا حمزة الغاوي المذل اليانبا
وابرهة الكندي خاضت^(٣) رماحنا وبلجاً صبحناه الختوف القواضيا

(١) الخيف خيف منى . والخيف ما انحدر من الجبل وارتفع عن مسيل الماء
عينا وشالاً (٢) ذمرهم حضهم (٣) يروى في الاصل «حاضت» بجاء مهملة

وما تركت أسيافنا منذ جردت مروان جبّاراً على الأرض عادياً
قال المدائني : وبعث عبد الملك بن عطية رأس عبد الله بن يحيى مع
ابنه يزيد بن عبد الملك الى مروان . وقال عمرو بن الحصين (ويقال
الحسن العبدي مولى لهم) يرثي عبدالله بن يحيى وأبا حمزة :

هَبَّتْ قُبَيْلَ تَبْلُجِ الْفَجْرِ هِنْدٌ تَقُولُ وَدَمِهَا يُجْرِي

أَذْ أَبْصَرْتَ عَيْنِي وَادِمِهَا يَنْهَلُ وَاكْنُهَا عَلَى الزَّحْرِ

أَتَى اعْتْرَاكَ وَكُنْتَ عَهْدِي لَا سَرِبَ الدَّمُوعَ وَكُنْتَ ذَا صَبْرٍ

أَقْدَى بَعِينِكَ لَا يَفَارِقُهَا أَمْ عَايِرٌ أَمْ مَا لَهَا تُذْرِي^(١)

أَمْ ذَكَرُ إِخْوَانٍ فُجِعَتْ بِهِمْ سَلَكُوا سَبِيلَهُمْ عَلَى خَيْرٍ

فَأَجَبْتَهَا بَلْ ذَكَرُ مَصْرَعِهِمْ لَا غَيْرُهُ عِبْرَاتِهَا يَمْرِي

ذَا الْعَرْشَ وَاشَدَّدَ بِالتَّقَى أَزْرِي يَا رَبِّ أَسْلِكْنِي سَبِيلَهُمْ

فِي فَتِيَّةٍ صَبَرُوا نَفُوسَهُمْ فِي الْمَشْرِفِيَّةِ وَالْقَنَا السُّمْرِ

حَتَّى أَكُونَ رَهِينَةَ الْقَبْرِ تَالَهُ أَلْقَى الدَّهْرَ مِثْلَهُمْ

أَوْفَى بَدَمَتِهِمْ إِذَا عَقَدُوا أَوْفَى بَدَمَتِهِمْ إِذَا عَقَدُوا

مَتَأَهْلِينَ لِكُلِّ صَالِحَةٍ مَتَأَهْلِينَ لِكُلِّ صَالِحَةٍ

صُنْتُ إِذَا احْتَضَرُوا مَجَالِسَهُمْ صُنْتُ إِذَا احْتَضَرُوا مَجَالِسَهُمْ

إِلَّا تُحْيِيهِمْ فَآئِنَهُمْ إِلَّا تُحْيِيهِمْ فَآئِنَهُمْ

مَتَأَوْهُونَ كَانَ جَمْرَ غَضَاً مَتَأَوْهُونَ كَانَ جَمْرَ غَضَاً

تَلَقَّاهُمْ إِلَّا كَأَنَّهُمْ تَلَقَّاهُمْ إِلَّا كَأَنَّهُمْ

فَبِمُ كَانَتْ بِهِمْ جَوَى^(٢) مَرَضٍ فَبِمُ كَانَتْ بِهِمْ جَوَى^(٢) مَرَضٍ

(١) العائر كل ما اعلّ العين . وأذرت العين الدمع صبته (٢) جوى داء باطن

لا ليهم ليل فيلبسهم
 إلا كذا خلساً^(١) وآونة
 كم من اخ لك قد فُجعت به
 متأوه يتلو قوارع من
 نصب ت جيش بنات مهجته
 ظمان وقدة كل هاجرة
 تراك ما تهوى النفوس اذا
 والمصطي بالحرب يسعرها
 يجتاحها بأفل ذي شطب
 لا شيء يلقاه أسراً له
 منهرة منه ت جيش بما
 كخيلك المختار أذك به
 خواض غمرة كل متلفة
 تراك ذي النخوات مختضياً
 وابن الحصين وهل له شبه
 بشهامة لم تحن أضلعه
 طلق اللسان بكل محكمة
 فيه غواشي النوم بالسكر
 حذر العقاب وهم على ذعر
 قوام ليلته الى الفجر
 أي القران مفرع الصدر
 مل خوف جيش مشاشة^(٢) القدر
 تراك لذته على قدر
 رغب النفوس دعت الى النذر
 بغارها وبفتية سحر
 عصب المضارب قاطع البتر^(٣)
 من طعنة في ثغرة النحر
 كانت عواصي^(٤) جوفه تجري
 من معتد في الله او مسر
 في الله تحت العنبر^(٥) الكدر
 بنجيعه بالطعنة الشرير
 في العرف ألى كان والنكر
 لذوي اخوته على غمر
 رأب صدع العظم ذي الوقر

(١) اي لا ينامون الا اختلاساً (٢) المشاشة راس العظم اللين

(٣) كل قطع بتر
 (٤) منهرة واسعة، والعواصي عروق لا ينقطع دوماً
 (٥) العنبر ترس يتخذ من جلد سمكة بحرية
 كانها تعصي في الانقطاع
 يقال لها العنبر

لم ينفكك في جوفه حزن
 ترقى وآونة يُخفضها
 ومخالطي بَلج وخالصتي^(١)
 نِكَل^(٢) الخِصوم اذا هم شغبوا
 والحائض الغمرات يُخظر في
 بِشَطَب أو غير ذي شُطَب
 وأخيك أبرهة الهجان أخى م
 بمُرَشَّة فرغ تشج^(٤) دماً
 والضارب الاخدود^(٥) ليس لها
 ووليّ حكمهم فجمت به
 قوَال محكمة وذو فهم
 ومستب فاذا ذكر وصيته
 فكلامها قد كان محتبساً
 في مُخبّتين^(٦) ولم استهم
 وهم مُساعِرُ في الوغى رُجج^(٧)
 حتى وفوا لله حيث لقوا
 تغلي حرارته وتشتري^(١)
 بتنفّس الصعداء والزفر
 سمّ العدو وجار الكسر
 وسداد ثلثة عودة الثغري
 وسط الاعادي ايا خطر
 هام العدا بذبابه يفري
 الحرب العوان ملقح الخمر
 ثجّ القوي سُلافة الخمر
 أحد ينهنها عن السم
 عمرو فوا كيدي على عمرو
 عفّ الهوى متثبت الامر
 لا تنس إماً كنت ذا ذكر
 لله ذا تقوى وذا بر
 كانوا يدي وهم أوأو نصري
 وخيار من يشي على العفر^(٧)
 بعهود لا كذب ولا غدر

- (١) تشتري تلج (٢) المخالط الخليط اي صاحب . وهو
 خالصتي وخلصاني اذا خلصت مودته وصفته . وبلج بن عتبة
 (٣) رجل نكل ونكل ونكل به اعداؤه
 (٤) ارتشت الطعنة اجرت الدم (٥) الاخدود ضربة تحذف في الجلد
 اي تشق (٦) مخبتين متواضعين متخشعين (٧) الرجح هم الجنود
 الجرارة الثقيلة . العفر والعفر التراب

فتخالسوا مهجات انفسهم وعداتهم بقواضب بتر
واستة يثنين في لذن خطية بأكفهم زهر
تحت العجاج وفوقهم خرق يخفقن من سود ومن حمر
فتفرجت عنهم كأنهم لم يغمضوا عيناً على وتر
فشعارهم نيران حريم ما بين أعلى الشجر فالحجر^(١)
صرعى فحاجلة^(٢) تنوبهم وخوامع لحائهم تقري

قال المدائني : وكتب مروان الى ابن عطية يامر به بالمسير الى صنعاء ليقاتل من بها من الخوارج . فاستخلف ابنه محمد بن عبد الملك على مكة وعلى المدينة الوليد بن عروة بن عطية وتوجه الى صنعاء . ورجع اهل الجزيرة جميعاً الى بلدهم وكذلك كان مروان شرط لهم . فلما قرب من صنعاء هرب عامل عبدالله بن يحيى عنها . فأخذ أثقاله وحملين من مال كان معه اهل صنعاء . فسلموا ذلك الى ابن عطية . وتتبع اصحاب عبدالله بن يحيى في كل موضع يقتلهم وأقام بصنعاء أشهراً . ثم خرج عليه رجل من اصحاب عبدالله بن يحيى في آل ذي الكلاع يقال له يحيى بن عبدالله بن عمر بن السباق في جمع كثير بالجند . فبعث اليه ابن عطية ابن اخيه عبد الرحمن بن يزيد بن عطية فلقية بالحرب فهزمه وقتل عامة اصحابه وهرب منه فنجوا . وخرج عليه يحيى بن كرب الحميري

(١) الشجر صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن بين عدن وعمان .
والحجر مدينة اليمامة وام قراها
(٢) الحاجلة الطير التي تحجل اي تنزو كالغراب والخوامع الضباع . وفي الاصل كتب « فحاجلة . . . وجوامع لحائهم »

بساحل البحر وانضمت اليه سُذَّاذُ الإباضية^١ . فبعث اليه ابا امية الكندي في الوضاحية فالتقوا بالساحل قتل من الإباضية نحو مائة رجل وتحاجزوا عند المساء فهربت الاباضية الى حضرموت وبها عامل لعبدالله ابن يحيى يقال له عبدالله بن معبد الجرمي فصار في جيش كثير واستفجلاً أمره . وبلغ ابن عطية الخبر فاستخلف ابن اخيه عبد الرحمن بن يزيد بن عطية على صنعاء وشخص الى حضرموت . وبلغ عبدالله بن معبد مسير عبد الملك اليهم فجمعوا الطعام وكل ما يحتاجون اليه في مدينة سنام وهي حصين حضرموت مخافة الحصار ثم عزموا على لقاء ابن عطية في الفلاة فخرجوا حتى نزلوا على اربع مراحل من حضرموت في عدد في فلاة . وأتاهم ابن عطية فقاتلهم يومه كله . فلما امسى وقد بلغه ما جمعوا في سنام حذر عسكره في بطن حضرموت الى السنام ليلاً ثم اصبح فقاتلهم حتى انتصف النهار . ثم تحاجزوا . فلما امسوا تبع عسكره وأصبح الخوارج فلم يروا للقوم اثرًا فاتبعوهم وقد سبقوهم الى الحصين فأخذوا جميع ما فيه وملكوه . ونصب ابن عطية عليهم المسالح وقطع عنهم المادة والميرة وجعل يقتل من يقدر عليه ويسبي ويأخذ الاموال . ثم ورد عليه كتاب مروان بن محمد يأمره بالتعجل الى مكة ليحج بالناس . فصالح اهل حضرموت على ان يرد عليهم ما عرفوا من اموالهم ويؤتي عليهم من يختارون وسالموه . فرضي بذلك وسالمهم وشخص الى مكة متعجلًا مخفًا^٢ . ولما نفذ كتاب مروان ندم بعد ذلك بأيام وقال :

(١) راجع في الاباضية الحاشية ١ الصفحة ٤٣٨

(٢) المخف القليل الثقل في سفره

أَنَا لَه قَتَلْتُ وَاللَّهِ ابْنُ عَطِيَّةٍ هُوَ الْآنَ يُخْرِجُ مَخْفًا مُتَعَجِّلًا لِيَلْحِقَ الْحِجَّ
فِي قَتْلِهِ الْخَوَارِجَ . فَكَانَ كَمَا قَالَ تَعَجَّلَ فِي بَضْعِ عَشْرَةِ رَجُلًا فَلَمَّا كَانَ بِأَرْضِ
مُرَادٍ تَلَفَّتْ^(١) عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ فَمَنْ كَانَ مِنْ تِلْكَ الْجَمَاعَةِ أَبَاضِيًّا عَرَفَهُ . فَقَالَ :
مَا نَنْتَظِرُ بِهَذَا إِنْ نُدِرْكَ ثَارَ إِخْوَانِنَا فِيهِ . وَمَنْ لَمْ يَكُنْ أَبَاضِيًّا ظَنَّنُهُ مِنْ
الْأَبَاضِيَّةِ وَإِنَّهُ مُنْهَزِمٌ . فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّهُمْ يَرِيدُونَهُ قَالَ لَهُمْ : وَيُحْكَمُ أَنَا عَامِلٌ
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْحِجِّ . فَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَى ذَلِكَ وَقَتَلُوهُ وَنَصَبَتِ الْأَبَاضِيَّةُ
رَأْسَهُ . فَلَمَّا فَتَشُوا مَتَاعَهُ وَجَدُوا فِيهِ الْكِتَابَ بِوِلَايَتِهِ عَلَى الْحِجِّ فَأَخَذُوا
مِنَ الْأَبَاضِيَّةِ رَأْسَهُ وَدَفَنُوهُ مَعَ جَسَدِهِ

وَبَلَغَ ابْنُ أَخِيهِ وَهُوَ بِصَنْعَاءَ خَبْرَهُ فَأَرْسَلَ سُعَيْبًا الْبَارِقِيَّ فِي الْخَيْلِ
فَقَتَلَ الرِّجَالَ وَالصَّبِيَّانَ وَبَقَرَ بَطُونَ النِّسَاءِ وَأَخَذَ الْأَمْوَالَ وَأَخْرَبَ الْقُرَى
وَجَعَلَ يَتَّبِعُ الْبَرِيَّةَ وَالنَّطْفَ^(٢) حَتَّى لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنْ قَتْلَةِ ابْنِ عَطِيَّةٍ وَلَا
مِنَ الْأَبَاضِيَّةِ إِلَّا قَتْلُهُ وَلَمْ يَزَلْ مُقِيمًا بِالْيَمَنِ إِلَى أَنْ أَفْضَى الْأَمْرَ إِلَى بَنِي
هَاشِمٍ وَقَامَ بِالْأَمْرِ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّفَّاحُ

تَمَّ الْجُزْءُ الثَّانِي بِحَوْلِهِ تَعَالَى

(١) تَلَفَّتْ عَلَيْهِ تَجَمَّعَ
(٢) النَّطْفُ الْمُرِيبُ

فهرس

صفحة		صفحة	
٨٨	القتلى في حرب البسوس		نزول اليهود ثم الاوس والخزرج
٨٩	مقتل جساس	٥	بيثرب
٩١	يوم اواراة	٩	مكر ابي جبيلة باليهود ومقتلهم
٩٨	لقيط بن زرارة	١٢	مخاربة الاوس والخزرج
	تحامك تغلب وبكر عند عمرو بن	١٨	قيس بن الخطيم يأخذ بثار ابيه وجدته
١٠١	هند	٢٣	السموأل
١٠٣	مقتل عمرو بن هند	٢٥	الاعشى وشريح بن سموأل
١٠٦	اسر عمرو بن كلثوم	٢٦	معاوية وشعبة بن غريص
١٠٧	مقتل شاس بن زهير	٢٨	احيحة بن الجلاح وعاصم بن عمرو
١١١	مقتل زهير بن جذيمة العبسي		الحرب بين مضاض بن عمرو
١١٨	مقتل خالد بن جعفر	٣١	والسميدع
١٣٠	يوم رحرحان	٣٣	بني جرهم وطردهم من مكة
١٣٣	هرب الحرث بن ظالم ومقتله	٣٧	يوم بعث
	خبر الحرث بن ظالم وعمرو بن	٤٧	حسان بن تبع
١٣٩	الاطنابة	٥٠	خبر طسم وجديس
١٤٢	يوم شعب جبلة	٥٣	خبر زرقاء اليمامة
١٦٠	لييد والنعمان والربيع بن زياد	٥٤	مقتل الاسود بن غفار
١٦٤	يوم الصفقة		مقتل نصارى نجران وقدم الحبشة
١٦٨	يوم كلاب الثاني	٥٥	الى اليمن
١٧٤	عدي بن زيد	٦٥	خبر جذيمة الابرش
١٩٣	وقعة ذي قار	٧٢	غزو كسرى ابادا
٢٠٦	حرب داحس	٧٦	مقتل كليب
٢١٩	حروب الفجار وحروب عكاظ	٨٠	حرب البسوس

صفحة		صفحة	
٣٠٥	جبله وعمر بن الخطاب	٢٣٣	مقتل ربيعة بن مكدم في يوم الكديد
٣١٠	الخطيئة	٢٣٥	ربيعة بن مكدم ودريد بن الصمة
٣١٤	الخطيئة والزبرقان	٢٣٩	شجاعة ربيعة بن مكدم
٣٢١	شريح بن ضبيعة الحطيم في حرب الردة	٢٤٥	دريد بن الصمة
٣٢٥	مقتل حجر بن عدي	٢٤٨	مقتل عبدالله بن الصمة
٣٢٢	اهل الكوفة وسعيد بن العاص	٢٥١	يوم القدير
٣٤٥	حبس ابن مفرغ	٢٥٣	مقتل قيس بن الصمة
٣٦٩	مقتل جرجير	٢٥٤	مقتل خالد بن الصمة
٣٧١	خبر مقتل ابني عبدالله بن العباس	٢٥٥	مفاخرة بين حاتم وسعد بن حارثة
٣٧٤	مقتل توبة بن الحمير	٢٥٩	زيد الخيل
٣٨٣	اخذ الثأر من هلال	٢٧٢	السليك بن السلكة
٣٩٠	حرب قيس و كلب وحرب قيس وتقلب	٢٨٠	تأبط شراً
٤٠٥	الحرب بين عبدالملك ومصعب بن اثير	٢٨٨	مقتل عمرو ذي الكلب
٤١٢	وقعة دولاب	٢٩١	الخنساء وهند بنت عتبة
٤١٧	الوليد بن يزيد	٢٩٣	حسان بن ثابت وعمرو بن الحارث
٤٣٨	خروج عبدالله بن يحيى وأبي حمزة المختار ومقتلها	٢٩٥	حسان بن ثابت والنايعة عند النعمان
		٢٩٨	حسان بن ثابت وقيس بن الخطيم
		٢٩٩	حجر آكل المرار وزيايد بن الهبولة
			المنذر بن ماء السماء وعبيد بن الابرص
		٣٠٣	

